

الوجود التاريخي للنبياء

وجدل البحث الأركيولوجي
— شبكات وردود —

تأليف
د. سامي عامري

**الوجود التاريخي للأنبياء
وجدل البحث الأركيولوجي
– شبهات وردود –**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأركيولوجي – شبهات وردود –

تأليف:

د. سامي عامري



- الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأركيولوجي - شبهات وردود

المؤلف: د. سامي عامري

رواسخ 2021

مطابع الرسالة

. ص 556 سم 23.5 .

الترقيم الدولي: 978-9921-9729-6-2

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى 1442 هـ - 2021 م



رسائل + دراسات + بحوث

الكويت - شرق - شارع أحمد الجابر - برج الجاز

هاتف: 0096522408787 - 0096522408686

0096590963369

رواسخ

RAWASEKH

إصدارات ◆ دراسات ◆ برامج

- مركز غير ربحي مختص في معالجة القضايا الفكرية المعاصرة وفق أسس عقلية وعلمية منهجية.
- يسعى لإيجاد خطاب علمي مؤصل من خلال تأليف وترجمة الكتب والبحوث التأصيلية والحوارية.
- يعني بإقامة الدورات والندوات، وإنتاج المواد المرئية النوعية.
- يستهدف بخطابه المهتمين بالمعرفة من مختلف شرائح المجتمع.



الإهداء

إلى الأنقياء الأخفباء من شباب الدعوة،
الذين لا تعرفهم الشاشات ولا يُصدّرون على المنابر..
أخيار يعملون في صمت، ويجتهدون بصدق..
يتحتون على الصخر طريق الظفر..
عسى أن يرزقهم الله -بفضلـهـ أضعاف ما في صدورهم من خير !

الفهرس

25	تمهيد
25	أهمية البحث، وسبب اختياره
31	إشكالية البحث
31	ملخص خطة الدراسة
33	حدود الدراسة
35	منهج الدراسة

الباب الأول

إشكالات منهجية

39	تمهيد
43	الفصل الأول: حجية الدليل الأركيولوجي في الميزان
45	المبحث الأول: دعوى أن الأركيولوجيا من جنس العلوم القطعية
45	المطلب الأول: دعوى نشأة علم التاريخ عند ثورة الأركيولوجيا
48	المطلب الثاني: مسلّمات البحث الأركيولوجي المطروحة
50	المطلب الثالث: أوهام المساحات المظلمة في البحث الأركيولوجي
52	المطلب الرابع: تعارض مناهج البحث الأركيولوجي

55	المبحث الثاني: ظاهرة التحiz في البحث الأركيولوجي
55	المطلب الأول: أثر ثقافة ما بعد الحداثة في البحث الأركيولوجي
56	المطلب الثاني: سلطان اللادينية على البحث الأركيولوجي
59	المطلب الثالث: التعنت التأويلي للكشوف الأركيولوجية
61	المبحث الثالث: مغالطة الاحتجاج بالصمت
61	المطلب الأول: الاحتجاج بالجهل؛ نصرة للمذهب
63	المطلب الثاني: الاحتجاج بالمعلوم لأنكار المجهول
64	المطلب الثالث: الإيهام بالفراغ من البحث الأركيولوجي
69	المطلب الرابع: أوجه القصور الكشفية في الشاهد الأركيولوجي
73	المطلب الخامس: العجلة في إدانة التوراة
76	المطلب السادس: صمت الآثار وطبيعة خبر الأنبياء
79	الفصل الثاني: شبكات حول تاريخ النبوة والمعجزات
81	المبحث الأول: الأركيوجيا ونفي تاريخ النبوة القديم
85	المبحث الثاني: دعوى اختلاف اليهود التوحيد في العصور المتأخرة
85	المطلب الأول: اتهام التوراة باخفاء ما تصرّح به!
88	المطلب الثاني: دلالات الأركيوجيا على أصلالة التوحيد في تاريخ بنى إسرائيل
90	المطلب الثالث: نقض دلالة الآثار على حداهنة التوحيد في بنى إسرائيل

المطلب الرابع: تناقض فراس السواح في الاستدلال بالأثار لإثبات أصالة الوثنية في بني إسرائيل	92
المطلب الخامس: تهافت استدلال فراس السواح بالتوراة لنفي التوحيد عند اليهود	93
المبحث الثالث: دعوى اقتصار النبوة على منطقة الشرق الأدنى القديم	97
المبحث الرابع: إنكار النبوة والمعجزات في الرؤية الطبيعانية	103
الفصل الثالث: التوراة في ميزان البحث الأركيولوجي	107
المبحث الأول: القراءة العدمية للخبر التوراتي	109
المطلب الأول: تطرف دعوى زيف الخبر التوراتي	109
المطلب الثاني: ظاهرة حفظ الأمم تراثها القديم	111
المبحث الثاني: تاريخية الخبر السياسي في التوراة	115
المطلب الأول: حكام المملكة الشمالية في الشواهد الأركيولوجية	116
المطلب الثاني: حكام المملكة الجنوبية في الشواهد الأركيولوجية	131
المطلب الثالث: شخصيات غير ملكية في الشواهد الأركيولوجية	142
المطلب الرابع: الملوك الأجانب في الشواهد الأركيولوجية	147
المبحث الثالث: دلالات الكشف الأركيولوجي على حجية التوراة	160

الباب الثاني

الوجود التاريخي للأنبياء منذ عصر محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى عصر عيسى - عليه السلام -

169	تمهيد
171	الفصل الأول: الوجود التاريخي لمحمد - صلى الله عليه وسلم -
171	المبحث الأول: محمد - صلى الله عليه وسلم - في التراث الإسلامي
173	المبحث الثاني: الوجود التاريخي لمحمد - صلى الله عليه وسلم -
173	المطلب الأول: إجماع المؤرخين
175	المطلب الثاني: شهادة التواتر
177	المطلب الثالث: شهادة المصاحف
183	المطلب الرابع: شهادة النقوش والمسكوكات والرسائل
196	المطلب الخامس: شهادة غير المسلمين في العصر الإسلامي الأول
201	المبحث الثالث: أسباب التشكيك في وجود محمد - صلى الله عليه وسلم -
201	المطلب الأول: المذهب الشاذ بين غير المسلمين
202	المطلب الثاني: دعوى تأخر تدوين السيرة النبوية
203	المطلب الثالث: الاستدلال بوجود الصليان على العمدة الإسلامية لإنكار عقيدة الإسلام
210	المطلب الرابع: دعوى نشوء الإسلام في «مكة الشام» لا «مكة الحجاز»
212	الخلاصة

الفصل الثاني: الوجود التاريخي لعيسى - عليه السلام -	215
المبحث الأول: عيسى - عليه السلام - في القرآن والأناجيل	215
المبحث الثاني: الوجود التاريخي لعيسى - عليه السلام -	219
المطلب الأول: الإجماع العلمي على وجود عيسى - عليه السلام -	219
المطلب الثاني: أدلة وجود عيسى - عليه السلام -	221
أ. الطوائف المسيحية الأولى	221
ب. الأنجليل	222
ت. بولس	222
ث. خصوم الكنيسة	224
المبحث الثالث: أسباب التشكيك في وجود عيسى - عليه السلام -	225
المطلب الأول: دعوى غياب أدلة الآثار	225
المطلب الثاني: دعوى غياب شهادات مؤرخي القرن الأول	226
المطلب الثالث: دعوى مطابقة سيرة المسيح سير مقدس الوثنين	229
الخلاصة	231
الفصل الثالث: الوجود التاريخي ليعي - عليه السلام -	233
المبحث الأول: يعي - عليه السلام - في القرآن والأناجيل	233
المبحث الثاني: الوجود التاريخي ليعي - عليه السلام -	235
المطلب الأول: الإجماع العلمي على وجود يعي - عليه السلام -	235

236	المطلب الثاني: شهادة الأنجليل
241	المطلب الثالث: شهادة يوسيفوس
246	المطلب الرابع: المندائيون أتباع المسيح؟
248	الخلاصة
249	الفصل الرابع: الوجود التاريخي لزكريا - عليه السلام -
249	المبحث الأول: زكريا - عليه السلام - في القرآن والكتاب المقدس
253	المبحث الثاني: الوجود التاريخي لزكريا - عليه السلام -
254	الخلاصة

الباب الثالث

الوجود التاريخي للأنبياء في الألفية الأولى قبل الميلاد

259	الفصل الأول: الوجود التاريخي لداود - عليه السلام -
259	المبحث الأول: داود - عليه السلام - في القرآن والكتاب المقدس
261	المبحث الثاني: الوجود التاريخي لداود - عليه السلام -
262	المطلب الأول: صدق الخبر التوراتي في خبر مملكتي يهودا والسامرة
263	المطلب الثاني: نقش تل دان
269	المطلب الثالث: نقش ميشع
270	المطلب الرابع: نقش شيشنق

273	المبحث الثالث: تاريخية مملكة داود - عليه السلام -
274	المطلب الأول: الوصف القرآني لمملكة داود - عليه السلام -
275	المطلب الثاني: مملكة داود - عليه السلام - في أخبار دول الجوار
281	المطلب الثالث: مملكة داود ومشكلة آثار فلسطين
281	أ. ندرة النقوش
282	ب. ندرة البرديات
282	ت. ظاهرة الهدم المتكرر
286	ث. ضعف الحفريات
288	المطلب الرابع: شواهد تاريخية على مملكة داود وسليمان - عليهما السلام -
288	أ. خربة قيافا
289	ب. تل عتون
290	ت. مدن حاصور ومجدو وجازر
293	ث. طبيعة الحياة في أورشليم القرن التاسع قبل الميلاد
294	ج. التغير الجيوسياسي للقرن العاشر قبل الميلاد
295	ح. طبيعة مملكة داود وسليمان - عليهما السلام -
297	المطلب الخامس: المملكة المفترضة وتناقضات فنكلشتاين
302	المطلب السادس: فراس السواح، والمؤامرة الساذجة
307	الخلاصة

309	الفصل الثاني: الوجود التاريخي لسليمان - عليه السلام -
309	المبحث الأول: سليمان - عليه السلام - في القرآن والكتاب المقدس
311	المبحث الثاني: الوجود التاريخي لسليمان - عليه السلام -
315	المبحث الثالث: مملكة سليمان، وثراوتها
319	المبحث الرابع: ملكة سبا
320	المطلب الأول: مملكة سبا في القرن العاشر
321	المطلب الثاني: لماذا اختفى اسم ملكة سبا؟
323	المطلب الثالث: زوجة الملك، الحاكمة؟
324	المطلب الرابع: الرحلة من سبا إلى فلسطين
325	الخلاصة
327	الفصل الثالث: الوجود التاريخي لليسوع - عليه السلام -
327	المبحث الأول: يسوع - عليه السلام - في القرآن والكتاب المقدس
329	المبحث الثاني: الوجود التاريخي لليسوع - عليه السلام -
331	الخلاصة
333	الفصل الرابع: الوجود التاريخي لأيوب - عليه السلام -
333	المبحث الأول: أيوب - عليه السلام - في القرآن والكتاب المقدس
335	المبحث الثاني: الوجود التاريخي لأيوب - عليه السلام -
337	الخلاصة

339	الفصل الخامس: الوجود التاريخي لإلياس - عليه السلام -
339	المبحث الأول: إلياس - عليه السلام - في القرآن والكتاب المقدس
341	المبحث الثاني: الوجود التاريخي لإلياس - عليه السلام -
342	الخلاصة
343	الفصل السادس: الوجود التاريخي ليونس - عليه السلام -
343	المبحث الأول: يونس - عليه السلام - في القرآن والكتاب المقدس
347	المبحث الثاني: الوجود التاريخي ليونس - عليه السلام -
349	الخلاصة

الباب الرابع

الوجود التاريخي للأنبياء قبل الألفية الأولى قبل الميلاد

355	الفصل الأول: الوجود التاريخي لموسى وهارون - عليهما السلام -
355	المبحث الأول: موسى وهارون - عليهما السلام - في القرآن والكتاب المقدس
357	المبحث الثاني: الوجود التاريخي لموسى وهارون - عليهما السلام -
360	المطلب الأول: أخبار لها شواهد تاريخية
360	أ. وجود بني إسرائيل زمن الفراعنة
364	ب. ادعاء فرعون الألوهية

366	ت. الولع بالسحر في مصر
367	ث. مدينة رمسيس
368	ج. اختيار بني إسرائيل لصنم العجل ليكون لهم إلهًا
370	ح. التراث واللغة المصريان
372	المطلب الثاني: أخبار لا شواهد تاريخية لها
373	أ. صمت الآثار
380	ب. تربية موسى - عليه السلام - في قصر الفرعون
381	ت. تعبيد بني إسرائيل
383	ث. الضربات
387	ج. الخروج من مصر
387	(1) - عدد الخارجين من مصر
391	(2) - تسجيل خروج بني إسرائيل من مصر
392	ح. رحلة النبي
394	خ. مشابهة ميلاد موسى عليه السلام لميلاد سرجون
400	الخلاصة

الفصل الثاني: الوجود التاريخي ليوسف - عليه السلام -	401
المبحث الأول: يوسف - عليه السلام - في القرآن والكتاب المقدس	401
المبحث الثاني: الوجود التاريخي ليوسف - عليه السلام -	403
المطلب الأول: دخول الإسرائيليين مصر	404
المطلب الثاني: الوزير المجهول	406
المطلب الثالث: تنصيب أجنبي وزيراً في مصر	409
المطلب الرابع: خارقة يوسف	410
المطلب الخامس: الإناء بسنين الجوع	413
الخلاصة	414
الفصل الثالث: الوجود التاريخي لإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب - عليهم السلام -	419
المبحث الأول: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب - عليهم السلام - في القرآن والكتاب المقدس	415
المبحث الثاني: الوجود التاريخي لإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب - عليهم السلام -	417
المطلب الأول: أسباب التشكيك في وجود الآباء	420
المطلب الثاني: عصر إبراهيم - عليه السلام -	422
المطلب الثالث: أسماء الآباء	425
المطلب الرابع: رحلات إبراهيم - عليه السلام -	427
المطلب الخامس: سكن الآباء في الدنيا	428
المطلب السادس: غياب اسم الإله بعل	429
الخلاصة	430

433	الفصل الرابع: الوجود التاريخي للوط - عليه السلام -
433	المبحث الأول: لوط - عليه السلام - في القرآن والكتاب المقدس
435	المبحث الثاني: الوجود التاريخي للوط - عليه السلام -
439	الخلاصة
441	الفصل الخامس: الوجود التاريخي لنوح - عليه السلام -
441	المبحث الأول: نوح - عليه السلام - في القرآن والكتاب المقدس
443	المبحث الثاني: الوجود التاريخي لنوح - عليه السلام -
443	المطلب الأول: تاريخية طوفان النبي نوح - عليه السلام -
443	أ. قائمة الملوك السومريّة
445	ب. الطوفان السومريّ
446	ت. ملحمة جلجماش
458	ث: دلالات تراث بلاد الراافدين على الطوفان
459	- الطوفان المحليّ
460	- أساطير الطوفان، لا تنفي تاريخية نوح - عليه السلام - والطوفان
462	- شواهد أثرية لطوفان بلاد الراافدين
465	المطلب الثاني: عمر نوح - عليه السلام - ودعوى المبالغة في طوله
467	الخلاصة

469	الفصل السادس: الوجود التاريخي لإدريس - عليه السلام -
469	المبحث الأول: إدريس - عليه السلام - في القرآن والكتاب المقدس
471	المبحث الثاني: الوجود التاريخي لإدريس - عليه السلام - ومتغالطات خرزل الماجدي
479	الخلاصة
481	الفصل السابع: الوجود التاريخي لأدم - عليه السلام -
481	المبحث الأول: آدم - عليه السلام - في القرآن والكتاب المقدس
483	المبحث الثاني: الوجود التاريخي لأدم - عليه السلام -
484	المطلب الأول: دعوى امتناع وجود إنسان أول
485	المطلب الثاني: عصر آدم - عليه السلام -
487	الخلاصة

الباب الخامس

الوجود التاريخي للأنبياء الذين لا ذكر لهم في التوراة والإنجيل

493	الفصل الأول: الوجود التاريخي لهود - عليه السلام -
493	المبحث الأول: هود - عليه السلام - في القرآن
495	المبحث الثاني: الوجود التاريخي لهود - عليه السلام -
502	الخلاصة

الفصل الثاني: الوجود التاريخي لصالح - عليه السلام -	503
المبحث الأول: صالح - عليه السلام - في القرآن	503
المبحث الثاني: الوجود التاريخي لصالح - عليه السلام -	505
المبحث الثالث: اسم «صالح»	509
المبحث الرابع: مداهن صالح ومساكن ثمود	511
الخلاصة	521
الفصل الثالث: الوجود التاريخي لشَعْبَنِ - عليه السلام -	523
المبحث الأول: شعيب - عليه السلام - في القرآن	523
المبحث الثاني: الوجود التاريخي لشعب - عليه السلام -	525
الخلاصة	528
الفصل الرابع: الوجود التاريخي لذِي الكفْلِ - عليه السلام -	529
المبحث الأول: ذو الكفـل - عليه السلام - في القرآن	529
المبحث الثاني: الوجود التاريخي لذِي الكفـلِ - عليه السلام -	531
الخلاصة	531
التائج	533
المراجع والمصادر	539

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله وحده، والصلوة والسلام على من لا نبي بعده..

استحقني الإخوة منذ سنوات على الكتابة في موضوع تاريخية الأنبياء، غير أن الانشغال بختم مباحث سلسلة «الإلحاد في الميزان» حال بيني وبين ذلك، كما أتني لم أجد حماسة كبرى لتناول هذا الموضوع؛ لظني أنه لم يتشر ذكره بين الألسن حتى يكون مصدرًا للريبة والاشتباه. غير أن سرعة حركة الأفكار، وعناية متابـرـ الـلـادـيـنـيـةـ فيـ الـعـالـمـ الـعـرـبـيـ باـسـتـقـدـامـ كلـ شـبـهـ طـاعـنـةـ فيـ الإـيمـانـ وـالـقـرـآنـ منـ الغـربـ؛ جـعـلـتـ الـحـدـيـثـ فـيـ هـذـاـ مـوـضـعـ وـاجـبـاـ لـأـيـسـأـ؛ خـاصـةـ أـتـيـ لـأـعـرـفـ كـتـابـاـ فـيـ مـكـتـبـتـاـ الـعـرـبـيـةـ قـدـ أـفـرـدـ لـتـنـاوـلـ هـذـاـ مـوـضـعـ؛ بـمـاـ يـقـضـيـ المعـالـجـةـ بـالـمـعـالـجـةـ حـتـىـ لـأـتـصـيرـ الشـبـهـ حـقـيـقـةـ مـنـكـوـتـةـ فـيـ صـدـورـ الشـابـ السـاعـيـ لـلـمـعـرـفـةـ وـالـبـاحـثـ عـنـ الـحـقـ.

وقد أثبتتُ هذا الكتاب بسلسلة «الانتصار للقرآن»؛ لأنَّ هذه الشبهة صارت تُصدِّر في خطاب الطعن في صدق الخبر القرآني، وظاهرة النبوة في التاريخ البشري. والوفاء لربانية القرآن يقتضي دفع هذه التهمة، بالدليل بين الذي يرضي طالب الحق.

أهمية البحث، وسبب اختياره

التشكيك في الوجود التاريخي للأنبياء، شبهة وافدة، أصلها أخطاء الكتاب المقدس التي تفجئ خبرُها مع تطور دراسات النقد الأعلى^(١) إثر سقوط احتكار الكنيسة لتفسير الكتاب المقدس وتأويله، ثم صعود التيارات «العقلانية» المتطرفة في

(١) النقد الأعلى: Higher Criticism: علم يهتم بالبحث في مصادر الوثائق؛ لمعرفة مؤلفيها، وزمن التأليف، ومكانه.

أوروبا، والتي استهواها التشكيك في كل شيءٍ دينيٍّ، خاصةً المعجزات. وكانت الانطلاقة الكبرى، لإثارة الشك في تاريخية الأنبياء في العقد السابع من القرن الماضي⁽¹⁾، إثر انحسار أطروحة مدرسة الأركيولوجي الأمريكي ولIAM فوكسويل أولبرايت⁽²⁾؛ فقد استطاع أولبرايت وتلاميذه الهيمنة على الجوز العلمي من الأربعينيات إلى السبعينيات من القرن العشرين؛ بالانتصار لتاريخية إبراهيم - عليه السلام - وبنيه؛ من خلال الكشف عن تشابهات كثيرة بين تفاصيل قصصهم وما اكتُشف من آثار في البلاد المجاورة لفلسطين، ولكن عرفة العقد السابع من القرن الماضي رحيل أعلام هذه المدرسة؛ فقد توفي سنة 1970 بول لاب⁽³⁾ عرقاً في سواحل قبرص، وتوفي بعد سنة من ذلك أولبرايت، وتبعه تلميذه نلسون غلوك⁽⁴⁾، وبعده المؤرخ والأركيولوجي الشهير رولون دو فو⁽⁵⁾. وفي سنة 1974 توفي من جامعة هارفارد ج. أرنست رايت⁽⁶⁾، وللحقة سنة 1976 يوحنا أهاروني⁽⁷⁾ من جامعة

(1) أشهر من شكك في النبوة في تاريخ الينة الإسلامية، الطائفة المسماة - خطأ - «البراهمة». وهي طائفة يزعم أنها تمنع النبوة. وقد لخص ابن حزم موقف هذه الطائفة من النبوة في اعتراضين: «لما صنح أن الله عز وجل حكم وكان من بعث رسولاً إلى من يدري أنه لا يصدقه، فلا شك في أنه متعنتٌ عايشٌ؛ فوجب تبنيه بعث الرسول من الله عز وجل لنفي العيوب والمنت عنه!» و«إن كان الله تعالى إنما بعث الرسول إلى الناس ليخرجهم بهم من الضلال إلى الإيمان؛ فقد كان أولى به في حكمته وأتم لمراهن أن يضطر العقول إلى الإيمان به، قالوا: فبطل إرسال الرسول على هذا الوجه أيضاً. ومحبى» الرسول عندهم من باب المصنوع» (الفصل في الملل والأهواء والتحلّل، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1348هـ، 1/ 63).

تعالى الله عن إفكهم! والجدل مع «البراهمة» غير الجدل الذي في كتابها؛ فالاختلاف هنا ينحصر بوجود أئمّة الأنبياء الذين ورد خبرهم في القرآن، وليس منه بالأساس الجدال في معرفة نبوة في ذاتها. وقد ناقشت معقولة النبوة، والحاجة إليها، في كتاب: «براهين النبوة» (الندى: مركز تكوير، 1348هـ / 2017)، ص 25 - 44.

(2) ولIAM فوكسويل أولبرايت William Foxwell Albright (1891 - 1971)؛ أركيولوجي وعالم لغات سامية أمريكي.

(3) بول لاب Paul Lapp (1930 - 1970)؛ درس في «Pittsburgh Theological Seminary». وعمل مديرًا للمدرسة الأمريكية للبحث الشرقي في القدس.

(4) نلسون غلوك Nelson Glueck (1900 - 1971)؛ حبر يهودي وأركيولوجي أمريكي. رأس «College Hebrew Union».

(5) رولون دو فو Roland de Vaux (1903 - 1971)؛ قسيس فرنسي ورئيس المدرسة اللاهوتية شرق القدس «École biblique et archéologique française de Jérusalem».

(6) جورج أرنست رايت George Ernest Wright (1909 - 1974)؛ ناقد توراتي وأركيولوجي أمريكي متخصص في اللاهوت النصراني وأركيولوجيا فلسطين.

(7) يوحنا أهاروني Yohanan Aharoni (1919 - 1976)؛ رئيس مؤسسة الأركيولوجيا في جامعة تل أبيب.

تل أبيب. وشهدت سنة 1978 وفاة جيمس كلسو⁽¹⁾ وماكس مالوان⁽²⁾. وبعد عام من ذلك توفي ج. لانكستر هاردنج⁽³⁾.

ووافق رحيل أولبرايت وأهم تلاميذه وأنصاره، صدور كتابين مثيرين لباحثين أمريكيين، هما «تاريخية روایات الآباء: البحث عن إبراهيم التاريخي»⁽⁵⁾ (1974) لتوomas تومسون⁽⁶⁾، و«إبراهيم في التاريخ والتراث»⁽⁷⁾ (1975) لجون فان سيتز⁽⁸⁾، وهما في نقض الطرح الأولي قبل الميلاد على صناعة النص التوراتي. وقد تزامن ذلك مع صعود من الألفية الأولى قبل الميلاد على صناعة النص التوراتي. وقد تزامن ذلك مع صعود الفكر الشكوكى ما بعد الحداثي والقراءات المادية للظاهر الدينية؛ بما جعل الطرح الجديد يتمدد بسرعة في عالم الدراسات الدينية؛ لتصبح قصص الأسفار التوراتية مجرد عمل دعائى يهودي، لا قيمة تاريخية له. وهي دعوى المدرسة الأركيولوجية المعروفة باسم مدرسة «الحد الأدنى» Minimalism المقابلة للمدرسة المحافظة المتقلصة والمتفهفة، والملقبة بمدرسة «الحد الأقصى» Maximalism التي تقرر أنّ عامة - أو كل - أخبار الكتاب المقدس صحيحة.

وفي العالم العربي، لم يتول نشر دعاوى الطعن في قصص النبيين أركيولوجيون من العالم الأكاديمي، ولا رجالٌ مسَّتْ أيديهم تربة الحفريات، وإنما كان الرواد

(1) جيمس كلسو James L. Kelso (1892 - 1978): أستاذ تاريخ العهد القديم والأركيولوجيا الكتابية في Pittsburgh Theological Seminary. وعمل مديرًا للمدرسة الأمريكية للبحث الشرقي في القدس.

(2) ماكس مالوان Max Mallowan (1904 - 1978): أركيولوجي بريطاني متخصص في تاريخ الشرق الأوسط.

(3) جيرالد لانكستر هاردنج Gerald Lankester Harding (1901 - 1979): أركيولوجي بريطاني. عمل مديرًا لقسم الآثار في الأردن بين 1936 - 1956.

Edwin M. Yamauchi, *The Scriptures and Archaeology: Abraham to Daniel* (Wipf and Stock Publishers, 2013), p.1.

Thomas L. Thompson, *The Historicity of the Patriarchal Narratives: The Quest for the Historical Abraham*, Berlin: de Gruyter, 1974.

(6) توomas ل. تومسون (1939): ناقد كتابي ولاهوتي أمريكي من أصل دانماركي. درس اللاهوت في جامعة كوبنهاغن. أبرز رموز تيار «الحد الأدنى».

John Van Seters, *Abraham in History and Tradition*, Yale University Press, 1975.

(8) جون فان سيتز John Van Seters (1935): ناقد توراتي كندي. أستاذ في جامعة شمال كارولاينا.

مجرد نَقْلَةٍ عن كتب المستشرقين أو غلاة الأركيولوجيين، وعلى رأسهم - في النصف الأول من القرن العشرين - طه حسين صاحب العبارة الشهيرة التي أثارت واحدة من أبرز الزوابع الفكرية في النصف الأول من القرن العشرين: «للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل. وللقرآن أن يحدثنَا عنهما أيضاً. ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلاً عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها. ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى. وأقدم عصر يمكن أن تكون قد نشأت فيه هذه الفكرة إنما هو هذا العصر الذي أخذ اليهود يستوطنون فيه شمال البلاد العربية ويثبتون فيه المستعمرات»⁽¹⁾.

وقد تجَّدَّدَ التشكيك في قصص الأنبياء، بِدايَةَ القرن الخامس عشر الهجري / آخر القرن العشرين الميلادي، بالترويج لكتابات اللاذينيين والملاحدة العرب ومحاضراتهم في الدوائر العالمية. وإذا كان النقاد الغربيون يسقطون تاريخية الأنبياء أو بعضهم، انطلاقاً مما في التوراة من خطأ، ولا يأبهون بالنظر في القرآن، فإنَّ اللاذينيين العرب يستترُون بالتوراة لإدانة القرآن وإنكار ربانيته. وهذا أمر لاحظه النصارى العرب أنفسهم في ردودهم - البسيطة - عليهم؛ فإنه من المعلوم أنَّ هذا الخطاب ليس موجهاً إلى الأقلية النصرانية أو اليهودية في البلاد العربية، وإنما هو استفزاز صريح لل المسلمين بالطعن في ما في قرآنهم من خبر عن تاريخ النبوة والأنبياء. ومنهج اللاذينيين العرب هنا؛ ذكرُ الخبر المستذكر في التوراة، وإنكار تاريخيته كلية، مع علمهم أنَّ له نظيرًا في القرآن. ومن ذلك إنكار فراس السواح تاريخية زيارة ملكة سباً لسليمان عليه السلام بصورة قاطعة، دون إظهار الاهتمام بالتمييز بين الخبر القرآني عن سليمان عليه السلام ومملكته وعلاقته بملكة سباً والخبر التوراتي عن

(1) طه حسين، في الشعر الجاهلي (مطبعة دار الكتب، 1926)، ص 29.

ذلك. بل أنكر السوّاح وجودبني إسرائيل ابتداءً، ورأى أنهم ولدوا في فلسطين، ولم يأتوا من مصر، وأنَّ التوحيد قد ظهر في اليهود قبل ميلاد المسيح بقرون قليلة؛ بما يُعد تكذيباً مباشراً لجميع قصص القرآن عنبني إسرائيل وأنبيائهم الذين هم من نسل يعقوب عليه السلام قبل المسيح.

وقد أسرف السوّاح - بالإضافة إلى ذلك - في هجاء المخالفين - في كتبه - بعبارات لاذعة⁽¹⁾، رغم أنه لم يقرأ كتبهم؛ إذ نقل صورة شائهة لأفكارهم - في الغالب - بوسائل⁽²⁾. كما أنه - كما سيتضح للقارئ في بحثنا في تاريخية داود وسليمان عليهمما السلام - لم يأت بشيء جديد، ولم يُظهر حسناً نقدياً واعياً في نقله الحرفي لأطروحة الأركيولوجيين الغربيين.

وانضم إلى مشروع التشكيك في تاريخية الأنبياء في السنوات القليلة الماضية الكاتب العراقي خرزل العاجدي؛ فقال بما قاله السوّاح⁽³⁾، وزاد على ذلك إشاعة التشكيك في النبوة وأعيان الأنبياء القرآنيين وقصصهم صراحة، على القنوات الفضائية والمنتديات ومعارض الكتاب التي يُستدعي لها، بلغة ساخرة انتشى لفجاجتها ملاحدة الشبكة العنكبوتية.

وهذا الإسراف في الترويج للماجدي في البلاد العربية في القنوات والمنصات، تعبر عن أزمة اللادينين العرب الذين يحتلون منابر «ثقافية» وإعلامية كثيرة؛ إذ إنَّ الماجدي المهتم بتاريخ العراق القديم، أجنبي كلية عن الدراسات التوراتية والإنجيلية والقرآنية، وقصيرى أمره النقل المكثف في كتبه عن الواقع الإلكتروني.

(1) انظر مثلاً وصفه المخالفين في كتابه «تاريخ دمشق والبحث عن مملكة اليهود» بـ«عمي الألوان التاريخي»، (ص 52)، ووصفه الأركيولوجي بـ«ليام فوكسويل أولبرايت أنه يهودي مت指控 للرواية، رغم أنه نصراني، ومنكر عصمة النص التوراتي Biblical inerrancy؛ كخطئته التوراة في أمر استعمال الجمال زمن الآباء».

(2) كما هو واضح من مراجع كتبه، ولا يُستثنى من ذلك - تقريباً - سوى مؤلفات أولبرايت التي تجاوزها «المحافظون» أنفسهم منذ عقود، بل وهاجها بهضمهم.

(3) الماجدي صريح في دعوه أنَّ القرآن ينقل خرافات اليهود؛ ومن ذلك قوله عند حدثه عن قابين (قابيل) وهابيل: «... كل هذه العناصر موجودة أيضاً في المدرasha، وكلها مستترba إلى القرآن وسيتحول اسم قابين إلى قابيل». (خرزل العاجدي، أنبياء سومريون، كيف تحول عشرة ملوك سومريون إلى عشرة أنبياء توراتيين، الدار البيضاء: المركز الثقافي للكتاب، 2018، ص 218).

غير المؤوثقة (ويكيبيديا) في مناقشة المسائل العلمية الدقيقة التي اشتَدَ فيها الجدال في الدراسات الأكاديمية⁽¹⁾. ولأن «عين الرضا عن كلّ عيب كليلة»؛ فإنّ مهاجمته مقدّسات المسلمين، تُشفّع له الجهل والتّدليس في خطابه! كما ظهر فريق آخر يطعن في القصص القرآني والتوراتي بالترويج للنظريات الشاطحة التي يأنس بها اللاهوتون المحبّتون للغرائب والشذوذات، وإن لم تعرّف بها الدوائر العلمية، ومنها أنّ التوراة قد جاءت من اليمن أو عسير في جزيرة العرب⁽²⁾.

(1) راجع في ذلك فصل تاريخي إدريس عليه السلام في هذا الكتاب.

واعلم أنه ستكرر في كتابنا هذا الإشارة إلى السواح (ويدرجة أقل الماجدي)؛ بياناً لتهاافت مذهب اللادينيين العرب، وإن كانت غاية الكتاب في الأصل الرّأي على شبهات الأركيولوجيين الغربيين، لا الناقلين عنهم دعاهم من الكتاب العربي.

(2) لعل أبرز مولاه في أيامنا الصحفى العراقي فاضل الريبيعى الذي أصدر أكثر من كتاب في نصرة دعوى متطرفة يرفضها المجتمع العلمي قاطبة، وهي أقرب للهزيل منها للجدة، وخلالصها أنّ قصص الأنبياء في التوراة لا علاقة لها بفلسطين وأورشليم، وإنما هي قد كتبت في اليمن، وعن اليمن (وهو مسبوق في ذلك بعده من الكتاب). وحديث الريبيعى مختصره الرّأى أنّ الأركيولوجيين قد انتهوا إلى أنّ أرض فلسطين الحالية لا علاقة لها بالتوراة بالحدائق التوراتية، وأنه لا حواب على هذا الكشف الصادم سوى تقديم أطروحة تكشف المسألة، وهي – في رأيه – أنّ التوراة قد كتبت في اليمن، وأحدّها كلها ثقت في اليمن. وأفاد ما يكتبه الريبيعى أنه بعيد عن المنهج العلمي كليّة، إذ أنه يقمع على محاولة المطابقة بين أسماء المدن والقرى والهياكل... في التوراة، وما جاء في كتاب «الإشكال وصلة جزير العرب» لأبي محمد الحسن بن أحمد الهمданى من القرن الرابع الهجري؛ للوصول إلى مبنائة، وذلك بتعريف الفص العبرى، والإيحاء أنّ أسماء المواقع فى اليمن لم تتغير على مدى ألفي سنة رغم تغير التجمعات السكانية واللغات فى البلاد، وإنكار ما دأب عليه الباحث الأركيولوجي قطعاً من وجود أسماء حكام مملكتي يهودا والسامرة منذ القرن التاسع قبل الميلاد في فلسطين (راجع الباب الأول من كتابنا هذا).

ولم تنشر دعوى الريبيعى في فضاء وسائل التواصل الاجتماعى إلا لولع بعض العامة بالأطروحات الصادمة والمثيرة، واستنلال المؤلف الأسماء العبرية للمولدين به، والترويج لحداثة من هيئات داعية للتقطيع مع الصهاينة؛ لأنّه يُنكر أن تكون أورشليم هي القدس نفسها، وهو في ذلك كتاب يعنون: «القدس ليست أورشليم: مساعدة في تصحيح تاريخ فلسطين» (رياض الرئيس للكتاب والنشر، 2010)، وتبيّن سقطات الريبيعى وكذبه الصريح على اللغة العربية (حيث يتعدّد تفسير حروف الكلمات العربية للصول إلى مراده، أو الآذان، أو علماء اللغة العربية يرون أنّ العبرية الأولى، اسمها العبرية البسيطة) وعلى الأركيولوجيين (خاصة فنكسلشتاين، الذي نسب إليه عكس ما يقول أطروحة المتمهورة؛ إذ يزعم الريبيعى أنّ فنكسلشتاين يقول إنّ التوراة لا علاقة لها بفلسطين. في حين أنّ فنكسلشتاين – على الحقيقة – يقول عكس ذلك تماماً؛ فهو يؤكد ذاتاً أنّ «اليهود» عاشوا الألفية الأولى قبل الميلاد كلها في فلسطين، ولم يأتوا يوماً من خارجهما، لا من مصر ولا من غيرها)، وعلى التاريخ (يزعمه أنّ كل الكسوف الأثيرية تُنفي أخبار التوراة بفلسطين)، يحتاج إلى مهد عظيم؛ لأنّ التدليس ظاهر في كل التفاصيل التي يذكرها – تقريباً –، وقد سبق أن تحدثت في محاضرة مجلحة عن بعض ذلك.

وإن من الطواهر المركبة على الساحة، انحياز مسلمٍ إلى أطروحات متطرفي الأركيولوجيين الغربيين المنكرين لأصالة تاريخ اليهود جملةً وتفصيلاً، واستخدام بعضهم للمحاضرة، تكاليف في «الصهيونية»⁽¹⁾، دون الوعي بما يلزم من ذلك من تكذيب صریح القرآن. والحق أن هذه المدرسة المتطرفة تختلف صریح الوجه، وإجماع الآلة الإسلامية. وخلافنا مع الصهيونية لن يكون سبباً لإذكراً ما تافق عليه خبر القرآن والتوراة (بعد تحريفها). ومخالفتنا لمنتظر في الأركيولوجيين أساسها الدليل، لا المعنى أو الشفهي.

رغم أن الشواهد الأثرية الكثيرة المكتشفة في كنعان (= خاصة ما يُعرف اليوم بـ«بَقْسِطْلَيْن») تتوافق بصورة صريحة جغرافياً الرواية التوراتية^(١).

إنها هجمة شرسه على القرآن؛ للتشكيك في رياضته، لا يوقفها شيء؛ لأنها لا تقتيد بالمنهج العلمي في البحث، وإنما ترکن إلى لغة الإثارة والتدلیل، وطريق النقل غير النقدي عن المتطرفين من الباحثين الغربيين. وقد استفحل الأمر؛ حتى وجدنا من يطلق دعوى إنكار وجود محمد صلى الله عليه وسلم، دون أن يُظهر بعض حياء أو حرج..!

إشكالية البحث

أصل الإشكال في دعوى خرافية شخصيات الأنبياء، القول: إن البحث التاريخي قد أثبت أنه لم توجد نبوة، أبداً؛ ولم يعش أحد من الأنبياء الذين جاء ذكرهم في القرآن على الأرض (كلهم أو جلهم)، ولم يرهم من البشر أحد، ولم تحفظ الأرض لهم أثراً؛ فكل خبرهم في القرآن محض زيف.

ولذلك فكتابنا هنا يجيب على سؤال: هل أثبتت البحث الأثري حقاً خرافية أنبياء القرآن؟

وقبل ذلك يتناول بالنظر سؤال: هل البحث الأثري يملك أن يحسم القول في تاريخية أنبياء القرآن كلّهم؟

ملخص خطة الدراسة

الوفاء للبحث في تاريخية الأنبياء في القرآن يتضمني - في البدء - مناقشة المقدمات المضمرة؛ فإن دعوى الطاعنين قد بُنيت على مقولات مطوية في المنهج والتاريخ. وتجاوزُ مناقشة هذه المقدمات المضمرة يقع في المصادر على المطلوب؛ بثبات ما محله الجدل. كما أن هذه المقدمات في ذاتها حاسمة للجدل في أصل الموضوع؛ لأن الأصول حجة للفروع أو أصل فسادها.

(١) راجع الفصل الثالث من الباب الأول من هذا الكتاب.

وتدور عامة هذه المقدمات حول حجية الشاهد الأركيولوجي في البحث عن الوجود التاريخي للأنبياء؛ فإن المدارس الغربية المشككة في وجود الأنبياء مجمعة أن البحث الأركيولوجي بإمكانه أن يحسم القول في هذا الشأن، بلا تردد؛ لأن الأركيولوجيا علم متين، لا يخطئ في هذا الباب.

وبعد الدراسة النقدية للأصول التي يقوم عليه بحث المشككين، علينا أن نتناول وجود كل الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن بالفحص التاريخي؛ وهو ما يقتضي حصر هذه الأسماء، ثم البحث في وجودها التاريخي، مع ملاحظة الفارق بين الخبرين القرآني، والتوراتي - الإنجيلي.

والأنبياء الذين ذُكرت أسماؤهم في القرآن يبلغ عددهم خمسة وعشرين نبياً، سمنّ على ذكرهم جميعاً؛ بأن نبحث في أمرهم من ثلاثة أوجه:

1. سيرتهم في القرآن والتوراة والإنجيل⁽¹⁾؛ وذلك لأنّ الأركيولوجيين المنكرين

لتاريخيتهم؛ قد أقاموا اعتراضاتهم على ما جاء في التوراة والإنجيل، لا القرآن. فوجب - لذلك - بيان براءة القرآن من أسباب التهمة.

2. التفاصيل القابلة للرصد الأركيولوجي في سيرتهم؛ إذ التفاصيل القابلة للرصد في الآثار، هي وحدتها التي من الممكن أن تخدم البحث عنهم في التاريخ القديم.

3. حديث النقاد في شأن الكشف الأركيولوجي لسيرتهم، ونقد ذلك؛ فإننا في حاجة إلى أن نحيط بأهم ما انتهى إليه الأركيولوجيون على مدى العقود الماضية، دون أن نسلم لقولهم تسليم المقلّد الكسول، وإنما نعرض هذه الأقوال للنقد عند الحاجة.

(1) عبارة «التوراة» في هذا الكتاب، يقصد بها عامة: التناخ بالاصطلاح اليهودي، والمهد القديم بالاصطلاح النصراني. وأنا عبارة «الإنجيل»؛ فيقصد بها: المهد الجديد عند النصارى.

وهو لاء الأنبياء هم:

إبراهيم	إدريس	نوح	آدم	محمد
يوسف	يعقوب	إسحق	إسماعيل	لوط
شعيب	صالح	هود	هارون	موسى
سليمان	داود	اليسع	إلياس	أيوب
عيسى	يعسى	زكريا	ذو الكفل	يونس

وسيتنظم حديثنا عن هؤلاء الأنبياء - عليهم السلام - في الأبواب الأربع التالية:

- أنبياء عصر عيسى - عليه السلام - وما بعده.
- أنبياء الألفية الأولى قبل المسيح - عليه السلام -.
- أنبياء ما قبل الألفية الأولى قبل المسيح - عليه السلام -.
- الأنبياء الذين لم يرد ذكرهم في التوراة والإنجيل.

وتتناولنا لتاريخ النبوة - كما ترى - بيدأ من الأحدث إلى الأبعد زمناً، لا العكس؛ لأننا نريد أن نبدأ البحث من المساحات الأقل إشكالاً؛ حيث يتطرق المثبتون والنفاة على أن التاريخ لا بد أن ينقدم شهادة مباشرة أو غير مباشرة في خدمة سؤال تاريخية الأنبياء، قبل أن تتجه إلى المساحات المظلمة بصورة كلية أو شبه تامة؛ حيث البحث التاريخي يقوم على غير الشواهد الحاسمة؛ فمن كانت حجته أظهر في العصور المعلوم خبرها كله أو بعضه، كان حظه من التصديق في العصور المظلمة أوفر.

حدود الدراسة

هذه الدراسة التي تتناول الوجود التاريخي للأنبياء، تحاول أن تقتصر على ما يخدم الموضوع؛ فلا تنجرف إلى تناول المباحث التي لا تتصل بهذا الموضوع إلا في

- حدود ما يخدم الغرض من هذه الدراسة. ولذلك وجب التنبيه إلى عدد من الأمور:
- هذا الكتاب ليس في عرض تفاصيل سير الأنبياء ودعوتهم؛ فهو لا يذكر من خبرهم إلا ما اتصل بموضوع الكتاب.
 - لا يتناول هذا الكتاب خبر الأنبياء الذين لم ترد أسماؤهم صريحة في القرآن، ولن يتعرض إلى عامة الشخصيات المختلفة في نبوتها بين علماء الإسلام، كالخضر وذى القرنين.
 - لن تعقب الأخطاء التاريخية في سير الأنبياء في الكتاب المقدس، أصلّة، وإنما نذكر بعضها هنا تبعاً، كعدد الإسرائيّلين الذين خرجوا مع موسى عليه السلام - من مصر⁽¹⁾.
 - لا يعني الكتاب بتناول الاعتراضات التاريخية على قصص الأنبياء في القرآن⁽²⁾؛ إلا ما اتصل ضرورة بدعوى وجودهم في الخطاب الالديني؛ كطوفان نوح -عليه السلام-، وخروج موسى -عليه السلام- من مصر إلى سيناء.
 - لن نهتم بالمقارنة بين قصص القرآن وما يقابلها في الكتاب المقدس، إلا ما كان متصلةً من ذلك ببحث تاريخية الأنبياء⁽³⁾.

(1) قيد الإعداد كتاب في موضوع الأخطاء التاريخية في الكتاب المقدس. يster الله - بعونه - إتمامه.

(2) مناقشة دعوى وجود أخطاء تاريخية في القرآن؛ محلّها الكتاب القادر بإذن الله من سلسلة «الانتصار للقرآن».

(3) النقاش الذي يخوضه هذا الكتاب قد يثير اعتراضات بين عدد من القراء المسلمين الذين لم يواكبوا الجدل الدائر في موضوع الكتاب وانتشار هذه الشبهة. ومن ذلك:

- استغناه المكتبة العربية عن تناول هذه الشبهة الغربية؛ قد يقول قائل: التشكيك في تاريخية الأنبياء، شبهة غربية لها سوقها في الغرب، وليس من الحكمة أن نثار في بيته عربية لا تعرفها!
- والجواب هو أننا لا نطلب البحث في مناقشة شبهة غربية راتجة بين غير المسلمين فقط، وإنما نناقش شبهة غربية ينتمي عدد المرءوجين لها اليوم في ساحة الثقافة العربية، وعلى وسائل التواصل الاجتماعي، بل وعلى منابر رسمية؛ باتفاق من بعض المؤسسات الثقافية أو الإعلامية العاملة على ضرائب «المواطن» العربي. ولذلك صار بحث هذا الأمر واجباً، بعد أن كان محل تجاهل بسبب عدم ذيوعه في بيتنا.
- الإيمان بوجود الأنبياء السابقين، قضية إيمانية لا أرثيولوجية؛ قد يفترض متعارض، بالقول إن البحث الأخرى لإثبات وجود الأنبياء، مخالف لما يجب أن يكون عليه المسلم من التسلیم لما جاء في كتاب الله من إثبات تاريخية الأنبياء.

=

منهج الدراسة

تناول هذه الدراسة تقويم شهادة الكشف الأثري على تاريخية الأنبياء القرآن، وحدود هذه الشهادة، والغالطات التي تُساق في الباب. ولذلك فالبحث كله يدور حول الشاهد الأثري؛ بما يقتضي أن يكون منهج البحث قائماً على أصول المنهج التاريخي، في شكله الأركيولوجي (الأثري) في قراءة ما مضى من التاريخ. ولن نخوض في المنهج الإسلامي في دراسة التاريخ؛ بدراسة الأسانيد، والنظر في طرقها، وعللها؛ لأن تاريخ الأنبياء لا إسناد له - علىوجه المفهوم للإسناد في العرف الإسلامي -، إلا خبر سيرة محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد اجتهدت أن أجعل البحث أقرب ما يمكن إلى القارئ غير المتخصص، غير أنني لم أقمه على طلب التبسيط الشديد، لا رغبة في إرهاق القارئ، وإنما لأن الكتاب يدور حول الرد على معارضات شديدة التفصيل، شائعة في الكتب الأكademie أو الوسيطة؛ فلا يليق عندها الإجمال والاختصار إذا كان طلبنا البيان التام الذي يحيط بالدعوى المعارضة من أكثر من جهة.

وإذا كان القارئ في عجلة من أمره في طلب الرد على شبهة لاتاريخيةنبي من الأنبياء، فيإمكانه النظر فيها مباشرة، مستعيناً بالفهرس، دون المرور على التأصيل

= وجواب ذلك أن الكتاب لا يجعل التسليم بوجود هؤلاء الأنبياء، وهن الكشف الأثري؛ إذ اليقين بوجود هؤلاء الردة على مثيري الشكوك، والصانعين بالدليل الأثري على وجود الأنبياء أو خرافتهم؛ دافعه - فماداً لو لم يوجد دليل أثري على وجود الأنبياء؟ قد يتعرض مفترض بالقول إن هذا الكتاب قد جعل تاريخية الأنبياء رهينة المثور على كشف أثري ثبت وجودهم؛ وذلك باب للشككيل في تاريخيتهم، إذ إن الكشوف الأثرية ليس من طبيعتها الإبانة عن كل حقائق التاريخ. كما أن الاتتجاه إلى الدليل الأثري قد يجعل القرآن تابعاً للكشف الأثري!

وجواب ذلك أن الكتاب لا يسلم لحجية الدليل الأثري في باب البحث عن الأنبياء، على الصورة التي يعرضها خصوم القرآن. وبالباب الأول كله في مناقشة ذلك؛ إذ يتناول الطبيعة الفاقدة للبحث الأثري عن طمس ظلمات الماضي. كما لا يرفع الكتاب الدليل الأثري فوق القرآن، وإنما يستند بالدليل الأثري المسلم بمحاجته بين المسلمين ومخالفاتهم، ولا يستند على منكر ربانية القرآن بالقرآن؛ فإنه لا يستند في باب المناقضة بما هو محل التزاع.

المذكور في الباب الأول، وإن كنتُ أعتقد أهمية التأصيل قبل التفصيل.

تلك دروب الرحلة، ومعالم المسير ..

ولا يفوتي ختاماً أنأشكر أخي د. علاء هيلاس - أستاذ العقيدة الإسلامية ومقارنة الأديان في جامعة اليرموك ثم جامعة قطر - على تعليقاته المفيدة على مسودة الكتاب.

رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لسانني؛ يفقهوا قولي!

رب اغفر لي حظ النفس من هذا الكتاب!

رب أسألك حسن الخاتمة.. وفرحة عند الممات، وعند الحشر، وعند الحساب!

الباب الأول

إشكالات منهجية

تمهيد:

الأركيولوجيا، مصطلح مكون من كلمتين يونانيتين: علم *λόγος* وقديم *αρχαῖος*. وهو يهتم بالكشف عن الآثار المادية للثقافات القديمة - بما فيها الآثار المكتوبة -، ودراستها⁽¹⁾. وداخل إطار علم الأركيولوجيا، ظهر فرع خاص بالكتاب المقدس، بفرعيه العهد القديم (التوراة) والعهد الجديد (إنجيل)، سُمي بعلم الأركيولوجيا الكتابية Biblical Archeology⁽²⁾. وهو يهتم بدراسة تاريخ / جغرافيا قصص الكتاب المقدس، خاصة ما وقع منها في فلسطين منذ عصر داود - عليه السلام - حتى عصر المسيح - عليه السلام -.

وينتقل الاهتمام الإسلامي بأركيولوجيا الكتاب المقدس أساساً بما تقطع منه مع قصص القرآن. وهو لا يزال إلى اليوم ضعيفاً، من جهتي المساهمة المعرفية والإفادة من البحث الجديد، حتى ما تعلق من ذلك بالحضارة المصرية القديمة والتاريخ العربي للألفية الثانية والأولى قبل المسيح - عليه السلام -⁽³⁾!

وقد أقرّ هذا العزوف المعرفي الإسلامي عن المساهمة في جدل الأركيولوجيا الكتابية والقرآنية إلى فتح المجال للكتاب الملحدين واللادينيين العرب؛ ليث مغالطتهم التاريخية، والترويج «للملخصات الشائهة» لأطروحتات التيار

(1) Adrian Curtis, ed. *Oxford Bible Atlas* (Oxford: Oxford University Press, 2007), p.185.

(2) ينفر كثير من الباحثين اليوم من هذا المصطلح، ويرون تجاوزه إلى اصطلاح آخر يصرف عن السامع الظن أن هذا العلم خاص بتسخير الأركيولوجيا لإثبات صدق أخبار الكتاب المقدس. وأشهر بدائل اصطلاحية طرح على الساحة هو: Syro - Palestinian archaeology.

(3) من الاستثناءات في هذا الباب سلسلة «دراسات تاريخية من القرآن الكريم» للدكتور محمد بيومي مهران - المتخصص في المصريات والتاريخ العربي القديم -. وقد أظهر فيها المؤلف أولاً على الدراسات الأكاديمية في المباحث التي طرقها على صورة غير مسبوقة في المكتبة العربية، غير أن البحث الأركيولوجي قد عرف انعطافة كبيرة بعد تأليف كتابه، بالإضافة إلى أنه ترك بعض المسائل الجدلية المهمة في بعض قصص الأنبياء دون جواب مباشر. وحسبه أنه أفاد المكتبة بمجلدات أربع تفيسة في الباب.

الأركيولوجي المتطرف في الغرب، كما هو حال فراس السواح الذي لا تكاد تتجاوز جهوده في البحث التوراتي تعريب أطروحة توماس تومسون – زعيم متطرّف في مدرسة «الحد الأدنى» –، مع مخالفات هامشية له، لا تكتسب صفة الباحث المستقل، أو المجتهد⁽¹⁾، وخذل الماجدي؛ الذي لم ينطّرق لأركيولوجيا التوراة إلا في كتابه: «تاريخ القدس القديم»، حيث اكتفى عند دراسة المرحلة التوراتية لأورشليم (العصر الحديدي الثاني خاصة) بالنقل عن كتاب واحد فقط؛ هو كتاب توماس تومسون «التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي»⁽²⁾ – في نسخته المعربة –، رغم أن العصر الحديدي الثاني لأورشليم قد كُتبت فيها دراسات يصعب حصرها، وتطاھنت فيه أفكار كثيرة على الباحث أن يرجح بعضها أو غيرها بالدليل، بعد النظر المتریث.

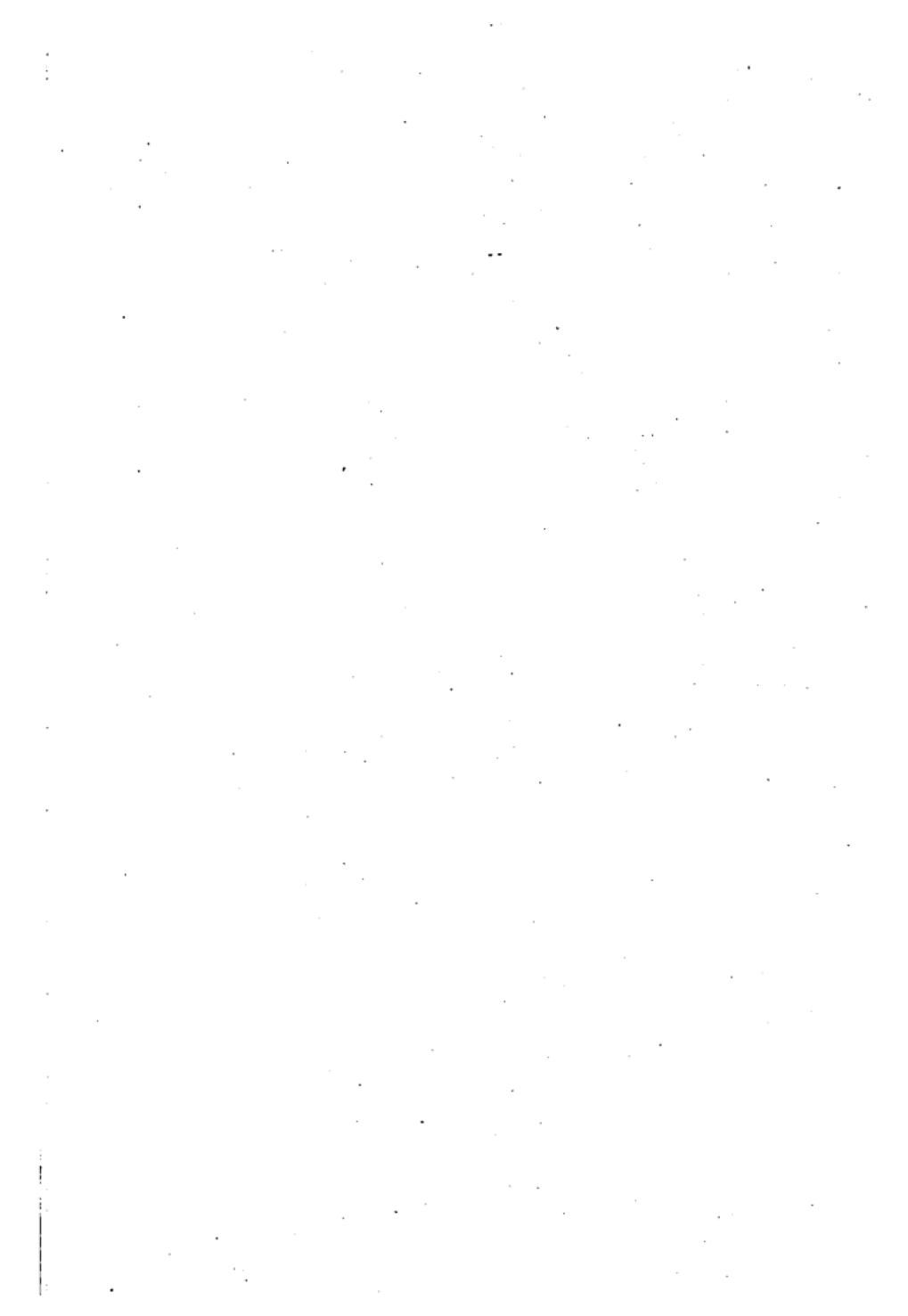
و قبل أن نبدأ في تناول تاريخية الأنبياء الذين جاء خبرهم في القرآن، للنظر في حقيقة غيبة ذكرهم في طبقات الأرض، ودلالة ذلك، لا بد أن نتناول أمراً سیضيء كامل الطريق الذي سنسلكه معاً بحثاً عن أنبياء القرآن، وهو ما يتعلّق بتقويم المنهج الذي يقوم عليه الطرح الأركيولوجي المنكر لتاريخية الأنبياء القرآن.

(1) يقول السواح عن تومسون: «لقد أراد أصحاب النظرية الأركيولوجية الحديثة إنقاذه ما يبقى من السمعة التاريخية للرواية التوراتية، عن طريق إثبات جوهر الرواية وإسقاط جميع تفاصيلها، ولكن النتائج التي خرجوها قد قدمت، إلى الأند، المسماة الأخير في نعش هذه الرواية بجواهرها وجميع تفاصيلها، وقدمت لنا المادة الازمة لكتابة تاريخ فلسطين في عصري الحديد الأول والثاني، ودراسة مسألة أصول إسرائيل، بشكل علمي مستقل عن التوراة، وهذا ما قام به على أكمل وجه الباحث توماس ل. تومسون في كتابه الصادر عام 1992 تحت عنوان The Early History of the Israelite People (آرام دمشق، دمشق: دار علاء الدين، 1995، ص 175 - 176). وهي عبارة غافلة عن رصيد هائل من المعارضات لمدرسة الحد الأدنى، خاصة من رموز «التيار الوسط»، كفكشكشيان وعميحي مازار وغيرهما.

Thomas L. Thompson, *Early History of the Israelite People: From the Written and Archeological Sources* (2) (Leiden; New York: E.J. Brill, 1992).

وسيكون حديثنا متعلقاً بمسائل ثلاث، تظهر طبيعة الخلل المنهجي في طرح المعارضين، وذلك بعد طرح الأسئلة التالية التي ستحدد مسار النظر:

- ما مبلغ علمية اعتماد المنكرين لتاريخية الأنبياء على الشاهد الأركيولوجي لنصرة مذهبهم؟
- هل يملك الشاهد الأركيولوجي أن يثبت زيف ظاهرة النبوة، وتاريخها، وطبيعتها؟
- هل أصاب المنكرون لتاريخية الأنبياء في اعتماد الشاهد التوراتي أو إسقاطه لتكذيب تاريخية الأنبياء؟



الفصل الأول: حجية الدليل الأركيولوجي في الميزان

رفع العلمويون الملاحدة شعار «أنا أصدق العلم»؛ لتقرير دعوى أنَّ ما أثبته الإنسان بطريق العلم الطبيعي؛ حقٌّ صرف، وما ادعاه من غير طريق العلم الطبيعي؛ فهو وهم ساقط، وعند مدرسة الوضعية المنطقية، هو أدنى من ذلك؛ مجرد ثرثرة (في غير القضايا التحليلية⁽¹⁾). واليوم يرفع بعض خصوم الإسلام شعار: «أنا أصدق الأركيولوجيا»⁽²⁾؛ فما لم يُثبته البحث الأركيولوجي في النقوش والأطلال والدفائن من الخبر الديني؛ خرافَةٌ من صنع خيال البشر ووجدهم الإيماني. وبناء على ذلك حكموا أنَّ شخصيات كلَّ الأنبياء أو عامتهم، من وحي الخيال الجمعي لبعض الأمم السالفة.

وهذا المنهج الذي يرى في الأركيولوجيا البوابة الوحيدة للنظر التاريخي في أمر الأنبياء، معارض بقصور الأركيولوجيا من جهتين (١) جهة قلة محفوظات الآثار القديمة، وتشتها، (٢) وجهة محدودية الجانب التأويلي لفهم الظواهر الحضارية القديمة. وذلك يستدعي أن نطرح مجموعة من الأسئلة، نبتغي من ورائها أن نعرف القيمة العلمية لطرح هذا الفريق من الكُتاب:

- هل ترقى الأركيولوجيا - حقاً - إلى أن تكون من العلوم ذات النتائج القطعية؟

(١) القضية التحليلية Analytic proposition: هي القضية التي يكون محمولها تحليلًا لموضوعها، دون إضافة. فهي قضية لا يغدو إثباتها فائد़ة؛ لأنَّها تحصل حاصل، مثل: المثلث هو الذي له ثلاثة أضلاع.

(٢) انظر سامي عامري، العلموية (الكتاب: مركز رواسخ، ١٤٤٢ هـ/٢٠٢١ م)، ص ٢٦ - ٤٠.

(٣) رأس هؤلاء خرزل الماجدي، ونبار الإتحاد الجديد في العالم العربي.

- هل الأركيولوجيا ممارسة معرفية بريئة من التحيزات التي توجه نتائج البحث إلى غير إدراك حقائق الماضي؟
 - هل بلغت الكشف الأركيولوجية درجة من الوضوح والكثرة؛ بما يجعلها حاسمة في مناقشة قضايا الماضي، خاصة الأخبار التي جاء ذكرها في القرآن والتوراة؟
- تلك هي الأسئلة التي ينبغي بحثها لإدراك طبيعة البحث الأركيولوجي، وحدوده؛ قبل أن يُسلم إليه سلطان حسم كل قضايا التاريخ الشائكة.

المبحث الأول

دعوى أنَّ الأركيولوجيا من جنس العلوم القطعية

يُعرض البحث الأركيولوجي في الدوائر الشعبية باعتباره من «العلوم الصحيحة»^(١)؛ كالرياضيات، أو الفيزياء؛ فما يُظهره البحث الأثري، واضح وجليٌ، وبعيد عن التنصُّص، أو لا يكاد يلاسهِ الشك والتَّردد، وما ينفيه؛ فهو وهم وخرافة. ونحن بذلك إذاً منهَجٌ يُزعم له العصمة أو الكمال.

وقد وقع الشعبيون في هذه الفتنة؛ اندخالاً بصيغِ الجزم، المسبوقة بعبارات التعظيم للمنهج الأركيولوجي عند الحديث عن تاريخ بعض الأمم السابقة، رغم أنَّ كلَّ ممارس للعمل الأركيولوجي يدرك أنَّ الأركيولوجيا، عمل بشريٌّ، مشوب بالنقص والظنَّ. وهو ما يظهر في أكثر من وجه.

المطلب الأول: دعوى نشأة علم التاريخ عند ثورة الأركيولوجيا

يبدأ المنهج الدوغمائي – عادة – في عرض مقرراته بالقول بعصمة المنهج دون عرضه للامتحان. وكذلك يفعل المشككون في تاريخية الأنبياء؛ إذ يبدأ حديثهم – خاصة في العالم العربي – بالقول: إنَّ علم التاريخ لم يكن يوماً «علىَّا»، وإنما كان مجرد تجميع للأخبار دون تمحيص وتحقيق؛ حتى دخل البحث الأركيولوجي الساحة؛ فانتقلنا بذلك من الظنون والتَّخَرُّصات إلى الحقائق والقطعيات.

وما كان علم التاريخ كما يَدْعُى هؤلاء، ولا صارت الأمور إلى ما يزعمون في ضوء البحث الأركيولوجي. إنَّ علم التاريخ قبل البحث الأركيولوجي وبعده، محاولة لفهم الماضي باعتماد شهادات تاريخية قديمة؛ معاصرة للأحداث أو تالية لها. وما أضافه البحث الأركيولوجي لدراسة التاريخ، هو زيادةٌ عنصر ماديٌّ ملموس

للشهادات المعتبرة عند النظر. ولم ينقلنا ذلك من ظلمة التاريخ إلى نوره؛ فكما أن الشهادات الشفهية عن الماضي قد توهם بما لم يكن، فكذلك الأمر مع آثار الماضي المادية، الصامتة؛ التي قد توهם قراءتها بما لم يكن. لا زلتنا مع الآثار المادية للأمس نعاني ظلمات الجهل والظن في كثير من الأحيان، وواقع اختلاف الأركيولوجيين في قراءة مدفونات الماضي خير حجة على ذلك.

ويشهد لذلك قول الأركيولوجي ندف نامان⁽¹⁾: «نتائج الحفريات الأركيولوجية، مثل المصادر المكتوبة، مفتوحة لتفسيرات مختلفة، وأحياناً متناقضة: الأديب الأركيولوجي تعج بالخلافات على عدد لا حصر له من القضايا، بما في ذلك طبقية⁽²⁾ الآثار الفخارية وتصنيفها، ووظيفة المبني والمصنوعات اليدوية في الحفريات، والتسلسل الهرمي للمستوطنات، وتقدير عدد السكان، وأشياء أخرى كثيرة. البيانات الأركيولوجية لا تتحدث عن نفسها بنفسها، وتفسيرها محفوف بالصعوبات»⁽³⁾.

ليس الكشف عن الآثار نهاية البحث؛ فهذه المدفونات مصدر لأسئلة جديدة أعظم من الكشوف نفسها؛ إذ يبقى السؤال عن مصادر الحياة في هذا المكان (الماء، والزراعة، والدواب...)، وزمن استحداث أسباب الاستيطان فيه، وطبيعة استقرار الجماعة، هل هي دائمة أم موسمية؟ وكم من مرة تم تجهيز هذا المكان للسكن، من خلال النظر في طبقات الأرض المتراكمة فوق بعضها؟ وهل توجد فجوات زمنية بين مراحل الاستيطان؟ ولماذا انتهى الاستيطان فيها في كل مرة؟ وإذا تعرضت أي من مراحل الاستيطان إلى عدوan مادي أو جائحة طبيعية، فما السبب في ذلك؟ وهل من الممكن ربط العدوان أو الجائحة بحدث تاريخي نعرفه في مصادرنا التاريخية

(1) ندف نامان دد Nadav Na'aman (1939): محاضر في الأركيولوجيا ودراسات الشرق الأدنى القديم في جامعة تل أبيب.

Stratigraphy. (2)

Nadav Na'aman, 'Does Archaeology Really Deserve the Status of A 'High Court'? ', in *Between Evidence and Ideology: essays on the history of Ancient Israel*, Bob Becking, Lester Grabbe, eds. (Leiden: Brill, 2011), p.167.

الأخرى؟.. ذلك غيض من فيض لا ينتهي من الأسئلة التي يطرحها الأركيولوجي عند كل حفرية؛ لتتفجر أمامه الاحتمالات الكثيرة الممكنة⁽¹⁾.

إن البحث الأركيولوجي في الحضارات البشرية القديمة، يغري إدراك ثقافات الأمم، وعقائدها، وعوائدها. وتلك أمور حية، حقيقتها الفكر في عقول الناس، وحركتهم اليومية في الأرض؛ ولذلك فالبحث الأركيولوجي عاجز - عامة - أن يصل إليها مباشرة، وقصارى أمره أن يلامس ظلالها عن بعد؛ ليبحث عن ملامح ما، في ظلّ له لون باهت⁽²⁾.

إن البحث الأركيولوجي الذي يدرس سلوك البشر في الحضارات القديمة، لا يعرف من الماضي إلا بعض أطلاله، ولا يستطيع أن يدخل السلوك البشري القديم المختبرات، ولا أن يتثبت به على طريقة الاختبارات المعملية؛ ولذلك وجب الحذر من الوقوع في المطابقة بين دراسة الأنظمة الطبيعية Natural systems والأنظمة الثقافية Cultural systems؛ فال الأولى آتية، وتكرارية؛ يمكن العلم بمضارها برصد حاضرها، وأما الثانية؛ فغير آتية، وذات حساسية عالية للظواهر المحيطة بها؛ بما يجعل العلم بمضارها محفوفاً بالظن.

وقد ذهب بعضهم إلى إنكار علمية الأركيولوجيا كآلية في تناولها للظواهر البشرية القديمة؛ إذ هي - كما يقولون - معالجة تقيمية لآثار مادية قديمة؛ تمثل «مقاربة وضعية منطقية - لفهم البشر عبر بقايا مادية». فهي - بذلك - مجرد «جمجمة لتقنيات» و«ليست علمًا كما هو مفترض في العلوم الطبيعية». أي إن الأركيولوجيا لا ترقى إلى البحث في الإنسان القديم ونشاطاته؛ لأنها لا تملك غير القياس الفيزيائي والحساسي⁽³⁾.

Amihai Mazar and Israel Finkelstein, *The Quest for the Historical Israel: Debating Archaeology and the History of Early Israel* (Leiden: Brill, 2007), pp.23 - 24.

(2) يُشتري من ذلك الكتابات القديمة لأهل العصر، والتي تصور عقائد الناس وأنماط حياتهم. وهي قليلة في مجموع الآثار المكتشفة. بالإضافة إلى أنها كثيراً ما تهدم بالتحيز لصالح الكاتب.

See Michael P. Richards, Kate Britton, eds. *Archaeological Science: An Introduction* (Cambridge University Press, 2020), p.4 (3)

وممّا يزيد أزمة البحث الأركيولوجي، وأنّ الأركيولوجيا قد تمثلّ اليوم مظهراً من مظاهر انتكاس العمل التاريخي العلمي، حقيقة أنّ عامة الأركيولوجيين الباحثين في تاريخ أنبياء التوراة، ليسوا مؤهلين - أكاديمياً - للصناعة التاريخية؛ وهي الأزمة التي عبرت عنها جيوفاني غاريبيني⁽¹⁾ في كتابه «التاريخ والأيديولوجيا في إسرائيل القديمة»، بقوله: «كلّ الذين اهتموا بتاريخ الكتاب المقدس العبري⁽²⁾ وكتبوا حوله، ليسوا مؤرّخين بالمعنى المهني... وهم كلّهم بلا استثناء أساتذة لاهوت⁽³⁾⁽⁴⁾.» وعلّم أنّ إعادة بناء التاريخ، مشروع أكبر من الكشف عن الآثار، وحصرها، وتصنيفها. فالعمل التاريخي يحتاج أدوات أوسع من التي يملّكتها الأركيولوجي الصرف أو اللاهوتي الصرف، ورؤى أعمق للموضوع وحواشيه.

المطلب الثاني: مسلّمات البحث الأركيولوجي المطروحة

من أخطر ما يوجّه العمل الأركيولوجي، الافتراضات المعرفية الأولى التي يقوم عليها، والتي لم تبلغ مرتبة اليقين، ولا حتى الظنّ الراجح؛ ثم هي مع ذلك توجّه العمل التاريخي نحو اتجاهات خاصة جدّاً. وهو ما تبه إلّي أحد الباحثين ببيانه أنّ: كلّ باحث له افتراضات تؤثّر على قراءاته عندما يقترب من النص أو البيانات الأركيولوجية⁽⁵⁾.

خذ مثلاً فرضية الوثائق Documentary Hypothesis التي هيمنت على البحث الأركيولوجي منذ بداية القرن العشرين. تقوم هذه النظرية في صورتها الكلاسيكية على أنّ التوراة الحالية أصلها أربعة نصوص، نصٌ يُسمّى الربّ باسم «يهوه» (יְהוָה) منذ بدء الإخبار عن قصة الخلق، ونص آخر يُسمّى الرب باسم إلوهيم «אֱלֹהִים»

(1) جيوفاني غاريبيني Giovanni Garbini (1931 - 2017): مستشرق إيطالي، متخصص في لغات الشرق الأدنى القديم، وتاريخه، وأديانه.

(2) أي التناخ.

(3) ومنهم توماس تومسون.

Giovanni Garbini, *History and Ideology in Ancient Israel* (New York: Crossroads, 1988), p.2. (4) Cited in: James K. Hoffmeier, *Israel in Egypt: The Evidence for the Authenticity of the Exodus Tradition* (New York; Oxford: Oxford University Press, 1996), p.14.

و«إيل»⁽¹⁾ قبل إعلان الرب عن اسمه لاحقاً إلى موسى عليه السلام آلة «يهوه»⁽¹⁾، وثالث خاص بشؤون الأخبار، والرابع هو سفر الشفاعة. ثم تم جمع هذه الوثائق لاحقاً في الأسفار الخمسة التي عُرفت بتوراة موسى -عليه السلام-.

وقد حدد فلهاؤزن⁽²⁾ (في الثالث الأخير من القرن التاسع عشر) تواريخ هذه الوثائق على صورة بقية مقبولة لمدة طويلة؛ فالنص اليهوي يعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد، والنص الإلهي يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد، ويرجع النص الشتوي إلى القرن السابع قبل الميلاد، وأما النص الكهنوتي فيعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد. ثم اختلف المهمتون بالبحث الأركيولوجي لاحقاً حول زمن تأليف هذه النصوص؛ فرد أنصار «الحد الأدنى» هذا الوثائق إلى أزمنة متأخرة عن القرون المقترحة سابقاً، وقال غيرهم بغير قولهم.

ونحن، وإن كنا لا ننكر أن تكون توراة اليهود⁽³⁾ بصورتها الحالية مجرد تجميع لوثائق قديمة⁽⁴⁾؛ لأسباب؛ أهمها تكرر تفاصيل القصص والأحكام بصور مختلفة تمنع أن تكون من مصدر واحد، لكن يبقى القول إن هذه المصادر أربعة حسراً، من الرجم بالغيب⁽⁵⁾، لا تبلغ أدلته الظنّ الراجح، فضلاً عن هشاشة القرائن المحددة لتاريخ هذه

(1) من الخطأ الشائع التمييز بين المصدر اليهوي والمصدر الإلهي باعتبار أنَّ اسم الإله حصرًا في المصدر اليهوي هو يهوه، وأسم الإله حصرًا في المصدر الإلهي هو إلههم.
See Richard Friedman, *The Exodus: how it happened and why it matters* (New York: HarperOne, 2018), pp.47 - 48.

(2) يوليوب فلهاؤزن Julius Wellhausen (1814 - 1884) : لاهوتى ومستشرق وناقد توراتي ألماني. لدراساته في التوراة تأثيرات عميقة في زمانه وما بعده.

(3) عندما نقول «توراة اليهود» في هذا الكتاب؛ فإننا نقصد بذلك التوراة كما هي عند اليهود بعد عصر موسى عليه السلام، لا التوراة الموسحي بها إلى موسى -عليه السلام-.

(4) يقول ريتشارد فريدمان - أشهر المدافعين عن فرضية الوثائق في العقود الأخيرة - إنه من الخطأ القول إنَّ فرضية الوثائق قد خسرت الإجماع السابق عليها بين النقاد. ويميز فريدمان - من جهة - بين (1) فكرة الوثائق؛ بمعنى وجود نصوص قديمة قام بحرثرون (معتلون) بإدماج بعضها في بعض على مراحل مختلفة، وهي مسألة - كما يقول - محل إجماع إلى الآن خارج دائرة الباحثين الأصوليين، (2) ومن جهة أخرى، التموزج الفلهاؤزني، والمذاهب التي تخالله من ناحية تاريخ الوثائق، ورتبتها، وعددها...
Richard Friedman, *The Exodus: how it happened and why it matters*, p.44.

(5) ولذلك كان أبرز ما خالق فيه فلهاؤزن ومن قبله، عدد المصادر؛ فمن الباحثين من جمل المصادر أقل من أربعة، ومنهم من زاد في المصادر فوق أربعة.

النصوص؛ إذ القرائن المعتمدة ليست صلبة، بالإضافة إلى أنّ جهلنا بتاريخ النص، يجعل التنظير التفصيلي لنشأته، مجازفة⁽¹⁾.

إنّ أقصى ما يملك الباحث أن يقرره في أمر التوراة هو أنها تجمع لتراث قديم، على صورة غير تامة التهذيب؛ حتى إنّها احتفظت بالتناقضات في النصوص التي تسرد الأخبار نفسها. وأما كل ما يُقال بعد ذلك فغالبـه ضرب في عمـاية لاـفتـقادـنا المـعلومات التـاريـخـية الصـلـبة عنـ التـاريـخـ اليـهـودـي القـديـمـ. وذاكـ أمرـ يـسـتوـجـبـ الـالتـزـامـ بـقـدرـ عـظـيمـ منـ التـواـضـعـ المـعـرـفـيـ، لاـ إـقـامـةـ الـبـحـثـ الأـرـكـيـوـلـوـجـيـ عـلـىـ مـسـلـمةـ نـظـرـيـةـ زـادـهاـ خـيـالـ وـالـتـخـمـينـ عـلـىـ أـسـسـ غـيرـ وـاضـحةـ.

المطلب الثالث: أوهام المساحات المظلمة في البحث الأركيولوجي

من أوجه قصور الأركيولوجيا أنها تعامل مع المتاح من آثار الماضي، بعد أن هدمت عوادي الزمان كثيراً من العمـانـ القـديـمـ؛ بما يوحـيـ للـبـاحـثـ الـبـيـومـ فوقـ أـطـلـالـ المـاضـيـ، ماـ يـعـارـضـ ماـ كـانـ حـقـيقـةـ فيـ الرـمـنـ القـديـمـ. وقدـ تـنـاـولـ ذلكـ الأـرـكـيـوـلـوـجـيـ نـأـمـانـ فيـ مـقـالـةـ: «ـهـلـ يـسـتـحـقـ عـلـمـ الأـرـكـيـوـلـوـجـيـ حـقـّـاـ مـقـامـ «ـمـحـكـمـةـ عـلـيـاـ»؟ـ؛ إذـ قـدـمـ أـكـثـرـ مـثـالـ عـلـىـ تـعـارـضـ دـلـالـاتـ بـقـايـاـ الـعـمـانـ معـ الشـهـادـاتـ التـارـيـخـةـ القـدـيمـةـ⁽²⁾.

وـمـنـ أـمـثلـةـ ذـلـكـ ماـ اـنـتـهـىـ إـلـيـهـ الأـرـكـيـوـلـوـجـيـانـ فـنـكـلـشـتاـينـ⁽³⁾ـ وـفـولـجاـنـجـ زـفيـكلـ⁽⁴⁾ـ

(1) انظر في نظرية الوثائق، وتطور موقف النقاد منها:

David M. Carr, 'Changes in Pentateuchal Criticism', in Magne Saebo, ed. *Hebrew Bible - Old Testament: the history of its interpretation* (CT: Vandenhoeck & Ruprecht, 2014), pp.43ff

(2) انظر أيضاً:

N. Na'aman, 'Text and Archaeology in a Period of Great Decline: 'The Contribution of the Amarna Letters to the Debate on the Historicity of Nehemiah's Wall', in: P.R.Davies (ed.), *The Historian and the Bible: Essays in Honour of Lester L.Grabbe*.

(3) إسرائيل فنكلشتاين Israel Finkelstein (1949) : عالم أركيولوجيا «يهودي» من فلسطين المحتلة. يدرس في جامعة تل أبيب. وله مساهمات بارزة في بعض حفريات شمال فلسطين.

(4) فولجانج زفيكل Wolfgang Zwickel (1957) : أستاذ العهد القديم والأركيولوجيا الكتابية في Johannes Gutenberg - Universität Mainz

من أنّ عدد سكان أورشليم في العصر الفارسي كان لا يتجاوز بعض مئات من الأفراد بناء على الشواهد الأركيولوجية⁽¹⁾، فأورشليم على هذا الوصف تكاد تكون مكاناً مهجوراً؛ في حين آثنا نعلم فساد ذلك من رسالة محفوظة، مُرسلة من جزيرة الفتين⁽²⁾ في مصر في القرن الخامس قبل الميلاد، من شخص اسمه يدانيا وأحجار الفتين وكلّ يهودها إلى Bagavahya حاكم يهودا تحت الحكم الفارسي زمن داريوس؛ فإنّ أصحاب الرسالة طلبوا في رسالتهم من المؤسسات الدينية والمدنية في أورشليم التوسيط لهم عند السلطات الفارسية. وهو ما يكشف أنّ أورشليم كانت منطقة مدنية، وحيّة، يسكنها أحبار ورعيّة، ولها ثقل سياسي في ذاك العصر، لا كما زعم فنكلشتاين أنّ البالغين من رجالها لا يتجاوزون المئة عدّاً⁽³⁾!

رسالة يدانيا إلى حاكم يهودا



I. Finkelstein, 'Jerusalem in the Persian (and Early Hellenistic) Period and the Wall of Nehemiah', (1) JSOT 32 (2008), 504 - 507; W. Zwickel, 'Jerusalem und Samaria zur Zeit Nehemias—Ein Vergleich',

BZ 52 (2008), 204 - 218.

Elephantine. (2)

Nadav Na'aman, 'Does Archaeology Really Deserve the Status of A 'High Court'? ', pp.172 - 173. (3)

كما أشار نامان إلى دلالة الوثائق المسمارية المكتشفة في عقرون - جنوب غربي أورشليم - أنَّ هذه المنطقة كانت مدينة مهمة في آخر القرن الثامن قبل الميلاد، رغم أنَّ الحفريات لم تصل إلا إلى فخاريات تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد^(١).

المطلب الرابع: تعارض مناهج البحث الأركيولوجي

البحث الأركيولوجي ليس منهاجاً واحداً متجانساً، وإنما تتنازعه مدارس وتبارات صاعدة وأخرى متوارية؛ فقد ظهر منهاج «الأركيولوجيا الجديدة» أو «Processual archaeology»، وهيمن على الجو العلمي من ستينيات القرن الماضي إلى الثمانينيات. وهو يقوم على العناية الخاصة بالجانبين الطبيعي والبيئي، مع إيلاء أهمية أدنى للنشاط الإنساني واختياراته. ثم ظهر منهاج الأحدث: «Post - processual archaeology» الذي فتح الباب لعدد كبير ومتختلف من التأويلات للكشف الواحد، كما رفع قيمة الجانب البشري بصورة أكبر من منهاج السابق في تحريك التاريخ، بعيداً عن المنطق العبرى لحركة المجتمعات حيث تُطمس قدرة الشخصيات الكاريزماتية والفلذة على صناعة الأحداث.

كما تتعارض مناهج البحث الأركيولوجي؛ بسبب حاجتها إلى عون من العلوم الأخرى؛ فإنَّ ما تظهره المجموعات للعين المجردة يحتمل توجيهات كثيرة؛ زمنية، وثقافية. ولذلك يستعين كثير من الأركيولوجيين اليوم بعلم النبات، وعلم الحيوان، والجيولوجيا، والكيمياء، والفيزياء، والجغرافيا وعلم المعادن، وعلم الإحصاء، وغيرها من العلوم. وهو أمر يضيق مساحة الاختلاف من جهة، ويتوسعها من جهة أخرى أحياناً؛ لوجود اختلافات منهاجية داخل تلك العلوم نفسها، وتعارضها أحياناً.

N. Na'amani, 'Ekron under the Assyrian and Egyptian Empires', *BASOR* 332 (2003), 81 - 91. (1)

خذ مثلاً أهم ما يحتاجه البحث الأركيولوجي من العلوم الأخرى، وهو تاريخ المادة الأثرية. فرغم أن القراءة الأركيولوجية للأثار لا تستطيع أن تنتقد خطوة واحدة قبل معرفة زمن صناعة تلك الآثار (البناء، أو الحفر، أو النقش...)، إلا أن مناهج تاريخ الآثار لا تزال تتعارض أو تظهر قصوراً معيناً، فالآلة الكربون 14 قد تعطي أكثر من احتمال، بالإضافة إلى أن هذه الاحتمالات مشكلة إذا كان المطلوب هو الفصل بين تاريخين المسافة بينهما بضعة عقود من السنوات؛ فإن آلة الكربون 14 قد يصل هامشها الاحتمالي قرناً كاملاً أو أكثر من ذلك بكثير؛ بما يجعلها مفيدة أساساً في عصر ما قبل التاريخ، وهو عصر ربما لم يعش فيه من الأنبياء الوارد ذكر أسمائهم في القرآن غير آدم عليه السلام الذي لا سبيل لتناول وجوده أركيولوجياً لأنه أول البشر^(١).

وأما التبولوجيا typology فأشكالاتها أعظم؛ فرغم الاتجاء إليها بصورة واسعة في الأركيولوجيا الكتابية، إلا أن اعتمادها التمييز بين الآثار تبعاً لتشابهها (كتمييز العصور بطبعات الخزف في كل عصر، مثلاً)؛ جعلها تغفل عن أن النمط المميز في الصناعة أو النقش لا ينقطع عادة مرّة واحدة؛ بل قد يعيش النمط في غير زمانه الأول، ويعاصر أشكالاً فنية أخرى، وينقطع في بيته بصورة بطيئة غير فجائية، كما أن عصور تغير الأنماط قد تكون غير متساوية طولاً؛ بما يجعل رسم الخارطة الزمكانية مشكلاً. ويبلغ الإشكال في هذا المنهج تعريف النمط نفسه في

(١) انظر في بعض مشاكل التاريخ الكربوني:

Ingrid U. Olsson, ed., *Radiocarbon Variations and Absolute Chronology* (New York: Wiley, 1970), R. Berger, 'The potential and limitations of radio-carbon dating in the Middle Ages: a radiochronologist's view', in R. Berger, ed. *Scientific Methods in Medieval Archaeology* (Berkeley: Univ. Calif. Press, 1970), pp. 89-139; V. Bucha, 'Tree-ring calibration of radiocarbon dates and the chronology of ancient Egypt', *Nature*, 243 (1973), pp. 266-270; C. Renfrew, R.M Clark, 'Problems of the radiocarbon calendar and its calibration', *Archaeometry*, 16 (1974), pp. 5-18.

ترتيب الصناعات الخزفية لعصور ما، لغيب المعيار الموضوعي الحاسم⁽¹⁾. «إن الأركيولوجيا - بعبارة الأركيولوجي عمّيحي مازار⁽²⁾ - «نظام أشدّ تعقيداً مما يظنه كثير من الناس»⁽³⁾. والرغم أن الكشف عن نص قديم أو نحت مطمور أو قصر مشيد، سيمعننا - ضرورة - قراءة واضحة و مباشرة تُفصّح عما نريد أن نعرفه عن عصر الأثر المكتشف، ظنّ بعيد عن واقع العلم والعلماء، وأمنية حالمه لا يُصدقها الواقع في أحوال كثيرة. فما تعددت المناهج إلا لوجود مساحات من الظنّ كثيرة في البحث الأركيولوجي».

See John C. Whittaker, Douglas Caulkins and Kathryn A. Kamp, 'Evaluating Consistency in Typology (1) and Classification', *Journal of Archaeological Method and Theory* Vol. 5, No. 2 (June, 1998), pp. 129-164.

(2) عمّيحي مازار (עמי חי מזר) (1942) : أركيولوجي من مواليد حيفا. أستاذ الأركيولوجيا في مؤسسة الأركيولوجيا في الجامعة العبرية في القدس. حصل سنة 2009 على «جائزة إسرائيل» للأركيولوجيا. كتابه *Archaeology of the Land of the Bible* منتدى كتاب مدرسي في كثير من المؤسسات الجامعية في الغرب في الأركيولوجيا الكتابية.

Israel Finkelstein, Amihai Mazar, *The Quest for the Historical Israel*, p. 27. (3)

المبحث الثاني ظاهرة التحيز في البحث الأركيولوجي

العمل العلمي المهم بتبسيط الجهد الأكاديمي في الغرب يعاني عامةً من التوظيف التحيزي، كتوظيف الأبحاث البيولوجية لنصرة الداروينية، وأبحاث علوم النفس والأعصاب لإنكار حرية الإرادة، والفيزياء لنصرة الشأة عن عدم سقوط السبيبة. والأركيولوجيا كغيرها من العلوم، تعاني سلطان إكراهات ثقافة العصر ومسلماته المعرفية التي تتألى على المنازعه والمراجعة. وهي تظهر نظرياً في الخلفية الرؤوية التي تقود البحث (ثقافة العصر وعقیدته)، وعملياً في الإسقاطات الممارسة على الكشوف؛ لاستخراج النتائج المرغوب فيها.

المطلب الأول: أثر ثقافة ما بعد الحداثة في البحث الأركيولوجي

سيطرت ثقافة ما بعد الحداثة بدأية من ستينيات القرن الماضي على كثير من الأبواب المعرفية في الجامعات الغربية، مؤسسة ثورة على العقل والحقيقة؛ حيث الشك مبدأ البحث ومتنهاء، والتأويل هو الشيء الوحيد الممكن، و«لا شيء خارج النص». وقد أثر هذا الأمر في العمل الأركيولوجي؛ لقيام العمل الأركيولوجي على تقديم حقائق تستنبط منها روايات. وفي غياب الحقائق، تغدو صناعة الرواية متعدنة. ولذلك لما نُشر سنة 1997 كتابٌ يتضمن مجموعة أبحاث لعدد من الباحثين تدور حول إمكان كتابة تاريخ إسرائيل، كانت إجابة عامة المشاركين امتناع كتابة هذا التاريخ؛ إذ ليس للتاريخ الحقيقي أن يستعاد، في ظل عدمية فلسفة ما بعد الحداثة⁽⁴⁾. وقد تناول أمر هذه «العدمية» المؤرخ كيث وندشاتل في كتابه «قتل التاريخ: كيف قتل النقد الأدبي ومنظرو الاجتماع ماضينا؟» بحديثه عن جنائية المناهج ما بعد

William G. Dever, *Has Archaeology Buried the Bible?* (Grand Rapids, Michigan: William B. Eerdmans (4) Publishing Company, 2020), p.5.

الحداثية على إعادة كتابة التاريخ. وذلك ما نراه مثلاً في قول أحد رموز مدرسة «الحدث الأدنى» فيليب ديفنس: «لا يمكن للنص أن يعيد إنتاج الحقيقة إلا باختراع نصي»⁽¹⁾. فالحقيقة ليست سوى رواية شخصية لا تطابق ضرورة حقيقة الماضي. والأمل في إدراك ما كانَ وهمٌ.

كما تناول الأركيولوجي ويليام ديفر - اللاأدري، المفارق للنصرانية منذ شبابه - أثر الأيديولوجيا على الباحثين المعاصررين في كتابه «ما الذي عرفه مؤلفو الكتاب المقدس، ومتي عرفوه؟»؛ منكريًا على الذين يتعاملون مع الكتاب المقدس بربية متطرفة، مشحونة عقدية، هذا الغلو؛ متسائلًا: «لماذا دائمًا يتم التعامل مع النصوص الكتابية من خلال «تأويلات الشك» النموذجية لما بعد الحداثة، ولكن يتمأخذ النصوص غير الكتابية على ظاهرها؟ يبدو أن الكتاب المقدس يُدان تلقائيًا حتى تثبت براءته»⁽²⁾.

وقد أطلق ديفر على هذا التيار، لقب: «العدميين الجدد» New Nihilists⁽³⁾ لقيام مذهبهم على الهدم والتفكك والتقويض، لا البناء وتشييد معالم التاريخ القديم؛ وذلك لأنهم جيل نشأ في الستينيات من القرن الماضي، حقبة الثورة على السلطة والتاريخ والموروث. وذلك طابعً ما بعد حداثي طاغٍ على كل القراءات ما بعد الحداثة في العلوم الإنسانية.

المطلب الثاني: سلطان اللادينية على البحث الأركيولوجي

لا تنشأ العلوم وتتطور خارج إطار الزمان والمكان، وإنما تحدد أصولها، ومناهجها، وأهدافها، ضمن إطار ثقافية لها انحيازاتها العقدية والقيمية. وقد عرف البحث الأركيولوجي في الثلث الثاني من القرن العشرين انحيازاً إلى خدمة عقيدة الكنيسة في عصمة الكتاب المقدس من الخطأ Biblical inerrancy. ثم تحول الأمر

Philip Davies, *In Search of 'Ancient Israel'* (New York: Continuum, 1999), p.15. (1)

William G. Dever, *What Did the Biblical Writers Know and When Did They Know It?*, p.128. (2)

William G. Dever, "Will the Real Israel Please Stand Up?", *Archaeology and Israelite Historiography*: (3) Part I, *BASOR* 297 (1995): 61 - 80.

لاحقاً إلى تسخير البحث الأركيولوجي لإثبات خرافية عامة خبر التوراة مع صعود التيار اللاديني؛ حتى صار ذلك طابعاً لهذه المرحلة من عمر الأركيولوجيا الكتابية. وكثيراً ما نقرأ في أدبيات الأركيولوجيين أو الشعوبين اتهام مخالفتهم بالخصوص للأعلامي للدفاع الديني، وأنهم ينكرون حقائق الآثار لصالح أخبار الأسفار المقدسة، بعبارة «إن الباحث الفلانتي يحمل أدلة النبش في الأرض بيد الكتاب المقدس باليد الأخرى!»؛ حتى أثّمهم ولیام دیفر أنه أركيولوجي متدين، ومتغصّب، رغم تصريحه أنه لا يؤمن بالله ابتداءً.

وقد شنَّ توماس تومسون حملة عنيفة على دیفر، لم يتوقف أثراها اليوم بين تلاميذه، ولم تقتصر على تهمة «التدین»، وإنما تجاوزت ذلك إلى اتهامه أنه يدمّر الآثار التي تحالف نظرته التوراتية المحافظة، دون أن يقدم دليلاً مثبتاً لذلك. وتهمة التلاعب بالآثار حاضرة عند توماس وتلاميذه كلما ضاق عليهم وجه المعارضه؛ حتى إنَّ تومسون ونیلز بیتر لمشی⁽¹⁾ قد زعموا أنَّ نقش تل دان الشهير الذي أشار إلى داود عليه السلام⁽²⁾، مزيف، قد تم إعداد مسرحيّة مفبركة لاكتشافه، رغم تسليم الجميع بأصلاته!

وليس تهمة «التدین» الصادرة على ألسنة اللادينيين، مجرّد عبارة غاضبة، عابرة؛ وإنما هي عبارة تحريضية ضد المخالفين؛ لإهدار وزنهم العلمي، وصيتها الأكاديمي، وترقيتهم الجامعية، وللتغافل من استقدامهم للمؤتمرات العلمية، وحرمانهم من الدعم المالي لمشاريعهم الأركيولوجية التي لا تستغني عن داعمين أسيخياء.

وقد سرى هذا الخطاب التشويهي في حديث اللادينيين العرب؛ حتى قال خزععل الماجدي - الأجنبي عن تخصص الأركيولوجيا! - عن الأكاديميين المخالفين لمذهبهم

(1) نیلز بیتر لمشی Niels Peter Lemche (1945) : لأهونى متخصص في دراسات العهد القديم والأركيولوجيا. وهو أحد أبرز مؤرثي تيار «الحد الأدنى».

(2) سببته لاحقاً في الفصل الخاص بتاريخية داود عليه السلام.

العدمي في قراءة تاريخ إسرائيل، إنهم «من أشباه العلماء المسلمين بخلفيات دينية»⁽¹⁾، دون أن يُظهر أدنى معرفة بأسمائهم، وجوهودهم الأكاديمية في تأليف الكتب، ونشر مقالاتهم في المجالات المحكمة، والإشراف على مشاريع الحفريات الأركيولوجية، جامعاً الهواة من متديني النصارى، والباحثين الجاذبين، في سلة واحدة!

وهذا التحيز اللاديني المبدئي، له أثر عملي على نتائج البحث الأركيولوجي لا يخفى على منصف. ومن أمثلة ذلك انتصار اثنين من القادة من أنصار «الحد الأدنى» إلى تاريخ نفق سلوام الشهير الذي يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد، إلى العصر الهلنستي المتأخر جداً. وهو مذهب بالغ في تطرفه؛ إذ إن البحث الكريوني نفسه لمادة البلاستر في النفق قد أكد تاريخ هذا النفق في القرن الثامن قبل الميلاد⁽²⁾. وما أكثَرَ قدِمُ هذا النفق إلا لأنَّه ينصر تاريخية ما جاء في سفر الملوك الثاني 20 / 20 عنه. ويعدُ مع ذلك اللادينيون إلى محاولة إخفاء انحيازاتهم العقدية المتسلطة بشدة على البحث التاريخي؛ إذ إنَّنا نجد - مثلاً - فراس السواح ينقل - مسطرياً - أطروحة توماس تومسون، رغم تظرفها وتخميناتها الكثيرة، مع صبغ الجسم والجزم عند التأصيل والتفصيل، ثم يختتم مع ذلك حديته بعبارة الصادمة للقارئ: «إنَّ الاعتراف بأنَّنا جاهلون بكثير مما حدث في الماضي، هو الذي يحمينا من سطوة الإيديولوجيا ومن أمان اليقين، ويبقينا في حيرة العلماء»⁽³⁾!

وذلك نوع من «التوابع المعرفي» الشكلي، للتجمُّل؛ فهو مسبوق بدوغمائية حادة. ودعوى البراءة من «سيطرة الإيديولوجيا» لن تخفي غرق السواح في الأدلة اللادينية من أخصص قدميه إلى شحمة أذنيه!

(1) خرُّ عل الماجدی، تاريخ القدس القديم، ص 149.
Amihai Mazar and Israel Finkelstein, *The Quest for the Historical Israel: Debating Archaeology and the History of Early Israel*, p.172

(2) فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود (دمشق: دار علاء الدين، 2003)، ص 288.

المطلب الثالث: التعسف التأويلي للكشف الأركيولوجي

من أشهر المغالطات الشائعة بين الأركيولوجيين المنكرين لصدق القصص التوراتي / القرآني، الإسراف في الاستنباط من الكشف الأثري، أو ما سماه بعضهم: «مغالطة رؤية أكثر مما هو متاح»⁽¹⁾ «The fallacy of seeing more than is there». فالباحث كثيراً ما يتعسف في استخراج دلالات تاريخية في تعامله مع بقايا التاريخ القديم، رغم قصور هذه الآثار عن أن تبوح بشيء من ذلك. ولذلك يكثر الظن والوهم في أطروحتات الأركيولوجيين، وإن سعوا إلى إخفاء ذلك بعباراتهم الحماسية، وجزمهم القاطع في أكثر من مسألة.

وقد حاول الأركيولوجي إسرائيل فنكليشتاين أن ينصر قراءته الشهيرة لتاريخ نشأة مملكة الشمال التي يرى أنها الصورة الأولى (في القرن 9 ق.م) لما قبل إنها الدولة الموحدة زمن شاؤول وداود وسليمان - عليهم السلام - باعتماد التقنيات التجريبية العلمية الحديثة، غير أنه ما استطاع أن يفرّ من قيام أطروحته كلها على الافتراضات والتخيّلات، حتى قال هارون بارك - المتخصص في أركيولوجيا «إسرائيل القديمة» - في المراجعة النقدية لكتاب فنكليشتاين «المملكة المفقودة» (2013م): «على الرغم من أنه من الممكن القول إن أعظم إنجازات فنكليشتاين المهنية إثبات قيمة العلوم في خدمة الأركيولوجيا التوراتية التقليدية، إلا أن فنكليشتاين قد خاض في هذا الكتاب بعمق في مستنقع الدراسات التقليدية للنصوص الكتابية فقط ليوضح كيف يمكن أن تكون النتائج غير مرضية. الكتاب مليء بقراءات جديدة تخمينية تعتمد على سلسلة لا يمكن إثبات صحتها من الافتراضات حول التسلسل الزمني والتاريخ الكتابي. وهكذا فإن كتابه يفتقر إلى منهجة واضحة»⁽²⁾.

David E. Graves, *Digging up in the Bible* (Independently published, 2019), p.69 (1)
Aaron A. Burke, "Minimizing David, Maximizing Labayu," *Biblical Archaeology Review* 40.4 (2014): 41. (2)

وأما الأركيولوجي ويليام ديفر فقال عن كتاب فنكلشتاين نفسه: «هذا الكتاب لا يتعلّق حقًا بالمعرفة التاريخية السليمة: إننا إزاء عمل مسرحي. فنكلشتاين ساحر، يستحضر «مملكة مفقودة» بواسطة خفة اليد، ويهدف إلى إقناع القراء بأن الوهم حقيقة، ويتوقع أن القراء سيولون وقد أخذهم العجب من مدى ذكاء الساحر. كان فنكلشتاين في يوم من الأيام عالماً مبتكرًا، رائدًا لمناهج جديدة؛ والآن أصبح رجل استعراض. إنها مضيعة مأساوية للموهبة والطاقة والجاذبية، ومضرّة بعلمنا»^(١).

William G. Dever and Aaron A. Burke. "Divided Kingdom, United Critics," *Biblical Archaeology Review* 40.4 (2014): 37-41, 71.

المبحث الثالث مغالطة الاحتجاج بالصمت

يقوم السجال الإسلامي / الإلحادي، اللاديني حول تاريخية الأنبياء على أن التاريخ لم يُحدث ذكرًا لهؤلاء الأنبياء، وأن القرآن قد نقل خرافات اليهود في سرد سيرتهم. وهو نزاع يقتضي أن يثبت الملاحدة أن هذه الشخصيات لا تاريخ لها، وإنما هي محض وهم، ولكن الواقع يثبت أن الجدل قد تحول من «الحاجة إلى إقامة الدليل على عدم وجود الأنبياء»، إلى مطالبة الكتاب الملاحدة الباحثين المسلمين إثبات وجود هؤلاء الأنبياء. وهو انتقال من دعوى إلى أخرى، ونقل عباء الإثبات من طرف إلى آخر⁽¹⁾.

المطلب الأول: الاحتجاج بالجهل؛ نصرة للمذهب

من السائد بين الأركيولوجيين الاستدلال بضمت الآثار لتقديم شهادات قاطعة لنفي أمور تاريخية ما⁽²⁾، رغم أن القاعدة المتفق عليها بين الناس، خواصهم وعواهم، هي أن «عدم العلم، ليس علماً بالعدم». واطراد قاعدة «من لم يثبت البحث الأركيولوجي وجوده؛ فإنه لم يوجد»؛ يوجب القول إنه لم يوجد على الأرض على مدى آلاف السنين سوى مجموعة أفراد بالإمكان عدّهم بالمئات أو الآلاف. وهذا لا يقوله منكرو وجود أنبياء القرآن.

(1) إثبات وجود الأنبياء يحتاج إلى دليل، وإثبات خرافية سيرتهم يحتاج إلى دليل. وعندما يثير الملاحدون دعوى خرافية الأنبياء، فهو يتدعي بذلك أنه يعلم أن هؤلاء الأنبياء لم يوجدوا. وتلك دعوى علم في حاجة إلى حجّة. وأنا المسلم، فهو يثبت وجود الأنبياء الذين جاء خبرهم في الآيات القرآنية، بأدلة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخبر عن هؤلاء الأنبياء، ولا يحتاج دليلاً أركيولوجياً لذلك. ولذلك فوجه الرد على المسلمين هو مناقشة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وصدقها. ومع ذلك؛ فالمسلم يرضى - ترتّلاً - أن يناقش مخالفه من خلال البحث الأركيولوجي، لامتحان دعوى دلالة الأركيولوجيا على نفي تاريخية الأنبياء.

(2) E. Wallach, 'Inference from absence: the case of archaeology', *Palgrave Commun* 5, 94 (2019).

فوجب إذن تعديل القاعدة السالفة؛ لتكون: «كل من لم يثبت البحث الأركيولوجي وجوده، رغم أنه يجب أن تشهد له الآثار التي عثنا عليها؛ فهو لم يوجد!»؛ لأن تشهد الآثار لوجود الوزراء والقادة العسكريين لعصر ما بصورة واسعة، ولا يُذكر اسم الملك الذي زعم وجوده في ذاك العصر، وذكر غيره. فنحن هنا أمام صمت للتاريخ لا مسوغ له غير أن هذا الملك المدعى، لم يوجد أصلاً؛ لأنّه لو وجد لكان ذكره واسعاً؛ لغزاره ذكر من هم أدنى منه أهمية، كالوزراء وقادة العساكر، ولو وجود اسم ملك آخر مكانه.

ثم إن الأرض ليست أمينة على تقديم صورة موازية لما كان في التاريخ؛ فإنه - مثلًا - من 3000 لوحة وشذرة فيها مراسلات وتقارير الملوك الآشوريين، يندر وجود أي نص لسرجون الثاني، وليس فيها شيء عن ابنه سنحاريب⁽¹⁾. كما كان المعتقد أنَّ الملك الآشوري توديا ^{توكا}⁽²⁾ المذكور على رأس قائمة الملوك الآشوريين، شخصية خرافية، حتى تم اكتشاف نصًّ يشهد لوجوده كونه أحد الموقعين على معاهدة في إيلا⁽²⁾.

إن الاحتجاج بالجهل، يجب أن يكون قائمًا على قرائن قوية، تجعل إمكان إفلات الشخصية التاريخية القديمة من شباك البحث الأركيولوجي بعيداً؛ فإن الآثار لم تحفظ من أسماء الغابرين إلا قليلاً تصل حد الندرة، كما أنَّ البحث التاريخي مخبر أنَّ من قد تمنع العادة ضياع خبرهم، قد يضيع ذكرهم في الشواهد الأثرية، على صورة غير مألوفة، وعجيبة. ففي الثاني السلام. وفي تضييق الاتجاه للجهل للإنكار، أمان من مخالفة ما يمكن أن يكشف عنه التاريخ مستقبلاً.

Edwin M. Yamauchi, *The Scriptures and Archaeology: Abraham to Daniel*, p.20. (1)
Ibid. (2)

المطلب الثاني: الاحتجاج بالمعلوم لإنكار المجهول

من الأساليب الشعبية للتشكيك في وجود الأنبياء، الحديث عن طبيعة معرفتنا بالحضارات القديمة؛ فنحن نعرف من أنواع أجانحها وخبزها عشرات الأنواع؛ فكيف نجهل مع ذلك - كما يقولون^(١) - وجود أنبياء لا بد أن كلامتهم قد بلغت الآفاق، وزلزلت عالم الساسة، وهيتجت المجتمع، وحفَّزَت الكهنة وال فلاسفة أن يتحدثوا عنهم بالسلب والثلب.. فهل الجبن والخبز - كما يقولون - أعظم أهمية من خبر النبئين؟!

والحقُّ إن هذه المعارضَة تُرُوَّرُ واقع التاريخ وسبيل رصده؛ فإن رصد الحياة اليومية لكل شعبٍ حاصل بأدئِي الآثار، كما أنها ممتدَة على مدى زمانٍ ومكانٍ واسعٍ لكل حضارة، قد يبلغآلاف السنين. ثم إنَّ من أهم ما يبقى دائمًا الأواني الفخارية، وعظام الحيوانات المدجنة، ومظاهر الزراعة، وبقايا الأكل في المقابر بجانب موبيقات الموتى أو هياكتلهم التخرّة زادًا لهم في الآخرة؛ فمعرفتنا بتفاصيل الحياة اليومية للشعوب الماضية سببها شذرات من هنا وهناك على مدى مئات أوآلاف السنين في أكثر من مكان على مساحة جغرافية واسعة، على خلاف البحث في أمر النبوة في العراق - مثلاً - والتي لا نعرف عنها في القرآن سوى نوح وإبراهيم ويونس - عليهم السلام - على مدى ألفي سنة، ولم يكن لإبراهيم أو يونس - عليهما السلام - طائفة من الأتباع أو السلطان السياسي، وأما نوح - عليه السلام - فقد عاش منذ خمسةآلاف سنة في أقرب التخمينات، وفي زمنٍ لا نعرف عن أجانته أو خبزه شيئاً.

إننا نعرف أجانت مصر وبلاد الرافدين القديمة، لكننا لا نعرف عن المعارضين للديانة الرسمية لمصر وبلاد الرافدين على مدى ثلاثةآلاف سنة قبل المسيح إلا النادر؛ إذ إنَّ الأجران تحفظ في الأواني أو المقابر، ولا يُحفظ خبر المعاشرة الدينية

(١) هذه الشبهة، بهذه العبارة، يكثر من ترديدها خرُّ عالم الماجد على الفضائيات.

إلا في المؤلفات التي كانت تكتب للتاريخ، وهي لم تظهر إلا بعد وفاة آخر أشهر أنبياء بني إسرائيل قبل عصر المسيح عليه السلام. وأثنا حوليات الملوك، ونقوشهم؛ فما هي في عامة أمرها إلا مدونات لتمجيد الحكام، وإظهار حسن إقامتهم للأمر، وطمس المعایب والتقصير. وهذه حوليات الآشوريين، المتميزة ب مجرد الأخبار السنوية، والمتتنوعة في مواضعها، يكتبهَا شخص يختاره الملك المقدس، ويقيم في القصر، ويعرض على الملك شخصياً ما كتبه قبل تخزنه؛ وذلك من أسباب سيادة المبالغة على هذه الحوليات.

ولذلك قال أحد الباحثين بعد دراسة هذه الحوليات: «يمكّنا القول، وبما لا يقبل الشك إنَّ الحوليات الآشورية، ولا سيما تلك التي تطرقت بإسهاب إلى حملات الجيوش الآشورية، ونتائجها، وما عكسته المنحوتات الآشورية من مشاهد تلك الحملات من قتل وتعذيب في صفو الأعداء، لم تكن في أغلب الأحيان إلا لأغراض دعائية من أجل التباهي والتفاخر بالقدرة والشدة، وإثارة روح الفزع والرعب في نفوس الأعداء والأقوام الأخرى المجاورة. لذا جاءتنا مليئة بالإطناب الذي ليس له حدود، وبالتعظيم اللامتهاري لشخصية الملك الآشوري، وبالبالغة والادعاء الواضحين في مضموناتها»^(١).

المطلب الثالث: الإيهام بالفراغ من البحث الأركيولوجي

توحي الدراسات التي تتناول غياب آثار النبین للقارئ غير المتخصص في التنقيب الأركيولوجي أنه يكفي الحفر في المناطق التي يُظنَّ أنَّ الأنبياء قد عاشوا فيها لنكتشف ذكرهم، أو بيوتهم، أو ممالكهم؛ إن وجدوا؛ وإنَّ القول بخرافيتهم حتم لازم. والأمر في حقيقته بعيد عن ذلك؛ فإنَّ الأرض التي عمرت كثيراً من مساحاتها على

(١) انظر صفوان سامي سعيد، المبالغة والادعاء في الحوليات الملكية الآشورية، مجلة دراسات موصلية، 2008، 20، ص 147.

مدى آلاف السنين بجماعات بشرية ودول قوية أو سلطات محلية، لم تُثبِّت لنا من تاريخها إلا أقلَّ القليل؛ حتى كأنَّ الأرض لم تُسكنَ من قبل إلَّا من قليل من الناس أو بعض الدول ذات المعمار المتين.

والدعوى التي يلقِيها منكرو وجود الأنبياء ركونًا إلى محفوظاتنا من الآثار، تُلزِمُنا أن نتحداهم أن يكتبو تفاصيل التاريخ البشري اعتمادًا على الآثار المادية وحدها دون إفساح المجال للخيال أو الإجمال. ولا سبيل لهم إلى ذلك.

والأمثلة على صمت آثار تاريخ الأمم القديمة كثيرة؛ حتى اشتكت دونالد هاردن سنة 1962 - مثلاً - من غياب آثار فينية من العصر الحديدي، باستثناء بعض الآثار في منطقة جبيل في لبنان لم تنشر بعد⁽¹⁾، قبل أن يكشف جيمس بريتشارد سنة 1970 بقايا من آثار فينية من العصر الحديدي في منطقة زرفت بين صور وصيدا⁽²⁾.

كما اشتكت تمارا رايس سنة 1965 في كتابها «الفن القديم في آسيا الوسطى» من غياب آثار العصر الهليني في أفغانستان، بقولها: «لا شك أنَّ هذه القرى تضم هيكل وأغورات، وسبب عدم العلم بوجود هذه البناءات هو بالتأكيد أنه لم تجر محاولة جادة للبحث عنها، وليس لأنَّها غير موجودة»⁽³⁾.

ويعرف بأزمة المعرفة بالتاريخ القديم، الغلاة المتطرفون في رفضهم للميراث الإسرائيلي للأخبار العالم القديم، ومن ينقل عنهم من الكتاب العربي، مثل فراس السواح القائل: «لقد اعتقاد المؤرخون والأثاريون لفترة طويلة أنَّ الثورة المدينية في سوريا قد تأخرت عنها في سومر وفي مصر، وأنَّ مناطق غربى الفرات لم تعرف المدن الكبرى، ولا الكتابة، خلال معظم الألف الثالث قبل الميلاد. إلا أنَّ الاكتشاف المثير لمدينة إبلا القديمة في الشمال السوري قرب حلب، قد أثبت

D. Hared, *The Phoenicians* (N.Y.: Praeger, 1962), p.181 (Cited in: Edwin M. Yamauchi, *The Scriptures (1) and Archaeology: Abraham to Daniel*, Wipf and Stock Publishers, 2013, p.18).

J.B. Pritchard, 'The Phoenicians in their Homeland', *Expedition*, 14, 1971, 14 - 23 (Cited in: *The (2) Scriptures and Archaeology*, p.18).

Tamara Rice, *Ancient Arts of Central Asia* (NY: Praeger, 1965), p.132 (Cited in: *The Scriptures and (3) Archaeology*, p.18).

أن ظهور المدن الكبرى في سوريا لم يتأخر كثيراً عن ظهورها في سومر وفي مصر. فقد ظهرت إبلا كمدينة مكتملة منذ أواسط ألف الثالث قبل الميلاد، ويدل أرشيفها الكبير الذي عثر عليه في القصر الملكي، على وجود شبكة واسعة من المدن السورية الأخرى المعاصرة لها، والتي قد ثبتت الاكتشافات المقبالة معاصرتها للمدن السومرية أيضاً. ويبدو أن موقع تل البير في منطقة الفرات هو المرشح الأول الآن للاحداث الثورة الأركيولوجية الثانية بعد إبلا، لأن الرقم الطينية التي تم العثور عليها في الموقع خلال موسم التنقيب في عام 1994 ترجع ب بتاريخها إلى حوالي 2700 ق.م.⁽¹⁾.

ومن السائد عند منكري وجود الأنبياء القول إن المناطق التي عاشوا فيها قد تبُّثت نيشاً، وفُلِّبت قلبها. وأشهر مدينة زعموا أنه لا سبيل إلى أن تكشف جديداً، أورشليم القديمة، ولكن حقيقة الأمر هي أن هذه المناطق لا تزال تتطلب مزيداً من البحث؛ فهذه منطقة «البلدة القديمة» في القدس، لا تزال تحتها آثار للعصر الإسلامي السابق وما قبله، لم تُظهر طبقتها السفلية ما فيها بعد.

كما أثنا نقرأ كلّ مرة عن كشف جديد في «أورشليم القديمة» وما لاصقهها، ومن ذلك - مثلاً - الكشف في الستين الماضيين عن بناء إداري في الجهة الجنوبية المجاورة للقدس أثناء الحفر لبناء مساكن جديدة، وهو يعود إلى القرن الثامن ومتصف السابع قبل الميلاد. وقد وُجدت فيه أختام كثيرة، في عدد من الجرار، كتب عليها: «للملك»⁽²⁾. وما كان يُعرف في تلك المنطقة سابقاً سوى أثر تاريخي واحد قديم، ليست له أهمية كبيرة. ويعتقد أن الكشف الجديد يعود إلى عصر

(1) فراس السواح، آرام دمشق، ص 18.

Rossella Tercatin, Key site from biblical kings' time unveiled near US Embassy in Jerusalem, *Jerusalem Post*, July 22, 2020
<https://www.jpost.com/israel-news/key-site-from-biblical-kings-time-unveiled-near-us-embassy-in-jerusalem-635924?fbclid=IwAR2AnYFdfmdXwDNqE6vByGym8IAZWOjYKc-PwwQgqKFdPZx8xsYfU7BkfiY>.

مملكة يهودا، زمن حكم حزقيا חַזְקִיָּהוּ وابنه منسي מְנַשֶּׁה⁽¹⁾.

صورة حفريات منحدر أرتونا⁽²⁾



صور أدوات الختم⁽³⁾



Amanda Borschel - Dan, 'Huge Kingdom of Judah government complex found near US Embassy in (1) Jerusalem', *Times of Israel*, 22 July 2020.

<<https://www.timesofisrael.com/huge-kingdom-of-judah-government-complex-found-stones-throw-from-us-embassy/>?fbclid=IwAR1oiFrlj4tlj4YwXLCJhdzQthWD18Lh4Rql-eJhiNmVIvrvN9UFyaCq3c#gs.fp87jn>.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق.

كما كُشف سنة 2012 عن كتابة ألقابانية كنعانية في أورشليم منقوشة على جرة تعود إلى القرن الحادي عشر أو العاشر قبل الميلاد، قبل تطور خط العبرية القديمة الذي يبقى مستعملاً حتى هدم الهيكل الأول سنة 586 ق.م. وهو كشف مفيد لإدراك حال معرفة الكتابة زمن داود وسليمان - عليهما السلام -^(١).

الحروف الألقابانية الكنعانية على القطعة



وها أنا بينما أخطّ هذه الكلمات أقرأ عن كشف محجر ضخم حجمه ألف متر مربع شمال شرقى القدس، في منطقة رامات شلومو، مع آلات لقطع الحجارة الضخمة فيه. ووُجدت أثناء الحفر قطعٌ صخرية في مراحل مختلفة من عملية قطعها، يبدو أنها كانت تُستعمل للبنيات الضخمة في القرن الأول أو قبله^(٢).

كما أنّ مصر التي عاشت واحدة من أهم فصول قصة يوسف - عليه السلام - وأسرته، وموسى - عليه السلام - وقومه، لم تبلغ فيها الحفريات الأثرية درجة الإحاطة بالمطلوب في المناطق التي يُظنّ أنّ بني إسرائيل استوطنواها. ولا يزال التاريخ يُخفي مفاجآت عن أممٍ اندثرت ولغاتٍ مجهمولة. ولعلّ من أبرز الأمثلة التي من الممكن أن تُسوق، الكشف عن مكتبة ضخمة في تل مرديخ في إيلاء

Millard, "The New Jerusalem Inscription—So What?" *Biblical Archaeology Review* 40.3 (2014): 49-53. (1)
Jeanna Bryner, Jerusalem's Ancient 'City of Quarries' Reveals City - Building Rocks, *Live Science*. (2)

May 09, 2013

< <https://www.livescience.com/29452-second-temple-quarry-uncovered.html?fbclid=IwAR18qXwnnse5eWkHh3GSSd2OkYyPPu3K91RtjPCMlxMKKDHjrky0xEjl> .>

القديمة، 40 ميلاً جنوب حلب؛ فقد أثبتت هذا البحث وجود حضارة عظيمة في منطقة الشام تضاهي حضارة مصر قوة في الألفية الثالثة قبل الميلاد، كما كشف عن وجود لغة سامية قديمة مجهرة قبل ذلك⁽¹⁾. وهي أمور صادمة إن قبلنا منهج المستشرقين لإنكار تاريخية عامة الآباء؛ لأن الآثار لم تحفظ لنا أسماءهم؛ فإن حضارة عظيمة قد طمست في زمن غير بعيد عن عصر إبراهيم -عليه السلام-، ومع ذلك أثبتت كشفُ واحد تاريخها العظيم.

لوحة طينية من أرشيف إبلا
Museo d'Arte Orientale Roma



المطلب الرابع: أوجه القصور الكشفية في الشاهد الأركيولوجي

كتب جيمس هوفمایر - أستاذ الأركيولوجيا والمعهد القديم - عن أسباب صمت الآثار حين يجب أن تتكلّم، قائلاً: «أنا أدرك تماماً - بصفتي عالم أركيولوجيا ميداني - مبلغ قلة ما تبقى من الماضي القديم، بسبب العوامل الطبيعية، مثل الرطوبة بأشكالها

Alfonso Archi, *Ebla and Its Archives: Texts, History, and Society* (Boston: Walter de Gruyter, 2015). (1)

العديدة، والجفاف، والرلازل، وكذلك التأثير البشري باحتلال المناطق (في العصور القديمة)، وإعادة استخدام مواد البناء السابقة، والتدمير البشري (الحرب والحرق)، والتنمية الحديثة (الحضرية والزراعية). إنه من الواجب دائمًا مراعاة التوقعات الواقعية حول ما يمكن لعلم الأركيولوجيا أن يقدمه للدراسات الكتابية وما يعجز عنه»⁽¹⁾.

وقصور الشاهد الأركيولوجي - في الحقيقة - أوسع من ذلك؛ إذ يظهر هذا القصور في أكثر من وجہ:

الوجه الأول: لم يبقَ مما صُنِع أو كُتِبَ في الماضي سوى جزء ضئيل جدًّا؛ بسبب عوامل الفساد الطبيعية (المطر، الصحراء، التآكل...)، والبشرية (السرقة، الهدم، الحرق، إعادة استعمال اللبنات لإنشاء بناء جديد...). كحال منطقة الدلتا المهمة في دراسة تاريخبني إسرائيل في مصر؛ فإنَّ المياه لم تُبقي فيها أي بردية قديمة. ومن المهم أن نتبَّه أيضًا أنَّ أنبياء كثُرًا ورد ذكرهم في القرآن، كان خاتمة قصتهم هلاك أقوامهم بعذاب مدمر لهم ولعمرانهم؛ بما يؤول إلى القول إنَّ البحث عن عمرانهم مخالف لأصل القصة القرآنية.

الوجه الثاني: عدد الأماكن التي تم التنقيب فيها قليلة مقارنة بما يجب أن يكون لدراسة تاريخ النبوة؛ ومن ذلك دراسة المنطقة المحاذية لنهر الأردن من جهة دولة الأردن الحديثة؛ فرغم أنه قد اكتُشفت فيها بعض الآثار المهمة، إلا أنها لم تعرف دراسة أركيولوجية على المستوى المرضي إلى اليوم. كما أنَّ منطقة الدلتا التي عاش العبرانيون شمال شرقيتها على قول التوراة (تكوين 47/11) لم تعرف عنابة توازي دراسة مواضع أخرى في مصر من الجهة المحاذية للنيل من القاهرة إلى أسوان. علمًا بأنَّ كثرة الحفريات قد تبتَّهنا إلى توسيع المساحات التي تحتاج دراسة؛ إذ

James K. Hoffmeier and Dennis R. Magary, eds., *Do Historical Matters Matter to Faith?* (Illinois: Crossway, 2012), p.101.

تكشف وجود مساحات عمرانية لم تكن معلومة من قبل. وهذا أمر مطرد في البحث الأركيولوجي.

الوجه الثالث: عدد الأماكن التي تمت فيها حفريات excavations أقل بكثير من الأماكن التي عرفت مسحًا survey أركيولوجيًّا. ولا بد من التمييز بين المسح السطحي لمنطقة ما، والعمل الحفرى فيها؛ فإن السير في منطقة أثرية ما، وملحوظة الفخار المبعثر على ظاهر الأرض، غير النبض فيها في مساحة للكشف عن الأرض المطمورة، والأعمدة المعمورة، والغرف غير الظاهرة؛ فالمسح لا يرصد من أخبار الأمم القديمة إلا القليل، إن كان منها شيء ظاهر⁽¹⁾.

ووصف المسح السريع أنه عملية علمية قادرة على تقديم نتائج نهائية في التاريخ القديم، ظاهرة منكرة لا يخلو منها العمل الأركيولوجي اليوم. ومن ذلك ما ذكره ريتشارد فريدمان⁽²⁾ من أنَّ بعض الأركيولوجيين قالوا في بحثهم عن آثار رحلة تيه بنى إسرائيل: «لقد مشطنا سيناء، ولم نعثر على شيء». وهي دعوى أثارت سخرية أحد الأركيولوجيين؛ مما دعاه أن يلتفت إلى فريدمان، ويقول له مستكراً هذا التصريح الموهم بالبحث الجاد عن آثار تيه: «إنها فقط خمس سيارات جيب!»⁽³⁾.

إن الحفريات هي السبيل الجاد للتبني في تاريخ الحضارات القديمة؛ لأنها تكشف أساسات العمارت والبنيات المطمورة. وهي رغم ذلك قليلة؛ لأنها تتطلب في عامة الأحوال وجود علماء متخصصين في الأركيولوجيا ودعمًا ماليًا كبيرًا لإتمام الحفرية على أسس علمية، خاصة مع تطور مناهج التعرف على الآثار وتاريخها. ولذلك لم تظهر آثار العصر البرونزي في أفسس رغم أنها قد مسحت منذ سنة 1894 إلى سنة 1963. ولم تظهر آثار العصر البرونزي إلا بعد محاولة الحكومة التركية إنشاء

Richard Hope Simpson, 'The limitations of surface surveys' in *Archaeological Survey in Mediterranean Area*, eds., D.R. Keller and D.W. Rupp, (Oxford: B.A.R., 1983), pp.45 - 47.

(2) ريتشارد فريدمان (1946): ناقد توراتي شهير. أستاذ الدراسات اليهودية في جامعة جورجيا.

شارك في حفريات «مدينة داود».

Richard Friedman, *The Exodus: how it happened and why it matters*, p.17. (3)

مصنف سيارات سنة 1963؛ لتكشف تحت أرض المصنف آثار العصر البرونزي. كما أنَّ الحفريات نفسها قد تكون قاصرة عن الكشف عن الأجزاء المطمورة في الأرض؛ ومن شواهد ذلك أنه قد أجرى إسرائيل أربى حفريات في منطقة أقيمت بين سنتي 1935 و 1938، وانتهى إلى عدم وجود آثار تعود إلى العصر الحديدي أو العصر البرونزي المتأخر على التلة؛ حتى نقل بعضهم منطقة أقيمت التوراتية من تل رأس العين إلى منطقة مجاورة لها، غير أنه بعد حفريات أ. إيتان سنة 1961 وم. كوشافي سنة 1972 كُشفت آثاراً للعصر البرونزي المتأخر والعصر الحجري في تل رأس العين^(١).

الوجه الرابع: جزء صغير من الآثار المكتشفة يتم نشر مضمونه، وأدنى من ذلك يتم نشر الأبحاث التي تمت حوله؛ فلا تزال المتاحف إلى اليوم تعج بآثار لا يُعرف عنها رقم تخزينها؛ فمن بين النقوش الطينية المسмарية في ماري، والتي تبلغ 25 ألف لوحة، لم تنشر منها سوى بضعة آلاف لوحة^(٢). ويُخبرنا أحد المشرفين على المتحف البريطاني في العقد السابع من القرن الماضي أنه من بين 150 ألف لوحة طينية مسмарية في المتحف، لم يتم إلا أرشفة ثلث هذا العدد^(٣). كما أنَّ نشر نتائج البحث قد يتأخر كثيراً؛ ومن ذلك أنَّ الحفريات التي تمت في أور بين سنتي 1922 و 1934 على يد ليونارد وولي، لم يعرض تقريرها النهائي إلا سنة 1997^(٤). نحن إذن أمام قلة باقية من قلة مستخرجة من قلة راجعة إلى قلة؛ فليس كل ما كان قد حُفظ، وليس كلَّ أرض تضم بقية من الحضارات القديمة قد دُرست، وليس كلَّ أرض مُسحت قد تمت فيها الأحافير، وليس كلَّ المناطق التي نبشت نُشر ما كُشف فيها.

Edwin M. Yamauchi, *The Scriptures and Archaeology: Abraham to Daniel*, p.19. (1)

See Edwin M. Yamauchi, *The Stones and The Scriptures*, pp.146 - 158. (2)

Edwin M. Yamauchi, *The Scriptures and Archaeology*, p.19. (3)

Leonard Woolley, et al., *Ur excavations. Volume VII The Old Babylonian period* (Trustees of the two (4) Museums by British Museum Publications, 1976).

ورغم ما سبق، يعمد كثير من الأركيولوجيين إلى لغة الإثارة، لتسويق أفكارهم، وإيهام غير المتخصصين أنَّ نتائج البحث الأركيولوجي كما يقدمونها تقف على أرض صلبة لا تميِّد؛ كزعم فنكلشتاين في كتابه المشهور «*The Bible Unearthed*»⁽¹⁾ أنه يقدم لأول مرة التاريخ الصحيح لإسرائيل القديمة كما يظهر من خلال الاكتشافات الأركيولوجية الحديثة؛ رغم أنه من المعلوم أنَّ ما كتبه في هذا الكتاب محل جدل واسع في الساحة العلمية، بالإضافة إلى أنه ليس ثوريًا في كثير من تفاصيله.. ولكنها لغة السوق⁽²⁾.

المطلب الخامس: العجلة في إدانة التوراة

يسرف الغلاة من خصوم التوراة اليهودية في تحطيمتها، قبل استفراغ الجهد في البحث. وفي أحيان، يستعين بالبحث الأثري أنَّ صمت الآثار، ما كان ينبغي أن يكون حجة لإدانة التوراة؛ إذ تُخبر الآثار لاحقًا عن صدق التفاصيل التي تم إنكارها سابقاً. وعلى ذلك أمثلة:

المثال الأول: جاء ذكر بلشاصر *כְּלַשָּׂאצָר* في سفر دانيال 5. وبقي خبر سفر دانيال عن بلشاصر الذي حكم بابل زمن سقوطها، دون سند من خارجه لقرؤن طويلة. وقد كانت شواهد الألواح الطينية المحفوظة حتى الرابع الأول من القرن العشرين تذكر أنَّ نبونيدس هو ملك تلك الفترة. ولم يُفهم الأمر إلا بعد العثور على وثائق جديدة كشفت أن نبونيدس قد أمضى أيامه الأخيرة في البلاد العربية، وترك قيادة المملكة البابلية لابنه الأكبر بلشاصر⁽³⁾.

(1) مُرَبْ تحت عنوان: «التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها».

See William G. Dever, Excavating the Hebrew Bible, or Burying It Again?, Review: *The Bible Unearthed*, in *Bulletin of the American Schools of Oriental Research*, Volume 322. 67

Walter C. Kaiser, *The Old Testament Documents: Are They Reliable Relevant?* (Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 2001), p.99.

المثال الثاني: كان سفر إشعياه 20/1 المصدر الوحيد الذي يذكر أن سرجون الثاني كان ملكاً لآشور. وقد اكتشف بولس إميل بوتا سنة 1843 دور شرو肯 العاصمة الجديدة التي أسسها سرجون الثاني، والتي تبعد عن نينوى قرابة 12 ميلاً. وكان سرجون الثاني قد بدأ بناء العاصمة الجديدة سنة 717 ق.م، غير أنه لم يستمتع ببنياته الجديدة؛ لأنَّه قد مات في معركة بعد سنوات قليلة (705 ق.م)، وفضل ابنه سنحاريب نينوى على دور شرو肯 عاصمة للبلاد. واليوم يعتبر سرجون الثاني شخصية مهمة في دراسة تاريخ اليهود؛ لأنَّه الذي غزا السامرة - عاصمة المملكة الشمالية للإسرائيليين - سنة 722 ق.م.⁽¹⁾

المثال الثالث: لم يكن خبر يهوذاكين (يهوذاكين 13:1-2) ملك يهودا الذي يذكر سفر الملوك الثاني 25/27 - 30 أنه قد أُسر بعد أن غزا نبوخذنادرش أورشليم معلوماً حتى تم الكشف عن مجموعة الألوح طينية كانت مدفونة قرب بوابة عشتار في بابل، وتعود إلى ما بين 595 - 570 ق.م. وقد ورد فيها ذكر «يوهانان، ملك أرض يهود» ضمن قائمة الأسرى والعمال. كما ورد ذكر خمسة أبناء ليوهانان ثلث مرات في الألوح، وهم الذين ورد ذكر أسمائهم ضمن قائمة الأسماء السبع ليهوذاكين في سفر أخبار الأيام الأول 3/17 - 18.⁽²⁾

المثال الرابع: جاء ذكر سَبْطَلَطَ - حاكم السامرة - في نحوميا 2/10. كما جاء ذكر الخصم الآخر لـنحوها: جَسْمُ الْعَرَبِيُّ في نحوميا 2/19. وقد تم الكشف عن هذين الاسمين مؤخراً؛ ففي بردية في جزيرة الفتمنين في مصر كُتُبَت في الجيل التالي لـجبل نحوميا (نحو 408 - 407 ق.م)، ورد اسم سَبْطَلَطَ باسم أخي نحوميا، حنانى (نحوميا 2/2)، واسم رئيس الكهنة، يوحانان (نحوميا 12/22).⁽³⁾ كما عثر على آنية في منطقة الدلتا بمصر، مكتوب عليها بالآرامية اسم جشم، ملك قيدار.⁽⁴⁾

Ibid. (1)

Ibid., p.100. (2)

Ibid. (3)

Ibid., pp.100 - 101. (4)

المثال الخامس: احتار العلماء في حديث سفر الملوك الأول 9/28 عن أوفير التي يأتي منها الذهب إلى سليمان -عليه السلام-؛ فإنه لا يُعرف منطقة بهذا الاسم، فضلاً عن أن تكون مشتهرة بالذهب. اقترح أنَّ أوفير هي منطقة في ساحل الصومال أو في الهند. وقد اكتُشفت لاحقاً سنة 1956 شمال تل الربيع في فلسطين المحتلة شقق أثرية مع علامة شحن تقول: «ذهب أوفير ليت حورون، ثلاثون شيكل». بما يثبت وجود منطقة باسم أوفير، وأنها معروفة بذاتها⁽¹⁾.

المثال السادس: جاء في الفصل 33 من سفر العدد حديث عن رحلة بنى إسرائيل من وادي عربة إلى سهول موآب. وجاء في هذا الفصل أنَّ بنى إسرائيل مروا بعييم قدييون جاد فعلمون دبلاتايم فنبوا ثمَّ آبل شطيم، وثم نهر الأردن. وهي رحلة أنكرها عدد من الباحثين، قائلين إنَّها من وحي خيال الكاتب، وتدل على جهله بأحداث فلسطين⁽²⁾ قبل القرن العاشر قبل الميلاد. غير أنَّ تشارلز كراهامالكوف قد أثبت لاحقاً معقولية الرحلة من خلال ثلاث خرائط مصرية قديمة، أقدمها خريطة تعود إلى زمن تحتمس الثالث (1504 - 1450 ق.م) منقوشة على جدار معبد الكرنك كجزء مما يُسمى «قائمة فلسطين». فطبق هذه القائمة، الطريق من الجنوب إلى الشمال يمر عبر عييم ودييون وآبل والأردن⁽³⁾.

وقائمة الأمثلة في ازدياد مع تنامي الكشوف الأركيولوجية. وهي كافية أنَّ المسارعة في تخطئة التوراة قبل استكمال النظر التاريخي الجاد، أثَّرَّ عن أفلام غير منصفة، وتطويق للمعرفة لأجل إدانة المخالفين. والعدل يقضي ألا تُدان توراة اليهود إلا بما يقطع التاريخ بمخالفته لما تنقله، وألا يُدان الخبر القرآني بخطأ كتاب اليهود أو غيرهم.

(1) Ibid., pp.105 - 106.

(2) تستعمل في هذا الكتاب اسم «فلسطين» عَلَيْها على البلاد المستأنة بهذا الاسم اليوم، حتى في العصر الذي لم تكن تُسمى فيه بهذا الاسم؛ تقريراً للدلالة الجغرافية إلى الأذهان.

(3) Ibid., pp.106 - 107.

المطلب السادس: صمت الآثار وطبيعة خبر الأنبياء

إن الاستدلال بصمت الآثار - حتى بعد تعديل القاعدة - لا يقودنا في عامة الأحوال إلى مطلبنا في شأن الوجود التاريخي للأنبياء؛ لقيام عوارض كثيرة من الممكن أن تمنع بقاء أثر الأنبياء في شواهد الأرض؛ ولذلك فالامر يتضمن عند البحث في تاريخية كلنبي، البحث عن الأسباب الداعية إلى إمكان - أو وجوب - ظهور خبره في الآثار القليلة المحفوظة، والموضع التي من الممكن أن تحول دون ذلك.

والعجب هو أن أشد الأركيولوجيين تطرفاً يُسلّمون بقاعدة ترك الاحتجاج بالصمت، على صورتها الشائعة، وكذلك يفعل من ينقولون أفكارهم، مثل السواح القائل: «في حال فقدان الوثائق المناسبة التي تعين المؤرخ في عمله، من الأسلم الاعتراف بالجهل بدل صياغة نتائج مبنية على الخيال والموافق الإيديولوجية المسقبة»^(١). ثم يقيم السواح عامة حديثه عن أورشليم في كتابه «تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود» على خيالات يملأ بها مساحات الفراغ، وموافق عقدية متشتّحة من التوراة اليهودية المحرفة.

إن النبوة، موقف عقدي من رجل في جماعة من الناس؛ مظهرها الوعي دعوته لهم إلى ترك عبادة الآلهة الباطلة، والعوائد الفاسدة، والإيمان بالله وحده، والاستقامة على طريق الصلاح. وهي بذلك في صدام حتمي مع أصحاب السلطة السياسية، والكهنوت الديني، والدهماء الخاضعين للأعراف.

والنبوة - بما سبق - لا تستهوي عادة إلا قلة من الضعفاء في قومهم؛ ومن لا سلطان لميراث المال والرفاه على قلوبهم. وهو ما يجعل النبي وجماعته فتنة مستضعف، منبوذة في حواسي المجتمع؛ فلا تحفل بهم نقوش قصور الحكام، ولا

(١) فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ص 286.

معابد الكهنة، ولا الوثائق الرسمية للدولة؛ بما يجعل استجداء الآثار لتكشف عن أسماء الأنبياء، بلا طائل في عامة الأحيان.

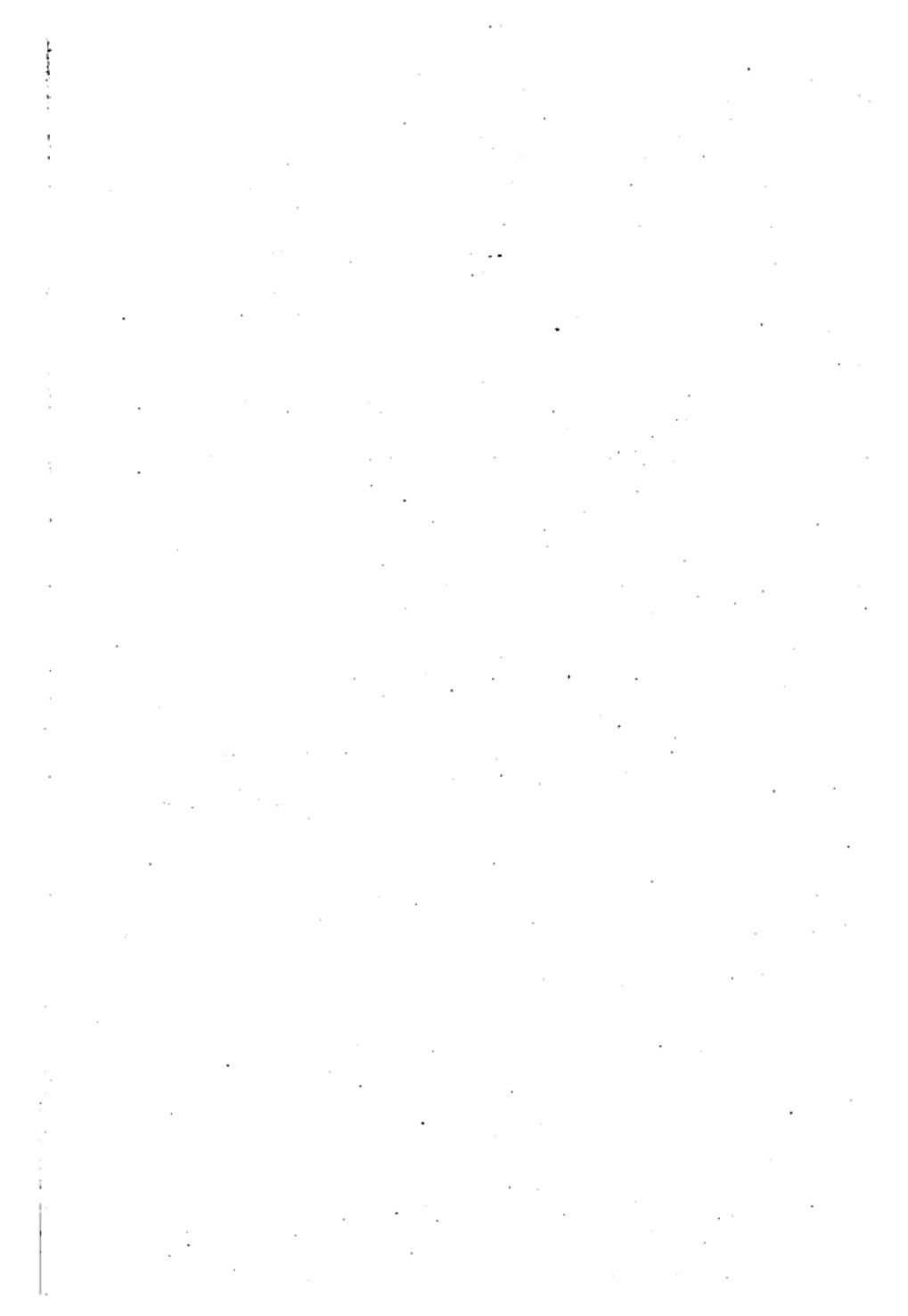


الفصل الثاني: شبهات حول تاريخ النبوة والمعجزات

تحوم حول ظاهرة النبوة مجموعة من الشبهات التي يثيرها الخطابان اللاديني والإلحادي. وهي مع تنوعها، تتفق حول التشكيك في أصالة ظاهرة النبوة وجوهرها. وهو باب من البحث لا يمكن تجاهله؛ لأنّه يتعمّد إثارة الريبة من خلال تقديم قراءة مشوّبة بالنقض أو الانحراف عن التبوّة في شكلها التاريخي الواقعي.

ولبحث ما يثار في هذا الشأن؛ سنجيب في هذا الفصل عن أربع دعوى تكرر بصورة مكثفة في الخطاب الإلحادي واللاديني الغربي والعربي:

- ادعاء النبوة، ظاهرة حديثة جدًا، لم يعرفها التاريخ في أي صورة صحيحة أو مفترأة.
- يشهد الدليل الأركيولوجي أن اليهود لم يعرفوا التوحيد في تاريخهم إلا قبل المسيح بقرون قليلة، على خلاف ما هو مقرر في القرآن والتوراة.
- لا يمكن أن تكون النبوة حقيقة دينية من عند إله رحيم عادل؛ لهدایة الخلق، ثم هي لا تخرج عن دائرة منطقة الشرق الأدنى القديم!
- المعجزات (التي تقرن عادة بدعوى النبوة) خرافية لا يصدقها أركيولوجي عاقل في زمن ازدهار العلوم والتنوير؛ فإن القوانين المادية لا تختلف!



المبحث الأول الأركيولوجيا ونفي تاريخ النبوة القديم

يروج الخطاب الإلحادي الشعوي لدعوى أنَّ النبوة ظاهرة متأخرة جدًا، سبقت المسيح بقرنين فقط. وأنَّ حديث القرآن عن أنبياء من بداية الألفية الأولى قبل الميلاد وقبلها ما هو إلا خرافه؛ إذ التاريخ لا يعرف من ادعى النبوة - حقًا أو باطلًا -.

وذلك شبهة يردها التاريخ نفسه؛ فإننا نعلم أنَّ ظاهرة ادعاء النبوة عريقة في التاريخ المعروف للأمم؛ أي الألفية الثالثة قبل الميلاد، آخر العصور التي يملك البحث التاريخي أن يقول فيها قولًا فيه بعض التفصيل الصادق.

فمن أقدم الأدلة على النبوة كظاهرة دينية وثقافية، ما اكتشف في سوريا، عند إيلا (2400 - 2500 ق.م). ورغم أنَّ مصطلح نبي في الألفية الثالثة في إيلا لا يزال فيه شيء من الغموض، إلا أنه بعد 500 سنة من تلك الفترة ظهرت كلمة نبي «أنبو» شرقي إيلا في الموقع المعروف باسم تل حريري (حوالي 1750 - 1697 ق.م)، في نصوص ماري. وهي نصوص تقدَّم صورةً قريبة من النبوة التوراتية قبل عصر موسى -عليه السلام- بقرون.

يضمُّ أرشيف ماري الذي يضم عشرين ألف لوحة، ويعود إلى بداية الألفية الثانية قبل الميلاد، قرابة ستين لوحة تنقل رسائل لأنبياء، تسميهم باسم «أبلوم»، و«توثهو»، و«نبي» بمعنى النبي^(١). وقد جاءت في كثير من هذه النصوص عبارات مثل: «في معد هشمتوم، قام النبي اسمه... وقال...». وكان من عادة الأنبياء نقل ما يقولون إنه قد أُوحِي إليهم. وأحياناً ينقل عنهم غيرهم ما أُوحِي إليهم.

كما اكتشف الأركيولوجيون سلسلة ألواح في موقع إيمار (تل مسكنة) معاصرة

K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.384 (1)

تقريباً لمكتشفات ماري، وهي مدينة تقع بين إيلا وماري عند نهر الفرات. وكانت هذه المنطقة ذات أهمية كبيرة منذ القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد حتى تدميرها عام 1187 قبل الميلاد، ويعود تاريخ معظم لوحاتها إلى الفترة 1550 - 1200 ق.م. وهي تظهر طبائع مختلفة لظاهرة النبوة فيها.

واكتُشف في دير عَلَّا في الأردن نصٌ فيه حديث عن نبوة بلعام الذي جاء ذكره في سفر العدد 22 - 24، وفيه وصفه أنه «حزم إلهن» أي عزاف الآلهة.

نص دير عَلَّا متاحف الآثار الأردني



وفي نقش زكور الذي أمر ملك حماة ولعش بصناعته، ويعود إلى نحو سنة 780 ق.م، جاء ذكر الانتصار على أرام، وأن ذلك مرتبٌ بوعدٍ إلهيٍّ: «(فرحت) أرفع يدي إلى بعل شمين. (بدأ) يحبني بعل شمين. ويتحدى بعل شمين إلى بواسطة العرافين وبواسطة الرسل. ويقول لي بعل شمين: لا تخاف! لأنني

جعلتك ملكاً. وأنا سأقوم معاك. وأنا سأنقذك من كل هؤلاء الملوك الذين فرضوا عليك حصاراً⁽¹⁾.

وأما بلاد ما بين النهرين، فإنَّ أوضَعَ صور النبوة فيها قد عُرِفت في عهد الملك الآشوري أسرحدون؛ إذ عُرِفَ أسرحدون باستدعاء عزافين أجانب إلى بلاده، بعضهم من مناطق بعيدة مثل مصر. وقد خلص بعض النقاد إلى أنَّ هذه الظاهرة قد تما استيرادها إلى آشور من سوريا - كنعان. وكان عامة الأنبياء الآشوريين، كهنة، وتعلقت نبوتهم أساساً بإلهة الحب والخصب عشتار⁽²⁾.

وعرف الحثيون أيضاً مفهوم النبوة، فقد صلَّى مورسيل الثاني لآلهته في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، طليتاً للعون عند أزمية، قائلاً: «دع السبب يظهر بالفال، أو أرنيه في حلم، أو ليعلنهنبيٌّ (رجل الله)». وقال لاحقاً: «دعوني أراه في حلم، أو ليكشف بوعي، أو ليعلنهنبيٌّ، أو ليكتشفه الكهنة كلَّهم»⁽³⁾.

والنبوة معروفة أيضاً في مصر القديمة؛ فقد ادعاهَا مصريون في الألفية الثانية قبل الميلاد في السياقين الديني والسياسي. والكلمة المصرية «سرى» تعني «يُعلن، يعد، يتبنَّى بالمستقبل». وهؤلاء الأنبياء «رجال حكماء» يمارسون وظائف نبوية، من أهمها الإنباء عن نكبة أو فرج مستقبليين⁽⁴⁾.

فظاهرة النبوة؛ بالإنباء عن الإله المعبد (سواء كان الإله الحق أو غير ذلك)، والتبنُّى بالغيب، كانت معروفة في كثير من الأمم. وفي ذلك يقول جيمس ميد⁽⁵⁾: «تشترك نبوة إسرائيل مع ثقافات الشرق الأدنى القديمة الأخرى في أنواع الظواهر

(1) فاروق إسماعيل، اللغة الأرامية القديمة، ص 212.

See Scott B. Noegel, Brannon M. Wheeler, *Historical Dictionary of Prophets in Islam and Judaism* (2) (London: Scarecrow Press, 2002), pp.xxiii - xxvi, James K. Mead, 'The Biblical Prophets in Historiography', in Bill T. Arnold and Richard S. Hess, eds. *Ancient Israel's History: an introduction to issues and sources*, (Grand Rapids, Michigan: Baker Academic, 2014), pp.271 - 281.

K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.387. (3)

Ibid, pp.386 - 387. (4)

.Northwestern College (5) جيمس ك. ميد: أستاذ الدين في

نفسها، من العناوين التي استخدمها بعض الأنبياء وأنواع الظواهر التي جربوها، إلى الأشكال المشتركة للكلام والمواضيع المتماثلة⁽¹⁾.

ومع ذلك لم يكُد يبلغنا أيُّ اسم من أسماء هؤلاء «الأنبياء» رغم أن عددهم بالآلاف⁽²⁾؛ فليس بممتنع – عندها – ألا تحفظ لنا آثار الشرق تاريخ الأنبياء الذين أرسلوا بالحق؛ فهذا مثل ذاك؛ بل إنَّ أولئك أكثر عدداً من هؤلاء، كما أنهم قد عاشوا في أزمنة كانت لدولهم الصولة والجولة والمعمار العظيم، مع رضا الملوك والأباطرة عنهم.

James K. Mead, 'The Biblical Prophets in Historiography', p.285. (1)

(2) من الاستثناءات، بليام بن بعور.

المبحث الثاني

دعوى اختلاق اليهود التوحيد في العصور المتأخرة

اهتمَّ تيار «الحدَّ الأدنى» بصورة بالغة بسلببني إسرائيل الذين عاشوا قبل المسيح هوبيتهم القومية؛ بإنكار نسبتهم إلى يعقوب عليه السلام؛ لخرافية شخصية يعقوب عليه السلام - بزعمهم -، وإنكار خروجبني إسرائيل من مصر، وادعاء أنَّهم جماعة دينية وثنية نشأت في فلسطين، ولم تأت من خارجها. وكان إنكار معرفةبني إسرائيل بالتوحيد حتى زمن قريب من المسيح، من أبرز معالم هذا الطرح؛ حتى قال توماس تومسون: «لم توجد اليهودية حتى القرن الثاني قبل الميلاد»^(١). وهو أمر يستدعي المناقشة، خاصة مع حرص اللادينيين العرب - كالسواح والماجدي - على تكراره في حديثهم.

المطلب الأول: آثار التوراة باذفان ما تصرَّم به!

أثار الأركيولوجيون الملاحدة والنقلة عنهم من ملاحدة العالم العربي دعوى أنَّ بنى إسرائيل لم يعرفوا دعوة الأنبياء إلى التوحيد إلا في حدود القرن الخامس قبل الميلاد أو بعده، وحجتهم لذلك أنَّ الكشف الأركيولوجي قد أثبتت أنه كان يُعبد في المنطقة التي عاش فيها بنو إسرائيل بعد عصر سليمان - عليه السلام -، في مملكتي السامرة ويهودا، بجانب يهوه، آلة أخرى، مثل أشيرة.

والحق أننا نستغرب من هذه الدعوى؛ لأنَّها تتتجاهل تصريح الكتاب المقدس نفسه، في تأريخه لأخبار مملكتي يهودا والسامرة، أنَّ بنى إسرائيل قد عبدوا مرات كثيرة آلة أخرى أجنبية، وأنَّ من ملوك بنى إسرائيل من دعموا عبادة الأوَّلَانَ في عصورهم. فهذا الملك عمرى، بعد عصر سليمان - عليه السلام -، قد عبد الأصنام، وعبدَها

William G. Dever, *What Did the Biblical Writers Know and When Did They Know It?*, p7. (1)

ابنه آخاب بعده؛ بعد أن «أَتَحَدَ إِبْرَاهِيلَ ابْنَةَ أَتَبْعَلَ مَلِكِ الْصَّيْدُونِيْنَ امْرَأَةً، وَسَارَ وَعَبَدَ الْبَغْلَ وَسَجَدَ لَهُ». وَأَقَامَ مَذْبِحًا لِلْبَغْلِ فِي بَيْتِ الْبَغْلِ الَّذِي تَبَاهَ فِي السَّاِمِرَةِ. وَعَمِلَ أَخَابُ سَوَارِيَ، وَزَادَ أَخَابُ فِي الْعَمَلِ لِإِغْاظَةِ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ مُلُوكِ إِسْرَائِيلِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ» (ملوك 16/31 - 33).

وقد تكرر من أنبياءبني إسرائيل إدانة عبادة الأولئان في قومهم؛ فقال - مثلاً - هوشع عن وثنية أهل السامرية: «قَدْ زَيَّنَ عِجْلُكِ يَا سَامِرَةُ. حَمِيَ عَضَسِي عَلَيْهِمْ. إِلَى مَتَى لَا يَسْتَطِعُونَ النَّقاوَةَ! إِنَّهُ هُوَ أَيْضًا مِنْ إِسْرَائِيلَ. صَنَعَهُ الصَّانِعُ وَلَيْسَ هُوَ إِلَهًا. إِنَّ عِجْلَ السَّاِمِرَةِ يَصِيرُ كِسْرًا» (هوشع 8/5 - 6). ودعا ميخا لزوال الوثنية التي ترسخت في السامرية، بقوله: «وَجَمِيعُ تَمَاثِيلِهَا الْمُنْسُوْهَةُ تُحَطَّمُ، وَكُلُّ أَعْقَارِهَا تُخْرَقُ بِالنَّارِ، وَجَمِيعُ أَصْنَامِهَا أُجْعَلُهَا خَرَابًا، لَأَنَّهَا مِنْ عُقْرِ الزَّانِيَةِ جَمَعَتْهَا وَإِلَى عُقْرِ الزَّانِيَةِ تَعُودُ» (ميخا 1/7).

وأما أشيره فقد تكرر خبرها تصريحًا في سفر الملوك الأول والثاني (في الأصل العبري)⁽¹⁾. وجاء ذكر أشيره في مواضع أخرى من أسفار العهد القديم⁽²⁾. كما أنَّ ظاهرة الوثنية فيبني إسرائيل معروفة فيهم قبل المملكة المتحدة. وهو أمر نبه إليه ابن حزم منذ قرون - مستشهدًا بالأسفار المقدسة عند اليهود -، بقوله: «فَاعْلَمُوا أَلَّا أَنَّهُ كَانَ مَذْدُخُلُوا الْأَرْضِ الْمُقْدَسَةِ إِثْرَ مَوْتِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَى لَوَّاهِيَةِ أَوْلَ مَلِكٍ لَهُمْ، وَهُوَ شَاوِلُ الْمُذَكُورُ؛ سِبْعَ رَدَاتٍ فَارَقُوا فِيهَا الْإِيمَانَ، وَأَعْلَنُوا بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ. فَأَوْلَاهَا بَقَوْا ثَمَانِيَةَ أَعْوَامَ، وَثَالَاثَةَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عَامًا، وَالثَّالِثَةَ عَشْرِينَ عَامًا، وَالرَّابِعَةَ سَبْعَةَ أَعْوَامَ، وَالْخَامِسَةَ ثَلَاثَةَ أَعْوَامَ، وَرُبُّمَا أَكْثَرَ، وَالسَّادِسَةَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عَامًا، وَالسَّابِعَةَ أَرْبَعِينَ عَامًا»⁽³⁾.

(1) ملوك 14/23، 16/33، 18/19، وملوك 17/10، 21/3، 23/4، 6، 7. وكثيراً ما نعزّب كلمة أشيره بالكلمة «ساريَة».

(2) القضاة 2/13، إرميا 17/2...

(3) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواه والنحل (القاهرة: مكتبة الخانجي)، 1/143.

ثم إن علمتنا نهي التوراة عن التصوير في الوصايا العشر: «لَا تَضْنَعْ لَكَ تِمَثَالًا مَّنْحُوتًا، وَلَا صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقٍ، وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ» (خروج 20/4)؛ يجعلنا ندرك أنَّ غياب شواهد التمايل والصور على الإله الواحد، لا تفاجئ منصفاً.

ومن عجب أنَّ فراس السواح الذي نقل هذه الشبهة من المكتبة الغربية إلى العالم العربي، يشهد للتوراة بالصدق؛ فهو الفائل في شهادة التوراة في شأن بناء السامرة في القرن التالي لعصر سليمان -عليه السلام-، ثم سقوطها لاحقاً، وانحراف حكمائها والرعية إلى نشر الوثنية والشرك: «ولقد تم تكريس الانفصال الديني عن أورشليم منذ الأيام الأولى لتشكيل مملكة إسرائيل، عندما قام برباعم أول ملوكيها ببناء معبدين كتعانين لشعبه وضع فيه تمثالاً على هيئة العجل... وبعد برباعم سار جميع ملوك بني إسرائيل في طريقه خلا واحداً هو الملك ياهو الذي قضى على بيت آخاب وقام بإصلاح ديني لم يقيض له الاستمرار. ولم يكن موقف عامة الناس في الدولة مغايراً لموقف ملوكيهم، بما استجر عليهم وعلى حكمائهم اللعنات التي امتلأت بها أسفار التوراة... وقد جاءت نتائج التنقيب الأثري في موقع السامرة في اتفاق مع الرواية التوراتية... أثبتت أساليب التاريخ الحديثة في علم الأركيولوجية أنَّ المدينة قد بنيت في النصف الأول من القرن التاسع قبل الميلاد، وهو تاريخ بناها الفعلى من قبل الملك عمري... ومن ناحية أخرى، فقد أمكن التعرف على عاصمة عمري السابقة ترسصة... واتضح من التنقيبات أنَّ مدينة ترسصة قد هجرت في الوقت نفسه تقريباً الذي يُبيّث في مدينة السامرة... لم تدم حياة السامرة، وفق الرواية التوراتية، أكثر من قرنين من الزمان... وتأتي نتائج التنقيبات الأثرية في اتفاق مع الرواية التوراتية»⁽¹⁾.

(1) فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ص 160 - 161، 146.

ولذلك عجب الباحث بنجامين سومر من اعتراض المعارضين؛ فقال: «من المهم التأكيد على أن النصوص التوراتية تصور الإسرائيليين إلى حد كبير على أنهم مشركون؛ لأن العديد من العلماء المعاصرین يفترضون بطريقة ما أن النصوص التوراتية يجب أن تقول إن الإسرائيليين كانوا موحدين (!). عدد كبير من الكتابات العلمية حول هذا الموضوع يمثل محاولة لفضح الكتاب المقدس من خلال إظهار شيء يؤكده الكتاب المقدس نفسه»⁽¹⁾ !!

ومما يُظهر اضطراب مذهب منكري أصلية التوحيد في بني إسرائيل، أنهم قد أجمعوا أن التاريخ «الإسرائيلي» مختلفٌ كليةً - أو في أغلبه - لصناعة تاريخ مجید لهم. وليس تاريخ الرّذات المتالية في التاريخ الإسرائيلي - كما هو مذكور في الأسفار التاريخية في التوراة اليهودية - محلّ معقول في هذا «التاريخ المجيد» الذي يدعى هؤلاء الأركيولوجيون ومتبعوهم في العالم العربي.

المطلب الثاني: دلالات الأركيولوجيا على أصلية التوحيد في تاريخ بني إسرائيل

يهم أنصار مدرسة «الحد الأدنى» بمحاولات إثبات أن التوحيد فكرة دخيلة على التراث الإسرائيلي، استناداً إلى الشاهد الأركيولوجي. والحق أن الشاهد الأركيولوجي حجّة لإثبات أصلية التوحيد الإسرائيلي في فلسطين، من جهتين، على الأقل:

(1) أسماء الأعلام: أسماء سكان المملكة الشمالية والجنوبية تدمج في كثير من الأحيان الاسم الشخصي باسم الإله؛ فعامة الأسماء المنقوشة على الأختام العبرانية فيها صيغة مختصرة ليهوه، مثل يهو في مملكة يهوذا، ويو في مملكة إسرائيل⁽²⁾. ولم يُسم باسم الآلهة الأجنبية في مملكتي إسرائيل ويهودا - مثل «بعل» - سوى

Benjamin D. Sommer, *The Bodies of God and the World of Ancient Israel* (Cambridge: Cambridge University Press, 2009), p.149.

Amihai Mazar and Israel Finkelstein, *The Quest for the Historical Israel*, p.175. (2)

قلة قليلة جدًا من الناس كما في الدراسة التي قام بها جفري تغاي حول الأسماء السابقة للنبي، والتي وردت في الرسائل والوثائق الشخصية والأختام الشخصية والنتائج وغيرها؛ فقد جمع قرابة 1200 اسم عبري شخصي من القرن التاسع إلى السادس قبل الميلاد، ولم يجد غير 5.9% من الأسماء تحمل اسمًا إليها ملحقة بالاسم الشخصي غير يهوه⁽¹⁾. كما شهد باتريك ملر بصورة أوسع، بقوله: «إن وزن مجموع النقوش من القرن التاسع حتى القرن السادس قبل الميلاد يشهد لصالح تيار الدين الإسرائيلي «يهوه فقط»، خاصةً - وليس حصرًا - في الجنوب. يهوه هو الإله الوحد المسمى في النقوش الإسرائيلية، وأسامي يهوه مذكورة أكثر من 30 مرة، وذلك من نصب ميشع إلى الكشف في عراد ولخيش ورامت راحيل»⁽²⁾.

(2) الفن الإسرائيلي: قام الناقد السويسري أوثمار كيل على مدى عقود ببناء قاعدة بيانات للأيقونات الإسرائيلية، خاصة الواردة في أدوات الختم (فقد كانت الأختام تضم نصوصًا وصورًا، وتوضع على الوثائق حتى لا يتم اللعب بها). وقد جمع 8500 ختماً منذ عصر كنعان القديمة، وبعضها يعود إلى الإسرائيليين. ولما فارن كيل وتلميذه كريستوف أولنجر الأختام الإسرائيلية وغيرها، لاحظاً أمراً لافتاً للنظر؛ وهو أن الأختام الإسرائيلية - على خلاف بقية الأختام - لا تظهر الإيمان بأكثر من إله واحد، ولا تضم دائماً - تقريباً - صورة الإله، وإنما يرمز للإله برمز، هو عامة قرص الشمس، وفاءً لما جاء من منع صناعة صور الإله (خروج 20/4). ولا تظهر علامات تعدد الآلهة إلا قليلاً، خاصة في القرن السابع قبل الميلاد. كما تشهد أيضاً أنواع أخرى من الفن (مثل التماثيل وكتابات الجدران) على سيادة التوحيد عند الإسرائيليين⁽³⁾.

Jeffrey Tigay, 'Israelite Religion: The Onomastic and Epigraphic Evidence,' in *Ancient Israelite Religion: Essays in Honor of Frank Moore Cross*, eds. by P. D. Miller, P. D. Hanson, and S. D. McBride (Philadelphia: Fortress, 1987), 157-194.

Cited in: Benjamin D. Sommer, *The Bodies of God and the World of Ancient Israel*, p.151. (2)
Ibid., p.152. (3)

علمًا أن مملكة إسرائيل كان فيها الكثير من الكنعانيين الوثنيين⁽¹⁾، بل إن داود -عليه السلام- ما أخرج الوثنين من أورشليم، وشهد عزرا على وجود الأمم الوثنية في البلاد بعد السبي (عزرا 1/9-2).

المطلب الثالث: نقض دالة الآثار على حداثة التوحيد في بنى إسرائيل

خبر التوراة عن ازدهار الوثنية في مملكتي بني إسرائيل بعد انقسام المملكة المتحدة، لقرون، يُثبت صدق الخطوط العامة لهذه الرواية في ضوء الكشف الأركيولوجي، ولا يشكك في أن ديانة أنبياء بني إسرائيل التي دعا إليها الأنبياء، كانت التوحيد. ولم يستأثر الأواثن والمذايا والأواني الفخارية الشاهدة للوثنية؛ بصادمة لنا؛ لأنها أولى التراث المادي نجاة من الاندثار لكثرتها، وقدرتها على الصمود تحت طبقات الأرض؛ وهي بذلك لا تعكس الوجه الكامل للطابع الديني لأمة من الأمم.

وأما التماثيل الصغيرة التي غير عليها في البيوت؛ فهي ثلاثة أنواع⁽²⁾:

النوع الأول: عدد قليل من التماثيل التي وُجدت في المناطق الإسرائلية منذ القرن الثالث عشر إلى القرن الحادى عشر، وفُرجّحها فيها بارز بوضوح. وهي آلة كنعانية معروفة منذ آخر العصر البرونزي. ويبدو أنها آلة الخصب. وما غير عليها لاحقًا كان في منطقة الفلستين. وهذه التماثيل لا تمثل - بذلك - الدين الإسرائيلي.

النوع الثاني: تماثيل لامرأة عليها ملابس - عادة -، وتحمل شيئاً ذاتياً. وقد غير عليها في مناطق بني إسرائيل منذ القرن العاشر. وانختلف في تعريف حقيقة هذه التماثيل. وقد ذهب كيل وأولنجر إلى أنها تمثل صورة امرأة عابدة تحمل دُفَّاً صغيراً كما هي عادة الإسرائيليات عند الغناء (خروج 15/20، قضاة 11/34، صموئيل 6/18...).

Amihai Mazar and Israel Finkelstein, *The Quest for the Historical Israel*, p.175. (1)
See Benjamin D. Sommer, *The Bodies of God and the World of Ancient Israel*, pp.151 - 154. (2)

النوع الثالث: التماثيل الأكثر انتشاراً هي لامرأة عظيمة الثديين، يتذليلان عادة. وقد ظهرت هذه التماثيل في عصر متأخر عن النوعين السابقين، جلّها من القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد. والقول إنّ هذا التمثال إله معبود، يتوافق مع إدانة أنبياء هذين القرنين لانتشار الوثنية بين الإسرائييليين. والحق إنّ الجزم أنّ هذه الأوثان آلهة فيه نظر؛ فإنّ حضور هذه التماثيل الصغيرة في البيوت لا المعابد، قد يفسر أنها أقرب إلى التماثيل منها إلى الآلهة.

وقد تباهت الأركيولوجية كارول مايرز إلى الاختلاف الكبير بين تماثيل الآلهة المؤونة الكنعانية وهذا النوع من التماثيل؛ فإنّ تماثيل الآلهة «تُظهر عادة بعض رموز الهوية الإلهية في غطاء الرأس أو الزي أو الوضع أو الأشياء المرفقة بها. ولذلك يجب أن يكون المرء في شك في تعريف أيّ من هذه التماثيل المصنوعة من الطين المحروق أو اللوحات الطينية بالآلهة على الإطلاق، ناهيك عن أي آلهة معينة مثل عشتار وعنات وأشير»⁽¹⁾.

وهو ما أكدته تكفا فرايمير - كنسكي - المتخصصة في ثقافة بيته الكتاب المقدس وببلاد الرافدين -، بقولها إنّ أهم صفة للتماثيل الإسرائيلية أنها تختلف عن التماثيل الكنعانية؛ إذ «ليس فيها أي رموز صريحة لأي آلهة... لا تحمل هذه الأعمدة أي شارة إلهية، ولا ترتدي التيجان، ولا تحمل أي رموز لقوتها»⁽²⁾. فهي على الأظهر «مجازٌ بصر، يُجسد مرئياً محسوساً ما هو مرغوب فيه بشدة... إنها نوع من الصلاة الملمسة من أجل الخصوبة والغذاء»⁽³⁾.

Carol Meyers, *Discovering Eve. Ancient Israelite Women in Context* (New York: Oxford University Press, 1988), 162.

Tikva Frymer - Kensky, *In the Wake of the Goddesses. Women, Culture, and the Biblical Transformation of Pagan* (Myth. New York: Free Press, 1992), 159.
Ibid. (3)

المطلب الرابع: تناقض فراس السوام في الاستدلال بالآثار لإثبات أصالة الوثنية في بنى إسرائيل

حاول المشككون الاستدلال بغياب أشكال جديدة للأواني الفخارية في كنعان في القرن الثاني عشر قبل الميلاد (بعد نهاية عصر التي المفترض)؛ للقول إنّ بنى إسرائيل لم يدخلوا فلسطين (الحديثة) من مصر بدين جديد، وإنما هم كنعانيون نبتوا في أرض فلسطين، ورثوا الوثنية والشرك عن سلفهم، قبل أن يتحولوا إلى التوحيد قبل عصر المسيح بقرون قليلة.

وهي معارضة ضعيفة؛ لأنّ عدم تغيير الأشكال الفتية للأواني الفخارية يتحمل بقاء الأمة القديمة نفسها في الأرض المستوطنة، كما يتحمل وجود وافدين جددًا نبتوا نمط الحياة المحلية. والأمر في شأن بنى إسرائيل سهل تفسيره؛ فإنّ هذه أمة صغيرة العدد، كانت تعيش في تيه الصحراء حيث تحففت من أسباب الحياة اليومية الثقيلة؛ كأواني الفخار، لصالح حفظ الماء وبقية السوائل في قرب من جلد يسهل نقلها، ولا تكتسر عند كثرة الحركة. والانتقال من حياة البداوة إلى حياة الحضر؛ دافع لتبني الثقافة المعيشية القائمة في البلاد المستوطنة.

ومن الظريف هنا أن السواع الذي ينقل لنا هذه الشبهة، ينقل لنا بنفسه هذا الطابع التاريخي في مجدو التي تقول التوراة إنّ سليمان -عليه السلام- قد بناها؛ إذ ذكر عن مجدو بعد غزو الآشوريين لها: «بقايا الفخار واللقم الأخرى... تشير إلى استمرار الثقافة الكنعانية التي كانت سائدة في فلسطين، فالآقوام التي أحلها الآشوريون محل الأسباط العشرة التي لم تعد قط إلى فلسطين، لم تفرض على المدينة نمطاً ثقافياً جديداً، بل استواعت بسرعة معطيات الثقافة الكنعانية وعملت على تطويرها في

الاتجاه نفسه»⁽¹⁾.

(1) فراس السوام، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ص 169.

وقد نبه صاحب كتاب «أركيولوجيا الإثنية» إلى أنه غالباً ما لا يمكن تمييز الهوية العرقية أو الاجتماعية للأشخاص السابقين من خلال آثارهم المادية؛ فحتى في المواقف التي تتميز بدرجة عالية من التمازج بين المواطن والعرق، قد لا يتمكن علماء الآثار من العثور على «كيانات عرقية» ينعكس وجودها في توزيعات الثقافة المادية^(١).

المطلب الخامس: تهافت استدلال فراس السواح بالتوراة لنفي التوحيد عند اليهود

حاول فراس السواح أن يدعم دعوى أن اليهودية ديانة شِركية (في باب الربوبية)؛ فأشار إلى الوصية الأولى من الوصايا العشر: «لا يَكُنْ لَكَ أَلَهٌ أُخْرَى أَمَامِي» (خروج 20/3)، زاعماً أن عبارة «آلهة أخرى» دالة على إيمان اليهود بأكثر من إله! والنص جليّ - في ضوء نصوص التوحيد الكثيرة في التوراة - أنه يعني أن هناك إلهاً حقاً واحداً، لا تُصرف العبادة إلا إليه، وأما الآلهة الأخرى؛ فمعبدات زائفة.

فمن نصوص التوراة الأخرى التي توضح هذا المعنى: «إِنَّكَ قَدْ أُرِيتَ لِتُقْلِمَ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الْإِلَهُ لَيْسَ أَخْرَى سِوَاهُ» (ثنية 4/35)، و«لَا تَكُنَّ عَظِيمِمُ أَنْتَ وَصَانِعُ عَجَائِبٍ. أَنْتَ اللَّهُ وَحْدَكَ» (مزמור 86/10)، و«لَا تَهُ مَنْ هُوَ إِلَهٌ غَيْرُ الرَّبِّ؟» (مزמור 18/31)، و«أَنَا الْأَوَّلُ وَأَنَا الْآخِرُ، وَلَا إِلَهٌ غَيْرِي» (إشعياء 44/6)، و«لَا تَيُ آنَا اللَّهُ وَلَيْسَ آخِرٌ. [أَنَا] إِلَهٌ وَلَيْسَ مِثْلِي» (إشعياء 46/9)...

ونص التوراة أيضاً صريح في نسبة الخلق إلى الله وحده؛ وهو أخصّ خصائص التوحيد. ومن هذه النصوص: «فِي الْبَنِيهِ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» (تكوين 1/1)، و«صَانِعُ الْأَرْضِ بِقُوَّتِهِ، مُؤَسِّسُ الْمَشْكُونَةِ بِحِكْمَتِهِ، وَبِفَهْمِهِ بَسَطَ

S. Jones, *The Archaeology of Ethnicity. Constructing Identities in the Past and Present* (London: Routledge, 1997), p.12.

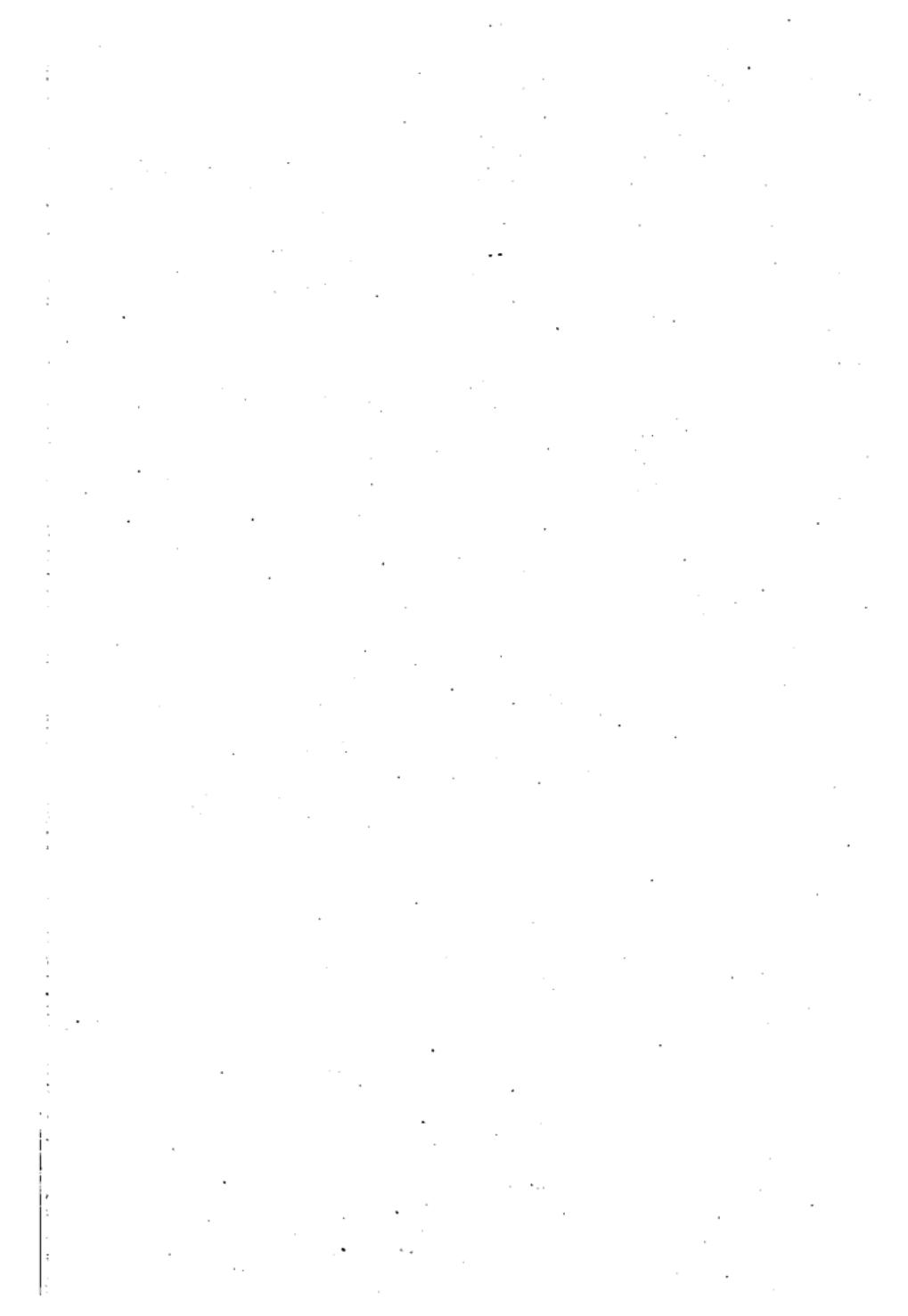
السماءات» (إرميا 10/12)، وأليس أبٌ واحدٌ لكلنا؟ أليس إلهٌ واحدٌ خلقنا؟... (ملachi 2/10)

كما استدلَّ السواح لشركة اليهودية بنص مزمور 50/1: «إِلَهُ الْأَلِهَةِ الرَّبُّ تَكَلَّمُ، وَدَعَا الْأَرْضَ مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا». والدعوى هنا أنَّ إله اليهود، إله من الآلهة، وإن كان أعلاها. وهو استدلال يتجاهل النصوص الأخرى الصريحة في القول إنَّ كلَّ آلهة الأمم الأخرى باطلة، لا بمعنى أنها كائنات إلهية كالآله الحق - خالقة وأزلية -، ولا تستحق العبادة، وإنما بمعنى أنها معبدات لا تملك أوصاف الإله الحق؛ كقوله تعالى في القرآن، وصفًا للمعبودات المشركيَّن: «وَأَخْنَذُوا مِنْ دُونِهِ مَا لِهُنَّ لَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُظْلَمُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لَا تَشْهِمُهُمْ ضَرًّا وَلَا نَقْعَدًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَّةً وَلَا نُثُرًا» (الفرقان/3). فهذه الأصنام آلهة معبدة؛ وإن كانت لا تخلق، ولا تملك لنفسها ضرًا ولا نفعًا.

ثم إنَّ هذه العبارة في الأصل العبري: «אֱלֹהִים יְהוָה» قد تُرجمت على صور شتى، بعضها لا يتضمن معنى «إله الآلهة»، وذلك بترجمة الكلمة «אֱלֹהִים» [الوهيم] إلى «God» لأنَّ أحد أسماء الله في التوراة؛ فإنَّ الكلمة السابقة لـ«لوهيم» في المزמור 1/5 هي: «إيل» «אֵל»، والتالية لها: «يهوه» «יְהוָה»، وكلَّها من أسماء الإله في التوراة:

New International Version:	The Mighty One, God, the LORD
New King James Version:	The Mighty One, God the LORD
American Standard Version:	The Mighty One, God, Jehovah
JPS Tanakh 1917:	God, God, the LORD
New English Translation:	El, God, the LORD

إن إله التوراة - في مجموع أوصافه -، أزلٌّ، متفرد بالخلق، لم يولد أو يُخلق كعامة الآلهة الكبرى للأمم الأخرى (مودوخ ولد من إيا، وبعل ابن للتنين، وإنما إليش نَجَمَ عن اختلاط المياه الحلوة بالمياه المالحة...). والتوراة صريحة في أنَّ المعبودات الأخرى باطلة، وأنَّ إله إسرائيل هو رب الأرض والسماءات.



المبحث الثالث

دعوى اقتصار النبوة على منطقة الشرق الأدنى القديم

يتذكر في الخطاب الالاديني في البلاد العربية التشكيك في صدق النبوات؛ اعتماداً على دعوى أننا لم نسمع عن ظاهرة النبوة إلا في منطقة الشرق الأدنى القديم. ووجه الاعتراض أنه لو كانت النبوات حقيقة تاريخية أصلها دعوات الهدایة من رب إلى البشر؛ وكانت حاضرة في كل مكان؛ لا في منطقة الشرق الأدنى القديم وحدها.

وهذا الاعتراض معارض من وجه:

أولاً: الاعتراض على اقتصار النبوة على منطقة الشرق الأدنى القديم غير مسلم في الرؤية الإسلامية؛ فإن المسلم يؤمن أن النبوة قد عرفتها كل الأمم، في كل منطقة اجتمع فيها الناس؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِدَنِّ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَقَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر / 24) (١). فالاعتراض لا يصح إذا صدقنا الرؤية الإسلامية. ولا يبقى إلا أن يكون الاعتراض من وجهة تاريخية قائمة على السبر التاريخي المباشر.

ثانياً: الأنبياء الذين استجابوا لهم أقوامهم قلة قليلة، ربما لا تكاد تخرج عن بعض أنبياء بني إسرائيل؛ فقد كذبـت عامة الأمم أنبياءها. وقد أشار القرآن إلى ذلك من وجـهـه؛ كـذـكـرـهـ أنـ عـامـةـ النـاسـ لاـ يـتـبعـونـ رسـالـةـ الإـيمـانـ: ﴿وَمَـاـ أـكـثـرـ الـأـنـبـيـاءـ وـلـوـ حـرـضـتـ بـيـقـونـ مـنـ يـقـنـونـ﴾ (يوسف / 103)، ﴿وَلـكـنـ أـكـثـرـ الـأـنـبـيـاءـ لـأـقـمـوـنـ مـنـ﴾ (هود / 17)، ﴿وَمـاـ وـجـدـنـاـ لـأـكـثـرـ هـمـ مـنـ عـقـدـ وـإـنـ وـجـدـنـاـ أـكـثـرـ هـمـ لـغـيـقـيـنـ﴾ (الأعراف / 101 - 102)، كما أشار إلى العقوبات التي لحقت أقوام أنبياء كثـرـ، كـفـومـ.

(١) تنبـهـ مـهـمـ: نـحـنـ لـنـذـكـرـ الـأـيـاتـ وـالـأـحـادـيـثـ فـيـ هـذـاـ جـوـاـبـ؛ لـإـزـامـ الـمـخـالـفـ بـتـصـيـقـهـاـ (ـعـمـ عـلـمـنـاـ آـتـهـ مـكـذـبـ لـهـاـ)، وـأـنـمـاـ لـأـنـهـ تـذـكـرـ الـصـورـةـ التـارـيـخـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ لـنـبـوـةـ الـتـيـ تـقـبـلـ أـنـ تـكـوـنـ مـحـلـ الـمـنـاقـشـةـ، وـلـاـ نـلـتـزـمـ صـورـةـ تـارـيـخـيـةـ أـخـرـىـ نـصـرـانـيـةـ أـوـ يـهـوـدـيـةـ لـيـعـتـرـضـ عـلـيـهـ الـمـخـالـفـ.

فـنـعـنـ تـقـوـلـ: إـنـ الـنـبـوـةـ الـتـيـ تـعـتـرـضـونـ عـلـيـهـاـ تـارـيـخـيـتـهاـ خـارـجـ مـنـطـقـةـ الـشـرـقـ الـأـدـنـىـ، صـورـتـهاـ عـنـدـنـاـ كـذـاـ فـإـنـ أـرـدـتـ إـيـاتـ بـطـلـانـهـاـ تـارـيـخـيـاـ؛ فـنـاقـشـوـ تـفـاصـيلـهـاـ كـمـاـ هـيـ عـلـىـهـ هـذـهـ الصـورـةـ الـمـعـرـوـضـةـ فـيـ الـأـيـاتـ وـالـأـحـادـيـثـ.

هود وصالح ولوط - عليهم السلام - لرفضهم الإيمان. وجاء في السنة: «عُرِضَتْ عَلَى الْأَمْمِ، فَرَأَيْتَ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهْبَنِطَ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجَلَانُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ»^(١). بل إنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنفُسَهُمْ، كَذَبُوا عَامَةً مِنْ أَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ؛ رَغْمَ اسْتِشْرَاءِ النَّبِيِّ فِيهِمْ: «وَلَقَدْ ظَاهَرَتْ مُوسَى الْكِتَابَ وَقَاتَلَنَا مِنْ بَعْدِهِ، بِإِرْسَالِهِ وَمَاتَنَا عِيسَى ابْنَ مُرْرَمَ الْبَتَّنِتِ وَأَيَّدَتْهُ بِرُوحِ الْقَدِيرِ، أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ يَمَا لَا تَهُوَ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَعَرَفْتُمَا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتَلُونَ»^(٢) (البقرة/٨٧).

ثالثاً: ما كان للأمم السابقة أن تحفظ سير الأنبياء؛ لأنها لم تحفظ لنا سير أهل السحر والشعوذة فيها رغم كثرة تهم باعتراف المؤرخين، وما الأنبياء في عيون أقوامهم إلا أهل سحر ودجل. قال تعالى: «كَذَلِكَ مَا أَفَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا فَلَوْ سَلَّرُوا بَعْضَهُمُونَ»^(٣) (الذاريات/٥٢). وإنَّ أَمَةَ يَظْهَرُ فِيهَا عَلَى مَدِي أَجْيَالِ نَبِيٍّ وَاحِدٍ، لَا يَبْعُدُهُ النَّاسُ، وَيَرْمِيهُ الْعَامَةُ وَالسَّاسَةُ وَأَحْبَارُ دِينِ الدُّوَلَةِ بِالسُّحُورِ أَوِ الْجَنُونِ، لَا مَكَانٌ لَهُ فِي مَدُونَاتِ الْأَمْمِ الْقَدِيمَةِ.

والإشكال في من يُصْرُّ على وجوب توثيق الأمم السالفة أسماء أنبيائها، ظنه أنَّ النَّبِيَّ لَا بدَّ أَنْ تَقْتَرَنَّ بِكَثْرَةِ الْأَبْتَاعِ وَتَسْلِيمِ الْأَمْمِ بِخَوارِقِ النَّبِيِّينَ، قِيَاسًا عَلَى بَعْثَةِ نَبِيِّ الإِسْلَامِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَوْ بِقَاءِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ عِنْدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ الْإِسْتِثنَاءُ؛ فَإِنَّ دُعَوَاتَ التَّوْحِيدِ بَيْنَ الْوَثَّبَيْنِ عَامَةً حَالَهَا الرَّفْضُ لَا الْقَبُولِ؛ لَأَنَّ الْوَثِينَةَ كَانَتْ مُحْمَيَّةً عَامَةً بِسُلْطَانِ الْأَعْرَافِ وَالْحُكَّامِ.

رابعاً: لا يوجد ما يمنع أن بعض الشخصيات الشهيرة خارج الشرق الأدنى القديم كانت لها النَّبِيَّةُ، مثل كونفتشيوس في الصين وزرادشت في فارس؛ فلربما حُرِفت رسالتهم الأولى كما حُرِفت رسالة المسيح الذي جعله الفريق الأوسع من أتباعه إليها معبداً.

(١) رواه البخاري، كتاب الرفاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب (ج/ ٦١٧٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (ج/ ٢٢٠).

ولذلك قال ابن حزم في زرادشت: «وأما زرادشت فقد قال كثير من المسلمين بنبوته... ليست النبوة بمدفوعة قبل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لمن صحَّت عنه معجزة، قال الله - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿وَإِنْ مِنْ أُنْبَيْهِ إِلَّا خَلَقْنَا نَحْنُ نَحْنُ﴾، وقال - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿وَرَسُولًا قَدْ فَصَّلَّيْنَاهُ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَرَسُولًا لَمْ نَفْصُلْنَاهُ عَلَيْكَ﴾. وقالوا إنَّ الذي ينسبه إليه المجوس من الأكذوبات باطلٌ مفترى منهم»⁽¹⁾.

وقال الشيخ رشيد رضا: «جميع أهل الملل القديمة كالمجوس والبوذية كانوا أهل كتاب وأتباع رسل⁽²⁾، ثم طرأ عليهم الشرك والوثنية بالتأويل، ولم يعد يعرف لكتابهم أصلُّ لطول العهد، وأما اليهود والنصارى فقد دلَّ القرآن على أن كتبهم لم تذهب كلها، بل أوتوا نصيباً منها ونسوا آخر. وما بقي لهم طرأ عليه التحرير؛ فلذلك ميتهم عن سائر أهل الملل بتسميتهم (أهل الكتاب)»⁽³⁾.

إننا لا نُثبت النبوة إلا لمن أثبَّتها له القرآن والستة، لكننا لا نستطيع أن نجزم أنَّ بعض الشخصيات التي تعظُّمها بعض الشعوب لم تُنلها النبوة حقاً، قبل أن يتم تحرير رسالتها.

خامسًا: كان التدوين قبل زمن المسيح -عليه السلام- أضعف مما صار إليه بعده. وعامة ما نعرفه عن دين الأمم السالفة يعود إلى ما دونه الملوك أو أصحابهم الوثنيون في شرح عقيدتهم أو تمجيدها، أو ما ظهر لنا من معابد الوثنين وأصنامهم؛ فالنarrative الدينى القديم لم يُحفظ في «موسوعات الأديان والفرق» على الطريقة الحديثة التي تعتمى بسر العقائد، وبيان أهلها. وفي مثل تلك الظروف، يبعد بجد أن تحفظ كتابات الملوك والأحبار ونقوش الجدران خبر الأنبياء الموحدين لجاهليات عصرهم.

(1) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والتحل، 1 / 91.

(2) لا نستطيع الجزم بذلك؛ وإنما هو احتمال قائم، يطلب برهاً إيجائياً ليصير حقيقة.

(3) محمد رشيد رضا، «تحرير المسلمين على غير المسلمين»، مجلة المثار، 1342هـ / 1924م، ص 25.

سادساً: أخبار الجماعات الدينية الصغيرة سريعة الزوال من الذاكرة، والشواهد القائمة بعد عصر المسيح -عليه السلام- - بعد انتشار الكتابة والجدل الديني - خير شاهد على ذلك؛ فكيف بما قبل ذلك؟ فإننا إلى اليوم لا نزال نكتشف كتبًا دينية قديمة كما هو حاصل في شأن بعض مخطوطات نجع الحمامي التي اكتشفت في مصر سنة 1945 م.

ومن يطالع كتابات آباء الكنيسة في الرد على الهرطقة، خاصة إيفانيوس أو بورحنا الدمشقي الذي عاش في عصر الدولة الأموية في كتابه «ينابيع المعرفة»؛ ستأخذنا الدهشة لكثرة الفرق الهرطيقية التي لا نعرف عنها اليوم غير اسمها، ولا نعرف من أمرها بعد ذلك أي شيء واقعي سوى أنها لم تكن على مذهب الكنيسة الأرثوذك司ية المتصرّفة في مجمع نيقية. ولا يزال النقاد إلى اليوم في انتظار كشف جديدة عن فرق دينية نصرانية مبكرة لم يُحفظ لنا منها شيء، لا الاسم ولا الكتب.

سابعاً: حفظ تاريخ «المصلحين» في عصر ما قبل المسيح ضعيف جدًا؛ إذ كثيراً ما يغشاه النسيان أو تسلط عليه الأساطير. ومن عجيب هذا الباب حديث التاريخ عن شخصية زرادشت؛ فرغم نشوء ديانة كاملة يزعم أهلها اتباع هذا الرجل، وتبني دولة ضخمة وقوية لهذا الدين، وامتلاكه لهذا الدين أسفاراً مقدسة، إلا أنَّ العلماء قد اختلعوا في الزمن الذي عاش فيه زرادشت اختلافاً عجيباً يمتد على ألف سنة؛ بين متتصف الألفية الثانية قبل الميلاد إلى متتصف الألفية الأولى قبل الميلاد^(١).

ثامناً: سبب أنَّ عامة الأنبياء الذين نعرفهم عاشوا في منطقة الشرق الأدنى القديم؛ ذكرهم في التوراة التي تهتم بالأنبياء من نسل يعقوب -عليه السلام-، والذين عاشوا في هذه المنطقة. كما أنَّ في القرآن ذكرًا واسعًا لأنبياء بني إسرائيل لما في قصصهم

Prods Skjaervo, 'Zoroastrian Dualism', in Armin Lange, Eric M. Meyers, Bennie Reynolds, eds., *Light (1) Against Darkness* (Vandenhoeck & Ruprecht, 2011), p.81.

من عبرة، ولإظهار إعجاز القرآن في ذكر قصص لا يعرفها غير الأخبار والرهبان،
ولأن القرآن فيه تصحيف لعقائد أهل الكتاب المجاورين للمسلمين.
ولولا أن القرآن نزل، وبنو إسرائيل صاروا أمّة تدون أخبار أنبيائهما، ما كان لنا أن
نعلم أن في الشرق الأدنى القديم رسالات وتُبُوات.

تاسعاً: قال رسول - صلى الله عليه وسلم - : «أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء
أولاد علات، وليس بيسي وبيتهنبي»^(١). ولذلك فالبحث عن النبوة التي يدعى بها
المسلمون يجب أن يتركز قبل زمن المسيح - عليه السلام -. وهنا لنا أن نسأل عن
علمنا بالتاريخي الدينى لقارة أمريكا وأستراليا وإفريقيا.

لا يملك أي باحث منصف أن يُحدّثنا عن معرفة تفصيلية بتاريخ الدعوات الدينية
في هذه القارات قبل المسيح؛ فعلمتنا لا يتجاوز المشهور من الديانات في أوروبا
وإفريقيا. وكثير من هذه المناطق لم تختلف قبل الميلاد شيئاً ذا بال من آثار التاريخ
لحال تَدَيُّتها غير فكرة عبادة الأصنام أو الأرواح أو بعض مظاهر الطبيعة.

عاشرًا: علمنا التفصيلي بالتاريخ القديم يبدأ مع بداية الألفية الثالثة قبل الميلاد -
بتدريج، مع تنامي ازدهار الكتابة وتوسيع العمارة المدني -^(٢)، وأماماً قبل ذلك فالصورة
غائمة جداً. ويتفق الباحثون أن منطقة الشرق الأدنى القديم قد عرفت من الألفية
الثالثة قبل الميلاد إلى الألف الأولى قبل الميلاد أعظم مظاهر الحضور المدني الحي
في العالم، وازدهرت فيها دول عظمى. ولذلك فهي أولى الأرض بكثرة الأنبياء.
الحادي عشر: السؤال الذي من الممكن أن يُطرح، ويكون موضع جدل هو: لماذا
بقي خبر النبوة في بنى إسرائيل وطمس في بقية الأمم؟

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها، (ح / 3258).
ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، (ح / 2365).

(٢) ما عليه عامة الباحثين اليوم، هو أن الشكل الأ towels للكتابة قد ظهر متصرف الألفية الرابعة قبل الميلاد أو آخرها.

وجواب ذلك أنّ النبوة في بني إسرائيل قد تميزت بأمور لم تعرفها مجتمعه الأمم الأخرى؛ وهي:

- كثرة الأنبياء.
- اجتماع هؤلاء الأنبياء على رسالة واحدة.
- تتابع الأنبياء في كلّ جيل على مدى فترى طويلة؛ حتى قال النبي الإسلام - صلى الله عليه وسلم - «كَانَتْ بُنُوٰ إِسْرَائِيلَ تَشَوُّهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ»⁽¹⁾.
- ظهور أكثر من دولة لهم في تاريخهم الطويل. وقيام هذه الدول على الانتماء الديني والعرقي؛ بما يجعل الحفاظ على الموروث الديني ضرورة من ضرورات الهوية.
- ظهور أسفار دينية مكتوبة، وشعائر دينية مفروضة؛ بما يجعل الأجيال اللاحقة متواصلة مع الأجيال السابقة.

(1) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، (ح / 3455)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء بيعة الخلفاء، الأول فالاول، (ح / 1842).

المبحث الرابع

إنكار النبوة والمعجزات في الرؤية الطبيعانية

البحث الأركيولوجي لا يبدأ من الصفر المعرفي، فهو كغيره من العلوم، ينطلق دائمًا من مقدمات كونية ومعرفية أولى؛ وهي تتعلق بمنهج العمل أو بمبادئ الفهم. وأركيولوجيا الكتاب المقدس والقرآن لا تُستثنى من هذا الأمر، بل هي أولى من غيرها لتعلقها بمقالات دينية وجودية.

والناظر في أمر الجدل في تاريخية القصص التاريخي في القرآن والكتاب المقدس، يدرك أنَّ هذا القصص لا يمكن أن يُبحث فيه بالدليل الأركيولوجي حصرًا؛ فإنه قائم في بعض أوجهه على إثبات ظاهرة الوحي ذات الصبغة فوق الطبيعية، وإثبات خوارق الأفعال، كانشقاق البحر وإنزال المن والسلوى وإحياء الموتى.

واليباحثون الغربيون الملاحدة أو اللادينبيون أو اللاأدريون – وهم عامة الباحثين في باب الأركيولوجيا الكتابية – يبدؤون من إنكار ظاهرة النبوة والمعجزات، ولا يطرونها للنقاش، ولا يجعلون احتمال تصديقها ممكناً. وهم بذلك يُسقطون أصلاً تاريخية نصوص كثيرة قبل البدء في النظر، ويرونها من جنس الخرافات ووهم الذهماء التي تُنقل دون تمحیص.

وهذا أمر متكرر أيضًا في كتابات فراس السواح المولع بعبارة «أساطير» و«ملامح» كلما رأى في التوراة خبر معجزة؛ ليلحق هذا الخبر آليًا بجنس الأكاذيب والأباطيل، دون أن يميز بين ما تعجز الأركيولوجيا أن تبحثه لطبيعته الخارقة، وما تملك أن تفنيه لمخالفته حقائق التاريخ. وقد بلغ السواح في مذهبة أقصاه؛ إذ زعم أنَّ التاريخ كان ملازمًا للأسطورة ضرورة، «وأخذت الكتابة التاريخية تستقل عن الأسطورة عندما لم يعد الإنسان القديم يرى في الأحداث الماضية، أو الأحداث

الحاضرة، تناجاً لتدخل القوى الماورائية⁽¹⁾. وأنكر بحدة على من يقبلون ظاهرة النبوة في الغرب أو بعض تاريخها غير الخارق، بقوله: «ورغم عقلانية الفكر الغربي الذي يرفض كل ما هو «معجز» و«خارق» وأسطوري»، فقد راح هذا الفكر يبحث في ركام الأساطير والخرافات التوراتية باعتبارها صياغات رمزية تتطوّر على حقائق تاريخية⁽²⁾.

ولإنكار الخوارق، وظهور نزول الوحي، والتواصل مع الملائكة، لا بد أن يجعل النبوة مسألة مرفوضة بدءاً؛ بما يجعل القول بخرافية النبوة ذاتها واجباً، وهو ما يحفر الباحث غير المتدبر إلى الجزم أنه لم يوجد رجال يجمعون الصدق وادعاء النبوة؛ فهؤلاء الرجال عنده إما شخصيات خرافية أو أنبياء زور.

إن الإيمان بالخوارق فرع عن الإيمان بالله الذي أنشأ الوجود من عدم، وهيا الأسباب وأوجد النظم، ويجري القوانين ويعطلها حين يشاء. فمن أراد أن يجادل في تاريخية المعجزات؛ فليعد الفهقرى إلى الوراء، أي إلى ما قبل البحث الأركيولوجي، لينظر في أمر وجود الإله الذي خلق القوانين وأجرأها⁽³⁾.

وأما الأركيولوجيا، فهي لا تبحث في المعجزات، نفيًا أو إثباتًا؛ فالالأصل في الخوارق ألا أثر لها في دفائن الأرض، إلا أن يثبت بصورة ما خلاف ذلك، وهو نادر إن وجد. فالشاهد الأركيولوجي ليس حجّة نفي ولا إثبات في أمر الخوارق. يقول الأركيولوجي إريك كلاين⁽⁴⁾ في الخوارق التي جرت زمن موسى -عليه السلام-: «ليس لدينا دليل واحد حتى الآن. لا يوجد شيء [متوفّر] من الناحية الأثرية يشهد

(1) فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ص. 8.

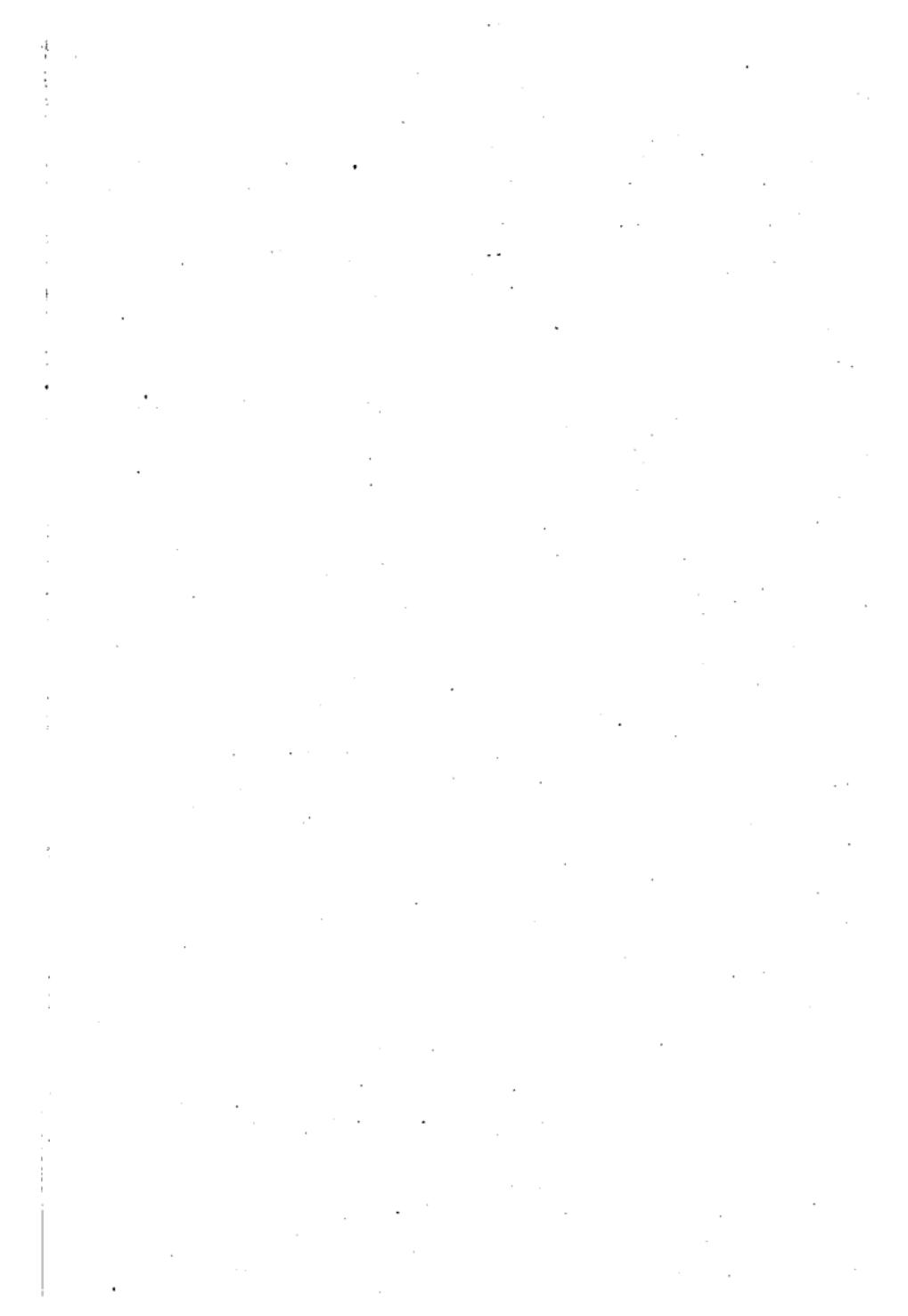
(2) المصدر السابق، ص 10.

(3) انظر في المعجزة، وإمكانها عقلاً، والردة على هيوم وسينوزا: سامي عامري، براهين النبوة (لندن: مركز تكوير، 1438هـ/2017م)، ص 45 - 63.

(4) إريك كلاين Eric Cline (1960): أستاذ التاريخ القديم والأركيولوجيا في جامعة جورج واشنطن، والرئيس السابق لقسم اللغات الكلامية ولغات الشرق الأدنى القديم وحضارتها.

على أي شيء في القصة التوراتية. لا طاعون، لا انفلونزا للبحر الأحمر، لا طعام المتن من السماء، لا تيه لمدة 40 سنة ومع ذلك، يجب أن أضيف أنه لا يوجد أي دليل أثري يثبت عدم حدوث ذلك. لذلك في هذه المرحلة الزمنية، لا يمكن استخدام السجل الأثري لتأكيد أو إنكار حادثة الخروج⁽¹⁾.

Eric Cline, *From Eden to Exile: Unraveling Mysteries of the Bible* (Washington, DC: National Geographic Society, 2012), p. 90.



الفصل الثالث: التوراة في ميزان البحث الأركيولوجي

أعظم مغالطة يمارسها الذين يطعنون في صدق الخبر القرآني عن الأنبياء، أو في وجود هؤلاء الأنبياء رأساً، البدء بدراسة سيرتهم التوراتية، وجسم الأمر في تاريخيتهم بناء على إدانة التوراة اليهودية لما فيها من خطأ، دون اعتبار كون التوراة ليست حجّة على القرآن، بل في القرآن تنبّهات ضمّنّية لأخطائهما التاريخية في مرات كثيرة. كما أن صحت الخبر القرآني يجب ألا يُؤوّل على أنه موافقة؛ فالقاعدة آنـه «لا يُنسب إلى ساكت مقال»!

وللاستشهاد بخطأ التوراة للتشكيك في القرآن، سببان، أولهما أن التوراة أسبق في الإشارة إلى هؤلاء الأنبياء من القرآن، بما يجعل خطأ التوراة بعد ذلك حجّة على الكتاب التالي، وثانيهما اتفاق المستشرقين والمنصرين على أن الخبر التاريخي القرآني كله أو جله أصله التراث اليهودي القانوني والأبوكريفي.

وأوجه إلباب القرآن ثوب الإدانة بسبب منكرات التوراة، كثيرة؛ منها إنكار وجود آدم عليه السلام لأن نصوص التوراة تنسب عصره إلى بضعة آلاف سنة من الآن، وإنكار وجود موسى عليه السلام لزعم التوراة أن الإسرائيлик كان عددهم مليونياً في مصر، وإنكار وجود سليمان عليه السلام؛ لأن ملكه في التوراة أعظم مما يمكن أن يكون في القرن العاشر قبل الميلاد، وإنكار وجود أيوب عليه السلام؛ لأن سفر أيوب التوراتي لا يحمل أثارة نبوة، وإنما هو عمل فلسفي لمناقشة مشكلة الشر في وجود خلقه إله حكيم عادل.

ورغم ما سبق، فعلينا أن نقرّ أن البحث في صحة الخبر القرآني لتاريخية الأنبياء، يرتبط بما جاء في هذه التوراة من جهات مختلفة، أولها أن التوراة وإن كان خالطها

كثير من التحريف، إلا أنها تبقى وثيقة تاريخية قديمة جديرة بأن تكون حجة إذا دُفعت عنها أهم اعترافات تيار «الحد الأدنى»، وثانيها أن التوراة بما فيها من تفاصيل تاريخية كثيرة، قابلة للاختبار الأركيولوجي، فمن الممكن أن ثبت صدق وجود بعض الأنبياء بطريقة غير مباشرة، إذا كان الخبر الوارد فيها، والصادق أركيولوجياً، يتضمن في بعض تفاصيله - غير المثبتة أركيولوجياً - الإشارة إلى وجود النبي محل البحث.

واليوم، كما القرن الماضي، يدور صراع فكري كبير على الساحة العلمية في شأن حججية التوراة في البحث التاريخي عن أنبياء التوراة؛ إذ يُهدَر تيار «الحد الأدنى» القيمة التاريخية للخبر التاريخي التوراتي، ويرى فصوله مجرد صناعة مؤدلجة؛ لاختلافتراث قديم مجيد. في حين يقف أكثر من اتجاه علمي أمام هذا الرأي، على تفاوت في تقدير القيمة التاريخية للأسفار المقدسة لليهود.

وهذا الجدل يقتضي أن نوجّه همتنا للإجابة عن ثلاثة أسئلة:

- ما مبلغ علمية إهانة القيمة التاريخية للتوراة؟
 - إذا كان الخبر السياسي في التوراة الوجه الأبرز للمدخل الأركيولوجي؛ فهل هناك أوجه لتقاطع البحث الأركيولوجي والخبر السياسي التوراتي؟
 - ما هي دلالات تقاطع البحث الأركيولوجي والخبر التوراتي - إن وجد -؟
- أجوبة الأسئلة السابقة، ستفتح علينا أمام أعظم أوجه السجال بين تيار «الحد الأدنى» ومخالفيه. وستنتهي هذه الأجوبة إلى الكشف عن مصدر تاريخي عظيم يشكل قاعدة قوية لإقامة دعوى تاريخية الأنبياء، أو إهانة هذا المصدر؛ ليكون أصحاب دعوى تاريخية الأنبياء أسرى الكشف الأثري وحده (من بين المصادر البشرية الممكنة).

المبحث الأول

القراءة العدمية للخبر التوراتي

القراءة العدمية للخبر التاريخي في التوراة؛ بحسبته كله، أو جلّه؛ إلى الفعل التآمري للنساخ، مذهب متشنّج، لم تصنّعه القراءة الوعائية التي تنطلق من الشواهد للوصول إلى النتائج، وإنما هو صناعة أقلام لا تكترث بصلابة المقدّمات لصناعة المذهب، وهو ما يظهر بقراءة هذا المذهب في ضوء طبائع التاريخ.

المطلب الأول: تطافر دعوى زيف الخبر التوراتي

تقوم دعوى القائلين بخرافية ما جاء من أخبار تاريخية في العهد القديم على أنّ القرون التي تفصل زمن الأحداث عن زمن التدوين - والتي قد تضيق إلى ثلاثة قرون أو قرنين فقط أحياناً - كفيلة باستحداث تاريخ مزور كليّة في أمّة هويتها الأولى دينية / عرقية، تشكّلت منذ قرون، ولها تاريخ طويل قبل السبي البابلي، وكانت لها دولتان في فلسطين باعتراف جمهور الأركيولوجيين، على اختلاف مذاهبهم ! إنّ الجزم أنّ بنى إسرائيل قد احتلّوا تاريخاً مزيكاً برمتّه في لحظة تاريخية خاطفة، دعوى متشنّجة تتغافل عن أنّ بنى إسرائيل أمّة لها عناية خاصة بتراثها الذي تستمدّ منه هويتها، وأنّ تحريف الأمم تاريخها لا يكون بهذا الشكل الساذج المدعى. ولذلك قال الناقد البريطاني إ. و. نيكولسون⁽¹⁾ حول دعوى فان سيترز - أحد أعلام مدرسة «الحد الأدنى» - : «الإشكال في نظرة فان سيترز هو أنه يتطلّب منا أن نؤمن أنه من الممكن لرواية مرتكبة قد تتمّ صياغتها بصورة حديثة جدّاً حول سلف إسرائيلي، أن تصير من فورها مهمّة جداً عند الناس وواسعة الانتشار في زمن السبي، ومعروفة ليس

(1) إرنست ويلسون نيكولسون Ernest Wilson Nicholson (1938 - 2013) : قسيس وناقد بريطاني متخصص في الدراسات التوراتية. درّس في جامعة أوكسفورد.

عند المسيحيين وحدهم، وإنما عند الذين يسكنون يهودا والكتاب الشنتوين كذلك^(١). إن حقيقة أن التوراة تمثل أهم وثيقة تاريخية بشرية في شأن أنبياءبني إسرائيل؛ لأنها أقرب نص تفصيلي إلى الأحداث المروية، يجب لأن تُهدر على مذبح ثقافة عصر «ما بعد الحداثة» حيث تُرْهَق العدمية التاريخية إمكان المعرفة، ولا أن تُطمس بسبب الأخطاء والمبالغات التوراتية؛ فإن عيوب الوثيقة التاريخية لا يلزم منها إهدار قيمة هذه الوثيقة كلية؛ فإن هذه العيوب نفسها قد توجد في الوثائق المعاصرة للأحداث، ومع ذلك لا يُهم المؤرخون تلك الوثيقة؛ وإنما يستلُون الحق من بين ركام الأخطاء والتناقضات.

إن هذا المذهب المتسلّح، أثر للترنّعة التقويضية deconstructionism في قراءة التاريخ عند أعلام مدرسة «الحد الأدنى»، والتي يقوم منهاجها في البحث والسجل على المبالغة، والتسييف، والعدوانية. وقد لاحظ دifer ذلك في نقاط تظهر حقيقة هذا المنهج:

- هاجم المؤسسات، بدعاوى «التطور الثوري». وإذا احتاج الأمر أن تخالف أبحاثك القديمة؛ فافعل ذلك، مدعياً أنك لم تخالفها.
- اصنع ثنائية متناقضة من الأفكار، والتارات، ليس لها وجود على هذه الصورة في الواقع، وانتصر لواحدة منها على حساب الأخرى.
- انكر الإجماع، واصنع مذهبًا «وسطاً»، ووجه الدليل إلى أقصى الاحتمالات، واستمتع بمذهبك الغريب.
- اصنع صورة كاريكاتورية للمذهب العلمي التقليدي، وشيطن ما بقي لك من خصوم.
- انكر وجود حقائق موضوعية، وقل إن كل شيء نسبي، وكل تأويل محل شك، حاشا تأويلك.

Review of J. Van Seters, 'Abraham in History and Tradition', by E.W. Nicholson, *JTS* 30, 1979, 227. (1)

- ازعم أنك علمي، وأهمل الشواهد التي تخالف مذهبك.
- ازعم أنك من الأقلية العلمية المضطهدة، وتتمتع بامتيازات النخبة.
- أجعل الشكوكية مذهبًا علميًّا، وافخر بأنك لا تملك من المعرفة الحقيقة إلا القليل؛ فذاك يُظهر توافقك وأمانتك.
- تذكر أنَّ المشكلة الحقيقة هي دائمًا الأيديولوجيا: العرق والنوع والطبقة والقوة، وفوق ذلك السياسة. اكشف أيديولوجيات الآخرين، وأنكر أن تكون لك أيديولوجيا تحرّكك بعنف.
- ارفع أمر اللغة الخطابية، لتعتمي على القضايا الحقيقة⁽¹⁾.
- تلك هي معالم المنهج الذي يريد إعدام شهادة التراث اليهودي كليًّا؛ حتى لا يبقى من الماضي غير الصور الغامضة؛ فعندما بالإمكان أن يصنع من شاء ما شاء من القراءات المتطرفة لما تصرَّم من الأيام.

المطلب الثاني: ظاهرة حفظ الأمم تراثها القديم

إنَّ حفظ التراث الديني أو القومي على مدى قرون، ليس رهين وجود مطبع أو مؤلفات تُنسخ باليد وتُتداول بكثافة في المكتبات؛ فإنَّ حفظ تراث السلف، ظاهرة معروفة في عامة الأمم القديمة؛ فإنَّ الجماعات القديمة كانت تحفظ هويتها بحافظتها على تراثها شفهيًّا. ولا شكَّ أنَّ الشأن التاريخي في بنى إسرائيل يحمل البعدين الديني والقومي.

وقيام التشكيك في الخبر التوراتي على الاستبعاد التام لحفظ بنى إسرائيل تاريخهم شفهيًّا على مدى قرون قبل تدوينه مكتوبًا، غافل عن شواهد التاريخ على حفظ الأمم لتفاصيل تاريخها شفهيًّا على مدى زمن طويل. ومن أمثلة ذلك:

الحييون: حفظت لنا نسخُ أعمال أنتا - ملك مدينة كسرا - والتي كتبت منذ القرن

William Dever, *What Did the Biblical Writers Know and When did they Know it?*, p.52. (1)

16 إلى القرن 13 ق.م، سجلاً موثقاً لأمير كسرا الذي عاش في وقت مبكر في القرن التاسع عشر أو الثامن قبل الميلاد⁽¹⁾.

لوحة أعمال أنيتا
متحف الآثار، إسطنبول



أوغاريت: عثر في مدينة أوغاريت - الصغيرة ولكن الثرية - في سوريا على قائمة للملوك المحليين (حوالي 1200 قبل الميلاد) فيها حوالي 36 ملكاً انتهاء إلى يقاروم المؤسس (حوالي 1900 أو 1800 قبل الميلاد). وهي مدة تبلغ من 600 إلى 700 سنة⁽²⁾.

بلاد ما بين النهرين: يشتراك حمورابي - ملك بابل -، وخصمه اللدود شمشي أدد الأول - ملك آشور - في سلف مشترك - نُوبُو - الذي عاش قبل 16 جيلاً من حمورابي و 14 جيلاً من شمشي أدد. وقبل نوابو، يذكر التراث البابلي 10 أسلاف حتى البداية، في حين يذكر التراث الآشوري أحد عشر سلفاً. والتشابه بين القائمتين كبير وكثير. وهو يمتد إلى قرابة ستة قرون من الزمان⁽³⁾.

Kitchen, "The Patriarchal Age: Myth or History?" *Biblical Archaeology Review* 21.2 (1995): 48, 50, (1) 52-57, 88, 90, 92, 94.

Kitchen, "The King - List of Ugarit," in *Ugarit - Forschungen* 9 (1977), pp. 131-142. (2)
K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament* (Grand Rapids, Mich.: W.B. Eerdmans, 2006), p.368. (3)

مصر: في مصر، تمكّنت العائلات العادية من تتبع أصولها عبر قرون. ومن الأمثلة المثيرة للاهتمام في هذا الباب تحديداً رجل مصرى يُدعى موس (وليس هو موسى - عليه السلام-) فاز بدعوى قضائية في عهد رمسيس الثاني (حوالى 1250 قبل الميلاد) على أرض مُنحت لسلفه - نيشي - حوالي عام 1550 قبل الميلاد -. وقد اعتمد موس على سجل معاصر له في ذلك الوقت⁽¹⁾.

وقبل ذلك، حوالي 1900 ق.م، أمر آخر - حتب ابنه، حاكم الإقليم الرابع عشر من أقاليم مصر العليا، بنوش قائمة أجداده الحكوميين التسعة والخمسين مع زوجاتهم. وطرف هذه القائمة الأبعد عاش حوالي 2600 - 2500 ق.م، أي قبل 600 - 700 سنة⁽²⁾.

كما نعلم من شجرة نسب كاهن عاش في القرن الثامن قبل الميلاد، أسلافه لأكثر من ألف سنة حتى الأسرة الحاكمة الحادية عشر (حوالى 2000 ق.م)⁽³⁾.

بل إننا نقرأ في حكاية السحرة التي كُتبت للتسلية في بردية وستكار التي تعود إلى حوالي سنة 1600 ق.م، عن عجائب في بلاط الحكم من بناء الأهرام الذين يرجعون لحوالي سنة 2600 ق.م. وقد حفظت هذه الحكايات تسلسلاً أصلياً لأربعة أجيال من الملوك على صورة يُعوّل عليها تاريخياً، ثم ثلاثة أجيال أخرى. وعامة الأسماء صحّحة، مع ترتيب سليم لجميعها⁽⁴⁾.

وقد عُرفت التراتيل المقدسة إلى أورايوس⁽⁵⁾ لأول مرة زمن حكم رمسيس الثاني (القرن الثالث عشر)، ثم وُجدت بعد ذلك بألف سنة تحت البطلميين. وعندنا تعويذتان تعودان إلى القرون 14 - 12 ق.م، تُسخّتا بعد حوالي تسعمائة سنة في وثاق حوالي 320 ق.م.⁽⁶⁾

See G. A. Gaballa, *The Memphite Tomb - Chapel of Mose* (Warminster, England - Aris & Phillips, 1972). (1)

K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.369. (2)

Ibid. (3)

Ibid. (4)

(5) أورايوس: إله على شكل حبة.

Ibid., pp.302 - 303. (6)

إن أمر عادة الأمم القديمة حفظ عامة تراثها أو بعضه على مدى قرون، معلوم، مشهور؛ حتى إن الأركيولوجي ولIAM ديفر - رغم تشكيكه في كثير من تفاصيل قصص الأنبياء المتقدمين في التوراة - قد أقرَّ أنَّ كثيراً من الوثائق المكتوبة في الشرق الأدنى من الممكن القول إنَّها تقوم على تراث شفهي قديم حُفظ لقرون بدقة مدهشة⁽¹⁾؛ كما أشار إلى أنَّ البحث الأركيولوجي قد أثبت صدق خبر وجود المناطق الإسرائيليَّة وغير الإسرائيليَّة المذكورة في سفر القضاة، رغم أنَّ هذا السفر قد كُتب بعد قرون من الأحداث⁽²⁾.

William G. Dever, *Has Archaeology Buried the Bible?*, p.22. (1)
Ibid., p.52. (2)

المبحث الثاني

تاريخية الخبر السياسي في التوراة

إنكار القيمة التاريخية لأخبار أسفار العهد القديم، أصله القول إن ما نعرفه من تاريخ بني إسرائيل في الأسفار المقدسة، محض أباطيل اخترعها الأحبار والنساخ بعد عصر السبي البابلي كما هو مذهب مدرسة «الحد الأدنى». وخير طريق لاختبار صدق هذه المعارضة، النظر في أهم أخبار التاريخ السياسي التي جاءت في هذه الأسفار مما يتطابق مع التاريخ المعلوم أركيولوجياً.

والأولى استبعاد تاريخ بني إسرائيل السابق لداود -عليه السلام- من هذا الاختبار؛ لقيام أسباب كثيرة تمنع حفظ أخبار هذه الفترة في الآثار -سيأتي تفصيلها في البابين الثالث والرابع-، منها قلة عدد الإسرائيليين في العصور الأولى، وعصور الاستضعاف المتالية، كما أن عصر المملكة المتحدة حتى موت سليمان -عليه السلام- ليس اختياراً جاداً؛ لأن عصر المملكة المتحدة ضعيف الاتصال بالدول المجاورة لفلسطين.

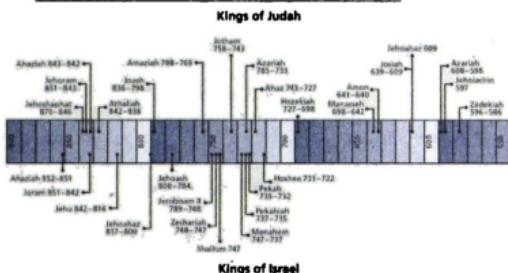
ولذلك فال الخيار الأفضل هو عصر قيام دولتين قويتين لبني إسرائيل بعد عصر سليمان -عليه السلام-؛ فقد امتد تاريخهما -في مجموعه- لقرون، مع تماس فلسطين في ذاك العصر مع الحضارات المجاورة، ووجود أسماء أعلام كثيرة في أسفار العهد القديم عن هذا العصر؛ بما يجعل الحكم على تاريخية جوهر قصص ذاك العصر، جاداً.

ولعلمنا أن التاريخ القديم لا يحتفظ في الغالب إلا بالملوك والشخصيات السياسية الكبرى؛ لاحتفاء النقوش على المعابد والعمارات والحوليات الرسمية بأسمائهم؛ ستنظر هنا في تاريخية الملك الذين حكموا مملكتي يهودا والسامرة بعد موت سليمان -عليه السلام- حتى سقوط الأخيرة منهمما (مملكة يهودا) في بداية

القرن السادس قبل الميلاد. كما سنبحث في أسماء غير الملوك، من بنى إسرائيل، والملوك المجاورين لإسرائيل. ونترك استخلاص نتائج هذا السبر التاريخي إلى المبحث الثالث.

الترتيب التقريري لملوك إسرائيل وبهودا⁽¹⁾

► The Chronology of the Kings of Israel and Judah



المطلب الأول: حكم المملكة الشمالية في الشواهد الأركيولوجية

يُخبرنا الفصل 12 من سفر الملوك الأول والفصل 10 من سفر أخبار الأيام الثاني أنه بعد موت سليمان عليه السلام، اجتمع بنو إسرائيل - باستثناء سبط يهودا وسبط بنiamin - على تنصيب يربعم شيكيم (نابلس) عاصمة لدولته.

وقد كانت هذه المملكة قوية، ولكن لم يطل عمرها؛ فقد عاشت - تقريرياً - من 930 إلى 720 ق.م. ورغم هذه الحياة القصيرة إلا أنَّ البحث الأركيولوجي قد كشف أسماء عدد كبير من ملوكها.
ومن هؤلاء الملوك:

J. H. Walton, *Zondervan Illustrated Bible Backgrounds Commentary (Old Testament) Volume 3: 1 (1) & 2 Kings, 1 & 2 Chronicles, Ezra, Nehemiah, Esther* (Grand Rapids, MI: Zondervan, 2009), p.113.

الملك عمرى لزمى (884 - 874 ق.م)⁽¹⁾:

الملك عمرى، الملك السادس لمملكة إسرائيل، كان قائداً للجيش قبل أن يتولى الحكم من (حوالي) 886 ق.م إلى 875 ق.م. بنى عمرى مدينة السامرية، واتخذها عاصمة للدولة. وقد كان منحرفاً في عقيدته؛ إذ عبد الأصنام، وعمل من الشر ما لم يفعله أحد من ملوك إسرائيل السابقين⁽²⁾.

جاء ذكر عمرى في مسلة الملك ميشع⁽³⁾ المكتشفة في ذبيان (في الأردن) سنة 1868 م، والتي تُقَسِّط حوالى 840 - 830 ق.م. وهي التي تُسمى أحياناً الصخرة الموأية Moabite Stone لأنها تعود إلى ميشع ملك موآب الذي كان في هذه المسلة يصف فضل آلهته كماش W³¹² التي كان يرى أنها خلصته من عدوه إسرائيل. جاء في هذه المسلة:

٩٧٢ كلاج ٤٥

عمرى ملك إسرائيل

وفيها ذكر للمواييin، وأن «ابن» عمرى قد قال: «سأعدو على موآب». والنص المحفوظ برمته يقول: «أنا ميشع بن كموش ملك موآب الديباني، أبي ملك على موآب ثلاثين سنة، وأنا ملكت بعد أبي، وأنشأت هذا المكان المرتفع (نصب) لكموش «صنم» بقرحة (اسم المدينة)؛ لأنه أعايني على كل الملوك؛ ولأنه أرايني في أعدائي (أناح لي الفرصة للتغلب على أعدائي)، أما عمرى ملك إسرائيل، فإنه عذب موآب أيامًا كثيرة، حتى غضب كموش على أرضه، فأعقبه ابنه وقال سأعذب موآب

(1) هذا التاريخ، وما بعده، تقريبي.

(2) بطرس عبد الملك وأخرون، قاموس الكتاب المقدس (القاهرة: دار الثقافة، 1995 م)، ص 638 - 639، J. Dearman and G. L. Mattingly, art. Mesha Stele, in D. N. Freedman, ed., *The Anchor Yale Bible Dictionary* (New York: Doubleday, 1996), 4/708.

Mesha Stele (3)

في أيامي. قال: فنظرت إليه وإلى بيته (انتقمت منه)، وإسرائيل باد، باد إلى الأبد (ضررتهم ضربة قاضية)، وورث عمري كل أرض مهديها، وسكن بها في أيامه، ونصف أيام ابنهأربعين سنة، وأرجعها إلى كموش في أيامي، فبنيت بعل معان، وأنشأت بها أشوح (بركة)؟، وبنيت قريتان (مدينة). وكان أهل جاد (من بنى إسرائيل) يسكنون في أرض عطرت (مدينة). وقتل كل أهل المدينة، فقررت عين كموش وموآب، ورددت من هناك هيكل دوده، وسجّبته أما كموش بقريت (اسم مدينة) وأسكنت بها أهل شران وأهل محرت، فقال لي كموش: اذهب وخذ نبه (اسم جبل) من بنى إسرائيل، فسرت بالليل، وحارست بها من مطلع الفجر إلى الظهر، وأخذتها وقتلت جميعهم (وهم) سبعة آلاف رجل وامرأة وجارية، وأحرمتهم (قدمتهم قرباناً) لعشرة كموش، وأخذت من ذلك المكان (ما وجد في هيكل) يهوه وأتيت بها إلى كموش، وملك إسرائيل عمر يهص (اسم مدينة) وسكن بها وهو يحاربني، فطرده كموش من أيامي، وأخذت من موآب مائتي رجل من عظمائهم، وسيرتهم إلى يهص وأخذتها (فتحتها)، فضمتها إلى دبيان. أنا بنيت قرحة وحمت هيرعن وهمت هعوفل (أسماء ثلاثة مدن) فبنيت أبوابها وبنيت أبراجها. وأنا بنيت بيت الملك. وأنشأت البركتين بقرب المدينة، ولم توجد بئر في داخل القرحة، فقلت للشعب: أجعلوا لكم آباراً في بيوتكم، وأنا قطعت الأشجار على أيدي الأسرى من بنى إسرائيل، أنا بنيت عرعر (مدينة). وأنا مهدت الطريق إلى أرنن. أنا بنيت الأنصاب؛ لأنه كان (تخرّب)، وبنيت بصرى (مدينة) لأنها كانت خراباً... دبيان خمسين، لأن دبيان خضعت لي، وأنا حكمت.. (لأن) مائة المدن إلى ضممتها إلى المملكة.. وأنا بنيت مهديها وبيت ديلتان وبنيت بعل معان، وسیرت إليها.. غنم البلاد وحورنان (مدينة) وأسكنت و.. فقال لي كموش انزل لتقابل كموش، فنزلت.. كموش في زمان و.. ومن ثم... وأنا...»^(١).

(١) الترجمة العربية لولفنسون: يحيى عبابة، اللغة المؤابية في نقش ميشع (الذكر: جامعة مؤتة، 1420هـ/2000م) ص 207 - 208.

ويقول فراس السواح في الدفاع عن صدق الدلالة التاريخية لهذا النص على الخبر التوراتي الذي وقع في «فلسطين»: «فالحجر الموآبي قد عُثر عليه بين خرائب مدينة ذبيان في الموقع المعروف منذ زمن طويل بخرابة ذبيان بشرقي الأردن، بين عدد كبير من الآثار الموآبية، وصاحب النصب يذكر بلسانه أنه ميشع ملك موآب الديياني، وأنه قد هزم الإسرائليين وعمر ما خربوه إيتان سيطرتهم على بلاده، ثم يأتي على ذكر عدد كبير من المدن الموآبية، وكلها مذكورة في التوراة، ورواية ميشع على نصبه التذكاري تتفق مع الرواية التوراتية في الخطوط العريضة ولا تتناقض معها»⁽¹⁾.

المسلة ميشع



كما جاء ذكر الملك عمري في المسلة السوداء لشلمنصر الثالث⁽²⁾ ملك آشور، كما سندكتها لاحقاً. وجاء ذكر وفاة الملك عمري في وثائق آشورية أخرى تعود إلى

(1) فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم (دمشق: دار علاء الدين، 1997)، ص 310.
The Black Obelisk of Shalmaneser III (2)

القرن الثامن قبل الميلاد حيث كانت تُدعى مملكة إسرائيل «أرض عمرى»^(١). الملك أخاب أخاب (874 - 853 ق.م) والملك يهورام (هزوم 852 - 841 ق.م): أخاب^(٢)، الملك السابع لمملكة إسرائيل. ابن الملك عمرى وخليفةه. ملك على المملكة الشمالية أثناء حكم آسا ملك يهودا. وقد كانت له نجاحات عسكرية مميزة. يقول سفر ملوك 19/16 إن النبي إيليا (إلياس - عليه السلام-) قد أمره بأن يمسح ياهوَبْنِ نُمثِي ملِكًا على إسرائيل. ومن أعظم آثاره عبادته للبعل؛ فقد تزوج ابنة ملك صيدون التي كانت امرأة وثنية^(٣).

وأما يهورام، فهو ابن أخاب من إسرائيل. وقد خلف أخاه أخريا. أزال يهورام عبادة البعل الذي كان يُعبد في قومه، غير أنه كان يعبد العجلين. وقد هُزم في آخر حياته في معركته مع حزائيل ملك آرام^(٤).

جاء ذكر الملك أخاب والملك يهورام في نقش تل دان (شمال سهل الجولة) الذي يعود إلى آخر القرن التاسع قبل الميلاد، والذي صُنع لتمجيد ذكرى انتصار حزائيل ملك آرام على إسرائيل. ورغم أن اسم أخاب قد ضاع أثره من المحفوظ من النقش؛ إلا أن النقش يدل على وجوده في الأصل الأول^(٥):

[قتلتْ يهو][رام، ابن [أخاب]، ملك إسرائيل. [قتللتْ آيت. يهو][رم. بر. [أخاب].
מלך. ישראל.]

وكثلتْ آيت. يهو[رم. بر. [يهورام. مل].
ك. ب. ث. د. و.]

وقتلتْ آخر[ياهو بن [يهورام مل].]
ك. ب. ث. د. و.

(١) John D. Currid and David P Barrett, *Crossway ESV Bible Atlas* (wheaton: Crossway Books, 2010), p.143
 (٢) بالباء كما في ترجمة الفاندايك للكتاب المقدس. وُكتب «أحاب» بالباء. وهو الموافق للحرف العربي.
 (٣) بطرس عبد الملك وأخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص 30.
 (٤) المصدر السابق، ص 1093.
 (٥) Hallvard Hagelia, *The Dan Debate: The Tel Dan Inscription in Recent Research* (Sheffield Phoenix Press, 2009), p.11.

نقش تل دان بالآرامية القديمة، والحرف الفينيقية



قال كثت كشن تعليقاً على هذا النقوش، بصورته المحفوظةاليوم: «الملك الوحدى لإسرائيل الذي ينتهي اسمه بـ: رام، والذي لوالده اسم من أربعة أحرف، هو يـ - (هـ) - وـ - رـ - مـ^(١)، ابن أخاب، المقتول سنة 841 ق.م. الشخص الآخر الموافق لـ [...] ياهو بن [...] المرتبط ببيت داود، والمقتول في الوقت نفسه، من البعيد بجد أن يكون غير أخرياً^(٢) الملك اليهودي المعاصر للأحداث، وقد قُتل الاثنان بفعل ياهو»^(٣). كما يشهد جماهير النقاد أن ذكر أخاب قد ورد في نصب كورح لحملات شلمنصر الثالث (وآشور ناصري بالثاني)، ومنها المعركة التي جرت في قرقر (شمال سوريا)؛ فقد ذكر فيه أن تحالفًا عسكريًا ضمّ مجموعة من الممالك قد اتحد لمحاربة شلمنصر

(١) ٦٧٠٨.

(٢) الاسم في العبرية ينتهي بالهاء والواو.

(٣) السلوك ٨ / ٢٦: «וְקָان אֶחָזִיתָא בֵּן אַנְתֵּנָא עֲשֵׂרִין שָׁנָה גַּם מֶלֶךְ». «בְּצִדְקוֹתָיו יִשְׁגַּד לְשָׁגָגָה בְּטַלְגָּה».

K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.92. (3)

الثالث، ومن المشاركين في هذا التحالف الملك أخاب الذي أرسل إلى تلك المعركة ألفي عربة وعشرة آلاف جندي^(١).

نصب كورح
المتحف البريطاني، لندن



(١) انظر في التعليق على هذا النص، ودفع الإشكالات عن هذه القراءة.

Brad Kelle, 'What's in a Name? Neo-Assyrian Designations for the Northern Kingdom and Their Implications for Israelite History and Biblical Interpretation', *Journal of Biblical Literature*, 2002.

121 (4): 641 - 646.

الملك ياهو يهوا (841 - 814 ق.م):

ياهو بن يهوشافاط، الملك العاشر لمملكة إسرائيل، ومؤسس الأسرة الرابعة في المملكة الشمالية. معنى اسمه «هو يهوه». وقد حكم في النصف الأول من القرن التاسع قبل الميلاد. وخبره في سفر الملوك الثاني 9 - 10.

جاء في المسلة السوداء لشلمندر الثالث ذكر المدن التي تم الاستيلاء عليها في حملة عسكرية تمت سنة 841 ق.م. وما نُقش فيها: «جزية ياهو بن عمري»⁽¹⁾، نسبة إلى «عمري»، رأس السلالة الحاكمة.

المسلة السوداء لشلمندر الثالث
المتحف البريطاني، لندن



James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament* (Princeton: (1) Princeton University Press, 1969), p.281.

نص ياهو عمري

الملك يوآش / يهوآش יהוֹאשׁ (798 - 782 ق.م):

الملك يوآش، معنى اسمه: «يهوه منح»، وهو مختصر يهوآش יהוֹאשׁ الذي ذكر مرة واحدة في سفر 2 ملوك 12/4. ذُكرت قصته في (2 ملوك 11 و 2 أخبار الأيام 22/11 - 24/27). ابتدأ أمره بالإصلاح الديني، ثم انحرف إلى عبادة البعل. لما هدده حزائيل بالحرب، دفع إليه أموالاً طائلة (2 ملوك 12/18). وقد عرفت المملكة استقراراً سياسياً على مدى عصره. وفي عصره عاش النبي أليشع / يسوع -عليه السلام-⁽¹⁾.

وجه الملك الآشوري أدد - نيراري الثالث حملة عسكرية إلى سوريا وفلسطين. وقد أرّخ لما وقع في تلك الحملة في نصب عُثر عليه في تل الرماح (نينوى، العراق) سنة 1967 م. وجاء فيه ذكر: «يهوآش السامرِي»⁽²⁾.

(1) بطرس عبد الملك وأخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص 1101 - 1102
Baker Encyclopedia of the Bible (Grand Rapids, Mich.: Baker Book House, 1988), p.1101.
John H. Hayes, Paul K. Hooker, *A New Chronology for the Kings of Israel and Judah* (Oregon: Wipf and Stock Publishers, 2007), p.47.

نصب أدد - نيراري الثالث
المتحف العراقي في بغداد



الملك يربعام بن جعيم الثاني (782 - 753 ق.م):

الملك يربعام، خليفة والده يوآش على الحكم. من أطول الملوك حكمًا. وقد ازدهرت المملكة في عصره اقتصاديًّا، وظهرت أسباب الرخاء بين الناس كما هو الرعم في سِفَرِي عاموس وهو شع. انتصر على ملك سوريا واسترجع دمشق التاريخية وحماء (2 ملوك 14 / 23) مستفيدًا من الضعف النسبي للأشوريين. وقيل إنه تسلَّط على مملكة سليمان - عليه السلام - كاملة ما عدا اليهودية^(١).

عُثر سنة 1904 عند التنقيب في مجده على اسم يربعام محفوظًا على ختم يرجع تاريخه إلى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، (وهو تاريخ يلغى احتمال أن يكون الاسم مرتبًا بالملك يربعام الأول الذي عاش في القرن العاشر قبل الميلاد).

(1) بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص 1060 - 1061 (Person), *The Anchor Yale Bible Dictionary*, 3/745 - 746.

ويظهر على الختم أسد يزار، وذيله متتصب. وقد كُتب فوقه «لشمع» (أي هو ملك لشخص اسمه شمع)، وكُتب تحته «عبد يرباع». وقد ضاع هذا الختم، ولا يُعرف اليوم إلا من صوره الفوتوغرافية، ومن نسخه الكثيرة^(١).

نسخة مطابقة للأصل
من ختم الملك يرباع الثاني المفقود



الملك منحيم (٧٤٦ - ٧٣٧ ق.م):

الملك منحيم، جاءه خبره مختصراً في 2 ملوك 15 / 14 - 22. وهو من الملوك الظلمة: «وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ. لَمْ يَجِدْ عَنْ حَطَاطِيَّا يَرِبَّعَامَ بْنِ تَبَاطَّا الَّذِي جَعَلَ إِسْرَائِيلَ يُخْطِئُ كُلَّ أَيَّامِهِ». (2 ملوك 15 / 18) وقد طلب من ملك آشور فول (تغلت فلاسر الثالث) تثبيت حكمه، وأعطاه لذلك ألف وزنة من الفضة (2 ملوك 15 / 19). وقد ملك لعشر سنوات قبل وفاته^(٢).

See Hershel Shanks, 'First Person: Have You Seen This Seal?' *Biblical Archaeology Review* 26.1 (1) (2000): 4.

(2) بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص 24
Anchor Yale Bible Dictionary, 4/692 - 693.

تمت الإشارة إلى منحيم في نص يعود إلى عصر تغلث فلاسر الثالث الذي حكم من 744 - 727 ق.م؛ إذ ورد في الحواليات الملكية التي نقشت في منطقة كلح، والتي تعود إلى السنوات الأخيرة لحكم تغلث فلاسر الثالث: «أخذت الجزية من كوشتشي من كوماجين، ورصين من دمشق، ومنحيم من السامرة...»⁽¹⁾.

نصب تغلث فلاسر الثالث، وفيه ذكر منحيم
ما يُسمى به: المتحف «الإسرائيلي»



كما جاء في النص المسماري الخاص بمحارب أورشليم، في عهد سنحاريب، والمدون على إسطوانة سداسية تُسمى «إسطوانة تايلور»: «أقْتَلَ بالنسبة لمملوك أمورو منحيم السامي توبعلو الصيدوني، وعبد ييلتي الأروادي، وأورمليكي الجبيلي وميتني الأشدودي، وبرديلي العموني، وخاموسون - نادبي الموابي، وأيرamu

James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*, p.283. (1)

الأدومي كلهم أحضروا هداياهم وقدموه أربعة أضعاف هداياهم الثقيلة وقبلوا
قدمي»^(١).

إسطوانة تايلور
المتحف البريطاني



الملك فتح^{تخت} (740 - 732 ق.م) والملك هوشع^{הושע} (732 - 722 ق.م):
حكم الملك فتح المملكة الشمالية زمن حكم عزيا مملكة يهودا. وقد قتل هوشع

(١) ابتهال إبراهيم، اليهود في المصادر المسمارية 1000 - 395 ق.م (دمشق: دار علاء الدين، 2014)، ص 178
James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*, p.287

فقح، وخلفه على الملك. وهو آخر ملوك المملكة الشمالية.

جاء في 2 ملوك 15 / 30: «وَقَنْ هُوشُعْ بْنُ أَيْلَةَ عَلَى فَقْحِ بْنِ زَمْلَيَا وَضَرَبَهُ قَتْلَهُ، وَمَلَكَ عِوْضًا عَنْهُ فِي السَّنَةِ الْعِشْرِينِ لِيوَنَّا بْنِ عَزِيْزاً».

وقد جاء في حوليات تغلت فلاسر الثالث: «وَقَدْ أَطْاحُوا بِمَلَكِهِمْ فَقْحَ، وَجَعَلُتْ عَلَيْهِمْ هُوشُعَ مَلِكًا. لَقَدْ تَلَقَّيْتُ مِنْهُمْ 10 وَزَنَاتٍ طَالِنْطَ⁽¹⁾ مِنَ الْذَّهَبِ وَ1000 (?) مِنَ الْفَضْلَةِ كِجْزِيَّةٍ لَهُمْ»⁽²⁾.

وجاء في 2 ملوك 15 / 29: «فِي أَيَّامِ فَقْحِ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ، جَاءَ تَغْلِيْتَ فَلَاسِرُ مَلِكُ أَشُورَ وَأَخْذَ عُيُونَ وَأَبْلَيْتَ مَعْكَةَ وَيَانُوحَ وَقَادَشَ وَحَاصُورَ وَجِلْعَادَ وَالْجَلِيلَ وَكُلَّ أَرْضِ نَفْتَالِيِّ، وَسَبَاهُمْ إِلَى أَشُورَ».

وقد جاء في حوليات تغلت فلاسر الثالث: «إِسْرَائِيلُ [حرفيًا: أرض عمرى]... كُلَّ سُكَّانِهِ وَمُمْتَلِكَاتِهِمْ، أَخْذَنَتْهَا إِلَى آشُور»⁽³⁾.

وقد ذهب أندرى لومير - أستاذ العبرية والأرامية والنقوش في السربون - إلى أن الختم الذي ظهر في مزاد سودبي في نيويورك سنة 1993، هو ختم يذكر الملك هوشع. وتظهر على الختم صورة رجل يلبس إزاراً طويلاً وشعرًا مستعارًا قصيراً، وبهيد اليمني مرفوعة، فيما تحمل البسيري صولجاناً من ورق البردي. والختم فيه أثر مصرى واضح، وهو يظهر أساساً في قرص الشمس المجettingة أسفل الختم. ولعل ذلك يعكس تحالف هوشع مع مصر للتخلص من الحكم الآشوري على مملكته (2 ملوك 17 / 4).

وقد كُتب على هذا الختم بالحرف العبرى القديم: ل - ع - ب - د - ي - ع - ب - د - ه - و - ش - ع. اللام للملكتة، وعبدى اسم صاحب الختم، وعبد بمعنى العبد أو الخادم في العبرية، وهو شاعر اسم الحاكم. وشكل الحروف يعود - على قول

(1) طالنط: معيار وزن قديم، عُرف منذ الألفية الرابعة في بلاد الرافدين.

James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*, p.284. (2) Ibid. (3)

لومير - إلى القرن الثامن قبل الميلاد⁽¹⁾.

وقد ته لومير إلى أنَّ الكلمة «عبد» في الأختام القديمة، لا تشير إلى أنَّ صاحب الختم من الطبقات الدنيا من الناس، وإنما تشير إلى أنَّ صاحب الختم من الموظفين الكبار في الدولة. وقدم على ذلك أمثلة كثيرة. ثم قال: «لا يوجد سوى ملك واحد محتمل يحمل هذا الاسم؛ وهو هوشع، آخر ملوك إسرائيل (ملوك الثاني 17/ 1 - 6) الذي حكم لمدة تسع سنوات ثم دُمرت مملكته على يد الآشوريين»⁽²⁾.

ختم عبدي
مجموعة جامع الآثار شلومو موسايف، لندن⁽³⁾



Andre Lemaire, 'Hebrew and west Semitic inscriptions and Pre - exilic Israel', in John Day, ed. *Search (1) of Pre - exilic Israel* (Edinburgh: T & T Clark, 2005), p.373.

André Lemaire, 'Royal Signature: Name of Israel's Last King Surfaces in a Private Collection,' *Biblical (2) Archaeology Review* 21.6 (1995): 48-52. Lemaire, 'Hebrew and West Semitic Inscriptions and Pre - Exilic Israel', pp.373 - 374.

(3) المصدر السابق.

المطلب الثاني: حكم المملكة الجنوبية في الشواهد الأركيولوجية

جاء في الفصل 12 من سفر الملوك الأول والفصل 10 من سفر أخبار الأيام الثاني أن سبط يهودا وسبط بنiamin نصبا رجعهم بن سليمان عليه السلام ملكاً على مملكتهم التي سيطرت على الجزء الجنوبي من المملكة المتحدة السابقة.

ورغم أن هذه المملكة (المعروفة باسم مملكة يهودا) كانت أصغر من مملكة إسرائيل الشمالية، وأضعف منها، إلا أنها عاشت بعدها حتى سنة 587 - 586 ق.م. كما تميزت بأنها نفس أهم مدينة دينية عند اليهود.

حفظ لنا البحث الأركيولوجي أسماء كثيرة من ملوك مملكة يهودا، وهم:

الملك أخزيا أختزيا (841 ق.م.)

ذكر أخزيا في نقش تل دان، كما سبق بيانه.

الملك عوزياهو عزيا (767 - 740 ق.م.)

الملك عوزياهو / عزيتا، سمي أيضاً عزريا في الكتاب المقدس. خلف أبوه أوصيا على الحكم. انتهى بتحسين أحوال مملكة يهودا من الناحية الاقتصادية والعسكرية. وقام بعدة هجمات على أعدائه. ووسع حدود مملكته؛ حتى إنه استعاد السيطرة على ميناء إيلات عند البحر الأحمر⁽¹⁾.

عُثر على ختمين في منتصف القرن التاسع عشر، عليهما اسم «عزيا». الختم الأول مكتوب عليه: «لأبيا و عبد عزيا»، وعلى الثاني كُتب: «لشبيا هو عبد عزيا»⁽²⁾.

(1) بطرس عبد الملك وأخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص 625 - 626
New Bible Dictionary (Leicester, England; Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1996), p.1220.
See Pierre Bordreuil, *Catalogue des sceaux ouest - sémitiques inscrits de la Bibliothèque Nationale, (2) du Musée du Louvre et du Musée biblique de Bible et Terre Sainte*, (Paris, 1986), no. 40-41 (Cited in: Lemaire, André. 'Royal Signature: Name of Israel's Last King Surfaces in a Private Collection,' *Biblical Archaeology Review* 21.6 (1995): 48-52.).

ختم أبياوا⁽¹⁾



ختم شبيا هو
متاحف اللوفر، باريس⁽²⁾



الملك يوئام يهودا (734 - 705 ق.م)

الملك يوئام هو ابن عزيا وخلفته في حكم مملكة يهودا. جاء خبره في سفر

(1)<<http://medaillesetantiques.bnf.fr/ws/catalogue/app/collection/notices/record/ark:/12148/c33gb1t4q5>>. <<https://www.photo.rmn.fr/C.aspx?VP3=SearchResult&IID=2C6NU0DBTRNW>>. (2)

الملوك الثاني وسفر أخبار الأيام الثاني. عاصر ثلاثة أنبياء: هوشع وإشعيا وميخا. وكان عصره مزدهراً. وقد شنَّ في أيامه رصين ملك أرام، وففع ملك السامرة حرّباً على يهودا (2 ملوك 15/37).⁽¹⁾

تم العثور على ختم فيه ذكر يواثام في تل الخليفة في خليج العقبة، المنطقة التي كانت تُسمى عصيون جابر. وقد جاء في سفر الملوك الثاني 14/22 عن الملك عزيما الذي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد: «هُوَ بْنُ أَيْلَهَ وَأَسْتَرَدَهَا إِلَيْهُوذَا». وقد بين نسلون غروك أنَّ أيلة هي عصيون جابر.⁽²⁾

يعود هذا الختم إلى القرن الثامن قبل الميلاد، فيه أيل بقرنين، وفوقه عبارة «ليواثام»

«٢٧٦٩»⁽³⁾.

ختم يواثام⁽⁴⁾



الملك آحاز **اهاز** / يهوآحاز **יהואחז** (732 - 716 ق.م.)

الملك آحاز، هو ابن يواثام وخليفته. اسمه اختصار ليهوآحاز. يُخبر سفر أخبار الأيام الثاني وسفر الملوك الثاني عن انحرافاته، ومن أهمها عبادته للأصنام. نصحه إشعيا النبي بالتقى والاتكال على الرب في مواجهة أعدائه؛ فلم يستجب له. وقد

(1) بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص 1105 . *Harper's Bible Dictionary* (San Francisco: Harper & Row), p.510.

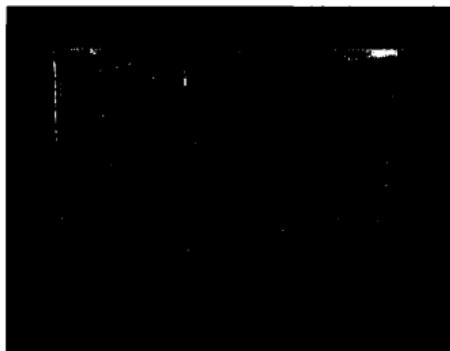
(2) Nelson Glueck, *BASOR* 72, p.8 (Cited in N. Avigad, 'The Jotham Seal, p.19). (3) N. Avigad, 'The Jotham Seal from Elath', *Bulletin of the American Schools of Oriental Research*, Oct., 1961, No. 163 (Oct., 1961), 18 - 22. *Ibid.*, 19. (4)

عاش في عصره الأنبياء هوشع وإشعيا وموخا⁽¹⁾

استنجد آحاز بالآشوريين في مواجهة ملك آرام وملك إسرائيل؛ طالبا العون العسكري من تغلث فلاسر الثالث (ملوك 2/ 16 - 7). وقد أعاد الآشوريون آحاز، غير أنهم انقلبوا عليه، وجعلوا مملكة يهودا تدفع الجزية.

وقد جاء في حوليات تغلث فلاسر الثالث المكتشفة سنة 1873، ذكر انتصارات تغلث وما أحده من عمران. وما افتخر به في هذه حوليات، ذكر قائمة ملوك سوريا وفلسطين الذين دفعوا له الجزية: «[استلمت] الجزية من... متتبلي عسقلان، يهوآحاز يهودا... ذهب، وفضة، وقصدير، وملابس متعددة الألوان، وملابس كثانية، وصوف أحمر أرجواني، [جميع أنواع] الأشياء الثمينة، وغلة البحر (و) البر، وسلح أراضيهم، والكنوز الملكية، والخيول...»⁽²⁾.

حوليات تغلث فلاسر الثالث المتحف البريطاني



New Bible dictionary; p.20. (1)

James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*. p.282. (2)

كما عُثر في تسعينيات القرن العشرين على ختم طيني يعود تاريخه إلى القرن الثامن قبل الميلاد كُتب عليه بالعبرية⁽¹⁾:

لـ أحـاز [ابن] يوـثـام، مـلـكـ يـهـوـذـا. ۱۷۸۱ ۶۶۷۸

خـتمـ آـحـاز



وعُثر أيضًا على ختم برتقالي من العقيق يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد. وفيه: «أوشنا عبد أحاز»⁽²⁾.

Lawrence J. Mykytiuk, *Identifying Biblical Persons in Northwest Semitic Inscriptions Of 1200 - (1) 539 B.C.E* (Brill, 2004), p.220.

K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.19. (2)

ختم أوشنا
محفوظات جامعة يال⁽¹⁾



صورة تقريبية تظهر فيها حروف النقش⁽²⁾



< <https://www.library.yale.edu/judaica/site/exhibits/holyland/sealone.html> > (1)
<<https://www.library.yale.edu/judaica/site/exhibits/holyland/BabylonianCollection.html>

Lawrence J. Mykytiuk, *Identifying Biblical Persons in Northwest Semitic Inscriptions Of 1200 - 539 (2)*
B.C.E. p.165.

واكتشفت الأركيولوجية إيلت مازار⁽¹⁾ سنة 2005 أداة ختم طينية bulla ملكية تعود إلى الفترة بين 727 - 698 ق.م⁽²⁾، وفيها: «لحزقيا [بن] آحاز ملك يهودا».

الختم الملكي لحزقيا⁽³⁾



الملك حزقياهو حازקیاهو (716 - 687 ق.م)

يعتبر الملك حزقياهو / حزقيا أحد أفضل ملوك بني إسرائيل في التوراة، حتى إنه قد جاء في 2 ملوك 18 / 5: «عَلَى الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ اتَّكَلَ، وَبَعْدَهُ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ فِي جَمِيعِ مُلُوكِ يَهُוּדَا وَلَا فِي الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ». وقد حكم في شبابه مع أبيه آحاز، ثم استأثر بالحكم لاحقاً. اهتم في بداية أمره بمحاربة الوثنية بين شعبه، والاعتناء

(1) إيلت مازار آلية ماز (1956) : أركيولوجية يهودية من فلسطين المحتلة، متخصصة في الأركيولوجيا التوراتية والفينيقية.

(2) Robin Ngo, 'King Hezekiah in the Bible: Royal Seal of Hezekiah Comes to Light,' *Biblical Archeology*, (2) June 09, 2020 <<https://www.biblicalarchaeology.org/daily/news/king-hezekiah-in-the-bible-royal-seal-of-hezekiah-comes-to-light/>>.

(3) المصدر السابق.

بالهيكل. وقد كان يستشير النبي إشعيا عند المدلهمات. حاصل في عصره سنحاريب ملك آشور مدينة أورشليم⁽¹⁾.

عُثر على عدة أختام قديمة عليها اسم حزقيا. منها الختم الذي عليه عبارة «ليهوزارح بن حلقيا، عبد حزقيا»⁽²⁾.

ختم عبد حزقيا⁽³⁾



ولعل أهمها الختم الذي عُثر عليه في أورشليم. وهو الختم الذي أشرنا إليه سابقاً، وقد كُتب عليه: «لـحزقيا [بن] آحاز ملك يهودا». كما جاء في حوليات سنحاريب المكتوبة على إسطوانة: «وأَمَّا حزقيا من يهودا،

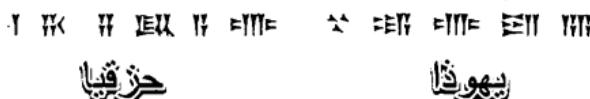
(1) بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص 307 – 305

K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*. p.19. (2)

“‘Signature’ of King Hezekiah’s Servant Recovered,” *Biblical Archaeology Review* 1.4 (1975): 19, 32. (3)

فلم يخضع لي. وقد حاصرت 46 من مدنه القوية، وحصونه المسورة، والقرى الصغيرة المجاورة لها»⁽¹⁾.

الإشارة إلى حزقيا في الإسطوانة



الملك منسي منشاه (687 - 643 ق.م.)

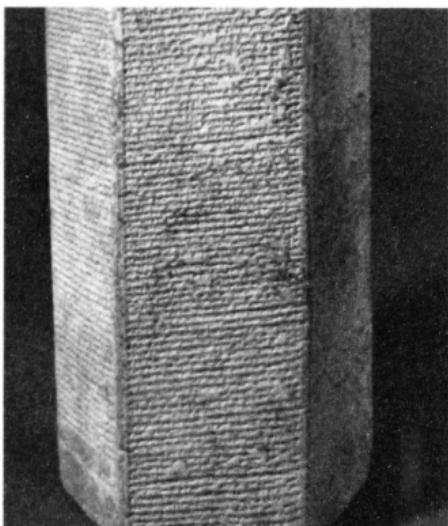
الملك منسي، هو ابن حزقيا، وخلفته. تولى الحكم وهو صغير في سن الثانية عشر، وحكم 55 سنة (ملوك 21/1، أخبار الأيام 33/1). وذاع الكفر والظلم للرعية في زمانه. ولما مال إلى نائب الملك البابلي في عصيانه لآشور، أسره الآشوريون، وساقوه إلى بابل. ثم أطلق سراحه؛ فعاد إلى عاصمته حيث مات هناك⁽²⁾. ظهر اسم «منسي، ملك يهودا» في واحد من آثار آسرحدون⁽³⁾، وواحد من آثار آشوربانيبال⁽⁴⁾⁽⁵⁾.

James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*, p.288. (1)
Wood, D. R., 1995م، ص 925
W., & Marshall, I. H. *New Bible Dictionary*, p.724.

ففي Prism of Esarhaddon (3) James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*, p.291. (4)
ففي Prism of Ashurbanipal (5) James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*, p.294. (6)

Esarhaddon Prism

المتحف البريطاني^(١)



الملك يهوياكين [هوذا] 598 ق.م

تولى يهوياكين الملك بعد والده الملك يهوياتيم، وهو يبلغ من العمر ثمانى عشرة سنة كما في 2 ملوك 24 / 8، أو ثمانى سنوات كما في 2 أخبار الأيام 36 / 9. ولم يبق في الحكم سوى ثلاثة أشهر وعشرة أيام. حاصر نبوخذنصر أورشليم أثناء حكمه، وأخذه مع عائلته ورؤسائه الأمة إلى بابل أسرى^(٢).

جاء ذكر يهوياكين في وثيقة إدارية في بابل في بداية القرن السادس فيها خبر ما رُصد له وأسرته من جرایة:

«10 سيلا من الزيت لـ[يا]..كين، ملك يـ[هوذا].»

< https://www.britishmuseum.org/collection/object/W_1929-1012-1 > (١)

(٢) بطرس عبد الملك وأخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص 1099 - 1100.

2 ½ سيلا لـ[أبـ]ناء ملك يهودا.

4 سيلا لثمانية رجال من يهودا.

10 سيلا ليكوكنو، ابن ملك يكودو [يهودا].

2 ½ سيلا للأبناء الخمسة لملك يكودو [يهودا]⁽¹⁾.

الوثيقة البابلية التي تشير إلى الأبناء الخمس ليهوباكين⁽²⁾



لقد كشفت لنا الأختام عن أسماء كثير من ملوك بني إسرائيل، علماً أنَّ عدد أسماء الملوك على الأختام كان من الممكن أن يكون أكبر مما هو كائن لولا تحوّل هذه الأختام من ذكر اسم ملك العصر في القرن الثامن إلى اعتماد عبارة عامة تقول: «عبد الملك» دون تحديد اسم الملك؛ ليكون الختم أطول عمرًا من زمن حكم الملك⁽³⁾.

John H. Walton, ed. *Zondervan Illustrated Bible Backgrounds Commentary: Esther* (Harper Collins, 2009), p.210.

(2) المصدر السابق

Andre Lemaire, 'Hebrew and west Semitic inscriptions and Pre - exilic Israel', pp.374 - 375. (3)

المطلب الثالث: شخصيات غير ملكية في الشواهد الأركيولوجية

- كشف البحث الأركيولوجي عن أسماء شخصيات مختلفة ورد ذكرها في التوراة، تبه إليها عدد من الأركيولوجيين وعلماء النقوش، ومنهم أندرى لومير في القائمة التالية⁽¹⁾:
1. ختم عليه حسان يركض، مع نقش فيه: «العسايا عبد الملك». وقد جاء ذكر «عسايا عبد الملك» في 2 ملوك 22 / 12 ، 14 في زمن حكم يوشيا.
 2. ختم عشر عليه في حفريات عوفل في غرفة قد هدمت سنة 587 ق.م، وقد نُقش عليه: «بَنْ شَافَانٍ». وقد جاء ذكر «بَنْ شَافَانٍ» في إرميا 25 ، 12 - 10 / 36.

ختم جمر يا بن شافان⁽²⁾



3. ختم من منتصف القرن السابع قبل الميلاد. وقد نشره ن. أفيجاد سنة 1987 . وقد نُقش عليه: «أَصْلَيَا بْنُ مَشْلَامٍ». وقد أرجع أفيجاد أن صاحب هذا الختم هو نفسه والد «شافان بن أصلايا بن مشلام الكاتب» الوارد ذكره في 2 ملوك 22 / 3.
4. ختم أزرق غامق، نُشر سنة 1986 ، عليه نقش: «الحنان بن حلقيا الكاهن». ومن الراجح أنه ابن «حلقيا الكاهن» الوارد ذكره في 2 ملوك 22 / 4 - 24 .

Ibid, pp.375-376. (1)

< <https://watchjerusalem.co.il/676-archaeological-proof-for-hilkiah-the-high-priest> >. (2)

ختم حنان بن حلقيا الكاهن⁽¹⁾



5. ختم عُثر عليه في حفريات عوفل، وعليه «عزرريا بن حلقيا». ولعله أخو حنان بن حلقيا، وأيضاً «عزرريا بن حلقيا» أحد أسلاف عزرا الوارد ذكره في عزرا 7/1، وأخبار الأيام 5/39.

ختم عزرريا بن حلقيا⁽²⁾



<https://watchjerusalem.co.il/676-archaeological-proof-for-hilkiah-the-high-priest>. (1) Tsvi Schneider, 'Six Biblical Signatures,' *Biblical Archaeology Review* 17.4 (1991): 26-28, 30-33. (2)

6. ختم عُثر عليه في حفريات لكيش (تل الدوير)، وعليه: «الجدلية سيد القصر». وقد ذهب رولون دو فو إلى ترجيح أنه «جدلني بن أحِيَّقَامْ بْنِ شَافَانَ» الذي وضعه نبوخذناصر حاكماً ليهودا بعد 587 ق.م (ملوك 25/22 - 25، إرميا 39/39، 14، 16، 10 - 7/40، 18، 1، 41).⁽¹⁾

ختم جدللي⁽¹⁾



7. ختم نُشر سنة 1993 عليه نقش: «إِسْمَاعِيلْ بْنُ الْمَلِكِ». ولعله «إِسْمَاعِيلْ بْنُ نَتَنْيَا بْنِ أَلِيَّشَمَعْ مِنَ النَّشَلِ الْمَلِكِيِّ» الوارد ذكره في ملوك 25/25، علماً أنَّ هذه الشخصية قد قتلت جدللي السابق ذكره.

ختم إسماعيل بن الملك⁽²⁾



< <https://www.myjewishlearning.com/article/who-was-gedaliah/> >. (1) Gabriel Barkay, 'A Bulla of Ishmael, the King's Son', *Bulletin of the American Schools of Oriental Research*, No. 290/291 (May - Aug., 1993), 109 - 114

8. ختم نشره ن. أفيجاد سنة 1979، وفيه: «بِرَحْمَتِيْلَ ابْنِ الْمَلِكِ». والراجح أنه الشخص الذي سماه سفر إرميا 36/26: «بِرَحْمَتِيْلَ ابْنِ الْمَلِكِ» كفرد من المحكمة الملكية ليهودا يقيم حوالي 605 - 604 ق.م.

ختم بِرَحْمَتِيْلَ ابْنِ الْمَلِكِ⁽¹⁾



9. ختم ضمن مجموعة بروسكي، وفيه: «الصدقيا بن حنانيا». والظاهر أنه «صِدْقِيَا⁽²⁾ بْنُ حَنْنِيَا» المذكور في إرميا 36/12.

10. ختم نشره ن. أفيجاد، وفيه: «السرايا [بن] نيريا». ويبدو أنه «سَرَائِيَا بْنَ نِيرِيَا بْنَ مَخْسِيَا» الوارد ذكره في إرميا 59/5. وهو رئيس المحلة الذي أرسل إلى بابل بطلب من صديقا ملك يهودا.

Hershel Shanks, 'Jeremiah's Scribe and Confidant Speaks from a Hoard of Clay Bullae,' *Biblical Archaeology Review* 13.5 (1987): 58-65.
拙訳(2)

ختم سرايا نيريا⁽¹⁾



11. ختم فيه: «برخيا بن نيريا، الكاتب». والراجح أنه «سكرتير النبي إرميا» باروخ بن نيريا نفسه (إرميا 32 / 12 ، 16 ، 32 / 43 ، 3 / 45 ، 6 ، 2 - 1 / 45).

ختم برخيا بن نيريا⁽²⁾



ومن آخر الاكتشافات - بعد نشر لومير مقالته السالفة الذكر - أداة ختم طينية تتضمن اسمين ورد ذكرهما في سفر إرميا 38 / 1: «وَسَمِعَ شَفَطِيَا بْنُ مَتَانَ، وَجَدَنْيَا بْنُ فَشْحُورَ גָזְלִיהוּ בֶן־פְשָׁחוֹר، وَيُوكְלُ بֶןُ שְׁלֵמִיَا יַגְלֵלְהִיהָה، وَفְשַׁחֲוָרُ בֶןُ מַלְכִיאָה».

Tsvi Schneider, 'Six Biblical Signatures,' *Biblical Archaeology Review* 17.4 (1991): 26-28, 30-33. (1)
 <[https://madaainproject.com/content/media/collect/seals_\(bullae\)/81.jpg](https://madaainproject.com/content/media/collect/seals_(bullae)/81.jpg)>. (2)

الكلام الذي كان إزينا يكلم به كُلَّ الشَّعْبِ؛ إذ عثرت الأركيولوجية إيلت مازار سنة 2015 م في ما يُعرف بـ«مدينة داود» في القدس على هذين الختمين^(١).

الختمان اللذان عثرت عليهما مازار



إن عثورنا على أسماء لغير ملوك، جاء ذكرهم في التوراة؛ لمن المفاجآت غير المتوقعة؛ في ظلّ صعوبة العثور على غير أسماء الحكام. وهي مفاجأة تدعم مصداقية الخطوط العريضة للخبر التاريخي التوراتي.

المطلب الرابع: الملوك الأجانب في الشواهد الأركيولوجية

ثبت البحث الأركيولوجي وجود ملوك أجانب (من غير بنى إسرائيل) ورد ذكرهم في التوراة من القرن العاشر إلى القرن السادس قبل الميلاد؛ بما يظهر أنَّ الخبر التاريخي التوراتي لا يعتمد على مادة مختلفة كلية في القرن السادس قبل الميلاد أو بعده.

وهاهنا أهم الأسماء التي عثر عليها:

الفرعون شيشنق الأول / شيشنق

حكم الفرعون شيشنق الأول من 945 ق.م إلى 924 ق.م. وهو مؤسس الأسرة

Jeremiah, 'Prophet of the Bible, brought back to life,' *Biblical Archaeology*, August 24, 2015 (1)
< <https://www.biblicalarchaeology.org/daily/biblical-artifacts/artifacts-and-the-bible/jeremiah-prophet-of-the-bible-brought-back-to-life/> >.

المصرية الثانية والعشرين. وقد ذُكر في التوراة باسم شيشق شيشا. وسبب سقوط النون في المقابل التوراتي أن النون حرف «ضعيف» يسقط أحياناً، خاصة في الأسماء، ومن ذلك أنّ المدينة الفلسطينية غتي / غمتى (كما هو اسمها في آثار تل العمارنة)، اسمها في الكتاب المقدس جت ٧٣ (بشعو ١٣/٣، صموئيل ٥/٨...). ذكر سفر الملوك الأول ٤٠ أنه لما طلب سليمان -عليه السلام- قتل يربعام، هرب يربعام إلى مصر حيث كان شيشق يحكم. وقد اكتشفت مقبرة شيشنق، وجنته محطة في الوجه البحري.

كما ذكر سفر الملوك الأول ٢٥ - ٢٦ أنه في السنة الخامسة من حكم رجع عام ابن سليمان -عليه السلام-، استغل شيشنق انقسام الدولة الموحدة لبني إسرائيل إلى دولتين، فغزا اليهودية، وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك، وغنائم أخرى كثيرة. وهو ما يوافق زميّناً خبر نقش الكرنك عن حملة شيشنق إلى فلسطين. وجاء ذكر شيشنق أيضاً في نقش مجدو في فلسطين، وهو يعود إلى سنة ٩٢٥ ق.م. وفيه: «محبوب آمون، شيشنق»^(١).

اسم شيشنق بالهيروغليفية على نقش النصر في مجدو



Kenneth A Kitchen, "Shishak's military campaign in Israel confirmed," *Biblical Archaeology Review* (١) 15.3 (1989): p.32.

الفرعون طهارقة

جاءت الإشارة إلى الفرعون طهارقة (690 - 664 ق.م) في نص واحد مكرر في موضعين في التوراة باسم ترهاقة، وهو أحد ملوك كوش (جنوب مصر وشمال السودان اليوم): «وَسَمِعَ عَنْ تُزْهَقَةَ مَلِكِ كُوشٍ قَوْلًا: «قَدْ خَرَجَ إِلَيْكَ». فَعَادَ وَأَزْسَلَ رُسُلًا إِلَى حَرَقَّيَا» (إشعياء 37/9، 2ملوك 19/9). وقد وُجد اسمه على عدد من التماثيل.

تمثال طهارقة، وقد كتب اسمه في وسط حزامه
متاحف كرمة، السودان



الفرعون نيخو الثاني

جاء في 2 ملوك 23/29: «فِي أَيَامِهِ صَبَعَ فِرْعَوْنُ تَخُوَّ مَلِكُ مِصْرَ عَلَى مَلِكِ أَشْوَرِ إِلَى نَهَرِ الْقَرَاتِ. فَصَبَعَ الْمَلِكُ يُوشِّبَا لِلْقَائِمِ، فَقَتَلَهُ فِي مَجْدُو حِينَ رَأَةٍ».

الفرعون نيخو (610 إلى 595 ق.م) معاصر للملك يوشبا. وهو نحو الثاني، أحد فراعنة الأسرة المصرية 26. وقد حكم سوريا وفلسطين لبعض سنوات. وكان هيرودوت قد ذكر في القرن الخامس قبل الميلاد غزوه لسوريا⁽¹⁾.

الملك الآشوري سنحاريب

الملك سنحاريب، ابن سرجون الثاني، ملك الإمبراطورية الآشورية الحديثة في الفترة (705 – 681 ق.م). يعني اسمه في الأكادية «سن (إله القمر) قد زاد الإخوة». حكم سنحاريب آشور أيام حزقيا ملك يهوذا. وقد كانت مملكة يهوذا تدفع الجزية للآشوريين، غير أنها تركت ذلك أيام حزقيا؛ فزحف سنحاريب على مملكة يهوذا. وجاء خبر غزو سنحاريب مملكة يهوذا في سفر الملوك الثاني 18/13 – 37/19 . وإشعياء 36 – 37

صخرة حوليات سنحاريب
وفيها الرواية الآشورية لغزو سنحاريب أورشليم (إشعياء 36 - 37)⁽¹⁾



الملك تغلث فلاسر الثالث

جاء في 2 ملوك 16 / 7 : «وَأَرْسَلَ آخَازُ رُسُلًا إِلَى تَغْلَتَ فَلَاسِرَ مَلِكِ أَشْوَرَ قَاتِلًا : أَنَا عَبْدُكَ وَابْنُكَ اصْعَدْ وَخَلَّصْنِي مِنْ يَدِ مَلِكِ أَرَامَ وَمِنْ يَدِ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ الْقَائِمِينَ عَلَيَّ». ⁽¹⁾

تغلث فلاسر الثالث، ملك الدولة الآشورية 745 - 727 ق.م. معنى اسمه «ثقة ابن إشارة». وقد سبقت الإشارة إليه.

R. F. Youngblood, et al., eds. *Nelson's New Illustrated Bible Dictionary* (Nashville, TN: Thomas Nelson, 1995).

صورة جزء من لوحة يظهر الجزء العلوى
للملك الآشوري تغلث فلاسر الثالث⁽¹⁾



الملك شلمانصر الخامس

جاء خبر شلمانصر (الخامس) في سفر الملوك الثاني 17 - 18 . وقد ملك على آشور وبابل (727 - 722 ق.م) أثناء حكم هوشع مملكة إسرائيل . ومعنى اسمه: «الله هو قبل كل شيء». غزا شلمانصر مملكة إسرائيل بعد أن توقف هوشع عن دفع الجزية . وقبض على هوشع، ووضعه في السجن . وحاصر السامرة لثلاث سنوات قبل إخضاعها له.

سرجون الثاني

جاء ذكر سرجون الثاني في إشعياء 20/1 : «فِي سَيِّئَةٍ مَجِيءٌ تَرْتَانَ إِلَى أَشْدُودَةِ حِينَ أَرْسَلَهُ سَرْجُونُ مَلِكُ آشُورَ فَحَارَبَ أَشْدُودَ وَأَخْذَهَا». وقد حكم بعد أخيه شلمانصر الخامس . ونسب إلى نفسه فتح السامرة؛ فقد جاء في وثيقة قديمة تصفه: «غازي السامرة وكل إسرائيل (بيت عمري) الذي غنم أشدوود...»⁽²⁾.

German Bible Society, *1000 Bible Images*. 2009. Bellingham, WA: Logos Research Systems. (1)
James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*, p.284. (2)

الملك مردوخ بلادان

الملك مردوخ بلادان، حاكم بابل من سنة 722 إلى 710 ق.م. جاء ذكره في الكتاب المقدس باسم «مرودخ بلادان»:

(فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ أَرْسَلَ مَرُودَخَ بِلَادَانَ بْنَ بِلَادَانَ مَلِكَ بَابِلَ رَسَائِلَ وَهَدِيَّةً إِلَى حَرَقَيَا، لَأَنَّهُ سَمِعَ أَنَّهُ مَرَضَ ثُمَّ صَحَّ) (إشعياء 39/1).

(فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ أَرْسَلَ مَرُودَخَ بِلَادَانَ بْنَ بِلَادَانَ مَلِكَ بَابِلَ رَسَائِلَ وَهَدِيَّةً إِلَى حَرَقَيَا، لَأَنَّهُ سَمِعَ أَنَّ حَرَقَيَا قَدْ مَرِضَ) (ملوك الثاني 20/12).

جاء ذكر مردوخ بلادان في نقش سرجون الثاني في قصر خورسباد (في مدينة الموصل): «سمع مردوخ بلادان عن اقتراب غزوتي، وقد هرب قبل وصولها إليه بعد أن أفرعت محاربيه، وقد طار في الليل مثل البومة»⁽¹⁾.

الملك آسرحدون

ورد اسم آسرحدون في الكتاب المقدس في ثلاثة مواضع:

ملوك الثاني 19/37: «وَفِيمَا هُوَ سَاجِدٌ فِي بَيْتِ نِسْرُوخِ إِلَيْهِ، ضَرَبَهُ أَذْرَمَلْكُ وَشَرَّاصُرُ ابْنَاهُ بِالسَّيْفِ، وَنَجَوَا إِلَى أَرْضِ أَرَازَاطَ. وَمَلِكَ آسْرَحَدُونَ ابْنُهُ عِوَضًا عَنْهُ».

عزرا 4/2: «تَقَدَّمُوا إِلَى زَرْبَابَلَ وَرَوْوسَ الْأَبَاءِ وَقَالُوا لَهُمْ: «تَبَّنِي مَعَكُمْ لَا كُنْ تَنْظِيرُكُمْ نَظْلُبُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُ قَدْ ذَبَحْنَا مِنْ أَيَّامِ آسْرَحَدُونَ مَلِكِ آشُورَ الَّذِي أَصْعَدَنَا إِلَى هُنَّا».

إشعياء 37/38: «وَفِيمَا هُوَ سَاجِدٌ فِي بَيْتِ نِسْرُوخِ إِلَيْهِ ضَرَبَهُ أَذْرَمَلْكُ وَشَرَّاصُرُ ابْنَاهُ بِالسَّيْفِ، وَنَجَوَا إِلَى أَرْضِ أَرَازَاطَ. وَمَلِكَ آسْرَحَدُونَ ابْنُهُ عِوَضًا عَنْهُ».

آسرحدون، ملك آشور 681 - 669 ق.م. الابن المفضل للملك سنحاريب. وقد اعتلى العرش بعد أن قتل أخوه أبيهما. ويعني اسمه «آشور أعطى أحنا». كان غازياً قوياً، أخضع قبائل من فلسطين وسوريا لحكمه.

Samuel Birch, *Records of the past: being English translations of the Assyrian and Egyptian (1) Monuments* (London: Samuel Bagster, 1874), p. 14.

جاء ذكر مملكة يهودا مرة واحدة فقط في النقش الملكية لأسرحدون، حيث قدم منسي - ملك يهودا - إلى جانب عدد من الحكام الآخرين في سوريا وفلسطين، مواد بناء ل برنامجه البناء الملكي في نينوى. وفي ذلك دلالة على أن كل هؤلاء الحكام كانوا تابعين لآشور^(١).

تمثال لأسرحدون
والناس خاضعون على ركبهم عند رجليه^(٢)



الملك نبوخذناصر الثاني

نبوخذناصر الثاني ملك بابل الشهير حكم من 605 - 562 ق.م. وقد اشتهر بسببي سكان أورشليم إلى بابل. جاء ذكره في الكتاب المقدس:

A. K. Grayson, art. Esarhaddon, *The Anchor Yale Bible Dictionary*, 2/574. (1)
Nelson's New Illustrated Bible Dictionary. (2)

«فِي السَّنَةِ التَّالِيَّةِ مِنْ مُلْكِ يَهُوَيَا قِيمَ مَلِكٌ يَهُوذَاءُ، ذَهَبَ نَبُوَخَذْنَاصَرُ مَلِكُ بَابِلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَحَاصِرَهَا» (دانيال 1/1).

«فِي أَيَّامِهِ صَعِدَ نَبُوَخَذْنَاصَرُ مَلِكُ بَابِلَ، فَكَانَ لَهُ يَهُوَيَا قِيمُ عَنِّدَهُ ثَلَاثَ سِنِينَ. ثُمَّ عَادَ فَتَمَرَّدَ عَلَيْهِ» (ملوك الثاني 1/24).

ورد اسم نبوخذناصر في محفوظات تاريخية كثيرة معاصره له، ومنها بوابة عشتار⁽¹⁾.

الملك أميل مردوخ

أميل مردوخ، الابن الأكبر للملك البابلي نبوخذناصر. وقد توفي سنة 560 ق.م.

جاء ذكره في الكتاب المقدس باسم أويل مرودوخ **أَمِيل مَرْدُوك**:

«وَفِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ وَالثَّلَاثِينَ لِسَنِي يَهُوَيَا كِينَ مَلِكٍ يَهُوذَاءً، فِي الشَّهْرِ الثَّانِي عَشَرَ فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ، رَفَعَ أَوِيلُ مَرْدُوكَ مَلِكَ بَابِلَ، فِي سَنَةِ تَمَلُّكِهِ، رَأْسَ يَهُوَيَا كِينَ مَلِكٍ يَهُوذَاءً مِنَ السَّجْنِ» (ملوك الثاني 25/27).

«وَفِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ وَالثَّلَاثِينَ لِسَنِي يَهُوَيَا كِينَ، فِي الشَّهْرِ الثَّانِي عَشَرَ، فِي الْحَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ، رَفَعَ أَوِيلُ مَرْدُوكَ مَلِكَ بَابِلَ، فِي سَنَةِ تَمَلُّكِهِ، رَأْسَ يَهُوَيَا كِينَ مَلِكٍ يَهُوذَاءً، وَأَخْرَجَهُ مِنَ السَّجْنِ» (إرميا 31/52).

وقد حفظ اسم أميل مردوخ على كثير من الألواح الطينية والنقوش الملكية وغيرها⁽²⁾.

ملك آرام دمشق حزائيل

حزائيل، الملك الآرامي الذي استطاعت مملكة آرام دمشق أن تحكم في عصره مناطق واسعة من سوريا وفلسطين. وقد حكم من 842 إلى 796 ق.م.

< https://madainproject.com/ishtar_gate_inscription >. (1)

See Frauke Weiershäuser; Jamie R Novotny, *The Royal Inscriptions of Amēl - Marduk (561 - 560 BC), Neriglissar (559 - 556 BC), and Nabonidus (555 - 539 BC), kings of Babylon* (University Park, Pennsylvania: Eisenbrauns, 2020). (2)

جاء ذكره في التوراة:

«فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: أَذْهَبْ رَاجِعًا فِي طَرِيقَكَ إِلَى بَرِّيَةِ دِمْشَقَ، وَادْخُلْ وَامْسِحْ حَرَائِيلَ مَلِكًا عَلَى آرَامَ» (ملوك الأول 19/15).

«فَقَالَ الْمَلِكُ لِحَرَائِيلَ: مُخْدِيْدَكَ هَدِيَّةً وَأَذْهَبْ لَا شِقْبَالَ رَجُلِ اللَّهِ، وَاسْأَلِ الرَّبَّ يَهُوَ قَاتِلًا: هَلْ أَشْفَى مِنْ مَرَضِي هَذَا؟» (ملوك الثاني 8/8).

«فَأَزْسِلْ نَارًا عَلَى بَيْتِ حَرَائِيلَ فَتَأْكُلُ قُصُورَ بَنْهَدَدَ» (عاموس 1/4).

جاء ذكر حزائيل في نقش لشمنصر الثالث: «في السنة الثامنة عشرة من حُكمي عبرت نهر الفرات للمرة السادسة عشرة. تقدم حزائيل دمشق للمعركة. أخذت منه 1121 عربة، و 470 من خيول الفرسان، بالإضافة إلى معسكته»⁽¹⁾.

بن هدد بن حزائيل

بن هدد الثالث، ابن حزائيل وخليفة في الملك. وقد حكم من 796 إلى 792 ق.م. ذُكر في الكتاب المقدس:

«فَحَمِيَ عَصْبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَدَعَاهُمْ لِيَدِ حَرَائِيلَ مَلِكِ آرَامَ، وَلِيَدِ بَنْهَدَدِ بْنِ حَرَائِيلَ كُلَّ الْأَيَّامِ» (ملوك الثاني 13/3).

«تَمَّ مَاتَ حَرَائِيلُ مَلِكُ آرَامَ، وَمَلَكَ بَنْهَدَدُ ابْنُهُ عَوْضًا عَنْهُ» (ملوك الثاني 24/13).

جاء ذكر بن هدد في نقش زكور ملك حماة، المعروف باسم نقش/نصب زكور، والمكتشف سنة 1907 في تل آفيس (في إدلب). إذ ذكر فيه زكور أسماء المحالفين ضده، ومنهم «بر هدد، بن حزائيل، ملك آرام، الذي جمع ضدي سبعة عشر ملكاً»⁽²⁾.

James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*, p.280. (1)
Edward Lipiński, *Studies in Aramaic Inscriptions and Onomastics, Volume I* (Leuven: Peeters (2) Publishers, 1975), p.22.

نَقْشُ زَكُور
مَتْحَفُ الْمُوْفَر



نص نقش زكور^(١)



(١) فاروق إسماعيل، اللغة الآرامية القديمة (حلب: منشورات جامعة حلب، 1418هـ/1997م)، ص 207.

الملك ميشع

ميشع ملك موآب. عاش في القرن التاسع ق.م. جاء ذكره في 2 ملوك 3: «وَكَانَ مِيشَعُ مَلِكُ مَوَابٍ صَاحِبَ مَوَابٍ، فَأَدَى لِمَلِكِ إِسْرَائِيلَ مِنْهُ أَلْفَ خَرُوفٍ وَمِنْهُ أَلْفَ كَبَشٍ بِصُوفِهَا».

وقد سبق الحديث عنه عند الحديث عن نصب ميشع.

الملك رصين

رصين، حاكم دمشق في القرن الثامن قبل الميلاد. جاء ذكره في الكتاب المقدس: «وَأَرْسَلَ آخَازُ رُسْلًا إِلَى تَغْلِطَ فَلَأَسِرَّ مَلِكَ أَشْوَرَ قَاتِلًا: «أَتَا عَنْدُكَ وَابْنُكَ اضْعَدَ وَخَلَصْنِي مِنْ يَدِ مَلِكِ أَرَامٍ وَمِنْ يَدِ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ الْقَائِمِينَ عَلَيَّ» فَأَخَذَ آخَازُ الْفَضَّةَ وَالْذَّهَبَ الْمَوْجُودَةَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ وَفِي خَزَانَتِهِ بَيْتِ الْمَلِكِ وَأَرْسَلَهَا إِلَى مَلِكِ أَشْوَرَ هَدِيَّةً. فَسَمِعَ لَهُ مَلِكُ أَشْوَرَ، وَصَعَدَ مَلِكُ أَشْوَرَ إِلَى دَمْشَقَ وَأَخْدَهَا وَسَبَاهَا إِلَى قِيرَ، وَقُتِلَ رَصِينُ» (ملوك الثاني 16 / 7 - 9).

«وَحَدَّثَتِ فِي أَيَّامِ آخَازِ بْنِ يُوَثَّامَ بْنِ عُرَيْبَا مَلِكِ يَهُوذَا، أَنَّ رَصِينَ مَلِكَ أَرَامَ صَعِدَ مَعَ فَقَحَ بْنِ رَمَلِيَا مَلِكِ إِسْرَائِيلَ إِلَى أُورُشَلَيمَ لِمُحَارَبَتِهَا، فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُحَارِبَهَا» (إشعياء 1).⁷

ذكرنا سابقاً الإشارة التاريخية إليه في حوليات تغلت فلاسر الثالث.

الملك بعليس

بعليس، ملك العمونيين في القرن السادس قبل الميلاد. جاء ذكره في إرمياه 40/14: «وَقَالُوا إِلَهُ: «أَتَعْلَمُ عِلْمًا أَنَّ بَعْلِيسَ مَلِكَ بَنِي عَمُونَ قَدْ أَرْسَلَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ ثَنَيَا لِيَقْتُلَكَ؟» فَلَمْ يُصَدِّقُهُمْ جَدْلُيَا بْنُ أَخِيقَامَ» (إرمياه 40/14).

وقد عُثر على ختم عقوني سنة 1984 يعود إلى قرابة سنة 600 ق.م، عليه: «لملکومور، عبد بعلیشع». وعبارة «عبد بعلیشع» قرينة دالة أن «بعلیشع» ملك، وأن

تل العميري (الأردن) الذي وُجد فيها الختم، كان جزءاً من الأرض العمونية⁽¹⁾. وبعليس المذكور في إرمياه 40/14 هو نفسه - على الأظاهر - بعليشع؛ إذ الاختلاف بين الاسمين من الممكن رده إلى طبيعة نقل الحروف بين اللغات⁽²⁾.

ختم بعليس⁽³⁾



Bob Becking, 'Inscribed Seals as Evidence for Biblical Israel? Jeremiah 40.7 - 41.15 *par example*', in (1) Lester L. Grabbe, ed. *Can a 'History of Israel' Be Written?* (London: A&C Black, 1997), pp.80 - 82.

Ibid., p.82 (2)

Larry G. Herr, 'What Ever Happened to the Ammonites?' *Biblical Archaeology Review* 19.6 (1993): (3) 26, 28-35.

<<https://www.baslibrary.org/biblical-archaeology-review/19/6/7>>.

المبحث الثالث

دلالات الكشف الأركيولوجي على حجية التوراة

الكشف التاريخية السابقة، على درجة عظيمة من الأهمية في بحثنا عن تاريخية الأنبياء الذين جاء خبرهم في العهد القديم، خاصة منذ عصر داود -عليه السلام-. ومن أهم دلالتها:

أولاً: قيام دعوى خرافية وجود الأنبياء منذ عصر داود -عليه السلام- على إثبات أن كل الخبر التاريخي المذكور في التوراة لتلك الفترة خرافي، مذهب لا تنصره الكشوف؛ إذ دلّ الدليل الأركيولوجي المتعلق بالمنطقة من 930 ق.م إلى 586 ق.م وما يقابل ذلك في سفرى أخبار الملوك الأول والثاني (وما يوازي ذلك في سفرى أخبار الأيام الأول والثاني) على مجموعة من الحقائق المهمة:

1. تأخر ذكر ملوك بني إسرائيل في الوثائق الخارجية للاشوريين إلى متتصف القرن التاسع سيما أنه لم يُعرف أن أي ملك من ملوك الدولة الآشورية الحديثة قد تغلغل في جنوب غرب الشام⁽¹⁾.
2. بدءاً من 853 ق.م، بدأت تظهر بيانات خارجية فيها أسماء ملوك مملكة إسرائيل ومملكة يهودا:

- ذكرت الآثار أسماء تسعة ملوك من أربعة عشر ملكاً من ملوك المملكة الشمالية. ومن الخمسة الذين لم يرد ذكرهم في المصادر الخارجية غير العبرية، ثلاثة كان حكمهم قصيراً جداً (زكريا وشلوم وفقحيا)، وحكم اثنان (يهوآحاز ويربعم الثاني) عندما كانت آشور غير نشطة في جنوب غرب بلاد الشام. وقد سبق بيان أن يربعم الثاني معروف من الآثار الأركيولوجية⁽²⁾.

K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.62. (1)
Ibid. (2)

● كانت مملكة يهودا أضعف أثراً في الواقع من مملكة إسرائيل. ومع ذلك، فمن يهورام الأول حتى صدقيا، تذكر الوثائق الأجنبية ثمانية ملوك من خمسة عشر ملكاً. ومن بين السبعة الغائبين عن هذه الوثائق، نجد ذكر عزبا ويوثام يوشايا في آثار فلسطين كما سبق ذكره. وأما آمون ويهوآحاز (الحاكم بعد يوشايا) فقد كان حكمهما قصيراً جداً؛ فقد حكم الأول من 643 - 640 ق.م، ولم يحكم الثاني سوى ثلاثة أشهر سنة 609 ق.م، وحكم أمصيا خلال غياب آشورى عن جنوب غرب منطقة الشام⁽¹⁾.

3. من بين عشرين حاكماً (وقائداً) أجنبياً جاء ذكرهم في هذه الفترة، لا نفتقد في السجل الأركيولوجي سوى ثلاثة⁽²⁾.
4. ترتيب الحكام في سفرى الأيام الأول والثانى يوافق الترتيب كما يظهر في البحث الأركيولوجي.

إن صدق الخطوط العريضة لما جاء عن أخبار بني إسرائيل بعد سليمان - عليه السلام - كما في الأسفار التاريخية في الكتاب المقدس لا بد أن يثير التقدير، خاصة إذا قارنا ذلك بما جاء في كتابات المؤرخ الإغريقي هيرودوت الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، وهو القرن الذي يزعم كثيرون من أنصار مدرسة «الحد الأدنى» أن خبر بني إسرائيل القديم قد دون فيه؛ فقد ارتكب هيرودوت أخطاء كثيرة، رغم أنه قد سافر كثيراً إلى البلاد التي نقل لنا خبراها؛ بما يدعم أن كتبة الأسفار التاريخية قد اعتمدوا تراثاً محفوظاً على مدى قرون، مكتوبًا وشفهياً⁽³⁾.

ثانياً: كثير من الملوك الذين دُلّ عليهم الدليل الأركيولوجي ممن جاء خبرهم في التوراة، ذكرت التوراة أنهم التقوا بأنبياء مخصوصين، أو عاصروهم. وداعي اختراع وجود هؤلاء الأنبياء مع صدق وجود هؤلاء الملوك، مستبعد في الجملة.

Ibid. (1)

Ibid. (2)

Baruch Halpern, 'Erasing History,' *Bible Review* 11.6 (1995): 31. (3)

ثالثاً: وجود أخطاء تاريخية في تفاصيل خبر الملوك الذين دُلّ على وجودهم الدليل الأركيولوجي، لا يطعن في استدلالنا بالتوراة لإثبات وجود هؤلاء الأنبياء؛ لأنّنا لا نستدلّ بصدق تفاصيل الخبر التوراتي، وإنما هو استدلال بحججية عامة الخبر التوراتي، خاصة ما كان قريباً من الأحداث.

وبعبارة الأركيولوجي وأستاذ الدراسات اليهودية، باروخ هالبرن: «طبعاً توجد أخطاء في الكتاب المقدس: ففبح^(١) لا يمكن أن يكون قد حكم عشرين سنة. ومن المحتمل أن يكون بن هدد الدمشقي في 1 ملوك 20 و 2 ملوك 6 قد نقل خبره من نهاية القرن التاسع قبل الميلاد إلى متتصفه. ومن الراجح أنه قد التبس أمره في 2 ملوك 8 مع هددعزز. ولكن بالمقارنة مع الصورة العامة، فإن الأخطاء قليلة نسبياً»^(٢).

رابعاً: يُسلّم الملاحظة أن كشفاً تاريخياً واحداً، لنقش على جدار أو عمارة أو ختمٍ يكفي لإثبات وجود ملك أونبيٍ جاء خبره في القرآن والتوراة؛ حتى لو كان هذا النبي أو الملك في قصة القرآن أو التوراة مشهوراً جداً في عصره بما يفترض أن تتعدد دلالات الإشارة إليه. ونحن نرى أن كثيراً من أسماء الملوك التي سبق ذكرها، كانت في الرواية التوراتية عظيمة الأثر في بيتها، ومع ذلك فلم يدل عليها سوى أثر واحد أو اثنين، في كشف مكتفة في فلسطين أو غيرها. ويلزم من ذلك ترك العجلة في الحكم بإنكار وجود الأنبياء إذا لم نجد لهم خبراً واحداً.

خامسًا: عامة الأدلة الأركيولوجية على وجود ملوك إسرائيل في عصر المملكة المتحدة وبعدها، ذات طابع سياسي؛ فهي إما اختتام رسمية، أو نقوش على عمار، أو نقوش لحواليات ملوك، أو نقوش لتخليد انتصارات ملوك. ولم يظفر كل من هؤلاء الملوك إلا بعد قليل جداً من الشواهد الباقية على وجوده. وهو ما يجعل

(١) فبح، خلف فصحاً في حكم مملكة إسرائيل الشمالية.
Ibid. (٢)

العثور على شواهد أركيولوجية على وجود الأنبياء عسيراً؛ لأنهم ليسوا في عامة الأحوال من أصحاب المناصب السياسية الرسمية التي يُذكر خبرها في الأخذام أو النقوش. وربما لا يُستثنى اليوم من ذلك إلا إشعيا (بالعبرية يشعياهو *ישעיהו*) النبي فقد اكتشفت الأركيولوجية إيلت مازار منذ عقد من الزمان في حفرياتها في القدس أداة ختم طينية *bulla* للملك حزقيا، وهي أول أدلة ختم تُكتشف لملك إسرائيلي، كما اكتشفت على بعد أمتار منها، في الطبقة نفسها من التراب، أدلة ختم أخرى مكتوب عليها: لি�شعياهو النبي، علمًا أن الفصل 39 من سفر إشعيا يذكر أن إشعيا كان قريباً من ملك يهودا حزقيا؛ حتى إنه كان يسدي له النصائح في الملتمات. وقد شكك بعضهم في قراءة: النبي لسقوط الحرف الثالث «اليد»، ولكن الفحص الدقيق يرجح بقوة وجود الياء في الأصل⁽¹⁾.

ختم إشعيا النبي⁽²⁾



Eilat Mazar, 'Is This the Prophet Isaiah's Signature?' *Biblical Archaeology Review* 44.2 (2018): 64- (1) 73,92.
Ibid. (2)

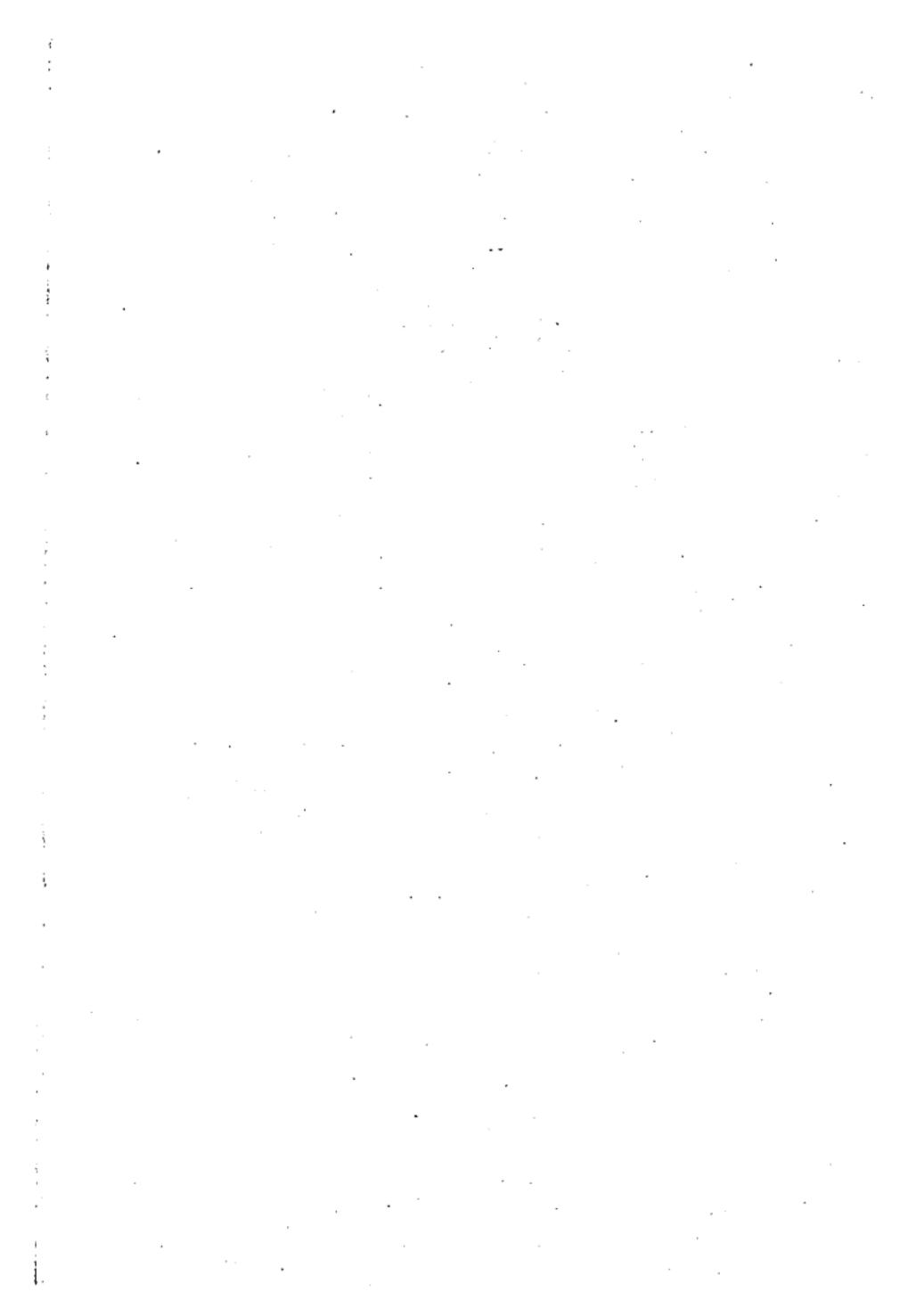


سادسًا: الاعتراف بتاريخية أنبياء من بنى إسرائيل واجب حتى عند من زعم أن التراث الإسرائيلي القريب من داود - عليه السلام - مزييف كلية؛ إذ إنك مهما أخرت تدوين اليهود تاريخهم؛ ستجد نفسك قريباً من عصر الأنبياء. ولذلك؛ فرغم تبني خرزل الماجدي لأشد القراءات تطرفاً لتأريخ اليهود؛ إلا أنه اضطر إلى الاعتراف بوجود الأنبياء نحرياً وحجياً وذكرها وحزقيال^(١).

سابعاً: يقضي الكشف عن أسماء ملوك مملكة السامرة ويهودا في آثار فلسطينقضاء تاماً على الأطروحات الشاطحة التي تزعم أن التوراة قد تمت كتابتها في اليمن كما في الكتابات الطافية بالتدليس التاريخي والجغرافي واللغوي للصحفي اليساري فاضل الربيعي، وقبله كتاب كمال الصليبي «التوراة جاءت من جزيرة العرب». فالشواهد التاريخية، مُجمعةً وصريحة بلا أدنى شائبة شك أو تردد في إثبات فلسطينية جغرافية التوراة منذ عصر داود - عليه السلام - على الأقل.

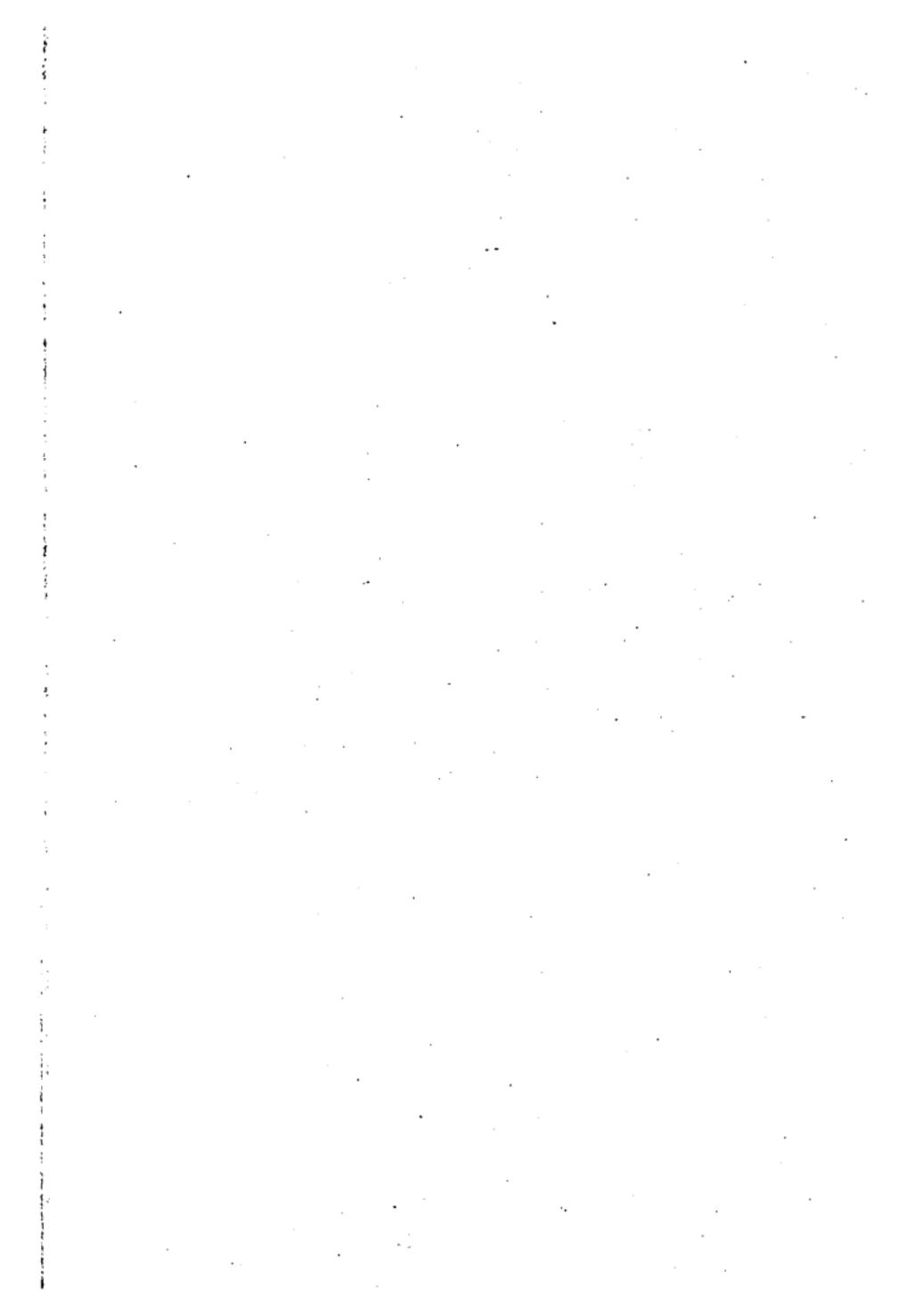
كلّ ما سبق، يعني - عند المنصف - القول بأسطورة الأنبياء، و يجعل اللاديني المشكك في تاريخيتهم؛ مهدداً بالتناقض في تأصيله وتفصيله.

(1) خرزل الماجدي، تاريخ القدس القديم، ص 218، 228.



الباب الثاني

الوجود التاريخي للأنبياء
منذ عصر محمد - صلى الله عليه وسلم -
إلى عصر عيسى - عليه السلام -

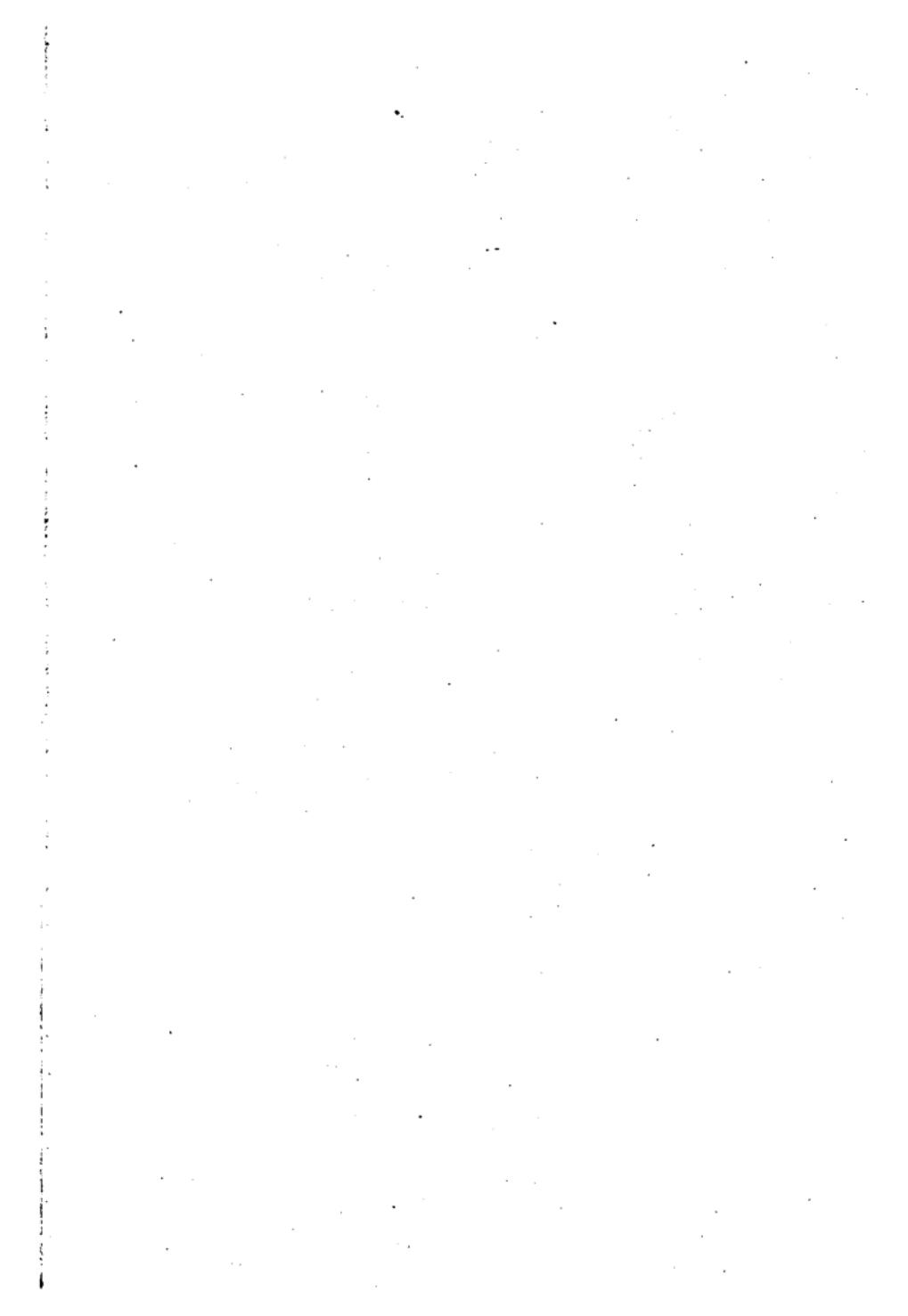


تمهيد:

يمتد تاريخ النبوة في القرآن إلى عصر ظهور أول بشر على وجه الأرض؛ وهو تاريخ طويل، بعضه فيه نور، والآخر نوره خافت، وثالث يهيمن عليه الظلام. وتميز المدة من القرن الأول إلى القرن السابع الميلادي بأنها أعظم أزمنة النبوة نوراً في شأن تداول الأخبار والمعرف - مقارنة بما سبق؛ إذ لم تظهر الطباعة بعد -، لانتشار الكتابة التاريخية بين المهتمين بالتاريخ، وتقارب الشعوب بعد أن عظم حجمها.

وقد جاء الخبر في القرآن أنه قد ظهر في تلك القرون أربعة أنبياء: محمد - صلى الله عليه وسلم - في القرن السابع حيث أعلن نبوته في بلاد العرب، وعيسى ويحيى وزكريا - عليهم السلام -، وثلاثتهم في القرن الأول في فلسطين.

وستتناول في هذا الباب البحث في الوجود التاريخي لهؤلاء الأنبياء في ضوء الشواهد التاريخية.



الفصل الأول

الوجود التاريخي لمحمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

المبحث الأول: محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في التراث الإسلامي

محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، النبي العربي الذي أُرسَلَ إِلَى النَّاسِ كافَةً. وُلدَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سنة 571 ميلادياً في مكة، في الحجاز. كان كتابه الذي أُنْزَلَ إِلَيْهِ الْقُرْآنَ، أَوْلَى كِتَابٍ عَرَبِيًّا، وَهُوَ أَعْظَمُ دَلَائِلَ نِبَوَتِهِ.

وُلدَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَتِيماً، وَاتَّخَذَ التَّجَارَةَ مَهْنَةً قَبْلَ إِعْلَانِ نِبَوَتِهِ. جَاءَهُ الْوَحْيُ فِي سِنِّ الْأَرْبَعِينِ فِي غَارِ حَرَاءَ فِي مَكَّةَ. كَانَ التَّوْحِيدُ أَعْظَمُ مَبَادِئِ دِعَوَتِهِ، وَتَجَدِيدُ مَلَّةِ إِبْرَاهِيمَ مَجَالُ مَعْرِكَتِهِ مَعَ قَوْمِ الْوَثَّابِينَ. اسْتَمَرَ فِي الدُّعَوةِ إِلَى تَرْكِ الشَّرِكَةِ طَبِيلَةً مَرْحَلَةَ الْإِسْلَامِ الْأَسْتَضْعَافِ فِي مَكَّةَ. ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى يَثْرَبِ حِيثُ أَقَامَ دُولَةُ الْإِسْلَامِ.

عَاشَ مُحَمَّدَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي يَثْرَبِ مَعَ جِيرَانِهِ مِنِ الْوَثَّابِينَ وَبَعْضِ الْقَائِلِيَّةِ. وَكَانَ فِي زَمَانِهِ فِي مَنْطَقَةِ نَجْرَانَ نَصَارَى، كَمَا غَلَبَ النَّصَارَى عَلَى الْبَلَادِ الْمَجاوِرَةِ لِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فِي الْعَرَاقِ وَالشَّامِ وَالْحِبْشَةِ وَمَصْرُ.

تَوَفَّى مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي سِنِّ 63 مِنْ سِنِّهِ، سِنَّةَ 632 م. وَخَلَفَهُ مَجْمُوعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي حُكْمِ دُولَةِ الْإِسْلَامِ؛ فَانْتَشَرَ الدِّينُ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ بِسَرْعَةٍ مَدْهَشَةٍ فِي الْبَلَادِ الْمَجاوِرَةِ، قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ فَتوْحَاتُ هَذِهِ الدُّولَةِ أَوْجَهَها مَعَ قِيَامِ الدُّولَةِ الْأَمُوْرِيَّةِ (41 هـ - 662 م / 750 م - 132 هـ) الَّتِي وَصَلَتْ جَنُوبَ أَورُوْبَا غَرِبًا وَبِلَادَ ما وَرَاءِ النَّهْرِ شَرْقًا.

تَرَكَ نَبِيُّ الْإِسْلَامِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ بَعْدِهِ ذَرِيَّةً مِنْ نَسْلِ حَفْيِيَّةِ الْحَسَنِ

والحسين ابني فاطمة بنته - عليهم السلام - . كما ترك للأمة علماء ومربيين من صحابته لا يزال نسلهم إلى اليوم في تكاثر، في جزيرة العرب وخارجها، كما ترك دولة تحكم بالشريعة الإسلامية حتى سقوطها في القرن الرابع عشر هجرياً.

تم تناقل سيرة نبي الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ عصر النبوة بالأسانيد التي تنتهي إلى الصحابة الذين نقلوا أفعاله، وأقواله، وتقريراته، وأوصافه. وقد كانت العناية بالأسانيد في نقل هذه الأخبار عظيمة؛ حتى إن علماء الإسلام قد أنشؤوا علماً كاملاً في دراسة أسانيد هذه الروايات ومتونها، وإسقاط ما لا يصح منها، وهو «علم الحديث» الذي لم تعرف أمة أخرى له نظيرًا.

إن حضور محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمة الإسلام لم ينقطع منذ 15 قرناً. فهو حضور طاغ على حياة المسلمين، العقدية، والتشريعية، والقيمية، والسلوكية؛ سواء بحضور شخصه عصر البعثة، أو بحضور ميراث الوحي والسيرة بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لمحمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –

وجود محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أوضح واضحات التاريخ؛ إذ هو الخبر الذي غيرت حركة العقائد والأفكار والسياسة منذ القرن السابع الميلادي، وبه بدأ تاريخ جديد للبشرية؛ ولذلك أجمع عليه المؤرخون. وشواهد كثيرة، ومتعددة؛ يعسر حصرها. ولو لا فوضى الأفكار وشطحات الدعاوى في أيامنا، لما تنزل الكاتب ليثبت ما لا سبيل لعاقل أن يُنكره. ولذلك سبباً في عرض الشواهد التاريخية لوجود محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بنقل الإجماع على حقيقة وجوده بين المؤرخين من غير المسلمين؛ قطعاً لوهם اختلاف الباحثين الجادين في ذلك، ثم نعرض لبعض ما يؤكّد بداعه هذا الأمر.

المطلب الأول: إجماع المؤرخين

كانت مسألة وجود محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قضية مسلمة، من بدويات التاريخ منذ القرن السابع، ولا تزال كذلك حتى اليوم، وإن ظهرت بعض الشخصيات الشاطحة منذ النصف الثاني من القرن العشرين لتشكّك في ذلك، وهي فلة لا تعكر الاتفاق على وجود نبي الإسلام – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.

والإجماع على وجود نبي الإسلام – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ليس نابعاً عند المستشرقين من تصديق رباتية القرآن أو كتب السيرة النبوية؛ فإنّ عامة المستشرقين ينكرون رباتية القرآن ويبالغون في التشكيك في صدق الروايات الحديثة. وإنما قد بلغت الشهادات على وجوده – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مبلغاً فاماً لكـلـ شـكـوكـة؛ حتى قالت باتريشيا كرون⁽¹⁾ – وهي من أبرز المستشرقين تشكيكاً في الروايات الإسلامية وطعنـا فيها حتى زعمـتـ أنـ مـكـةـ لاـ تـوـجـدـ فـيـ الحـجـازـ وإنـماـ فـيـ الـأـرـدـنـ!⁽²⁾

(1) باتريشيا كرون Patricia Crone (1945 - 2015) : مستشرفة دانماركية مهتمة بالتاريخ الإسلامي المبكر. درست في أوكسفورد وكمبريدج وبرمنستر.

(2) Patricia Crone, *Meccan Trade and the Rise of Islam* (Oxford: Basil Blackwell, 1987).

- في مقالتها «ما الذي نعرفه حقاً عن محمد؟»: «لا شك في أن محمداً كان موجوداً، بالرغم من المحاولات العرضية للإنكار وجوده. سمع عنه جيرانه في سوريا البيزنطية في غضون عامين من وفاته على أبعد تقدير. ذكر نصٌ يونانيٌ مكتوب أثناء الغزو العربي لسوريا بين 632 و 634 أنَّ «بنياً كاذباً ظهر بين الساراكينوسين»⁽¹⁾... إذا كان هذا التاريخ المنقح دقيقاً، فإن النص اليوناني يدلُّ على أنَّ محمداً هو المؤسس الوحيد للدين العالمي يشهد على وجوده مصدر معاصر له. وعلى أي حال، فإنَّ هذا المصدر يعطينا دليلاً لا يمكن دحضه على أنه شخصية تاريخية»⁽²⁾.

كما شارك مايكيل كوك زميلته كرون الإقرار بوجود محمد - صلى الله عليه وسلم -، رغم أنه شاركها تأليف كتابها: «الهاجريون» الذي يعتبر أحد أهم الكتب الطاعنة في الروايات الإسلامية، والمتطرفة في قراءتها التاريخية والجغرافية للسيرة النبوية؛ فقد قال في كتابه «محمد»، بعد أن ذكر المصادر الإسلامية وغير الإسلامية للسيرة: «ما الذي تقوله لنا هذه المادة؟ من الممكن أن نبدأ بال نقاط الكبri التي تتفق مع التراث الإسلامي. لقد ألغت كل شك في شأن أنَّ محمداً شخص حقيقي. لقد سُمِّيَ محمدٌ في مصدر سرياني من التاريخ نفسه... هناك بردية من سنة 643 مؤرخة خبر عنه في مصدر يوناني من التاريخ نفسه... هناك بردية من سنة 622 مؤرخة على أنها تعود إلى «سنة اثنان وعشرون»؛ بما يصنع افتراضنا قوياً أن شيئاً ما قد وقع سنة 622 م. وشهد المؤرخالأرمني لأحداث ستينيات القرن السابع أنَّ محمداً كان تاجراً، وأكَّد مركزية إبراهيم في دعوته. يَظْهُر المزار الإبراهيمي [الكعبة] في مصدر سرياني مبكر يعود إلى سبعينيات القرن السابع»⁽³⁾.

(1) الساراكينوسون: لقبُ كان يطلق على العرب، ثم المسلمين منذ العصور الإسلامية الأولى وعلى مدى القرون الوسطى.

(2) Patricia Crone, "What Do We Actually Know About Mohammed", June 2008 (2)
https://www.opendemocracy.net/en/mohammed_3866jsp/.

(3) Michael Cook, *Muhammad* (Oxford: Oxford University Press, 1996), p.74.

المطلب الثاني: شهادة التواتر

التواتر لغة هو التتابع؛ بأن يجيء الشيء بعد الآخر. وأصطلاحاً - عند المحدثين -: ما يرويه العدد الكبير الذي تمنع العادة تواطؤهم على الكذب، عن مثلهم، في كل طبقة، إلى متهى الإسناد، ويكون مستند الخبر الحسن^(١).

فالتواتر بذلك مشروط بشروط شديدة؛ حتى يفيد العلم اليقيني الذي لا يخالطه شك، خلاصتها:

- أن يكون عدد الرواة في كل طبقة كثيراً؛ بما يمنع - في مجرى العادة - أن يتواطؤوا على الكذب.
- أن تكون الصفة السالفة لهذه الكثرة في كل طبقة من طبقات رواية الخبر.
- أن يكون متهى الرواية مستنده الحسن؛ فلا عبرة بكثرة الرواة إذا كانوا ينقلون اجتهاذاً عقلياً؛ إذ لا بد أن يروا ما رأوا بأعينهم أو سمعوا بأذانهم، أو جسوا بأصابعهم...

والشك في حجية التواتر يقول ضرورة إلى السفسطة؛ فإن من شك في صدق الأخبار التي توفر فيها هذه الشروط الشديدة؛ لا يمكنه أن يصدق أي خبر يرويه الناس؛ لأن أخبار الناس إنما متواترة أو دون ذلك، أي أخبار آحاد. ومعلوم أن معارف الإنسان إنما حصيلة الأخبار أو قائمة على الأخبار. ومن ردة الأخبار، لزمه الجهل، كجهل الأطفال قبل التلقين والتعلم.

والناظر في خبر نبى الإسلام - صلى الله عليه وسلم -، علم أن ما وصلنا منه من قرآن وأحاديث (الأفعال والتراكيب والإقرارات) متواتر بعضها، وببعضها آحاد في أفراده متواتر في معناه؛ كمجاهرته بالتوحيد في مكة، وزواجه من عائشة رضي الله عنها، وهجرته إلى المدينة... فالآحاديث التي تتحدث في الأمور التاريخية السالفة كثيرة

(١) انظر ابن حجر، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الآخر، تحقيق: عبد الله الرحيلي (المدينة المنورة، 1429هـ/2008م)، 39 - 40.

جداً، يمتنع التواطؤ على اختلاقها، برويها في الطبقة الأولى من رأوها بأعينهم. وتواتر خبر وجود محمد - صلّى الله عليه وسلم -، هو تواتر طبقة، وهو - عند فريق - فوق تواتر المحدثين؛ إذ يُستغنِّي فيه عن الإسناد؛ فهو أن تأخذ طبقةً واسعة من الناس عن طبقةٍ واسعة أخرى الخبر؛ لأنَّا لو جزَّأْنَاه قطعاً وأجزاءً؛ لكفى جزءٌ من ألف جزءٍ لِإفادة العلم اليقيني^(١).

وبلغة الأرقام أقول: عدد الصحابة الذين يُشهدُ أنَّهم رأوا الرسول صلّى الله عليه وسلم قد بلغوا أكثر من مئة ألف، وعدد التابعين الذين رأوا الصحابة أعظم من ذلك بكثير، وعدد تابعي التابعين الذين رأوا التابعين أضعاف ذلك. وتذكير ما تلقَّاه مئات الآلاف عن مئات الآلاف عن المئات ألف، من أمر تاريخية محمد صلّى الله عليه وسلم، عناد ما بعده عناد!

إننا - باختصار - أمام خبر رجل عاش في القرن السابع الميلادي، نُقلت لنا أقواله وأفعاله عن أكثر من ألف صحابي^(٢)، وروى عنهم أكثر منهم من التابعين، وروى عن التابعين أضعافهم من تابعي التابعين. وهذا نقل لا يوجد له نظير في التاريخ. ومن شكٍ فيه؛ لزمه ألا يُصدق وجود بشرٍ نُقل إليه أنه قد عاش على الأرض. ويكفي أن تعلم أنَّ المسيح الذي أجمع النقاد على وجوده التاريخي لم يصلنا عنه أي خبر متصل بالإسناد؛ لتدرك مبلغ ضلاله الشك في وجود محمد - صلّى الله عليه وسلم -.

ومما تواتر أيضاً، وجود طبقة من الناس في القرن الأول الهجري من نسل نبي الإسلام صلّى الله عليه وسلم. وقد كان لعدد من أفراد هذه الطبقة دور سياسي بارز جداً في بعض أهم أحداث القرن الأول، خاصة في الخصومة مع الدولة الأموية التي

(١) إمداد الحق السهلاني، هداية الساري إلى دراسة البخاري (داكا: دار الفكر الإسلامي، 1423هـ)، 3/298.

(٢) رأى الرسول صلّى الله عليه وسلم مئة ألف صحابي. وأنا عدد من رووا عنه أحاديث دُوَّت في الكتب، فمحظَّ في بين العلماء، وهو - إجمالاً - بين 1018 صحابي كما هو عَذَابِن حزم، وأربعة آلاف صحابي على قول الحاكم النيسابوري. (انظر سيد بن كسرى بن حسن، هدي القاصد إلى أصحاب الحديث الواحد (بيروت: دار الكتب العلمية، 2002)، 1/6).

جاءت بعد الخلافة الراشدة. ورغم ما كان من صراع بينهم وبين الأميين، إلا أنه لم يشكك أحد من خصومهم في صلة الدم بينهم وبين نبى الإسلام صلّى الله عليه وسلم. وإن جمال الكلام بلغة هازلة؛ أن نقول لك إن التشكيك في وجود محمد - صلّى الله عليه وسلم - مع توافر الأخبار الكثيرة المتصلة عنه -، يلزم منه إغلاق أقسام التاريخ في الجامعات، وسحب الشهادات من الخريجين.

المطلب الثالث: شهادة المصاحف

القرآن، النص التأسيسي للإسلام، عقيدة وشريعة. اجتهد عدد كبير من المستشرقين لإنكار رياسته. ولما وجدوا أنه يضمُّ من أخبار الأولين ما لا يملك أن يعلَمَهُ رجلٌ أُمِّيٌّ من قريش في قلب صحراء الحجاز، ذهبوا في إثبات بشرية هذا الكتاب كلَّ مذهب؛ حتى قالت مدرسة المستشرق الأمريكي ونسبرو إنَّ القرآن لم يظهر إلا آخر القرن الثاني الهجري ليسمحوا بتأثيره ببيئة نصرانية متاخرة.

وجد مذهب وانسبرو صدى عند دعاة التنصير والإلحاد الشعوبين في الغرب. ولم يكن الرد الإسلامي هو القائم لهذه الدعوى؛ فإنَّ هذا المذهب لا يأبه بأسانيد القرآن المحفوظة عبر كلِّ جيل، ولا لكتاب يُتلى في الصلوات الخمس في كلِّ بلاد المسلمين منذ زمنبعثة، ونوصوه مصدر الفقه والأخلاق منذ السنة الهجرية الأولى. وإنما جاء الردُّ الحاسم في دراسات المستشرقين - غير المسلمين - الدارسين لمخطوطات القرآن، والذين جمعوا عدداً كبيراً منها من القرن الأول الهجري.

يقول المستشرق الفرنسي فرنساوا ديروش - أبرز علماء مخطوطات القرآن اليوم -: «صحيح أنَّ جون وانسبرو قد دافع عن فكرة أنَّ النص - كما نعرفه - قد دون ب بصورة متاخرة، واقتصر أنَّ نهاية القرن الثامن، أعلى تاريخ ممكن لهذه العملية. لكن الآثار المادية لتداوِل كتابي للقرآن مطابق للنسخة العثمانية، تعود في أسوأ الأحوال إلى زمن لا يتجاوز نهاية القرن السابع، قد استبعدت هذا الاحتمال بشكل قاطع»⁽¹⁾.

François Deroche, *Le Coran (Que sais - je?)* (Presses Universitaires de France, 2014), pp.74 - 75. (1)

مؤكداً أن سور القرآن - مهما قيل في شكلها الأول - كانت موجودة في عصر نبى الإسلام - صلى الله عليه وسلم -⁽¹⁾.

وقد جمعت المستشرقة إستال ويلان من مصادر عربية كثيرة ما يدل على انتشار ظاهرة نسخ المصاحف مع نهاية القرن الأول الهجري. كما استدلّت بالأيات المكتوبة على قبة الصخرة لتأكيد أن تداول القرآن كتابة كان حقيقة واقعة في النصف الثاني من القرن الأول الهجري⁽²⁾.

كما أثبتت البحث العلمي بالاعتماد على وسائل مختلفة (الخطاطة، والفيزيولوجيا، والتاريخ، والكرتون 14) أننا نملك بين أيدينا نسخاً من مخطوطات قرآنية تعود إلى العصر الأموي (القرن الهجري الأول وبداية الثاني)⁽³⁾.

ومن مخطوطات القرآن التي ردها المتخصصون في الخطاطة وتاريخ مخطوطات القرآن إلى القرن الأول الهجري:

1. مخطوطة منسوبة إلى عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، محفوظة في أمانة خزانة، توبكابي سراي، إسطنبول، رقم: 1.

2. مخطوطة أخرى تُنسب إلى عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، محفوظة في أمانة خزانة، توبكابي سراي، إسطنبول، رقم: 208. وهي تضم 300 ورقة، وفيها نقص في بداية المصحف وأخره.

3. مخطوطة أخرى تُنسب إلى عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، محفوظة في أمانة خزانة، رقم: 10. تضم 83 ورقة.

4. مخطوطة أخرى تُنسب إلى عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، محفوظة في متحف الفن الإسلامي، في إسطنبول. ناقصة من الأول والوسط والأخر.

5. مخطوطة منسوبة إلى عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، محفوظة في المكتبة المصرية، القاهرة.

Ibid., 75. (1)

Estelle Whelan, 'Evidence for the early codification of the Qur'an', JAOS 118 (1998), pp.10 - 14. (2)
François Déroche, *Qur'ans of the Umayyads: A First Overview* (Leiden ; Boston: Brill, 2014), p.7. (3)

6. مخطوطة منسوبة إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- مكتوبة على طرس، محفوظة في Muzesi Kutuphanesi، توبكابي سراي. رقم: (36E.H.29). تتكون من 147 ورقة.
7. مخطوطة منسوبة إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، محفوظة في أمانة خزانة، توبكابي سراي. رقم: 33. تضم 48 ورقة.
8. مخطوطة منسوبة إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، محفوظة في أمانة خزانة، توبكابي سراي. رقم: (25E.H.2). تضم 414 ورقة.
9. مخطوطة منسوبة إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، محفوظة في مكتبة رضا، رمبور، الهند. رقم: 1. تضم 343 ورقة.
10. مخطوطة منسوبة إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، محفوظة في صنعاء، اليمن.
11. مخطوطة منسوبة إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، محفوظة في المشهد الحسيني، مصر.
12. مخطوطة منسوبة إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، محفوظة في النجف، العراق. وتضم 127 ورقة.
13. مخطوطة منسوبة إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، موجودة أيضاً في النجف، في العراق.
14. مخطوطة منسوبة إلى الحسن بن علي -رضي الله عنه- (متوفى 50 هـ). محفوظة في مشهد، في إيران. وتضم 41 ورقة.
15. مخطوطة منسوبة إلى الحسن بن علي -رضي الله عنه-. محفوظة في مشهد، إيران. رقم: 12. وتضم 124 ورقة.
16. مخطوطة منسوبة إلى الحسن بن علي -رضي الله عنه-. محفوظة في النجف، العراق. وتضم 124 ورقة.

17. مخطوطة من 332 ورقة. محفوظة في المكتبة المصرية، القاهرة. رقم: 139 مصاحف.
18. مخطوطة منسوبة إلى خديع بن معاوية (توفي 63 هـ). نُسخت سنة 49 هـ. محفوظة في أمانة خزانة، توبكابي سراي. رقم: 44. وتضم 226 ورقة.
19. مخطوطة كوفية الخط نُسخت سنة 74 هـ. محفوظة في أمانة خزانة، توبكابي سراي. رقم: 2. وتضم 406 ورقة.
20. مخطوطة منسوبة إلى الحسن البصري. محفوظة في المكتبة المصرية. رقم: 50 مصاحف.
21. مخطوطة من متحف الفن الإسلامي، محفوظة في إسطنبول. رقم: 358.
22. مخطوطة من 27 ورقة. المكتبة المصرية. محفوظة في القاهرة. رقم: 247.
23. مخطوطة من المسجد الكبير في صنعاء. محفوظة في دار المخطوطات، اليمن. رقم: DAM 01-27.1
24. مخطوطة من المسجد الكبير في صنعاء. محفوظة في دار المخطوطات، اليمن. رقم: DAM 01 - 25.1
25. مخطوطة من المسجد الكبير في صنعاء. محفوظة في دار المخطوطات، اليمن. رقم: DAM 01 - 29.1
26. مخطوطة (Or. 2165). المكتبة البريطانية. لندن.
27. 5000 ورقة من مخطوطات متفرقة، المكتبة الوطنية الفرنسية. كثير منها من القرن الأول الهجري⁽¹⁾.

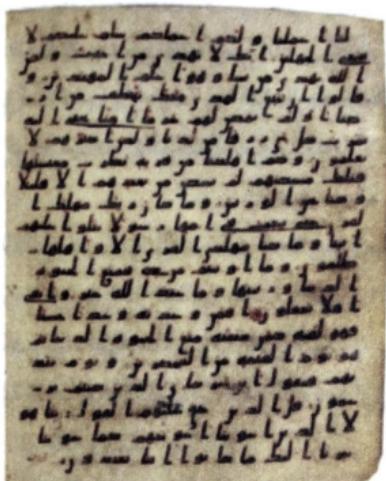
See 'Abdullah David and M. S. M. Saifullah, Concise List of Arabic Manuscripts of the Qur'ān (1) Attributable to The First Century Hijra,
<<http://www.islamic-awareness.org/Quran/Text/Mss/hijazi.html>>

وقد درس المستشرق الإيطالي سيرجيو نوجا نوسيدا⁽¹⁾ مع فرنساوا ديروش المصاحف المكتوبة بالخط الحجازي، والتي تعود إلى القرن الأول للهجرة، وخلصا إلى أنها تحفظ ما يقرب من 83 % من النص القرآني⁽²⁾. وتتجدر الإشارة إلى أن هذين العالمين لم يُدرجَا في دراستهما المصاحف المكتوبة على البرديات، ولا المكتوبة على الرقوق الحجازية المكتشفة في صناع، ولا المصاحف المكتوبة بالخط الكوفي.

والمدهش أن هنالك قرائن على أنها نمتلك مخطوطة تعود إلى عصر الخلفاء الراشدين، وهي مخطوطة توبنجن التي تملكها جامعة توبنجن Tübingen University (ألمانيا). وقد أثارت ضجة عالمية منذ سنوات قليلة؛ بعد أن دلَّ البحث العلمي أنَّ الجلد الذي كُتِبَ عليه قد هُيئَ للكتابة بين 649 - 675 م، أي بعد سنوات قليلة من وفاة الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - 632 م⁽³⁾.

(1) سرجيو نوجا نوزاده (1931 - 2008) : أستاذ اللغة والأدب العربيين في جامعة Università Cattolica del Sacro Cuore . F. Déroche and S. N. Noseda, eds. *Sources de la Transmission Manuscrite du Texte Coranique*. I. Les manuscrits de style hijazi. Volume 2. Tome I. Le manuscrit Or. 2165 (f. 1 à 61) de la British Library (London: Fondazione Ferni Noja Noseda, Leda, and British Library, 2001), p. xxvii
Türk ve İslâm Eserleri Müzesi, Massumeh Farhad, Simon Rettig, *The Art of the Qur'an: Treasures from the Museum of Turkish and Islamic Arts* (Washington DC: Smithsonian Institution, 2016), p.66.

ورقة من المخطوطة القرآنية لجامعة توبينجن^(١)



كما اهتم بعض الباحثين المسلمين بتبني النقوش القرآنية المبكرة على الصخور وغيرها في جزيرة العرب والشام، ومنها كتاب الدكتور غانم قدوري الحمد: «النقوش القرآنية المبكرة، دراسة في الدلالات التاريخية، والظواهر الكتابية». وهي بتنوعها الجغرافي تشهد لحضور النص القرآني الواسع والمبكر.

ولأجل ما سبق، وغيره، انتهى المستشرق نيكولاي سيناي في مقاله الذي أصدره السنة الماضية عن المصاحف المبكرة، إلى أنّ الجدل حول أصل القرآن قد تم تضييقه في حدود القرن السابع الميلادي^(٢). وذاك وحده يكفي للقطع بحجية وجود القرآن مكتوبًا على وجود محمد صلى الله عليه وسلم.

Ibid. (1)

Nicolai Sinai, 'Beyond the Cairo Edition: On the Study of Early Quranic Codices', *The Journal of the American Oriental Society*, vol. 140, no. 1, 2020: 189 - 190.

المطلب الرابع: شهادة النقوش والمسكوكات والرسائل

النقوش هو كتابة لكلام أو رموز على صخر أو جدار أو أي شيء ثابت. والاعتماد عليه في البحث التاريخي، عظيم. وهو حجة عند أكثر الأركيولوجيين شكوكية إذا كان معاصرًا للخبر أو قريباً منه زمناً، ولم تَحُمْ حوله تهمة التزوير أو التحرير. وعموماً أن الجدل حول تاريخية شخصيات الكتاب المقدس كثيراً ما ينتهي بالعثور على نقش يورخ اسمهم؛ ليتحول الشك إلى يقين؛ إذ لا دليل عند هؤلاء أعلى من وجود الاسم مكتوباً في بيته التاريخية القديمة.

ورغم أن البيئة الإسلامية في القرن الأول لم تَغْنِ بنقش الأسماء على العمارت الإسلامية عنابة الأمم الأخرى بذلك؛ إلا أن التاريخ قد حفظ لنا نقوشاً تذكر اسم نبي الإسلام - صلى الله عليه وسلم - أو أبرز أصحابه في سياقات مختلفة. وهاهنا بعض المحفوظ⁽¹⁾.

ختم الخليفة عبد الملك بن مروان⁽²⁾

يعود هذا الختم إلى زمن حكم عبد الملك بن مروان 685 - 705 هـ / 65 - 86 م. وفيه على جهة كلمة «فلسطين» وعلى الأخرى على حدود الدائرة شهادة التوحيد: لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله. وفي الوسط: لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين.

(1) لنذكر النقوش التي يُقال إنها تعود إلى عصر النبوة أو الخلفاء الراشدين؛ لأنها لم تدرس إلى الآن دراسة علمية جادة تحسم الخلاف حول أصالتها، كنقوش جبل سلع (انظر عبد العزيز حميد صالح، تاريخ الخط العربي عبر العصور المتعاقبة، بيروت: دار الكتب العلمية، 2017، 2/ 174 - 179).

(2) <<https://www.islamic-awareness.org/history/islam/inscriptions/seal2.html>>.

ختم عبد الملك بن مروان
متحف الآثار، إسطنبول



درهم عبد الملك بن عبد الله^(١)
درهم فضي يعود إلى سنة 66 هـ / 685 م، وفيه:
عبد الملك بن عبد الله (بالفارسية الوسطى).
بسم الله محمد رسول الله.
عبد الملك بن عبد الله بن عامر حاكم بيشابور الزييري.

< <https://www.islamic-awareness.org/history/islam/coins/drachm1> >. (١)

درهم عبد الملك بن عبد الله
المتحف البريطاني، لندن



قبّر عباسة بنت جريج⁽¹⁾

اكتشف الباحث حسن الهواري بلاطة قبر امرأة اسمها عباسة بنت جريج، في أسوان. وعليها تاريخ 14 ذو القعدة لسنة 71 هـ / 19 أبريل 691 م.

نص النقش المكتوب:

بسم الله الرحمن الرحيم

Hassan Mohammed El - Hawary, "The Second Oldest Islamic Monument Known Dated AH 71 (AD 1) 691) From the Time of the Omayyad Calif 'Abd el - Malik Ibn Marwan», *The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland*, 1932, pp. 289 - 293.

إن أعظم مصايب أهل الإ

سلام مصايبهم بالنبي محمد

- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

هذا قبر عباسة ابنت

جريح (؟) بن سد (؟) رحمت الله

ومغفرته ورضوانه عليها

توفيت يوم الإثنين لأربع

عشر خلون من ذي القعدة

سنة إحدى وسبعين

وهي تشهد ألا إله إلا الله

وحده لا شريك له وأن

محمدًا عبده ورسوله

- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

بلاطة قبر عباسة
متحف الفن الإسلامي، القاهرة



THE TOMBSTONE OF 'ABBASA IBNAT GURAIG DATED
A.H. 71 (A.D. 691).

درهم عبد العزيز بن عبد الله بن عامر⁽¹⁾
درهم يعود إلى سنة 72 هـ / 692 م. وقد كتب على أحد وجهيه: عبد العزيز
عبد الله (اسم الحاكم). وعلى الحاشية: بسم الله العزيز. وعلى الجهة الأخرى للعملة
باللغة الفهلوية: اثنان وسبعون.
وبعدها:

Malek Iradj Mochiri, "The Pahlavi Forerunner of the Umayyad Reformed Coinage", *Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain And Ireland*, 1981, No. 2, pp. 168 - 172.

إله واحد لكنه
لا إله غيره
محمد رسول الله
عاصمه رسمها
رسول الله عاصمه
رسول الله عاصمه

PLATE I



Traditional Arab-Sasanian drachm of 'Abd al-'Aziz b. 'Abdullah b. 'Amir, issued for Sjatids (Segatids) in 72/691-2. This coin has a previously unknown Pahlavi reverse legend.

دينار أموي للخليفة عبد الملك 72 - 74 هـ⁽¹⁾

دينار أموي، ذهب مایكل بیتز والکر إلى أنه يعود إلى 72 - 74 هـ. وقد كتب

M. L. Bates, 'History, Geography And Numismatics In The First Century Of Islamic Coinage', *Revue (1) Suisse De Numismatique*, 1986, Volume 65, pp. 243 - 250.
Islamic Awareness, The Arab - Byzantine "Three Standing Imperial Figures" Dinār From The Time Of Umayyad Caliph 'Abd al - Malik, 72 - 74 AH / 692 - 694 CE <<https://www.islamic-awareness.org/history/islam/coins/dinar4>>.

على حاشية أحد وجهي العملة: بسم الله لا إله إلا الله محمد رسول الله.

دينار عبد الملك
المتحف البريطاني، لندن، وغيره



نقش الخليفة عبد الملك بن مروان 73 هـ⁽¹⁾

اكتشف شالوم كوتزر حجراً بازلتاً رمادياً سنة 1961 في المياه الضحلة قبالة الشاطئ الجنوبي لبحيرة طبرية. تم نقل هذا الحجر سنة 1962 من الماء إلى مستعمرة «إسرائيلية». وعلى الحجر نقش من ثمانية أسطر بخط كوفي بسيط، محفور على سطح أملس إلى حد ما.

ويمكن الاستدلال مما هو مكتوب في السطر الرابع أن هذا الحجر قد نقش لإحياء ذكرى صنع طريق في زمن الخليفة عبد الملك. تم العثور على أربعة معالم من زمن هذا الخليفة تحمل اسمه في فلسطين في نهاية القرن الماضي. وفي ذلك شهادة على أهمية هذا الطريق زمن الخليفة عبد الملك. ويبدو أن هذا هو أقدم نقش في الإسلام يتعلق بافتتاح طريق.

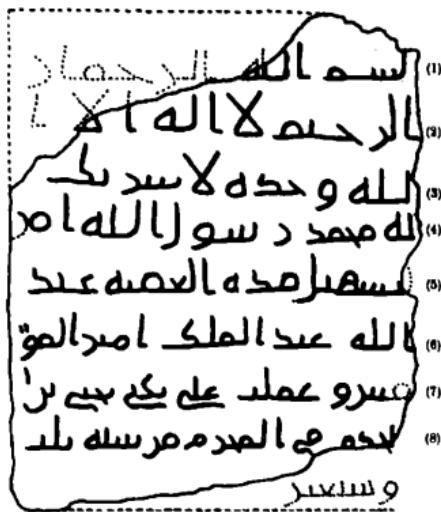
Moshe Sharon, 'An Arabic Inscription from The Time of The Caliph 'Abd al - Malik', *Bulletin of The School of Oriental and African Studies*, 1966, Volume 29, pp. 367 - 372.

وهذا هو نص النقش:

بسم الله الرحمن الرحيم
لا إله إلا الله
لله وحده لا شريك
له محمد رسول الله أمر
بتسهل هذه العقبة عبد
الله عبد الملك أمير المؤمنين
منين وعملت على يدي يحيى بن أبي
الحكم في المحرم من سنة ثلث
[وسبعين - - -]

نقش عبد الملك





كلمة «عقبة» في النتش تستعمل لممر عند مرتفع أو جبل. ومن هذه العقبات، «عقبة التين» و«عقبة الرمان» و«عقبة السير». ولا يُعرف عند بحر الجليل غير عقبة واحدة، تُعرف عند الجغرافيين المسلمين «عقبة الفيق» أو «عقبة أفيق». وقد سُميَت بهذا الاسم تبعاً لاسم قرية فيق أو أفيق. وقد كانت هذه المنطقة مهمة جداً في الطريق من دمشق إلى القدس.

ومن الملاحظ أنَّ الجزء المحفوظ من النتش ينتهي عند كلمة ثُلث (ثلاث). وعلمنا أنَّ هذا النتش قد تم في حكم عبد الملك بن مروان، يجعلنا بين خيارين اثنين فقط: ثلاثة وسبعين وثلاث وثمانين. وقد رجح المستشرق موسي شارون في دراسته لهذا النتش الخيار الأول: ثلاثة وسبعين⁽¹⁾.

Ibid. (1)

نقش إعادة بناء الحرم، 78 هـ^(١)

هذا النتش، واحد من عشرات النقوش الإسلامية المبكرة المكتشفة في حمى النمور، قريباً من الطائف، ضمن آيات، وأدعية للمغفرة والرحمة وإعلاناً للشهادة. يتميز هذا النتش بإثباته تاريخ كتابته بتاريخين اثنين، أولهما تاريخ إعادة بناء المسجد الحرام الذي أمر بالبدء في أشغاله الخليفة عبد الملك بن مروان سنة 75 هـ، وثانيهما ذكر السنة بعينها، وهي السنة 78 هـ. ومما تميز به هذا النتش أنه أول نقش يذكر المسجد الحرام.

نص النقش:

شهد الريان بن عبد الله أنه لا إله إلا الله

وشهد أن محمداً رسول الله

ثم هو يكفي من أتى أن يشهد على

ذلك رحم الله الريان

وغر له وأستهديه إلى صراط الجنة

وأسأله الشهادة في سبيله

آمين كتب هذا الكتاب

عام بني المسجد الحرام

لسنة ثمان وسبعين

An Inscription Mentioning the Rebuilding Of Al - Masjid Al - Ḥarām, 78 AH / 697 - 698 CE (1)
<https://www.islamic-awareness.org/history/islam/inscriptions/haram1.html>.

نقش إعادة بناء الحرم
حى النمور، قريباً من الطائف في بلاد الحرمين



سُبْدَ الْأَيَارِ سُرْعَدَاللهِ أَبْنَاهُ لِلَّهِ لِلَّهِ
وَسُبْدَارِ مُهَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ
وَسُبْدَارِ طَرَابِيَّةِ سُبْدَارِ عَلَى
دَلْكَارِ حَمَّهِ اللَّهِ لِرَارِ وَ
عَرْلَهِ حَمَّهِ عَلَى دَلْكَ طَالَهِ
وَاسْلَهِ السُّهَيْدَهِ فِي سَلَهِ
صَرْكَسْهَهَا الْجَهَنَّمَ
عَاصِمَهِ السَّهَيْدَهِ
لِسَهَارِهِ سَلَهِ

بردية ب. نسانا، ستينيات القرن الأول الهجري^(١)

بردية اكتشفت في عوجة الحفير، في فلسطين، فيها رسالتان بين 60 و70 هـ.
وفيها نص عربي وآخر يوناني.

نص الرسالة الأولى:

بسم [الله] الرحمن الرحيم

[من بين بن] قيس إلى يزيد بن الأسود وعبد الله [بن [...]
سلم] عل[يكم فلاني أحمد إليك الله الذي] لا إله إلا هو
[إن] الله لا يحب الظلم ولا الفساد وإنكم لا
دعوتكم إلى أمر تأمون فيه وتطلموا [...]]
ذلك التي تندموا وتوجهوا فيها [...] لكم]
[]

و [...] غالبة فإنه ببس الرأي رأيتم أن

[...] وتأخذوا ثمنها وإنني قد

[...] أ.. وإن يزيد بن فايد ليس له

[...] له دفع وإن لأهل نصان ذمة الله

وذمة ر[س]وله فلا تحسبو أن نقر لكم فيها ا

لفساد ولا الظلم فإذا جاكم كتبني هذا فا[...]

التي أنا [...] فوالله لا [...] إن منها

[...] ظلماً إلا تسلفته من أموالكم حتا أنعم أن

P. Nessana 77 - Earliest Papyrus Mentioning Dhimma, 60s AH / 680s CE (1)

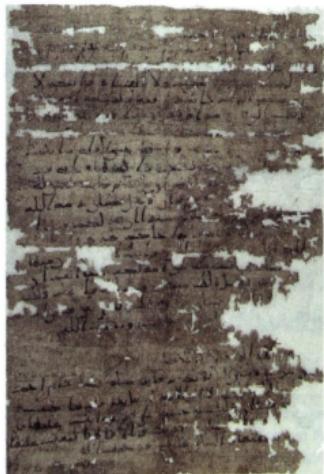
< <https://www.islamic-awareness.org/history/islam/papyri/pness77> >.

R. Hoyland, 'The Earliest Attestation Of The Dhimma Of God And His Messenger And The Rediscovery of P. Nessana 77 (60s AH / 680 CE)', in B. Saadeghi, A. Q. Ahmed, A. Silverstein, R. Hoyland, eds., *Islamic Cultures, Islamic Contexts - Essays In Honor Of Professor Patricia Crone* (Brill: Leiden & Boston, 2015) - Volume 114, pp. 51 - 71.

[بـ] [جـ] [زـ] يفعل ذلك منكم في ماله فاعلم ذلك
[إـ] [لـ] [هـ] [إـ] حسان ولا يغرنك وينـ [بغـ] يـ بينـ فـ [ذـ] يـ اـ ماـ
[[وـ] [الـ] [سـ] [لـ] مـ] عليـكم ورـحمـتـ اللهـ
نصـ الرـسـالـةـ الثـانـيـةـ:

[بـ] [سـ] [مـ] اللهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ
[إـ] [مـ] يـ بنـ يـ قـيسـ إـلـىـ يـ زـيدـ بـنـ فـاـيـدـ سـلـمـ عـلـيـكـ فـانـيـ أـحـمـدـ
[إـلـيـ] [كـ] اللهـ الذـيـ لـإـلـهـ إـلـاـ هـوـ أـمـاـ بـعـدـ فـانـيـ مـاـ كـنـتـ
[أـعـ] رـفـ أـنـ يـغـلـبـكـ بـنـ حـسـينـ عـلـىـ قـرـيـةـ أـنـتـ عـلـيـهاـ فـإـنـ
[إـلـاـ] عـلـيـهـ فـذـلـكـ وـإـلـاـ فـأـذـنـاـ بـعـثـ عـلـيـهـاـ
[مـ] يـكـفيـهاـ وـالـسـلـمـ عـلـيـكـ وـرـحـمـتـ اللهـ

بردية بـ. نـسانـاـ
هـيـثـةـ الـآـثارـ «ـإـسـرـائـيلـ»ـ





المطلب الخامس: شهادة غير المسلمين في العصر الإسلامي الأول

كان خبر ظهورنبي في جزيرة العرب في القرن السابع الميلادي أعظم حدث على الأرض؛ فقد نشأت عنه أمّة ودولة انتشرت في مناطق واسعة جدًا في المئة سنة الأولى حتى وصلت جنوب أوروبا، وتحذّت أكبر إمبراطوريات العالم حينها. وكانت هذه الأمة - وهي تسيّح في الأرض - تُخبر عن نبيها ورسالته.

لم يُذكر أحد من الذين عاشوا بين المسلمين أو جاوروهم في القرن الأول الهجري وجودنبي الإسلام - صلّى الله عليه وسلم -، وإنما اتفق الجميع على ذكر خبره؛ فهم بين ناقل عن المسلمين صحيح خبره، ومتغضّ شانع دفعته حميته الصليبية أو اليهودية أن يقول فيه بالشائعات الباطلة.

وقد جمع المستشرق روبرت هوبلاند في كتابه «الإسلام كما رأه الآخرون» شهادات كثيرة جدًا عن الإسلام في كتابات غير المسلمين في العصر الإسلامي المبكر (حتى 164هـ / 780م)، وهي شهادات متنوعة: باللغات السريانية والعبرية واللاتينية واليونانية والقبطية والصينية والأرمنية.

وسنكتفي هنا بقلة من الشهادات التي نقلها هوبلاند:

غزوat العرب (قريب من 636م)

كُتب في الورقة الأمامية لمخطوطة سريانية تعود إلى القرن السادس تضم إنجيل متى وإنجيل مرقس، بسبعينة أسطر تتحدث عن الفتح العربي، منها: «دُمِّرت قرى كثيرة بقتل (عرب) محمد أهلها، وقتل كثير من الناس (أخذوا) أسرى من الجليل».

وقد ذهب المستشرق نولده إلى أنَّ هذا النص قريب من أحداث معركة اليرموك التي ينقل خبرها⁽¹⁾.

توماس الكاهن (حوالي 640م)

كتب توماس الكاهن في تاريخه الذي ألفه سنة 640م، في آخر حكم هرقل: «في عام 945... يوم الجمعة 7 فبراير (634م) في الساعة التاسعة، دارت معركة بين الرومان وعربٍ محمدٍ في فلسطين، على بعد اثنى عشر ميلاً شرق غزة»⁽²⁾.

تاریخ خوزستان (حوالی 660م)

هذا تاريخ نسطوري مختصر اهتم بأهم فصول تاريخ الكنيسة والتاريخ السياسي من وفاة هرمز بن كسرى إلى نهاية المملكة الفارسية. وقد جاء فيه ذكر الفتوح الإسلامية. لم يُذكر في الكتاب اسم مؤلفه.

See Robert G. Hoyland, *Seeing Islam As Others Saw It: A Survey and Evaluation of Christian, Jewish(1) and Zoroastrian Writings on Early Islam* (Princeton, N.J.: Darwin Press, 1997), pp.116 - 117.
Thomas the Presbyter, *Chronicle*, pp. 147 - 148 (Cited in: Robert G. Hoyland, *Seeing Islam As Others Saw It*, p.120).

ومما جاء في الكتاب: «ثم نصر الله عليهم أبناء إسماعيل، [وهم كثرة] كالرمل على شاطئ البحر، وقائدهم محمد. لم توقفهم جدران ولا بوابات ولا دروع، وسيطروا على كامل أرض الفرس. أرسل يزدجرد لمواجهةهم عددا لا يحصى من القوات، لكن العرب هزموهم جميعا وقتلوهارستم»⁽¹⁾.

تاریخ أرمینیا (حوالی 660 م)

ُسبِّب كتاب «تاریخ أرمینیا» إلى الأسقف الأرمني سيبیوس الذي عاش في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي، غير أنَّ المحققين يرون أنَّ النص من تأليف مؤلف مجهول عاش في الفترة نفسها. والكتاب على كل حال قد ألف في حدود سنة 660 م. ويبدو من خلال سرده للأحداث أنه قد عاش أثناء جريان بعضها. كما يبدو من خلال حديثه عن تولِّي معاوية -رضي الله عنه- الحكم بعد الفتنة التي وقعت بعد الصحابة، أنه قد عاش بعد فترة قريبة من ذلك. وقد تميز الكتاب باعتماده على بعض الوثائق المكتوبة المهمة، واطلاعه على تفاصيل عدد من الأحداث الغامضة، وتوافق أخباره مع ما ذكره معاصره⁽²⁾.

كتب صاحب «تاریخ أرمینیا» في الفصل الثالثين: «في تلك الحقبة ظهر رجل من بين العرب، من أبناء إسماعيل، يُدعى محمدًا، وصار عَلَمًا... وعلمهم (محمد) الإيمان برب إبراهيم، خاصة أنه دارس وعالم بالتاريخ المosoوي. لأنَّ الأمر جاء من السماء، فقد أمرهم جميعاً أن يجتمعوا سوياً ويتوحدوا على الإيمان. وبعد أن تركوا تعظيم الأشياء الباطلة، اتجهوا نحو الله الحي الذي ظهر لأبيهم إبراهيم. شرع محمد لهم ألا يأكلوا الميتة، وألا يشربوا الخمر، وألا يكذبوا، وألا يرتكبوا الزنا. وقال: «الله وعد الله تلك الأرض إبراهيم وبنته من بعده إلى الأبد. وما وعد به تتحقق في ذلك الوقت عندما أحبت [الله] إسرائيل. أما الآن فأنتم أبناء إبراهيم. والله سيفي بالوعد

Robert G. Hoyland, *Seeing Islam As Others Saw It*, p.186. (1)

Ibid, pp.124 - 128. (2)

الذي قطعه لإبراهيم وابنه بكم. فقط أحجوا إله إبراهيم، واذهبوا وخذوا البلد الذي أعطاكم الله لأبيكم إبراهيم. لا أحد يستطيع أن يفلح في مقاومتكم في الحرب لأنَّ الله معكم»⁽¹⁾.

يوحنا بن بنكاي (حوالي 687 م)

ألف يوحنا بن بنكاي - راهب من الشمال الغربي لبلاد الرافدين - كتابه عن تاريخ الخليقة. وقد انتهى في آخر فصوله إلى ذكر الفتح الإسلامي ومجاعة سنة 67 هـ / 686 - 687 م. تحدث في كتابه عن بعض التفاصيل الدقيقة في التاريخ الإسلامي، كخبر ما كان بين الخليفة عبد الله بن الزبير - رضي الله عنه - ويزيد، وانتشار الأمن في عهد معاوية - رضي الله عنه -.

وقد وصف يوحنا بن بنكاي نبي الإسلام أنه «had مهذبه، ومعلم مهذبه»، وكتيبة لتعاليمه «تمسّك العرب بعبادة الإله الواحد وفقاً لعادات الشريعة القديمة». كما وصف يوحنا نبي الإسلام أنه مشرع. وذكر أنَّ العرب «حافظوا على تقليد محمد... لدرجة أنهم فرضوا عقوبة الإعدام على أي شخص يُرى أنه يتصرف بوقاحة ضد قوانينه»⁽²⁾.

تاريخ الأسقف يوحنا التقيوسي (حوالي سنة 690 م)

يوحنا التقيوسي، أسقف مدينة نقيوس الواقعة شرق الدلتا في مصر. مؤرخ معاصر للعصر الأول للفتح الإسلامي لمصر. ألف كتاباً في التاريخ، مفقود الأصل، قيل إنه باليونانية، وقيل إنه بالقبطية، وقد وصلتنا منه ترجمة أثيوبيّة.

جاء في تاريخ يوحنا التقيوسي 121. 10 - 11: «والآن فإنَّ العديد من المصريين الذين كانوا مسيحيين مزيفين أنكروا الإيمان الأرثوذكسي المقدس ومعهودية

Ibid, p.129. (1)
Ibid., pp.194 - 200. (2)

الحياة، واعتنقوا دين المسلمين أعداء الله، وقبلوا عقيدة... محمد، وقد زاغوا مع أولئك الوثنين، وحملوا السلاح بأيديهم وحاربوا المسيحيين. وأحدهم، ويدعى يوحنا الخلقيدوني لدير سيناء، اعتنق دين الإسلام، وترك عادة راهبه، وأخذ السيف، واخطهذ المسيحيين الذين كانوا أو فياء لربنا يسوع المسيح^(١).

Joannes of Nikiou, *The Chronicle of John (c. 690 A.D.) Coptic Bishop of Nikiu: Being a History of (1) Egypt Before and During the Arab Conquest* (Philo Press, 1981), p.201.

المبحث الثالث: أسباب التشكيك في وجود محمد – صلى الله عليه وسلم –

الحديث عن إنكار الوجود التاريخي لمحمد صلى الله عليه وسلم، صادم لكثير من الناس؛ لأن هذه الدعوى لم تسمعها الآذان من قبل؛ فهي حديثة عهد بظهوره، رغم وجود تاريخ طويل من الأديب المعاذية للإسلام في الشرق والغرب... فما وزن هذا المذهب في ساحة العمل الفكري بين غير المسلمين؟ وإلى ماذا يستند أصحابه في طرحهم هذا؟

المطلب الأول: المذهب الشاذ بين غير المسلمين

ينطلق الخطاب الاستشرافي في الجامعات الغربية من دعوى أولى مبدئية، وهي أن القرآن كتاب بشري، وجهد «الأكاديمي» لا بد أن يتوجه إلى كشف الطبيعة البشرية له، بالبحث في مصادره الثقافية العربية واليهودية والنصرانية والزرادشتية... ورغم ولع هؤلاء «الباحثين» بكل دعوى غريبة يتتصرون بها لبشرية القرآن؛ إلا أنهم ما اتجهوا إلى إنكار وجود رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلا قلة شاطحة –؛ لأن ضرورة الالتجاء إلى هذا الخط الشكوكى المتطرف؛ أن يصبح البحث في التاريخ بلا معنى؛ لأنه لا يمكن إثبات أي شيء مع هذه الشكوكية، مطلقاً..

ومن الظريف أن أشهر كتاب تشكيكي ألف في السنوات الأخيرة، هو كتاب الإسلاموفobi الكاثوليكي المعروف روبرت سبنسر: «هل وجد محمد؟». ومؤلفه بلا أدنى أهلية علمية لتناول دراسة التاريخ الإسلامي؛ فلا هو يعرف اللغة العربية، ولا هو قد تلقى دراسة نظامية في التاريخ الإسلامي، وما اشتهر الكتاب بين العوام إلا للخطاب التحريري للمؤلف على المسلمين في وسائل الإعلام.

والكتاب مُزعّم من الدعاوى المتطرفة، دون تحقيق، ونظر عادل. ولعل ذلك سبب

تجاهل الكتاب في الدوائر الاستشرافية بوضوح؛ ولا يكاد يُعثر على مراجعة نقدية له في المجالات العلمية التي تعنى بتقديم الكتب الأحدث.

وأهم من بيان قيمة الكتاب، حقيقة أنَّ المؤلف قد ختم كتابه بقوله: «هل وُجد محمد؟ لعله وُجد كنبي للعرب علمهم توحيداً غير واضح المعنى. ولكن بعد ذلك، ضاعت قصة حياته في ضباب الأسطورة»^(١)؛ أي إنَّ تشكيك سبنسر - المتطرف - لا يتعلّق بالوجود التاريخي لمحمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وإنما هو تشكيك في الصورة التراثية الإسلامية لمحمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

ولعلَّ أشهر ما يُستدلُّ به في الحديث الشعبي لإنتكار وجود الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، تأخر تأليف كتب السيرة، ووجود آثار للصلبان على العمارة الإسلامية الأولى؛ بما يدلُّ أنَّ «المسلمين» الأوائل كانوا نصارى، وتغيير جغرافية مكة من الحجاز إلى الشام!

المطلب الثاني: دعوى تأخر تدوين السيرة النبوية

القول بأنَّ تأخر كتابة السيرة النبوية، غفلة معيبة عن حقيقة مصادر السيرة؛ فإنَّ الظنَّ أنَّ السيرة قد كُتبت في القرن الثالث الهجري؛ بما يذهب بحجيتها؛ منكر من جهة الظنَّ أنَّ كتب القرن الثالث تعتمد على جمع الشائعات المتناثرة هنا وهناك، كما هو حال الأنجليل. إذ إنَّ عامة أخبار السيرة قد وصلتنا بالأسانيد المتصلة إلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. وكذلك هو منكراً من جهة الجهل أنَّ الكتابة في السيرة أقدم من القرن الثالث؛ فقد كُتب في خبر الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أو بعضه كالشمائل والغزوات...) قبل القرن الثالث، كالمأثور عن موسى بن عقبة، المتوفى سنة 141 هـ، ومعمر بن راشد، المتوفى سنة 154 هـ، ومحمد بن إسحاق، المتوفى سنة 151 هـ، ونجيح بن عبد الرحمن، المتوفى سنة 170 هـ، وعبد الملك ابن حزم الأنصاري، المتوفى سنة 176 هـ، والحافظ ابن وهب، المتوفى سنة 197 هـ...

Robert Spencer, *Did Muhammad Exist?: An Inquiry into Islam's Obscure Origins* (Wilmington, (1) Delaware: Isi Books, 2012), p.214.

إننا هنا إزاء روايات لهاآلاف الأسانيد، ولا تبعد عن عصر الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَّا أَجْيَالًا قَلِيلَة. والشك في صحة دلالة هذه الأسانيد على وجود نبي الإسلام - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، نوع صارخ من الجنون الذي يقتضي صاحبه ألا يصدق من أخبار الناس شيئاً؛ فإنه لا يُعرف لأحد على الأرض أخبار بهذا العدد من الأسانيد. هذا بالإضافة إلى أن القرآن، هو أهم مصادر السيرة، مع كتب الحديث التي تروي عامة أخبار النبوة، والمستندة بالجواب، أو كتب الحديث المعتبرة بأحاديث الأحكام أساساً، والمسمّاة بالسنن، وغير ذلك من دواوين السنة الكثيرة المعروفة منذ القرن الثاني وما بعده، بالأسانيد المتصلة. هذا دون أن نطرق إلى ما ذُكر من الحديث في القرن الأول !

المطلب الثالث: الاستدلال بوجود الصليبان على العملة الإسلامية لإنكار عقيدة الإسلام

جواب شبهة وجود صليبان على العملات الإسلامية الأولى، سهل؛ فقد كانت هذه العملات معروفة عند الصليبيين منذ القرون الإسلامية الأولى، ومع ذلك لم تستشر فيهم الرغبة في التشكيك في وجود الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ؛ إذ إن تفسير وجود الصليب في هذه العملات سببه أن الدولة الإسلامية كانت تعامل مع أمم مجاورة في علاقات تجارية واسعة ومعقدة. والاستغناء عن هذه العملات مرة واحدة، قرار فيه مخاطرة اقتصادية كبرى - في نظر الساسة - ؛ ولذلك تم التخلص من الصليب ومن صور الأباطرة بالتدرج. وهذا ليس بالموقف الشاذ في تاريخ استعمال الأمم والدول الحادثة للعملات؛ فإن صك عملات جديدة لا يكون عادة حدثاً ثورياً بلا مقدمات.

كانت دولة الإسلام محorte بالدولة الفارسية والدولة البيزنطية. وقد حافظت العملة الإسلامية المبكرة على الشعارات الدينية للدولتين، قبل أن تدرج في إزالتهما.

ولو كان الإسلام ديانة نصرانية لوجود الصليب في عملته الأولى؛ لما كان في عمارات دولة الإسلام الأولى شعار النار المقدسة للديانة الزرادشية للدولة الفارسية! فهذه مثلاً عملية نقدية تعود إلى عصر علي -رضي الله عنه-^(١)، أو معاوية -رضي الله عنه-، على جهة منها عبارة «بسم الله» بالعربية، وبغير العربية «معاوية أمير المؤمنين». وعلى الجهة الأخرى صورة النار المقدسة للفرس، وعندها رجال يعتدون^(٢).



(١) عبد العزيز حميد صالح، تاريخ الخط العربي عبر العصور المتعاقبة، 2 / 185 .

J. Walker, *A Catalogue of The Muhammadan Coins in The British Museum*, 1941, Volume I - Arab - (2) Sassanian Coins (British Museum: London, 1941) pp. 25 - 26.
(Cited in: Islamic Awareness, Arab - Sassanian Coin of Mu'awiya, Darabgird, Frozen in Year 43 AH / 663 - 664 CE, <<https://www.islamic-awareness.org/history/islam/coins/drachm12.html>>).

وهذه عملة نقدية تعود إلى سنة 65 هجرية، وفي أحد وجهيها عبارة: «بسم الله.
الله أكبر»، وعلى الوجه الآخر شعار النار المقدسة للزرادشتية^(١):



S. Album & Tony Goodwin, *Sylloge Of Islamic Coins in The Ashmolean - The Pre - Reform Coinage (1) of The Early Islamic Period*, 2002, Volume I, Ashmolean Museum: Oxford (UK), p. 23.
(Cited by: Islamic Awareness, Arab - Sassanian Coin Of Salm Bin Ziyād, 65 AH / 684 - 685 CE,
<https://www.islamic-awareness.org/history/islam/coins/drachm34.html>).

وهذه عملة نقدية سُكّت سنة 72 هـ، تحت حكم عبد الملك بن مروان. وفي وجهها عبارة: «بسم الله» و«محمد رسول الله». وعلى الجهة الأخرى نقش النار المقدسة للزرادشتية^(١).



Islamic Awareness, Anonymous Arab - Sassanian Coinage Of Syrian Origin Under 'Abd al - Malik , (1
72 AH / 691 CE
<<https://www.islamic-awareness.org/history/islam/coins/drachm13.html>>.

وهذه عملة إسلامية ذات طابع فارسي وبيزنطي معاً، وقد حذف منها نقش النار المقدسة، ووضع مكانه نقش لل الخليفة وهو يحمل سيفاً على جانبيه «خليفة (خليفة) الله» و«أمير المؤمنين». والعملة تعود إلى سنة 75 هجرية. وفيها انفصال تام عن المظاهر الدينية للفرس والبيزنطيين. وقد جاء على الوجه الآخر للعملة نقش: «ضرب في سنة خمس وسبعين» و«بسم الله لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله»⁽¹⁾.



J. Walker, 'Some New Arab - Sassanian Coins', *The Numismatic Chronicle and Journal of The Royal Numismatic Society*, 1952, Volume XII, Sixth Series, p. 110 and Plate IX.
(Cited in: Islamic Awareness, A Mixed Arab - Sassanian And Arab - Byzantine Coin from The Time of Caliph 'Abd Al - Malik, 75 AH / 694 - 695 CE <<https://www.islamic-awareness.org/history/islam/coins/drachm24.html>>).

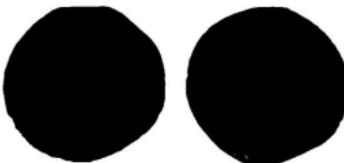
كما نلاحظ هنا حذف الصليب في هذه العملات البيزنطية التي تعود إلى سنة 74

هجرية تقريباً⁽¹⁾:

الأصل البيزنطي:



العملة الإسلامية:



الأصل البيزنطي:



M. L. Bates, 'History, Geography And Numismatics In The First Century Of Islamic Coinage', *Revue (1) Suisse De Numismatique*, 1986, Volume 65, pp. 243 - 250
 (Cited in: Islamic Awareness, The Arab - Byzantine One And Two "Standing Imperial Figures" Dinars From The Time Of Umayyad Caliph 'Abd al- Malik, 72 - 74 AH / 692 - 694 CE <<https://www.islamic-awareness.org/history/islam/coins/dinar5.html>>.

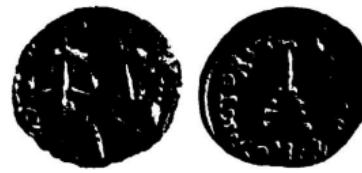
العملة الإسلامية:



الأصل البيزنطي:



العملة الإسلامية:



وخلاله الأمر، ما قاله تيم ويلس - المتخصص في العملات الإسلامية - : «كما كان الحال في الإمبراطورية الساسانية السابقة، استندت النقود المبكرة في تلك الأجزاء من الإمبراطورية البيزنطية التي استولى عليها العرب على النماذج الأولية الموجودة. تمقلت النقود الأولى بعد الغزو في تقليد النقود التحايسية البيزنطية المعاصرة. وقد تم تجاوز ذلك في نهاية الأمر بظهور عدة أنواع مختلفة مجهرة تعتمد بغير انضباط على التصميمات البيزنطية، مع أساطير بالعربية أو اليونانية. أخيراً، في سبعينيات القرن الهجري الأول، ظهر نوع جديد فيه شخص الخليفة عبد الملك وافقاً^(١).»

Tim Wilkes, *Islamic Coins and Their Values Volume I: The Mediaeval Period* (Spink & Son, 2015), (1) p.18.

المطلب الرابع: دعوى نشوء الإسلام في «مكة الشام» لا «مكة الحجاز»

حاول بعض المترفين التشكيك في التاريخ الإسلامي الأول؛ فقالوا إنّ مكة ليست في المكان المعروف اليوم في الحجاز، وإنما هي في الشام. وهو قول يخالف التواتر الذي لم ينقطع، وتصديقه يلزم منه الإيمان بمؤامرة عظيمة في وضع النهار لتحويل الصلاة من قبلة إلى أخرى، دون أن يصلنا عنها شيءٌ في كتب التاريخ الإسلامي التي كانت تصف أدق التفاصيل المتعلقة ببيوت مكة، وأرضها، وعلمائها، ومتعلميها.. تظهر مكة في الخرائط القديمة كما اليوم، وإن كان اسمها قد يمّا مكورباً.

وقد اختلف في أصل الاسم القديم، والنظرية المفضلة هي أنها من العربية الجنوبية القديمة: «مِكَرَاب» بمعنى «هيكل»⁽¹⁾. وقد نقل إيان موريس - أستاذ تاريخ الشرق الأوسط، من جامعة سانت أندروز - الإجماع الأكاديمي - الذي لا يعكر عليه شذوذ قلة - أنّ مكة هي مكورباً⁽²⁾.

كما زعم دان جيبسون - كاتب كندي من الهواة - في كتابه «Early Islamic Qiblas» (2017) أنّ البراء - في الأردن - كانت قبلة الأولى لل المسلمين على مدى قرنين، معتمداً - بزعمه - على قبلة المساجد الأولى. وروج المنصرون والملاحدة العرب لدعواه بصورة مكثفة.

وقد رد عليه المستشرق ديفيد كنج - وهو أغزر المستشرقين في العالم كتابة حول القبلة وعلاقتها بعلم الفلك في تاريخ الإسلام⁽³⁾، والمدير السابق لأهم مؤسسة

Ian D. Morris, Mecca Before Islam: 2) Macoraba. MARCH 24, 2017 (1)
< <http://www.iandavidmorris.com/mecca-before-islam-2-makoraba/> >.

(2) المصدر السابق.

(3) من كتبه ومقالاته في شأن القبلة:
"al - Khalili's (universal) qibla table (for the whole world)" (1975).

"Some medieval values of the qibla at Cordoba" (1978).

"Astronomical alignments in medieval Islamic religious architecture" (1982).

"The astronomical orientation of the Kaaba" (with Gerald S. Hawkins, 1982); and "Faces of the Kaaba" (1982).

"Al - Bazdawi on the qibla in early Islamic Transoxania" (1983).

"Architecture and astronomy: The ventilators of medieval Cairo and their secrets (regarding orientations in Cairo)" (1984).

أوروبية معتنیة بالتاريخ الإسلامي للفلك والرياضيات - ردًا مستفيضًا في مراجعته النقدية للكتاب، وفي غيرها. وبين أنّ أطروحة جيسون بلا سند علمي، وصاحبها يعمل في خدمة التنصير.. بل ووصفها بأنّها من «النظريات المعتوهة»⁽¹⁾! وأنّها قد نُشرت «لإهانة المسلمين والبحث العلمي الغربي»⁽²⁾! وقد بين بالدليل العلمي خطأ نسبة المساجد التي ذكرها جيسون إلى الاتجاه إلى البتراء، وأنّ جيسون لم يُحسن فهم المعلومات المعروضة أمامه⁽³⁾.

كما علق المستشرق مارك أندرسون في مقالته: «هل كانت مكة حفناً مهد الإسلام؟»⁽⁴⁾ على أطروحة جيسون بقوله: «إن الاعتقاد بأن مجتمعاً متراوحاً بالأطراف وصعب المراس من الممكن أن يوافق بالإجماع على نقل مركزه المقدس، أو أن يتمكن بطريقة ما من القيام بذلك، دون ترك أثر واحد لذلك في سجله الحديثي، هو أمر بعيد جدًا - على أقل تقدير -»⁽⁵⁾.

"The sacred direction in Islam: A study of the interaction of religion and science in the Middle Ages" (1985). = "Kibla (mathematical aspects)" in *Encyclopedia of Islam* (1986).

"The earliest Islamic mathematical methods and tables for finding the direction of Makkah" (1986),

"L'Islam et la science: le problème de la qibla" (1987).

"Makka as centre of the world" in *Encyclopedia of Islam* (1991).

"Qibla charts, qibla maps, and related instruments" (with Richard P. Lorch, 1992).

"Folk astronomy in the service of religion: The case of Islam" (1994).

"The orientation of medieval Islamic religious architecture and cities" (1995).

"Samt (direction)" in *Encyclopedia of Islam* (1995).

"Islamic astronomy" (1996).

"Two Iranian world maps for finding the direction and distance to Mecca" (1997). World - Maps for finding the direction and distance to Mecca - Innovation and tradition in Islamic science (1999).

Finding Qibla in Islam, partial Persian translation by Hossein Nahid of World - Maps book, (2016). In Synchrony with the Heavens: Studies in astronomical timekeeping and instrumentation in medieval Islamic civilisation (2004 - 05).

"The sacred geography of Islam" (2005).

"The qibla in medieval Córdoba and the orientation of the Great Mosque" (2017).

David A. King, The Petra Fallacy: Early Mosques do face the Sacred Kaaba in Mecca, 15th September (1) 2020

David A. King, From Petra back to Makkah - From "Pibla" back to Qibla, 22nd August 2017 (2)
< <https://muslimheritage.com/pibla-back-to-qibla/> >. Ibid. (3)

(4) وقد نشره المركز التصويري: «مركز زويمر»، على صفحته على الشبكة!
Mark Anderson, Is Mecca Really the Birthplace of Islam? (5)

وكان أندرسون قد تناول بالبحث - في المقال السابق - النقاط السبعة التي يعتمد عليها القائلون إن الكعبة في البراء، وانتهى إلى أنها كلها تدل على أن الكعبة، في موضعها المعروف اليوم، هي قبلة المسلمين الأوائل، وهي:

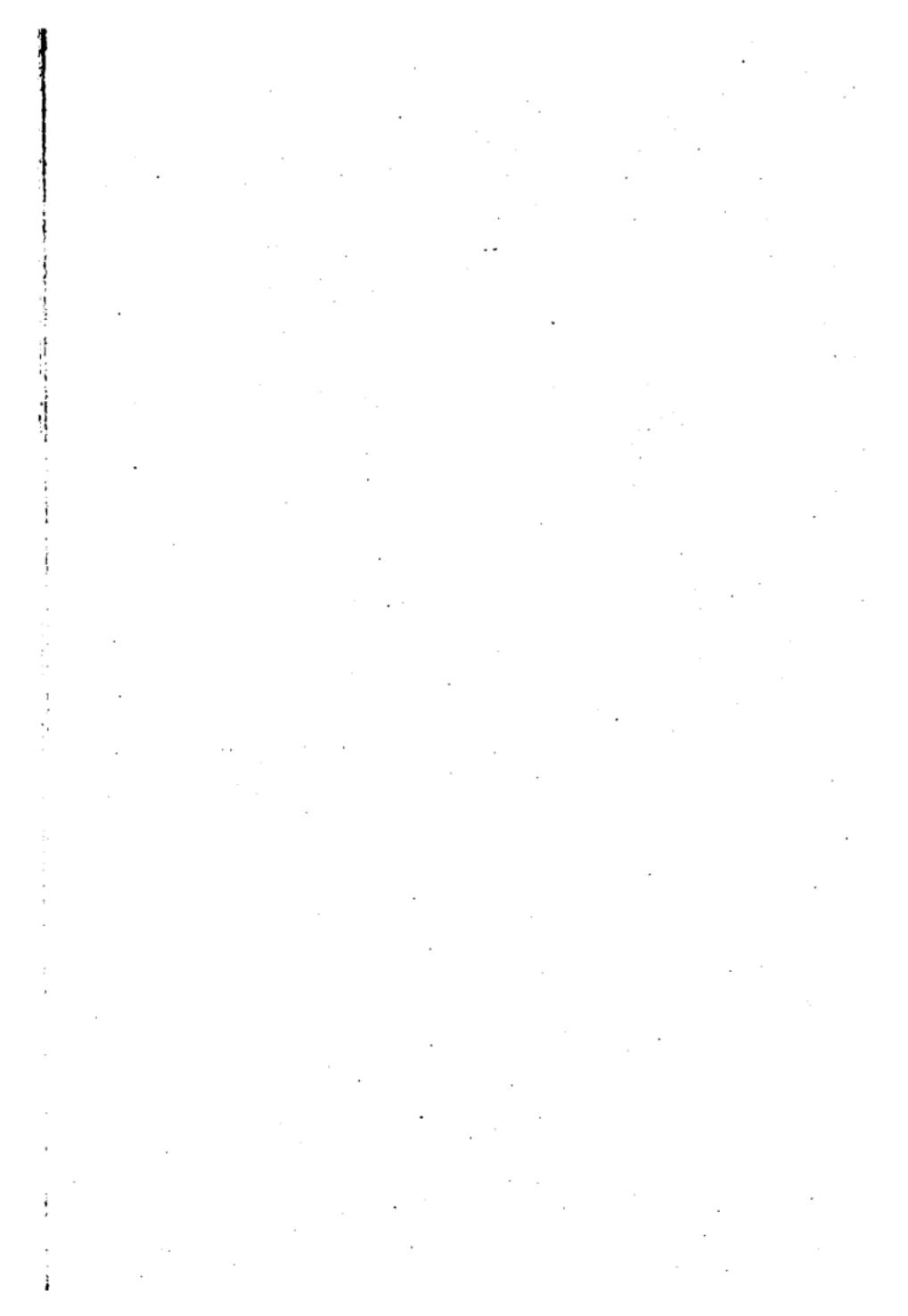
- البيانات القرآنية.
- أدلة مكتوبة أخرى في وقت مبكر.
- بيانات الحديث عن مكة.
- السجل الأثري.
- تاريخ الطبرى.
- ظروف مكة الجغرافية.

وبعيداً عن تهافت دعوى جيسون، لا بد من التنبيه أن هذا الكاتب لم ينكر تاريخية النبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، وإنما زعم أنه صلى الله عليه وسلم عاش في البراء لا مكة!

الخلاصة:

- وجود إجماع بين المستشرقين على وجود محمد صلى الله عليه وسلم.
- والقلة المشككة في هذه الحقيقة، هامشية.
- شهدت لوجود محمد صلى الله عليه وسلم أمّة كاملة من الناس عاشت معه.
- ونقلت لنا شهادتهم عن أمّة من التابعين، ثم تابعي التابعين... وتواتر الخبر في كل طبقة.
- النبي الإسلام صلى الله عليه وسلم نسل من حفيديه الحسن والحسين رضي الله عنهما. وقد كان لعدد منهم حضور سياسي بارز في القرن الهجري الأول.

- جاء ذكر اسم نبی الإسلام صلی الله عليه وسلم في وثائق مادية كثيرة ومتعددة في القرن الأول الهجري (القرآن، العمارات، النقوش، الرسائل...).
- شهد كثير من غير المسلمين المجاورين للبلاد العربية في القرن الأول الهجري على وجود محمد صلی الله عليه وسلم.
- لم يشكّك أحد من أهل الكتاب في البيئة الإسلامية بوجود محمد صلی الله عليه وسلم رغم طعنهم في الإسلام في أدبياتهم النقدية أو كتاباتهم التاريخية.
- الاعتراضات على الوجود التاريخي لنبی الإسلام صلی الله عليه وسلم، مبنية على سوء معرفة بالوثائق التاريخية أو سوء تفسير لها عن عمد.



الفصل الثاني

الوجود التاريخي لعيسى - عليه السلام -

المبحث الأول: عيسى - عليه السلام - في القرآن والأنجيل

عيسى - عليه السلام -، واحد من أولي العزم من الرسل في القرآن. أرسله الله - سبحانه - إلى بني إسرائيل لدعوتهم إلى التزام التوحيد الحق واتباع أحكام توراة موسى - عليه السلام -، إلا ما خفف منها. وقد أبغضه عامة يهود عصره؛ وسعوا في قتلة غير أن الله نجاه من ذلك، ورفعه إليه. وخلاصة صورة الجانب التاريخي في سيرة عيسى - عليه السلام - القرآنية، في الآيات التالية:

- ولد عيسى - عليه السلام - من عذراء: قال تعالى عن أم المسيح - عليهم السلام -: ﴿فَقَاتَ رَبِّتْ أَنَّ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَسْتَكِنْ فِي بَشَرٍ قَالَ كَذَّابٌ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يَكْشِفُ إِذَا فَضَّلَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران / 47).
- تكلم عيسى - عليه السلام - في المهد على مشهد من بعض الناس: قال تعالى: ﴿فَقَاتَ يَهُودَ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرِئُهُ لَقَدْ جَهَّتْ شَنِّيَا فَرِيَا﴾ (١٧) يتألف هؤلون مَا كانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوَّ وَمَا كَانَ أَمْكَ بِغَيْرِهِ (١٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ تُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَيْبِيَا﴾ (١٩) (مريم / 27 - 29).
- نسبة عيسى - عليه السلام - إلى المسيحانية^(١): قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتْ

(١) المسيحانية: أي آلة مسيح من المسحاء، وإن لم يكن هو «المسيح الرئيس» الذي تحدث عنه اليهود في كتبهم القديمة. ولذلك فليس - عليه السلام - سُمي عادة في القرآن: «المسيح ابن مريم» أو «المسيح عيسى بن مريم»؛ لأنهم لم يتفرد بال المسيحانية. ولم يطلق لقب المسيح دون ذكر الاسم أو بنت صاحبه لمريم - عليها السلام - إلا في قوله تعالى: ﴿أَنْ وَسْتَكِنَّ الْمَسِيحَ أَنْ يَكُونَ عَنْكُمْ رَسُوفًا لَّهُ وَسَكِينَةً﴾ (النساء / ١٧٢)، وذلك لأن الآية السابقة تقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا تَنْتَهِي إِلَيْهِ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمٍ رَسُوفًا لَّهُ وَسَكِينَةً﴾، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَعْنِي إِنَّمَا تَكُونُ إِنْتَ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمٍ رَسُوفًا لَّهُ وَسَكِينَةً﴾ (المائدة / ٧٢)، وذلك لأن أول الآية نفسها فيه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمٍ﴾.

الملئكُمْ يَعْرِمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكُمْ بِكُلِّمَا مِنْهُ أَسْمَهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهَمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُغَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ (آل عمران / 45).

- **أمن فريق من بنى إسرائيل بال المسيح الذي أرسل إليهم.** قال تعالى: «**إِنَّمَا الَّذِينَ مَأْمَنُوا كُفَّارًا أَنصَارُ اللَّوْكَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَصْحَارِهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ خَنْ أَنْصَارُ اللَّهِ فَنَامَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَكَرَّتْ طَائِفَةٌ فَإِنَّمَا الَّذِينَ مَأْمَنُوا عَلَى عَذَافِنِهِمْ فَأَنْصَبُهُمْ حَاطِهِرِينَ ﴿١٦﴾ (الصف / 14).**
- **أوى المسيح وأمه إلى ربوة:** قال تعالى: «**وَحَطَّلَنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهَ مَائِدَةً وَأَوْتَنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرْبَرٍ وَمَعْبِنٍ ﴿٥٠﴾ (المؤمنون / 50).**
- **نجى الله عيسى - عليه السلام - من القتل صلبًا، ورفعه إلى السماء:** قال تعالى: «**وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَلَّنَا مَسِيحًا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَلَّوْهُ وَمَا صَلَّوْهُ وَلَدُنَّكُنْ شَيْءٌ لَّهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْنَلُوكُمْ فِيهِ لَفَيْ شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِّنْ عِلْمٍ إِلَّا أَبْيَاعَ الظَّلَّمِ وَمَا قَلَّوْهُ يَقِنَّا ﴿٢٩﴾ كُلَّ رَغْمَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ (النساء / 157).**

الخبر القرآني عن المسيح عيسى ابن مريم - عليهما السلام - ليس فيه تفصيل تاريخي لمسائل ظاهرة قابلة للرصد الأرثيولوجي سوى وجود المسيح في فلسطين في القرن الأول، واختفائه من الأرض لاحقًا إثر طلب صلبه^(١). فلم يكن للمسيح سلطان سياسي، وإنما هي قلة من الأتباع المضطهدرين من اليهود أثناء حياته على الأرض، ومن اليهود والرومان بعد مغادرته الأرض.

وأما عيسى - عليه السلام - في الأنجليل فخبره أوسع في تفاصيله؛ إذ الأنجليل الأربع تروي خبره في سنواته الأخيرة على الأرض، مع تفاصيل قليلة عن طفوته في إنجليلي متى ولوقا.

(١) اختلفت الفرق النصرانية المبكرة في شأن المصلوب.

والأنجيل بينها تعارض واضح في سرد أحداث قصة المسيح، بين الأنجليل الثلاث الأولى (متى ومرقس ولوقا) وإنجيل يوحنا؛ حتى قيل إنه يلزم من قبول الأنجليل الثلاث الأولى رفض الإنجليل الرابع^(١).

تفق سيرة المسيح في القرآن مع سيرته في الأنجليل في عناصر كبرى:

- الوجود التاريخي لعيسى -عليه السلام-.
- عيسى -عليه السلام- إسرائيلي الأصل (من ذرية يعقوب -عليه السلام-).
- ولادة عيسى -عليه السلام- من غير أب.
- وصف عيسى -عليه السلام- نفسه أنه مسيح (الأنجليل تزعم أنه المسيح الرئيس، المنتظر من اليهود).
- وصف المسيح نفسه أنه نبي (النصارى يؤمّنون أنّ عيسى -عليه السلام- قد ادعى مع النبوة الألوهية في الأنجليل).
- انتصار دعوة عيسى -عليه السلام- على بنى إسرائيل فقط (إنجليل متى يزعم أنه بعد صلب المسيح وقبل رفعه، أمر المسيح تلاميذه بدعوة كلّ الأمم).
- سعي اليهود للتخلص من عيسى -عليه السلام- بقتله.
- وجود خطة لقتل المسيح صلبًا.
- رفع المسيح إلى السماء.

والاختلاف الأكبر في أحداث سيرة المسيح بين روایتي القرآن والأنجليل واقع في أمر الصليب؛ إذ تُقرّ الأنجليل رفع المسيح على الصليب وموته عليه السلام، في

Gilbert Van Belle and Sydney Palmer, 'John's literary unity and the problem of historicity', in Paul N. (1) Anderson, Felix Just, Tom Thatcher, eds. *John, Jesus, and History, Volume I: Critical Appraisals of Critical Views*, (Atlanta: Society of Biblical Literature, 2014), p.217.

حين جاء في القرآن نفي وقوع الصلب، وعد ذلك من الوهم، دون بيان للتفاصيل التاريخية في كيفية نجاة المسيح من الصلب قبل رفعه، قال تعالى: «وَقُولُّهُمْ إِنَّا قَاتَلَنَا مُسَيْحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَاتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شَيْءَهُمْ وَلَدَنَ الَّذِينَ أَخْتَلُوا فِيهِ لَفِي شَيْءٍ يَتَّهِّدُ مَا لَهُمْ يَدْعُونَ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا إِنَّمَا قَاتَلُوهُ يَقِنًا» (النساء / 157).

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لعيسى - عليه السلام -

هل يعكس الجدل الدائر في الأوساط الشعبية حول وجود المسيح، نزاعاً علمياً جاداً في هذا الباب؟ وما أدلة كل فريق؟ وما سؤالان يلتحان على المرء؛ حتى يدرك حقيقة الموقف العلمي للمتحدثين، وأسبابه.

المطلب الأول: الإجماع العلمي على وجود عيسى - عليه السلام -

الطابع العام الغالب على الثقافة الشعبية في الغرب، الانفصال الواضح عن عالم الأكاديميا، واستسلامه لمروجي المعرفة البسطة على وسائل الإعلام أو وسائل التواصل الاجتماعي. وهذه حقيقة معلومة؛ ساهمت في تضخم الخطاب المعرفي الشعوي، وتقلص الخطاب العلمي التخصصي الذي لا يكاد يغادر المجالات العلمية ضعيفة التوزيع.

وليس البحث الديني بمنأى عن الأثر الكبير للخطاب الشعوي الذي تحكمه في الجدل اللاهوتي اعتبارات أيديولوجية بيته. وهذا أمر من الممكن إدراكه - مثلاً - من خلال سبر للرأي جرى في بريطانيا سنة 2015 حول عقائد الإنجليز؛ فقد شهد فيه 39٪ من المشاركين أن المسيح شخصية أسطورية^(١) ورغم أن النسبة قد تكون معيبة بضعف منهج هذا السبر؛ إلا أن نسبة المؤمنين بخراطية شخصية المسيح تبقى مع ذلك عالية. هذه الشكوكية التي بثتها وسائل التواصل الاجتماعي حيث ينشط الملاحدة بقوة، مستعينين بالعنف اللفظي والأسلوب التهكمي بالمخالفين، تخالف إجماع الدوائر الأكاديمية من المتخصصين في دراسة حياة عيسى - عليه السلام - من مختلف الانتماءات العقدية (نصارى، يهود، ملحدة، لأدرىين...) على الوجود التاريخي للمسيح - عليه السلام -.

Aaron James, Two in five think Jesus is a mythical figure. Premier Christian. 21 Sep 2015. (1) <<https://premierchristian.news/en/news/article/two-in-five-think-jesus-is-a-mythical-figure>>.

وقد شهد لهذا الإجماع الناقد الكبير بارت إيرمان الذي يُعدّ اليوم أشدّ خصوم النصرانية شراسة، وأحد أقطاب البحث عن يسوع التاريخي في الدوائر الأكاديمية، في كتابه «هل وُجد يسوع؟» الذي ألفه للمرة على منكري تاریخیة المیسیح - علیه السلام^(١). فمن تقریراته، قوله: «أتفق مع شفایتزر وتقریباً جمیع العلماء في هذا المجال منذ زمانه، علی وجود يسوع»^(٢).

هو إجماع لا تُنكره حتى القلة القليلة الهاشمیة التي تشکس في أمر تاریخیة المیسیح، مثل الباحث الملحد رفائيل لستر^(٣) وغيره. والطابع الأبرز لهذه القلة أنها بعيدة كلية عن التخصص الأكاديمي في الدراسات التاریخیة للنصرانية - إلآنادرًا -، مع غلبة حماستها الأيديولوجیة في كتاباتها.

ومن ظریف هذا الباب أنَّ ج. أ. ویلز^(٤) - الذي يُعدّ أبرز أعلام الكتاب القائلين بخرافية المیسیح في القرن العشرين بشاهادة بارت إيرمان - قد عاد إلى الإقرار بأنَّ الوثیقة (Q) التي اعتمد عليها مؤلفاً إنگلیزی متنی ولقا تضم شيئاً من التاریخ الصھیح المثبت لوجود شخص عیسیٰ - علیه السلام -.

وقد كتب ویلز في بيان تراجمه: «جادلُت في كتبِ الأولى لإثبات أنَّ يسوع الإنجيل هو توسيع خرافي تماماً ليسوع الرسائل الأولى... ما عدْت أتبَّى هذا الموقف. وجه الضعف في موقفِي واجهني به بقوَّة ج. د. غ. دان الذي اعترض علىَ بأنه ليس بإمكاننا حقيقة أن نفترض أنه من الممكن أنَّ تراثاً مركَّباً كما هو عندنا في الأنجليل ومصادرها قد تطور في مثل هذه الفترة القصيرة منذ كتابة الرسائل الأولى دون أساس تاریخي.

(١) كان إيرمان - اللاذری - النجم الأبریز للملاحدة في الرد على النصاری لاتسماه إلى نخبة الأكاديميين الدارسين للنصرانية. وكان كتابه «هل وُجد يسوع؟» ضربة موجعة لهم.

Bart D. Ehrman, *Did Jesus Exist?: The Historical Argument for Jesus of Nazareth* (New York: HarperOne, an imprint of HarperCollinsPublishers, 2013).

See Raphael Lataster, *Questioning the Historicity of Jesus* (Leiden; Boston: Brill, 2019), p.2.

(٤) جورج ألبرت ویلز (George Albert Wells) (1926 - 2017): أستاذ اللغة الألمانية في جامعة لندن. أصدر مؤلفات في تاريخ الفكر الغربي بالإضافة إلى كتاباته في تاریخیة يسوع.

ووجهة نظرى الحالية هي: هذا [التراث] المركب لا يعود كله إلى ما بعد عصر بولس (المصدر Q، أو حتى بعض هذا المصدر، قد يعود إلى عصر مبكر حوالي 50 م) ... النقطة الأساسية كما أراها، هي أن مادة Q، سواء أكانت كافية أم لا كدليل على تاريخية يسوع، تشير إلى شخصية لا يمكننا مطابقتها مع المسيح المقتول والقائم من الموت في الرسائل المبكرة»⁽¹⁾.

لم ينشأ القول بإنكار الوجود التاريخي للمسيح في دوائر البحث التاريخي أو اللاهوتي العلمية، وإنما نشأ في بيئه غير علمية، عن رغبة في مخاصمة الحضور الديني في المجتمع؛ فإن أول كاتب زعم أسطورية المسيح هو مؤلف فرنسي ملحد من القرن الثامن عشر اسمه فرانسو فولني Francois Volney، عضو في المجلس الدستوري أثناء الثورة الفرنسية، نشر ذلك في رسالة بالفرنسية سنة 1791 عنوانها: «الأطلال أو تأملات في ثورات الإمبراطوريات». وقد بقيت دعوى الأسطورة مجهرة حتى اشتهرت في الأوساط الشعبية بعد صدور كتاب آرثر دروز Arthur Drews «أسطورة المسيح» سنة 1909!

المطلب الثاني: أدلة وجود يسوع - عليه السلام -

الشهادة على تاريخية المسيح - عليه السلام -، وأنه عاش منذ ألفي سنة، متعددة المصادر، كل واحد منها حاسم في إثبات هذا الأمر. وأهم هذه الشهادات:

أ. الطوائف المسيحية الأولى

الإشكال الأكبر الذي يواجه دعاة أسطورية المسيح، عجزهم عن تقديم تفسير معقول لظهور فرق نصرانية منذ القرن الأول؛ أي بعد فترة قصيرة جدًا من الزمن الذي يُقال إن المسيح قد رُفع فيه إلى السماء. إننا هنا إزاء فجوة تاريخية بين الرمز الديني وأشياعه، كما إننا لسنا إزاء رمز ديني اتبّعه فرد أو اثنان بعد عقود من اختفائه. إننا أمام تشكييلات دينية ذات روى لاهوتية، عاشت في زمن قريب من عصر هذا الرمز.

George Albert Wells, *Can We Trust the New Testament?* (Illinois: Open Court Publishing, 2004), (1) pp.50 - 51.

ب. الأنجليل

كتابة الأنجليل الأربعية - بما فيها من تفصيل في سيرة المسيح عليه السلام - في القرن الأول، سبب عظيم لإثباتات تاريخية شخصية المسيح. لا تعود حجية الأنجليل هنا إلى اعتقاد ربانيتها وعصمتها من الزلل؛ فإن كثرة من العلماء القائلين بتاريخية المسيح تُنكر عصمة نص الأنجليل، ومن أفرادها من له مؤلفات في نقض ربانيتها، وكشف تناقضاتها، وإثبات تحريفها، وضياع أصولها ونسخها الأولى - مثل بارت إيرمان - ؛ فهو لاء النقاد يميّزون بين البحث في ربانية النص أو دقته التاريخية، من جهة، وقيامة كله - بخطوطه العريضة، وتفاصيله - على خرافية لا أصل لها البتة، من جهة أخرى.

والثابت عند جميع المؤرخين أنه من السائد في الزمن القديم أن تكون المرويات المتعلقة بالشخصيات الدينية أو السياسية موجهة للتمجيد أو الدم بغير حق. ولم يمنعهم ذلك من طلب استخلاص الحقيقة من بين ركام الأباطيل والأكاذيب. وليس من عادتهم نسبة هذه القصص إلى الأسطورة الممحضة، إذا كُتبت بعد عقود من وفاة بطلها، وخلفت وراءه تياراً دينياً يذكر تفاصيل أعماله وأقواله. ولذلك لم يجد هؤلاء المؤرخون حاجة إلى مخالفته هذه السُّنة العلمية في بحثهم في قصة المسيح.

ت. بولس

تقدّم رسائل بولس التي يتفق عامة النقاد على أصالتها - وهي قرابة نصف الرسائل المنسوبة إليه في العهد الجديد - ^(١) أقرب شهادة تاريخية على وجود المسيح؛ إذ إنها قد كُتبت بعد عقدين أو ثلاثة من اخفاء المسيح. ويرى دعاة خرافية شخصية المسيح أنه لا قيمة لها في هذا البحث لأنّ حديث بولس كان في اللاهوت المسيحي لا الخبر التاريخي للمسيح، مع إقرار الجميع أن بولس لم ير المسيح البشري.

Ralph P. Martin, Carl N. Toney, *New Testament Foundations: An Introduction for Students* (OR: Wipf & Stock Publishers, 2018), p.373.

وجواب اعتراضهم:

- تتعلق هذه الرسائل من مُسلمة وجود المسيح، ولم تناقش البة دعوى اختلاقه، سواء ابتداء من بولس أو رداً منه على خصوم المسيح.
- الشهادة لوجود عيسى -عليه السلام- هي محل الجدل لا تفاصيل حياته؛ فإذا جاءت الشهادة لذلك؛ فقد قامت الحجة.
- كان جدل بولس مع معاصريه في الحملة اللاهوتية لدعوة المسيح، لا تفاصيل رحلاته، ومن لقى من الناس؛ ولذلك فلا عجب أن يكون همه الجدل اللاهوتي لا التاريخي.
- لم يكتب بولس كتاباً في تاريخ دعوة المسيح حتى يحاكم إلى طبيعة معرفته بحياة المسيح؛ وإنما كتب رسائل ذات طابع دعوي أرسلها إلى أقوام مختلفين. وطبيعة الرسائل الدعوية من يشاركونه عامة المذهب الديني غير المؤلفات التاريخية الصرفة.
- لا تخلو الرسائل المنسوبة إلى بولس من إشارات إلى أوصاف تاريخية للمسيح (وإن لم يلزم من ذلك صحتها تاريخياً)؛ مثل ولادة المسيح من امرأة (إشارة إلى ولادة العذرية أو البشرية) في رسالته إلى غالاطية 4/4، وأن له تلاميذ في رسالته الأولى إلى الكورنثيين 15/5، وأنه صلب في رسالته إلى غالاطية 3/1، وأنه قام من الموت في رسالته إلى فيليبي 3/10 - 11 ...
- في هذه الرسائل إشارات متكررة إلى وجود جماعات تسب نفسها إلى دعوة المسيح في الأماكن التي تواصل معها بولس؛ بما يعني أنّ بولس لم يُنشئ قصة وجود المسيح وأن له دعوة دينية، وإنما هو مسوق بجماعات قريبة جداً من عصر المسيح.

ث. خصوم الكنيسة

عرفت الكنيسة خصومة حادة مع اليهود والوثنيين، وتوسعت دائرة الجدل معهم في مسائل لاهوتية وتاريخية ونصية كثيرة؛ ولكن لم يقل أحد من خصوم الكنيسة إن المسيح لم يوجد. وهذا أمر من الممكن أن تدركه من خلال ردود النصارى منذ القرن الثاني على خصومهم. وهي ردود متعددة، وفيها تفصيل يجلّي طبيعة الجدل وأبوابه. ومن الأمثلة على ذلك رد النصارى على الفيلسوف الوثني كلسوس *Kέλσος* القرن الثاني الذي ألف كتاباً بعنوان: «الكلام الحق» *Αληθίας Λόγος* في الرد على النصرانية من أكثر من وجه. وقد وصلنا خبر ما فيه من خلال رد أريجانوس عليه في مؤلف تفصيلي بعنوان: *Κατὰ Κέλσου*. ورغم سلوك كلسوس كل طريق (بحق أو بباطل) للرد على النصرانية، كالزعم أنَّ المسيح -عليه السلام- ابن زنا من علاقة محرامٍ مع جندي روماني، وأنَّه قد سافر إلى مصر حيث تعلم السحر، إلا أنه لم يجد سبيلاً للقول بخرافيَّة عيسى -عليه السلام-⁽¹⁾.

كما أنَّ التراث اليهودي الأقدم الذي جمع لاحقاً في التلمود لم يعرف دعوى إنكار تاريخية عيسى -عليه السلام-، وإنما أورد مجموعة من التهم الدينية والأخلاقية الطاعنة في عدالته وعرضه -عليه السلام-⁽²⁾.

(1) نقله أريجانوس، الرد على كلسوس، 1.

See Peter Schäfer, *Jesus in the Talmud* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 2009). (2)

المبحث الثالث: أسباب التشكيك فيه وجود عيسى عليه السلام -

تدور دعوى إنكار الوجود التاريخي للمسيح على ثلاث مسائل: غياب ذكر المسيح في الشواهد الأركيولوجية، وفي الكتابات التاريخية، ومشابهة كل تفاصيل قصته لأساطير أبطال الأمم الوثنية.

المطلب الأول: دعوى غياب أدلة الآخر

يقول المنكرون للوجود التاريخي لعيسى -عليه السلام- إننا لا نجد لعيسى عليه السلام -ذكراً في نقوش القرن الأول؛ وهو ما يثبت خرافية قصته كلها.

أجاب بارت إيرمان في كتابه «هل وُجد يسوع؟» على شبهة غياب الدليل الأركيولوجي على وجود المسيح -عليه السلام- بقوله إنّ شخصيات كثيرة يقطع البحث التاريخي أنها قد عاشت في القرن الأول أو قبله بقليل، ومع ذلك فلا شاهد لها من النقوش. ولذلك تبَه إلى إنّ عدم كفاية الأدلة لا يعني أن الشخص لم يكن موجوداً في ذلك الوقت. وذاك يعني أنّ المسيح قد كان مثل 99.99% من بقية العالم في ذلك الوقت، بلا تأثير على السجل الأثري.

ووضّح إيرمان أنّ الشخصيات التي يشهد لها الدليل الأركيولوجي في فلسطين زمن المسيح هي قلة قليلة من زبدة نجحة الأرستقراطيين الذين حفظ ذكرهم في النقوش. وليس لدينا أي شاهد أركيولوجي اليوم لأي يهودي غير أرستقراطي زمن شباب المسيح (عشرينيات القرن الأول). ولا أحد يعتقد أنّ المسيح كان من طبقة الأرستقراطيين في زمانه. ثم إنّ المسيح -عليه السلام- لم يكن قائداً جماعة لها سلطان سياسي في فلسطين، ولا كان تلاميذه على تلك الصورة؛ ولذلك فلا يُتوقع أن نجد نقوشاً على المباني الرسمية في أورشليم أو غيرها، في نسبة هذا العمران إليه، أو تمجيده.

المطلب الثاني: دعوى غياب شهادات مؤرخي القرن الأول

تُكرر القلة المنكرة لتاريخية عيسى -عليه السلام- أنَّ غياب ذكر هذا النبي في كتابات مؤرخي القرن الأول تمنع تصديق وجوده؛ فإنَّ هذه الكتابات قد فصلت في أمر كثير من أخبار فلسطين في القرن الأول، ومع ذلك لم تُحدث له ذكرًا. وجواب ذلك من أوجه:

أولاً: لا نعرف من فضل أمر فلسطين تاريخيًّا من أهل القرن الأول - ممن وصلتنا كتبهم، وما أكثر الكتب المفقودة! - سوى المؤرخ اليهودي يوسيفوس؛ فهذا الإيحاء أنَّ التاريخ الفلسطيني المكتوب من مؤرخي القرن الأول واسع، كتبه كثيرون، ووصلنا عن جميعهم أو عن عامتهم؛ لا يصح.

ثانياً: ولد يوسيفوس سنة 37 م، أي بعد رفع المسيح -عليه السلام-، وتوفي سنة 100 م، وألف كتابه «عاديات اليهود»⁽¹⁾ قبل نهاية القرن الأول (العقد التاسع)؛ فلم يعش أيام المسيح؛ ولذلك فإغفاله بعض ما لم يجر في أيامه غير بعيد؛ خاصة أنَّ المؤمنين بالمسيح كانوا فئة، وما كانوا أهل سطوة مادية أو سلطان سياسي. ولم تكن النصرانية التحدى الأكبر ليهوديته، خاصة بعد أحداث إحراق الهيكل من طرف جيش القائد الروماني تيتوس سنة 70 م للقضاء على الثورة اليهودية.

ثم إنَّ زمن يوسيفوس كان حيًّا بالأحداث ودعاؤى البُشارة والثورات الدينية؛ بما يجعل إغفال بعضها غير بعيد؛ فقد ذكر - مثلاً - في كتابه «عاديات اليهود» ثورة قام بها السامريون سنة 36 م بقيادة شخص أغفل يوسيفوس اسمه؛ لاستعادة جبل جرزيم بعد أن حرضهم على ذلك. وقد خرج الثوار في جماعة عظيمة لهذا الأمر؛ غير أنَّ بيلاطس حاصرهم بعدد كبير من الفرسان والمأشاة، فقتل منهم فريقاً، وفرَّ الآخر. وأمر بيلاطس بقتل زعيمهم. وقد تظلَّم السامريون لروما؛ حتى إنَّ بيلاطس استدعي إلى روما للدفاع عن نفسه بسبب هذه المجازرة⁽²⁾.

Jewish Antiquities (1)
Josephus, *Jewish Antiquities*. 18.4. (2)

كما ذكر يوسيفوس ثورة قادها يهودي من مصر لاستعادة أورشليم سنة 56 م؛ وفيها أمر الأسوار أن تسقط كما كان الأمر - كما يُقال - مع يشوع في أريحا؛ لكن ثورته فشلت، ففرّ، وُقتل كثير من أتباعه على يد الحاكم فيلكس⁽¹⁾.

وذكر يوسيفوس أيضًا قصة يسوع بن حننيا *"חנניא בן חנניה"*، وهو متبنٍ كان يُخبر بخراب أورشليم منذ سنة 62 م، ويصبح بذلك في الشارع كل يوم. حتى ضاق بأمره قادة اليهود في القدس، وسلموه إلى الرومان الذين عذبوه، ثم أطلق سراحه للظن أنه مجنون. وقد استمر في الإعلان عن نبوءته لسنوات، حتى قُتل لاحقًا⁽²⁾.

كما شهد يوسيفوس لوجود «أنبياء» آخرين - في القرن الأول الميلادي - غير يشوع بن حننيا. وقد اكتفى بالإشارة العامة إليهم؛ فذكر أن «عدة أنبياء» طلبوا من الناس إثبات الثورة اليهودية الكبرى (66 - 73 م) أن «يتظروا العون من الله» لخلاصهم⁽³⁾.

ثالثًا: جاء عن يوسيفوس نص شهير في كتابه «عاديات اليهود»، يُعرف باسم *Testimonium Flavianum*. وهو الوارد في الكتاب الثامن عشر، الفصل الثالث، المقطع الثالث: «في ذلك الوقت ظهر رجل حكيم اسمه يسوع، إن جاز لنا أن ندعوه إنساناً، لأنه كان يصنع العجائب. وكان معلمًا لمن كانوا يتقبلون الحق بفرح. جذب إليه كثيراً من اليهود وكثيراً من اليونان. وقد كان المسيح. وعندما أصدر بيلاتس الحكم عليه بالصلب، يأياز من رؤسائنا، لم يتركه أتباعه الذين أحبوه منذ البدء، فقد ظهر لهم حيًّا مرة أخرى في اليوم الثالث. وقد تنبأ أنبياء الله بهذه الأشياء وبآلاف الأشياء العجيبة المختصة به. ولم تتدثر جماعة المسيحيين - المدعوين على اسمه - إلى اليوم»⁽⁴⁾.

والإجماع العلمي اليوم على أن هذه الشهادة كما في كتاب يوسيفوس لا تصح أصلتها على هذه الصورة؛ فإنه من المحال أن يشهد مؤرخ يهودي هذه

Josephus, Jewish Antiquities, 20.8. (1)

Josephus, The Jewish War, 6.5. (2)

Ibid. (3)

Pierre Maraval et Simon Claude Mimouni, *Le Christianisme Ancien des Origines à Constantin* (Puf./4 Nouvelle Clio, 2007), p.75.

الشهادة في المسيح وخوارقه ومسيحانيته. ومع ذلك فعامة النقاد على عدم اطراح هذه الشهادة كليّة، وإنما الإقرار أن لها أصلًا عند يوسيفوس تم تحريفه من النسخ النصارى في القرن الثالث؛ فقد شهد جون درين^(١) أنه لا شك عند عامة النقاد في أصالة نواة شهادة يوسيفوس^(٢). فشهادة يوسيفوس كانت عن وجود عيسى -عليه السلام- ودعوته، مقتضبة، قام النسخ النصارى بالتوسيع فيها لتوافق معتقد الكنيسة.

ولا شك أن الجزم حول الشهادة السابقة ليوسيفوس عسير جدًا؛ فلننافن لأصالتها كلية قرائتهم، وللمثبتين لأصالة نواة الشهادة قرائتهم. وببقى أمر شهادة يوسيفوس لل المسيح في هذا النص قائماً، من الممتنع نفيه بجزم. وعلى كل حال فقد شهد يوسيفوس لوجود المسيح في نص آخر، وهو قوله في مؤلفه «عاديات اليهود»، الكتاب العشرين، الفصل التاسع، المقطع الأول في حديثه عن يعقوب أخي يسوع:

... τὸν ἀδελφὸν Ἰησοῦ τοῦ λεγομένου
Χριστοῦ, Ἰάκωβος ὄνομα αὐτῷ

... أخي يسوع الذي دُعي
المسيح، واسمها يعقوب.

وقد شهد الباحث روبرت فن فورست أنه «ترى الغالبية العظمى من العلماء أن عبارة أخي يسوع الذي دُعي المسيح» أصلية، كما هو حال كامل المقطع الذي يوجد فيه^(٣).

(١) جون درين John Drane (1946) : أستاذ في Fuller Theological Seminary

John Drane, *Introducing the New Testament* (Oxford: Lion Books, 2010), 106. (2)
Robert E. Van Voorst, *Jesus Outside the New Testament: An Introduction to the Ancient Evidence* (3)
(Grand Rapids: W.B. Eerdmans, 2000), p.83.

المطلب الثالث: دعوى مطابقة سيرة المسيح سير مقدس الوثنيين

أثر العقائد الوثنية وقصص أبطالها في صناعة تفاصيل قصة مسيح الكنيسة مسلم به عند كثير من يقررون أن المسيح قد عاش في فلسطين في القرن الأول. وهم بذلك يخالفون دعوة خرافية المسيح الذين يرون أنها مطابقات يلزم منها القول إنَّ المسيح أسطورة، وأنَّ كل ما نُقل عنه مقتبس من خرافات الأولين.

والناظر في الخطابات التي تنقل مطابقة قصة المسيح لأساطير السابقين للانتهاء إلى أسطورية شخصية المسيح، يرى أنها تقوم عادة على كتابات شعبوية غير علمية، عايتها تعود إلى القرن التاسع عشر، وقد كُتبت بأيدي غير متخصصين في البحث التاريخي، وبِنَسَسٍ إلحادي غير موضوعي. ومن هذه الكتب، كتاب «The World's Sixteen Crucified Saviors: Christianity Before Christ» المنتشر في الشبكة العنكبوتية، والذي يزعم أن جميع تفاصيل قصة المسيح - دقيقها وعظيمها - قد تكررت في قصص بوذا وكرشنا ومثرا، وشخصيات أخرى كثيرة قديمة. وهو كتاب بعيد عن الجدية العلمية، وعامة أخباره مرسلة.

إننا لا ننكر أثر الوثنيات القديمة في النصرانية؛ فهي حقيقة ظاهرة في القول بالثالوث، وكفاراة الإله المقتول، وقيامه من الموت، وكثير من تفاصيل الليتورجيا⁽¹⁾، وإنما نحن ننكر عامة المطابقات المزعومة - في أدق التفاصيل - مع الأديان السابقة؛ فإنها غير ثابتة عند التحقيق.

ولعل من أهم الأمثلة على غياب الأساس التاريخي لدعوى مطابقة قصة عيسى عليه السلام لأساطير الأولين كلها، دعوى مطابقة قصة عيسى عليه السلام لقصة مثرا؛ فإنَّ هذه المطابقة في عامة صورها قائمة على مشابهات غير صادمة؛ كقيام المسيح

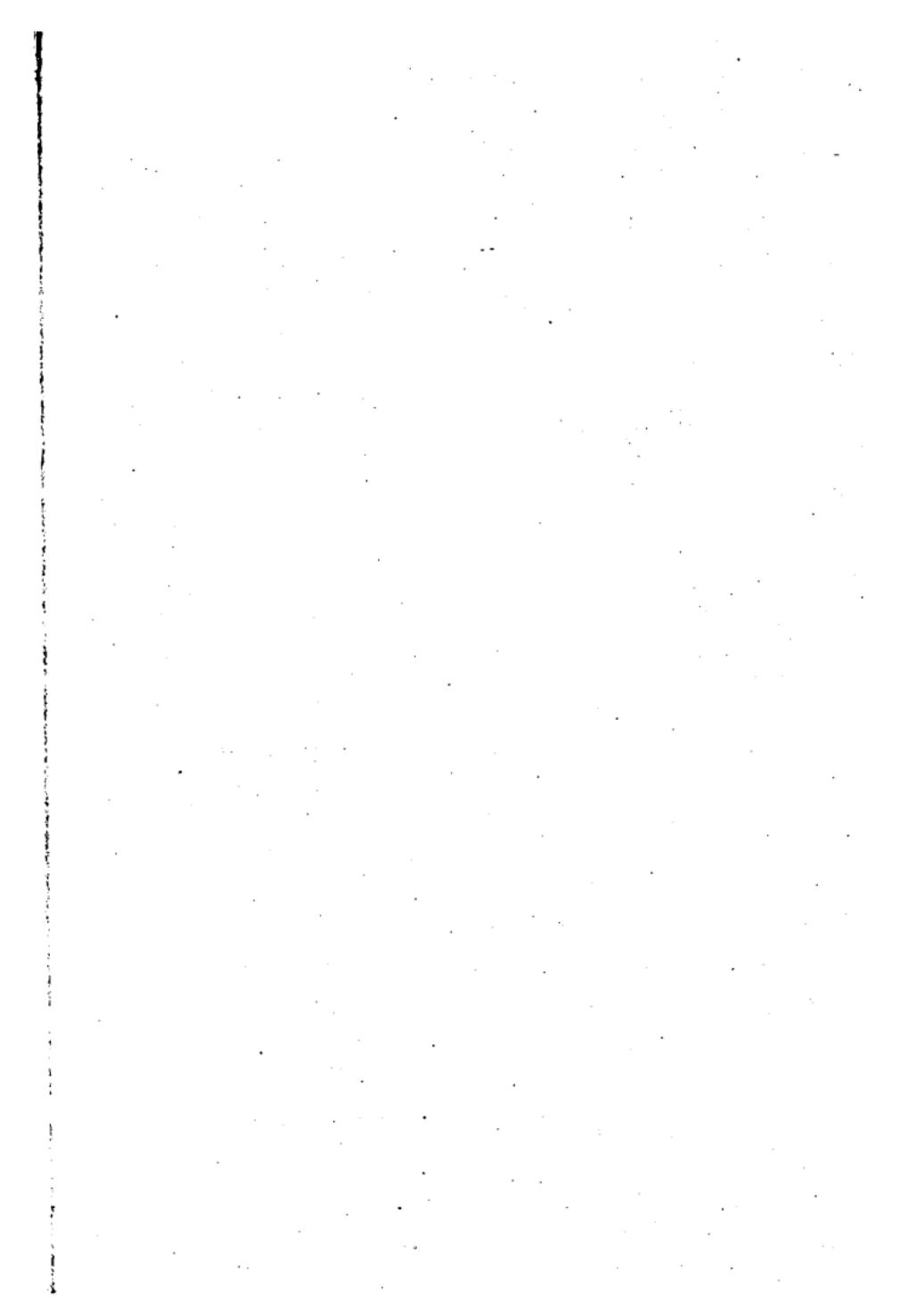
(1) انظر التفصيل في: سامي عامري، هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنصارى؟ (الكويت: رواضخ، 1439هـ/2018م)، ص 420 - 454.

ومثرا بالمعجزات، وأن كلاً منها كان معلمًا عظيمًا... أو دعوى تطابق لا دليل عليه من تاريخ مثرا المدون قديماً؛ إذ إنَّ ما نعرفه عن المثرائية قليل وغامض، وقائم في عالمته على التخمين، بالإضافة إلى وجود تشابهات مكذوبة، كدعوى ولادة مثرا من عذراء، وموته صليباً، وأنَّ له 12 تلميذاً، كيسوع، في حين أنَّ المشهور أنَّ مثرا قد قُدُّس من صخرة، وأنَّه لم يمت، وأنَّ له تلميذاً واحداً فقط^(١).

James Patrick Holding, *Shattering the Christ Myth* (Xulon Press, 2008), pp.205 - 211. (1)

الخلاصة:

- إجماع النقاد المتخصصين في «البحث عن يسوع التاريخي» على وجود عيسى - عليه السلام -.
- ظهور طائفة دينية تتبع المسيح ابن مريم - عليهما السلام - منذ القرن الأول، دليل على تاريخية هذه الشخصية.
- كتابات بولس القربيّة من زمن رفع المسيح، وتفاصيل بعض الأخبار التي ذكرها، شهادة على الأثر الديني لتعاليم المسيح كما فهمتها جماعات مختلفة في وقت مبكر.
- وجود أناجيل تروي كلمات المسيح - عليه السلام - وأفعاله بتفصيل بعد رفعه بعقود، لا يمكن أن يُرده إلى تزوير كلي لشخصية وهمية.
- واجه النصارى خصوماً كثراً في القرون الأولى. ولا يُعرف أن أحداً منهم زعم خرافية المسيح عليه السلام، رغم كثرة الانتقادات التي وجهوها إلى النصرانية.
- لم تفلح المعارضات المشككة في وجود المسيح - عليه السلام - في الرد على أدلة وجوده. وقد جعلت من إغفال الآثار المادية ذكره، حجة على دعواها، غافلة عن أن الآثار لا تشهد عادة إلا للساسة والقادة العسكريين والأستقراطيين. كما أن يوسيفوس الذي يُزعم أنه لم يذكر خبر المسيح ابن مريم - عليهما السلام -، أخبر عنه. وأما مشابهة قصّة المسيح لسير أبطال الوثنين، فحقيقة تمّ المبالغة في تفاصيلها. والحق هو أنّها تشابهات ليست بالكثيرة. والتشابه الأكبر هو في تفاصيل أخرى متعلقة باللاهوت والرموز وأشكال العبادة.



الفصل الثالث

الوجود التاريخي ليعيى - عليه السلام -

المبحث الأول: يعيى - عليه السلام - في القرآن والأناجيل

يعيى - عليه السلام -، ابن زكريا النبي - عليه السلام -، نبي من بنى إسرائيل معاصر لعيسى - عليه السلام -. جاء خبر ميلاده ومناقبه في سورة مريم. وليس في القرآن تفصيلٌ لسيرته.

خلاصة الخبر القرآني عن يعيى - عليه السلام -، أنه نبي، كريم الأخلاق، ولد من أب مُسِّنٌ وأم عاقد. دعا قومه إلى الالتزام بالتوراة التي علّمها وهو صبي. وذهب فريق من المفسرين إلى أن قوله تعالى: «مُصَدِّقًا بِكَلْمَاتِ رَبِّهِ» (آل عمران / 39) أنه مُصدق بعيسى - عليه السلام -، كلمة الله. وقد شاع أنه قد مات مقتولاً. وليس ذاك في القرآن ولا السنة.

وقد جاء خبر يعيى - عليه السلام - في الأناجيل وسفر أعمال الرسل. وفيهما أن اسمه يوحنا المعمدان، والممعдан (في الأصل اليوناني: «هو بَيْتَشِتِين» و«هو بيتزون») نسبة إلى ممارسته تعميد المؤمنين بتغطيسهم في الماء. وقد عاش الممعدان في برية اليهودية حيث بشر وعند. وُقتل على يد هيرودس أنتيباس سنة 29 م²⁸.

أشار العهد الجديد إلى يوحنا المعمدان، ودعوته، وتلاميذه، وعلاقته بال المسيح:
• وُلد يوحنا من أبوين صالحين، قد بلغا من الكبر عِتِّا، وكانت أُمّه قبل إنجابه
عاقداً (لوقا 1 / 5 - 7).

- إلصابات أم المعمدان من أقارب مريم أم المسيح من جهة الدم⁽¹⁾ (لوقا 36/1).
- آمن الناس أنَّ يوحنا نبِيٌّ (مرقس 11/32).
- كان يوحنا يدعو الإسرائيليين إلى معمودية التوبة لمغفرة الخطايا (مرقس 4/1).
- كانت ليوحنا شعبية كبيرة بين أهل اليهودية؛ حتى إنهم قد اعتمدوا على يديه في نهر الأردن.
- كان يوحنا زاهداً في الملبس والأكل (مرقس 1/6، متى 3/4، متى 18/11).
- كان يوحنا يشرب مجيء رجل عظيم بعده (1/7 - 8).
- ليوحنا المعمدان جماعة من التلاميذ الذين كانوا يصومون، على خلاف تلاميذ المسيح (مرقس 2/18 - 22، متى 9/14، لوقا 5/33).
- اعتمد المسيح نفسه على يدي يوحنا (مرقس 1/9، متى 3/15).
- بدأ المسيح في التبشير في الجليل، بعد قتل يوحنا (مرقس 1/14، متى 12/4).
- قُتِل هيرودس يحيى - عليه السلام - بسبب مؤامرة من هيروديا وابتها (مرقس 6/16 - 29، متى 14/6 - 12).

(1) حسب التقليد الكنسي، إلصابات ابنة حالة مريم.

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لليحيى - عليه السلام -

ليس في القرآن تفصيل في خبر يحيى - عليه السلام - من الممكن أن يخضع عادة للرصد الأركيولوجي سوى أنه نبي إسرائيلي عاش في فلسطين، في القرن الأول. وأنه قد وجد في المنطقة التي عاش فيها أبوه زكريا - عليه السلام -. والدلائل التاريخية على وجود يحيى - عليه السلام - قوية، ألمَّت الدارسين أن يجمعوا على حقيقة حياته في القرن الأول الميلادي.

المطلب الأول: الإجماع العلمي على وجود يحيى - عليه السلام -

كان الوجود التاريخي ليعيى - عليه السلام - مُسَلِّماً به في الغرب حتى ظهرت مؤخراً التزعة الشكوكية الغالية التي ترفض كل خبر الأنجليل بين قلة من الملاحدة. ولا يزال - في الحقيقة - الإجماع قائماً بين الأكاديميين دارسي الأنجليل أن يحيى - عليه السلام - شخصية تاريخية عاشت في فلسطين في القرن الأول، وأنه كانت لها علاقة بال المسيح - عليه السلام -^(١). وهو ما يظهر مثلاً في دراسة «ندوة يسوع» التي تمثل أشهر تجمع ليرالي للنقاد في العقود الأخيرة يبحث في مصداقية أخبار الأنجليل المتعلقة بالمسيح - عليه السلام - ويحيى - عليه السلام -.

وقد نشر هذا الفريق العلمي كتاباً تحت عنوان: «يوحنا المعمدان ويسوع: تقرير ندوة يسوع». وقد انتهت هذه الندوة إلى إعلان اليقين بوجود يحيى - عليه السلام -

(١) انظر في استعادة الصورة التاريخية ليوحنا المعمدان:

Josef Ernst, Johannes der Täufer, *Interpretation - Geschichte Wirkungsgeschichte* (Berlin: Walter de Gruyter, 1989); Robert L. Webb, *John the Baptizer and Prophet: A Socio - Historical Study* (Sheffield: JSOT Press, 1991); John P. Meier, *A Marginal Jew: Rethinking the Historical Jesus*, vol. 2, *Mentor Message, and Miracles* (New York: Doubleday, 1994) 19 - 233; Joan E. Taylor, *The Immerser: John the Baptist Within Second Temple Judaism* (Grand Rapids, Mich: Wm. B. Eerdmans, 1997). See also John H. Reumann, 'The Quest for the Historical Baptist,' in *Understanding the Sacred Text: Essays in Honor of Morton S. Enslin on the Hebrew Bible and Christian Beginnings*, ed. John H. Reumann (Valley Forge, Pa.: Judson, 1972) 181 - 199.

بتصويت أفرادها جماعياً باللون الأحمر جواباً على سؤال تاريخية شخصيته⁽¹⁾. علماً أن عادة «ندوة يسوع» أن تدرس النصوص محل البحث، ثم يصوت المشاركون في الدراسة باختيار لون من أربعة لوان:

- الأحمر: يقين.
- الزهري: راجح.
- الرمادي: ممكן (مع شك).
- الأسود: مرجوح.

وقد سبق لها أن قررت في ضوء الاقتراع بالألوان السابقة في كتابها «الأناجيل الخمسة: ماذا قال يسوع حقاً؟»⁽²⁾ أن 18٪ فقط من الأقوال المنسوبة إلى المسيح تصح نسبتها إليه. كما انتهت في كتابها «أعمال يسوع: ماذا قال يسوع حقاً؟»⁽³⁾ إلى أن 16٪ فقط من الأفعال المنسوبة إلى المسيح في الأناجيل تصح أن تكون تاريخية.

المطلب الثاني: شهادة الأنجليل

جاء ذكر يحيى - عليه السلام - في الأناجيل الأربعية باسم يوحنا المعمدان، مرات كثيرة، مع تداخل ذلك أحياناً مع تفاصيل قصة المسيح - عليه السلام -، على صورة تقطع أن أصحاب هذه الأناجيل التي كُتبت في القرن الأول، كانوا يقللون عن تراث حاسم في شهادته لتاريخية هذا النبي.

وقد ذُكرت أحوال يحيى - عليه السلام - في مشاهد مختلفة - كما في الجدول التالي⁽⁴⁾ - تمنع أن يكون خبر وجوده - عليه السلام - اختلاقاً لأغراض لاهوتية محضة.

W. Barnes Tatum, *John the Baptist and Jesus: A Report of the Jesus Seminar* (Sonoma, CA: Polebridge Press, 1994), p.10.

Robert Funk, et al, *The Five Gospels: What Did Jesus Really Say? The Search for the Authentic Words of Jesus* (New York: Harper Collins, 1996).

Robert Funk, et al, *The Acts of Jesus: What Did Jesus Really Do?* (Oregon: Polebridge Press; Salem, (3) 1998).

Robert Webb, 'John the Baptist and his relationship to Jesus', in *Studying the Historical Jesus: Evaluations of the State of Current Research*, Bruce David Chilton, Craig Alan Evans, eds. (Leiden; Boston; Köln: Brill, 1998), pp.185 - 186.

الوصف	متى	مرقس	لوقا	يوحنا	آخر	
شهادة يوحنا العيسى أنه نور	8-6 / 1					
شهادة يوحنا العيسى أنه يأتي بعده	15 / 1	16 / 3 20 / 7	7 / 1	11 / 3 3 / 11		
نبوة ميلاد يوحنا	إنجيل يعقوب الأولى 3 / 8 2 / 10	25-5 / 1				
إخبار مريم عن جنين الاصبابات	PCairo	36 / 1				
مريم تزور الاصبابات	إنجيل يعقوب الأولى - 2 / 12 3	-39 / 1 45 3				
ميلاد يوحنا وطفولته		-57 / 1 80				
الاصبابات تخفي الطفل يوحنا	إنجيل يعقوب الأولى 3 / 22					
محاكمة زكريا وقتلها	إنجيل يعقوب الأولى - 1 / 23 4 / 24					
يوحنا في البرية يعتمد	إنجيل أبيان	6-1 / 3	6-2 / 1	6-1 / 3		
يوحنا يغادر عن العقاب الآتي		9-7 / 3		10-7 / 3		
يوحنا يجرب عن أسئلة أخلاقية		-10 / 3 14				

الوصف	متى	مرقس	لوقا	يوحنا	آخر
يوحنا يتباًش شخص قادر	-11/3	8-7/1	-15/3	-24/1	28
يوحنا يعمد عيسى	-13/3	11-9/1	-21/3	-30/1	إنجيل الأبيونيين
	17	22	18	34	إنجيل الناصريين
					إنجيل العبرانيين
يوحنا يُخبر عن نفسه	23	-19/1			
يوحنا يشهد لعيسى	34	-29/1			
تلاميذ يوحنا يتبعون عيسى	40	-35/1			
عيسى يذهب إلى الجليل بعد سجن يوحنا	12/4	14/1			
عيسى يعمد في مكان قريب من مكان تعميد يوحنا	24	-22/3			
يوحنا يجيب عن سؤال حول دعوة عيسى	30	34/5	19/2	15/9	-25/3
المسيح يعمد أكثر مما عمد يوحنا					3-1/4
تلاميذ يوحنا يصومون، على خلاف تلاميذ المسيح	17	-18/2	-33/5	29/3	إنجيل توما

الوصف	متى	مرقس	لوقا	يوحنا	آخر
يوحنا يسأل من السجن عن حقيقة المسيح	6-2 / 11		-18 / 7 23		
المسيح يمجد يوحنا كنبي	-7 / 11 15		-24 / 7 30	إنجيل توما	21 / 1
اعترض بنى إسرائيل على المسيح ويوحنا	-16 / 11 19		-31 / 7 35		
ظن هيرودس أن المسيح هو يوحنا بعد قيامه	2-1 / 14	16	-14 / 6	9-7 / 9	
قبض هيرودس على يوحنا وقتلته	-3 / 14 12	29	-17 / 6 20	-19 / 3	
قول البعض إن عيسى هو يوحنا	-13 / 16 14	28	-27 / 8 28	-18 / 9 19	
لاميد عيسى يريدون الصلاة وفق تعليم يوحنا	1 / 11				
يوحنا هو إيليا	-9 / 17 13	13-9 / 9		إنجيل توما	21 / 1
الشريعة حتى يوحنا، والآن الملكوت	-12 / 11 13 18 / 5		-16 / 16 17	إنجيل توما	
تعميد يوحنا من السماء أم من الناس؟	-23 / 21 27	33	-27 / 11	8-1 / 20	
إيمان العصاة بيوحنا	-28 / 21 32	30		-29 / 7	

الوصف	متن	مرقس	لوقا	يوحنا	آخر
عيسيٰ يرى يوحنا كسراج				-33/5 36	
ذهب عيسى إلى حيث كان يوحنا يعمد				-40/10 42	
يُعمَّد بالروح	يُعمَّد بالماء، وقرباً				أعمال الرسل 5/1
من زمان يوحنا	لا بد أن يكون هناك رسل				أعمال الرسل 22-21/1
يُعمَّد بالروح	بدأت البشرة بعد تعميد				أعمال الرسل 38-37/10
يُعمَّد بالماء، وقرباً	يُعمَّد بالماء، وقرباً				أعمال الرسل 16/11
يُعمَّد بالروح	يُعمَّد بالروح				أعمال الرسل 25-24/13
يُعرف غير تعميد يوحنا	أيلوس لم يكن يعرف غير				أعمال الرسل 26-24/18
غير تعميد يوحنا	التلاميذ ما كانوا يعرفون				أعمال الرسل 7-1/19

إننا إذن أمام مادة متنوعة وغزيرة، عميقه الالتصاق بتفاصيل قصة عيسى -عليه السلام-، على صورة تمنع القول بزيفها كلياً. ولذلك قالت الناقدة كاثرين مرفي في كتابها «يوحنا المعمدان»: «...كشف تحليل النقد التحريري

الإنجيل. وفي أثناء ذلك كشف العناصر المركزية في التراث والتي تحمل درجة عالية من القيمة التاريخية⁽²⁾. ويتبين أن أهم العناصر الموثقة:

- ✓ الوجود التاريخي ليعي -عليه السلام-.
- ✓ تعميد يحيى -عليه السلام- للمسيح.
- ✓ ممارسة يحيى -عليه السلام- الدعوة في منطقة حكمها هيرودس أنتيبياس.
- ✓ كان يحيى -عليه السلام- يعتمد في برية نهر الأردن.
- ✓ كان يحيى -عليه السلام- يمهد بدعوته لشخص تال يأتي بعده (ولا تستطيع - كما تقول - أن تجزم أنه عيسى -عليه السلام-).
- ✓ كان ليحيى -عليه السلام- تلاميذ يصومون ويعتمدون.
- ✓ كان يحيى -عليه السلام- يعلم تلاميذه الصلاة⁽³⁾.

المطلب الثالث: شهادة يوسيفوس

جاء ذكر يوحنا المعمدان في «عاديات اليهود»؛ حيث قال يوسيفوس: «وطن بعض اليهود أن هلاك جيش هيرودس جاء من الله، وأن ذلك عقوبة عادلة جزاء ما فعله هيرودس في يوحنا الذي كان يُدعى المعمدان؛ إذ إنّ هيرودس قتله، وهو رجل صالح أمر اليهود أن يستقيموا على الفضيلة، سواء من ناحية إحسان بعضهم لبعض أو بتفوى الله، وبالتالي للمعمودية... الآن عندما أتاه [كثيرون] في حشود حوله، لأنهم تأثروا بشدة [أو سُرُوا] بسماع كلماته؛ خشي هيرودس أن يؤذى الأثر الكبير الذي كان ليوحنا على الناس إلى أن يزداد قوّة ويدفعه إلى التمرد [لأنهم بدوا مستعدّين

(1) يقوم هذا المنهج على رصد منهج المؤلف في صياغة نصه اعتماداً على مصادره، وأثر الدوافع اللاهوتية وغيرها في صناعة نصه.

Catherine M. Murphy, *John the Baptist: Prophet of Purity for a New Age* (Collegeville, Minn.: (2) Liturgical Press, 2003), p.83.
Ibid, 83 - 84. (3)

لفعل أي شيء ينصح به؟ ولذلك اعتقد أنه من الأفضل قتله لمنع أي أذى قد يُسبّبه... وبناءً على ذلك، أرسل مقيناً - بسبب شكوك هيرودوس - إلى مكاور، إلى القلعة التي ذكرتها سابقاً، وتم إعدامه هناك. ويعتقد اليهود أن تدمير هذا الجيش كان عقوبة لهيرودس، وعلامة على غضب الله عليه»⁽¹⁾.

شكك بعض الكتاب الملاحدة في أصالة هذا المقطع في كتاب «عاديات اليهود»، والذي يصرّح بالوجود التاريخي ليعي - عليه السلام -، ويسرد قصة قتله؛ بزعم أنه دُسٌّ من النساخ النصارى في هذا الكتاب. غير أنَّ جمهور النقاد على أصلته⁽²⁾ لأدلة مهمة، منها:

أولاً: قصة قتل يعي - عليه السلام - عند يوسفوس تختلف القصة كما في الأنجلترا؛ فلو كان ما في كتاب «عاديات اليهود» من صنع النساخ النصارى؛ لالتزم النص المنسوب إلى يوسفوس الرواية الإنجيلية؛ إذ قد جاء في مرقس 6/17 - 29: «هِيْرُوْدُس نَفْسُهُ كَانَ قَدْ أَرْسَلَ وَأَنْتَكَ يُوْحَنَّا وَأَوْنَقَهُ فِي السُّجْنِ مِنْ أَجْلِ هِيْرُوْدِيَا امْرَأَةِ فِلِيُّسْ أَخِيهِ، إِذْ كَانَ قَدْ تَزَوَّجَ بِهَا. لَأَنَّ يُوْحَنَّا كَانَ يَقُولُ لِهِيْرُوْدُسْ: «لَا يَحْلُّ أَنْ تَكُونَ لَكَ امْرَأَةٌ أَخِيكَ» فَحَنِقَتْ هِيْرُوْدِيَا عَلَيْهِ، وَأَرَادَتْ أَنْ تَقْتُلَهُ وَلَمْ تَقْدِرْ، لَأَنَّ هِيْرُوْدُسَ كَانَ يَهَابُ يُوْحَنَّا عَالَمًا أَنَّهُ رَجُلٌ بَارِزٌ وَقَدِيسٌ، وَكَانَ يَحْفَظُهُ. وَإِذْ سَمِعَهُ، فَعَلَّ كَثِيرًا، وَسَمِعَهُ بِسُرُورٍ. وَإِذْ كَانَ يَوْمٌ مُوْافِقٌ، لَمَّا صَنَعَ هِيْرُوْدُسُ فِي مَوْلِدِهِ عَشَاءً لِعُظْمَائِهِ وَفُوَادِ الْأَلْوَفِ وَوُجُوهِ الْجَلِيلِ، دَخَلَتِ ابْنَةُ هِيْرُوْدِيَا وَرَفِيقَتْ، فَسَرَّتْ هِيْرُوْدُسُ وَالْمُكْتَشَفِينَ مَعَهُ. فَقَالَ الْمَلِكُ لِلصَّيِّيْهِ: «مَهْمَا أَرْدَتِ أَطْلِيْكِ مَنِيْ فَأَغْطِيْكِ». وَأَقْسَمَ لَهَا أَنْ «مَهْمَا طَلَبْتِ مَنِيْ لِأَغْطِيْكِ حَتَّى نِصْفَ مَمْلَكَتِي». فَخَرَجَتْ وَقَالَتْ لِأَمْهَا: «مَاذَا أَطْلَبُ؟» فَقَالَتْ: «رَأْسُ يُوْحَنَّا الْمُعْمَدَانِ». فَدَخَلَتِ الْمَوْقِتِ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْمَلِكِ وَطَلَبَتْ قَاتِلَةً: «أُرِيدُ أَنْ تُغَطِّيَنِي حَالًا رَأْسَ يُوْحَنَّا الْمُعْمَدَانِ عَلَى طَبِقٍ». فَعَزَّزَ الْمَلِكُ جِدًا.

Flavius Josephus , *Antiquities* 18.116 - 119 (Translated by William Whiston). (1)
Robert L. Webb, *John the Baptist and Prophet: A Sociohistorical Study* (Oregon: Wipf and Stock (2) Publishers, 2006), p.39.

وَلِأَجْلِ الْأَقْسَامِ وَالْمُتَكَبِّشِينَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يُرِدَهَا. فَلِلْوَقْتِ أَرْسَلَ الْمَلِكُ سَيَّافًا وَأَمَرَ أَنْ يُؤْتَى
بِرَأْسِهِ. فَمَضَى وَقَطَعَ رَأْسَهُ فِي السَّجْنِ. وَاتَّى بِرَأْسِهِ عَلَى طَبَقٍ وَأَغْطَاهُ لِلصَّيْبَةِ، وَالصَّيْبَةُ
أَغْطَثَهُ لِأَمْهَا. وَلَمَّا سَمِعْ تَلَامِيذُهُ، جَاءُوا وَرَفَعُوا جُنْحَتَهُ وَوَضَعُوهَا فِي قَبْرٍ.

يقول الناقد روبرت ويب⁽¹⁾: «إذا كان هذا المقطع ملطفاً؛ فالمتوقع أن نجد رواية تتوافق كثيراً مع تقاليد العهد الجديد حول يوحنا. هذا التوقع معقول لأن الغرض المحتمل لمثل هذا التلقيق المسيحي تأكيد صدق رواية العهد الجديد. ولكننا نجد هنا عدداً من الاختلافات المهمة بين رواية يوسيفوس ورواية العهد الجديد، ومن بينها وصف رسالة يوحنا، وشرح معموديته، وسبب اعتقاله وإعدامه. والاختلاف الأكبر أهمية هو صمت هذا النص عن العلاقة بين يوحنا المعمدان ويسوع»⁽²⁾.

ويوضح الناقد أ. كمبمير بجلاءً أوجه الاختلاف بين التفاصيل الدقيقة، في مقالته: «هل وُجد يوحنا المعمدان تاريخياً؟»:

✓ طبق مرقس 6/17، زوج هيروديا هو فيليس بن هيرودس الكبير وأمه كلوباترا، في حين آتنا نفهم من رواية يوسيفوس أنَّ هيرودس الثاني ابن هيرودس الكبير وزوجته «مريمان الثانية»، هو زوج هيروديا قبل زواجهما من هيرودس أنتيباس. ثم إنَّ فيليس عند مرقس هو زوج هيروديا، في حين أنَّ فيليس زوج سالومي (ابنة هيروديا) عند يوسيفوس (18/4.5).

✓ يُفهم من الأنجليل أنَّ قتل يحيى كان في طبرية - مستقر هيرودس -، في حين يُفهم من حديث يوسيفوس أنَّ قتل المعمدان كان في مكاور⁽³⁾ (التي تقع اليوم في دولة الأردن).

(1) روبرت ويب Robert Webb (1955): محاضر في قسم الدراسات الدينية في جامعة ماكستر، كندا، والمحرر التنفيذي للمجلة «Journal for the Study of the Historical Jesus». (2) Robert L. Webb, *John the Baptizer and Prophet*, p.40. (3) Machaerus

✓ يفهم من الأنجليل أن هيرودس قد قتل يحيى - عليه السلام - من أجل طلب ابنته هيروديا منه فعل ذلك، في حين صرّح يوسيفوس أن سبب قتل يحيى - عليه السلام - خوف هيرودس من أن يُحدِّث يحيى - عليه السلام - ثورة في البلاد.

✓ يُخبرنا إنجيل مرقس 6/23 أن هيرودس قد قال لابنة هيروديا: «مَهْمَا طَلَبْتِ مِنِي لِأُعْطِيَنَّكِ حَتَّى نِصْفَ مَمْلَكَتِي». والحقيقة أننا نعلم أن هيرودس كان خاضعاً للسلطة الرومانية⁽¹⁾.

لم يدافع كمبماير عن أصلية قصة يوسيفوس عن موت المسيح، حماسة منه للنصرانية؛ فإنه قد صرّح أنه عند مقارنة رواية يوسيفوس برواية العهد الجديد، لا بد أن تأخذ برواية يوسيفوس، وأن نرى رواية العهد الجديد صياغة ملقة، متأثرة بالسمعة السائدة لهيرودس وهيروديا، والتي نقلها لنا يوسيفوس⁽²⁾؛ ولذلك فـ«الراجع بجد أن رواية الإنجيل هي خرافه شعبية نشأت تدريجياً بين الناس والمسيحيين الأوائل»⁽³⁾، ثانياً: حديث يوسيفوس عن يحيى - عليه السلام - موجود في جميع المخطوطات المتاحة عندنا لعاديات اليهود عند حفظ النص السابق أو اللاحق له. كما يوجد هذا الحديث في الترجمة اللاتينية التي تمت في القرن السادس. وكتب الإمام ابن حزم في القرن الحادى عشر الميلادى: «وَقَرَأْتُ فِي تَارِيخِ الْهُمَّ جَمِيعَهُ رَجُلٌ هَارُونِيٌّ كَانَ قَدِيرًا مِّنْ كَارَهُمْ وَأَنْتَهُمْ وَمِمَّنْ عَصَبَتْ بِهِ ثُلُثَ بَلْدَهُمْ وَثُلُثَ حِرَوبَهُمْ وَثُلُثَ جِيُوشَهُمْ أَيَّامَ حَزْبِ طَبِيعَسِ خَرَابَ الْبَيْتِ وَكَانَ لَهُ فِي تِلْكَ آثارٌ عَظِيمَةٌ وَكَانَ قد أَدْرَكَ أَمْرَ الْمُسِيْحِ - عليه السلام - وَاسْمُهُ يُوسُفُ بْنُ هَارُونَ فَذَكَرَ مُلُوكَهُمْ وَحِرَوبَهُمْ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى قَتْلِ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا - عليه السلام - فَذَكَرَهُ أَجْمَلُ ذِكْرٍ وَعَظَمُ شَأنَه

Kampmeier, (1913) "Did John the Baptist Exist?," *The Open Court*: Vol. 1913: Iss. 7, 434 - 435. (1)

Ibid., 435. (2)

Ibid. (3)

وأنه قتل ظلماً لقوله الحق وذكر أمر المعمودية ذكرًا حسناً لم ينكرها ولأبطلها⁽¹⁾. ثالثاً: أشار أريجانوس في القرن الثالث إلى حديث يوسيفوس عن يحيى -عليه السلام- في كتابه الشهير «الردة على كلسوس»¹. 47، ورده إلى كتاب يوسيفوس «العاديات»، الفصل 18. فقد قال: «أَوْدَ أَنْ أَقُول لِكُلْسُوسَ، الَّذِي يَقُدِّمُ الْيَهُودِيَّ عَلَى آنَه يَقْبِلُ بِطَرِيقَةٍ مَا يَوْحَنَّا كَمُعْمَدَانِ، عَمِدَ يَسُوعَ، أَنَّ وَجْهَ يَوْحَنَّا الْمُعْمَدَانَ، مُعْمَدًا لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا، قَدْ رُوِيَّ مِنْ طَرِيقَ خَصْصٍ قَدْ عَاشَ بَعْدَ فَتْرَةٍ لَيْسَتْ بَعِيدَةً كَثِيرًا عَنْ يَوْحَنَّا يَسُوعَ؛ لَأَنَّهُ فِي الْكِتَابِ الثَّامِنِ عَشَرَ مِنْ كِتَابِهِ عَنْ آثارِ الْيَهُودِ، شَهَدَ يَوْسِيفُوسُ أَنَّ يَوْحَنَّا كَانَ مُعْمَدَانِ، وَاعْدَى بِتَطْهِيرِ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ خَضَعُوا لِهَذَا الطَّقْسِ».

رابعاً: نَصُّ يَوْسِيفُوسَ عَنْ يَوْحَنَّا الْمُعْمَدَانَ نَقْلَهُ كَلْمَةَ الْمُؤْرِخِ يَوْسَابِيوسَ فِي بِداِيَةِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ⁽²⁾، فِي كِتَابِهِ الشَّهِيرِ تَارِيَخُ الْكَنِيسَةِ 1.11.1-6، بِاستِثنَاءِ الْجَملَةِ الْآخِيرَةِ: «وَيَعْتَقِدُ الْيَهُودُ أَنَّ تَدْمِيرَ هَذَا الْجَيْشِ كَانَ عَقْوَبَةً لِهِيَرُودِسَ، وَعَلَامَةً عَلَى غَضَبِ اللَّهِ عَلَيْهِ». كَمَا نَقَلَ يَوْسَابِيوسَ شَهَادَةً يَوْسِيفُوسَ عَنْ مَقْتَلِ يَحِيَّ عَلَى يَدِ هِيَرُودِسِ فِي

. Demonstratione Evangelica Libri Decem 9.5.15

خامسًا: أسلوب المقطع وكلماته في توافق مع عادة يوسيفوس في كتابه «عاديات اليهود». ومما يقوى هذا الوجه أنَّ في هذا المقطع عبارات غير مألوفة لكنها موجودة في هذا الكتاب في مواضع أخرى. ومن أمثلة ذلك استعمال المقطع كلمة ἀμαρτία مَكَانًا ، وقد تكرر ذلك في الكتاب الثالث من «عاديات اليهود». وهو استعمال لا أثر له في العهد الجديد والكتابات النصرانية المبكرة. كما أنَّ هذا المقطع

(1) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 1 / 82 – 83.

(2) جاء النقل عن يوسيفوس في الكتاب الأول من «تاريخ الكنيسة» ليوسابيوس. وقد رجح ماير أنَّ هذا الكتاب قد تم الانتهاء منه قبل سنة 303 م.

John P. Meier, 'John the Baptist in Josephus: Philology and Exegesis,' *Journal of Biblical Literature*, vol. 111, no. 2, p. 226.

يستعمل أسماء للتعميد لا تُعرف في العرف النصراني للتعميد⁽¹⁾. وذلك مستبعد من محرّف نصراني متأخر يكتب بأثر من ثقافته الدينية.

المطلب الرابع: المندائيون أتباع المسيح؟

تسب طائفة الصابئة المندائيين في العراق نفسها إلى يحيى -عليه السلام-. ويرى أهلها أنفسهم أنهم امتداد لدعوته، رغم طعنهم في نبوة عيسى -عليه السلام-، وتسميتها أكبرنبي كاذب!

وقد جاء في الكتاب المقدس عند الصابئة المندائيين «كنترا ربًا» الذي ألف في القرن الثاني أو الأول ميلاديًّا، حديث خاص عن تعاليم يحيى -عليه السلام-، ومنها: «إذا كنت قويًا؛ فكن باهر الصدق، كالمَلِكُ الذي يضع الناج على رأسه ويشهُرُ السيف في وجه السُّرِّ. فإن لم تكن بهذه القوة فكن ناصورًا إِنْ صادقًا مثل فلاح مثمر يستخرج غلال الأرض، فمنها عونٌ للكاملين، ومنها قوَّةٌ لباهرِي الصدق»⁽²⁾. كما وردت في كتاب «كَدَابَا دراشَا دِيهِيَا» الذي يعتبر الكتاب الثاني من ناحية الأهمية عند المندائيين تعاليم وعظات وحِكم للنبي يحيى -عليه السلام-.

ويشكك عدد من الباحثين في صدق صلة المندائيين بـ يحيى -عليه السلام-؛ إذ يبدو أنهم ما غادروا العراق يومًا، ولا صلة لهم بدعاوة يحيى -عليه السلام- في العراق⁽³⁾.

(1) Robert L. Webb, *John the Baptist and Prophet*, p.40.

(2) كنْتَرَا ربًا، تعاليم يحيى.

(3) أمر أصول هذه الطائفة شديد الغموض؛ حتى قال أحد الكتاب الصابئة المعاصرین: «البحث في نشأة المعتقدات الدينية للصابئة المندائيين وتطورها، وتأريخ هذه المجموعة وتفاعلها مع البيئات التاريخية التي وجدت فيها أمر في غایة الصعوبة والتعقيد». وليس أمام الباحث فرصة القطع في أي منها دون أن يغامر بموضوعه. إن الغموض الذي يلف تاريخ هذه الطائفة ومتقادتها لا يدع مجالًا للباحث في التقيد بطريقة واحدة يختارها للمعالجة. فهو ما أن يشرع في تناول الأمر استنادًا إلى المعطيات التاريخية - وهي بعد ذاتها نزير سير جدًا وتنطوي على تعقيدات وإشكالات كبيرة سألي على ذكرها من بعد - حتى يجد نفسه بعد لاي أمام أبواب موصدة، فيضطر للعودة من أجل تناول الموضوع من زاوية أخرى أملأًا في دفع التفصي خطوة أخرى إلى أمام» (عزيز سباهي، أصول الصابئة (المندائيين)، ومعتقداتهم الدينية، سوريا: دار المدى، 2002، ص 17).

كِتَابُ الْحَمْدَةِ

الكتاب المعلم
الكتاب المقدس
للمصابيح المندائيين

المكتبة

دارشة اوسجيا

مَوَاعِظُ وَتَالِيمٌ

بِحِسْنِ بْنِ زَكْرِيَا
عَلَيْهِ السَّلَامُ

طبعة الأولى
سنة ١٩٠٣م

الخلاصة:

- إجماع النقاد على تاريخية يحيى - عليه السلام .
- ذكرُ يحيى - عليه السلام - في الأنجليل ، في سياقات مختلفة ، بعضها جوهرى في سيرة المسيح ، حجة على من القول باختلاف خبر يحيى - عليه السلام - كلّه .
- ما ذكره المؤرّخ يوسيفوس عن يحيى - عليه السلام - شهادة أصلحة وقوية قربية من أيام هذا النبي .

الفصل الرابع

الوجود التاريخي لزكريا - عليه السلام -

المبحث الأول: زكريا - عليه السلام - في القرآن والكتاب المقدس

زكريا - عليه السلام -، والد يحيى - عليه السلام -،نبي من بني إسرائيل، عاش زمن المسيح ابن مریم - عليهما السلام -. ورد خبره مختصراً في القرآن. ومما جاء فيه:

• ولادة ابن لزكريا بعد أن بلغ هو وزوجه من العمر عتيقاً: قال تعالى: ﴿ذَكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَاٰ﴾ (إذ نادى رَبَّهُ يَدَاهُ حَقِيقَةً) (٢) قَالَ رَبُّهُ إِنِّي وَهَنَ الظَّلْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَكِيرًا وَلَمْ أَكُنْ يَدْعُ عَبْلِكَ رَبَّ شَقِيقَةً (٣) وَإِنِّي خَفِثْتُ الْمَوَلَى مِنْ وَرَاءِي وَكَانَتْ أَمْرَأَيْ عَاقِرَّاً فَهَبْتُ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيَكَ (٤) يَرِثُنِي وَرِثَتِي مِنْ أَهْلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْتُهُ رَبَّ رَضِيَّةً (٥) يَنْزَكِرْنِي إِنَّا نَبْشِرُكَ بِعُلُمهِ أَسْمَهُ بِخَيْرٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلِ سَيِّئَاتِ (٦) قَالَ رَبِّي أَنِّي يَكُوْنُ لِي عَلَمٌ وَكَانَتْ أَمْرَأَيْ عَاقِرَّاً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيَّةً (٧) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هِنْدٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلِ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (٨) قَالَ رَبِّي أَنِّي يَجْعَلُ لِي مَا يَشَاءُ قَالَ مَا يَشَاءُكَ أَلَا تَكُلُّمُ أَنْتَاسَكَ ثَلَاثَةِ لِيَالَّا سَوْيَيَاً (٩) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَيَحْوِيُّونَكَرَّةً وَعَيْشَيَاً (١٠) (مریم / 2 - 11)، وقال سبحانه: «رَزَكَرِيَاً إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّي لَا تَذَرِّنِي فَكَرِداً وَأَنَّتْ خَيْرُ الْوَرَبَينِ» (١١) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَكَرِيَاً إِنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَغْرِقُونَ فِي الْغَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَارَغَبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ (١٢) (الأنباء / 89 - 90)

• كفالة زكريا - عليه السلام - لمريم - عليها السلام -: قال تعالى عن مریم - عليها السلام -: «فَنَفَّبَلَّهَا رَبُّهَا يَقْبُولُ حَسَنَ وَأَنْبَتَهَا بَنَانَ حَسَنًا وَكَفَلَهَا زَكَرِيَاً كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَاً الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَعْرِمُ أَنَّ لَكِ هَذَا قَاتَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ

يَرْوَقُ مِنْ يَكِنَّةٍ يُغْتَرِ حِسَابٌ ⑭ هَنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرْيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَيِّعُ الدُّعَاءِ ⑮ فَنَادَهُ الْمَلِئَكَةُ وَقَوْقَائِمٌ يُعْكِلُ فِي الْمَعَرَابِ أَنَّ اللَّهَ يَبْشِّرُكَ بِيَعْنَى مُصْدِقاً يَكْمِلُهُ مِنَ اللَّهِ وَسِيدِاً وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الْمُصَلِّحِينَ ⑯ قَالَ رَبِّي أَنِّي يَكُونُ لِي عِلْمٌ وَفَدَ بِلَقْنِي الْحِكْمَةُ وَأَنْرَأَيَ عَاقِرَةً قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَقْسِمُ مَا يَكِنَّهُ ⑰ قَالَ رَبِّي أَجْعَلْ لِي مَا يَكِنَّهُ ⑱ قَالَ إِنِّي أَلَا تَكِلْمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزَ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَيَنْهَا يَأْلِمُنِي وَأَلْبَكُنِي ⑲﴾ (آل عمران / 37 - 41).

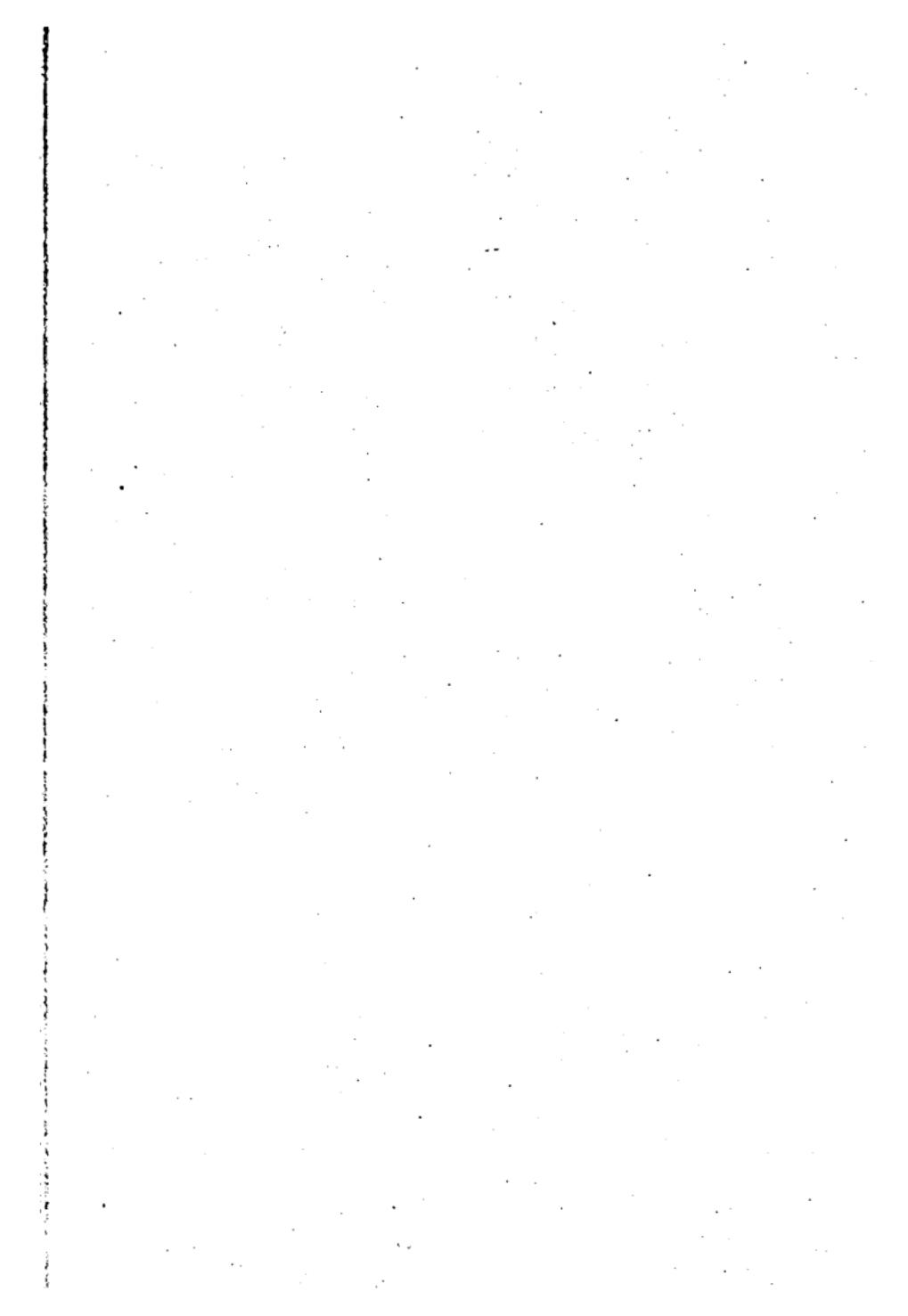
وتظهر عامة تفاصيل خبر زكريا - عليه السلام - في الأنجليل الرسمية وإنجيل يعقوب الأولي الأبوكريفي، ومنها:

ولادة ابن لزكريا بعد أن بلغ هو وزوجه من العمر عتيماً: جاء في إنجليل لوقا 1 / 5 - 22 - 57 - 79 أنَّ زكريا كانَ مُنْكَرٌ من فرقـة أَيْيَا، قد بلغ من العـمر سِنًّا مـتفـدـمـاً، وزوجـته هارـونـيـةـ، اسـمـهـاـ أـلـيـصـابـاتـ، وـقـدـ كـانـتـ عـاقـرـاـ. وـأـنـ جـرـائـيلـ قد ظـهـرـ لـزـكـرـيـاـ - عـلـيـهـ السـلـامـ - فـيـ الـهـيـكـلـ، وـبـشـرـهـ أـنـهـ سـيـكـونـ لـهـ ولـدـ، نـبـيـ صـالـحـ. وـلـمـ سـأـلـ الـمـلـكـ عـنـ عـلـمـةـ لـلـبـشـرـىـ، أـخـبـرـهـ أـنـهـ سـيـكـونـ عـاجـزاـ عـنـ الـكـلـامـ إـلـىـ يـوـمـ تـحـقـقـ الـبـشـارـةـ. وـعـنـدـمـاـ وـلـدـ اـبـنـ زـكـرـيـاـ - عـلـيـهـ السـلـامـ -، سـمـيـ يـوـحـنـاـ. وـلـمـ كـتـبـ زـكـرـيـاـ عـنـدـ خـتـانـ اـبـنـهـ الـاسـمـ الـذـيـ اـخـتـارـهـ لـهـ، ذـهـبـ عـنـهـ الـخـرـسـ.

كـفـالـةـ زـكـرـيـاـ - عـلـيـهـ السـلـامـ - لـمـرـيمـ - عـلـيـهـ السـلـامـ -: جاء في إنجليل يعقوب الأولي الذي ظـلـلـتـ الـكـنـيـسـةـ تـحـتـفـيـ بـمـادـتـهـ التـارـيـخـيـ لـقـرـونـ طـوـيـلـةـ، وـإـنـ لـمـ تـدـخـلـهـ فـيـ قـائـمـةـ الـأـنـجـيلـ الـقـانـوـنـيـةـ الرـسـمـيـةـ: «وـعـنـدـمـاـ بـلـغـتـ الثـانـيـةـ عـشـرـ مـنـ عـمـرـهـاـ، اـجـتـمـعـ الـكـهـنـةـ فـيـ هـيـكـلـ الـرـبـ وـقـالـوـاـ: «هـوـ ذـاـ مـرـيمـ قـدـ بـلـغـتـ عـمـرـ الـاثـنـيـ عـشـرـ مـاـمـاـ فـيـ هـيـكـلـ؛ فـمـاـذـاـ سـفـعـلـ فـيـ شـأـنـهـاـ، لـثـلاـ تـمـسـ قـدـاسـةـ هـيـكـلـ الـرـبـ إـلـهـنـاـ دـنـسـ ماـ؟ـ». وـقـالـ الـكـهـنـةـ لـرـئـيـسـ الـكـهـنـةـ: «أـذـهـبـ وـقـيـفـ أـمـامـ هـيـكـلـ الـرـبـ وـصـلـلـ مـنـ أـجـلـهـاـ، وـمـاـ يـظـهـرـهـ اللـهـ لـكـ، نـمـتـلـلـ لـهـ». فـدـخـلـ رـئـيـسـ الـكـهـنـةـ إـلـىـ قـدـسـ الـأـنـدـاسـ، وـقـدـ لـبـسـ رـدـاءـ الـكـهـنـوـتـيـ الـمـرـيـنـ بـاثـنـيـ عـشـرـ جـرـسـاـ، وـصـلـلـ مـنـ أـجـلـ مـرـيمـ. وـإـذـ بـمـلـاـكـ الـرـبـ يـظـهـرـ لـهـ قـاتـلـاـ: «يـاـ زـكـرـيـاـ،

يا زكريا، اخْرُجْ واستدعِ مَنْ همْ أرامل وسط الشعب، وليأتِ كُلَّ واحد بعصىٰ، وَمَنْ يختاره الله بعلمة يكون الزوج المُعطى لمريم ليحفظها». وخرج المنادون في كُلَّ بلاد اليهودية، وبوق بُوق الرب وهرع الجميع. وأتى يوسف كالآخرين، وقد تخلَّ عن فأسيه، وإذا اجتمعوا، مضوا نحو رئيس الكهنة، ومعهم عصيهِم. فأخذ الكاهن عصا كُلَّ واحد، ودخل الهيكل وصلى وخرج بعد ذلك وأعاد إلى كُلَّ واحد عصاه التي جاء بها، فلم تظهر أي علامة؛ لكنه عندما أعاد إلى يوسف عصاه، خرجت منها حمامات، حطَّت على رأس يوسف. فقال رئيس الكهنة ليوسف: «لقد اختارك الله لِتَقْبِيلِ عذراء الرب هذه وتحفظها قُرَبَك».

وها هنا يوافق القرآن إنجيل يعقوب الأولى في شأن الاقتراع حول كفالة مريم، غير أن الكتابيين اختلفا في شأن من آلت إليه الكفالة بعد القرعة؛ ففي القرآن أن القرعة انتهت بأن يكون زكريا كافل مريم، في حين يذكر إنجيل يعقوب الأولى أن يوسف النجار هو كافل مريم.



المبحث الثاني: الوجود التاريخي لزكريا - عليه السلام -

ليس في قصة زكريا - عليه السلام - من الأخبار ما يترك أثره في الآثار المادية المطحورة في الأرض أو القائمة فوقها؛ فإن القرآن يخبرنا أنّ زكريا من بنى إسرائيل، وأنه كاننبياً، محسناً في قومه، وأنه قد كفل مريم - عليها السلام -، وأنه قد رُزق ولدًا علىٰ كِبَرٍ. وليس هذه المسائل مما من عادة التاريخ حفظ أثراها.

والظاهر أنّ ورود خبر زكريا في الأنجليل؛ حُجَّةٌ تاريخيةٌ إيجابيةٌ لصحة هذا الخبر؛ إذ في الأنجليل اهتمامٌ واضحٌ ببيانات وجود يحيى - عليه السلام - وانتشار دعوته. ولا يوجد داع جاد لاتهام الأنجليل بافتراء الوجود التاريخي لزكريا - عليه السلام -. علمًا أنه لا يوجد في الأسفار الأبوكريفية خبر نافٍ لوجود هذا النبي أو لتنسمة والد يحيى - عليه السلام - باسم زكريا.

وقد كُشف نقشٌ يُعرف بقبر أبسالوم יְהוּדָה אֶבְשָׁלוֹם (الموجود في القدس) سنة 2003، وهو يعود إلى القرن الرابع، وقد كتب فيه: «هذا هو قبر زكريا، الشهيد، الكاهن المقدس، والد يوحنا». وقد ذهب بعض الباحثين إلى أنّ هذا النقش يشير إلى قبر زكريا والد يوحنا المعمدان. ويبعد أن يكون ذلك صحيحةً؛ لأنّ النقش متأخر بقرون عن تاريخ إقامة القبر بقرابة أربعة قرون⁽¹⁾، وإن كان من الممكن أن يكون هنا القبر محل رفات زكريا - عليه السلام - بعد نقله إليه من قبر آخر.

Phil Howell, *John the Great: John the Baptist, His Relationship with Jesus and You* (Holy Fire (1) Publishing, 2005), p.131.

صورة قبر أبشالوم

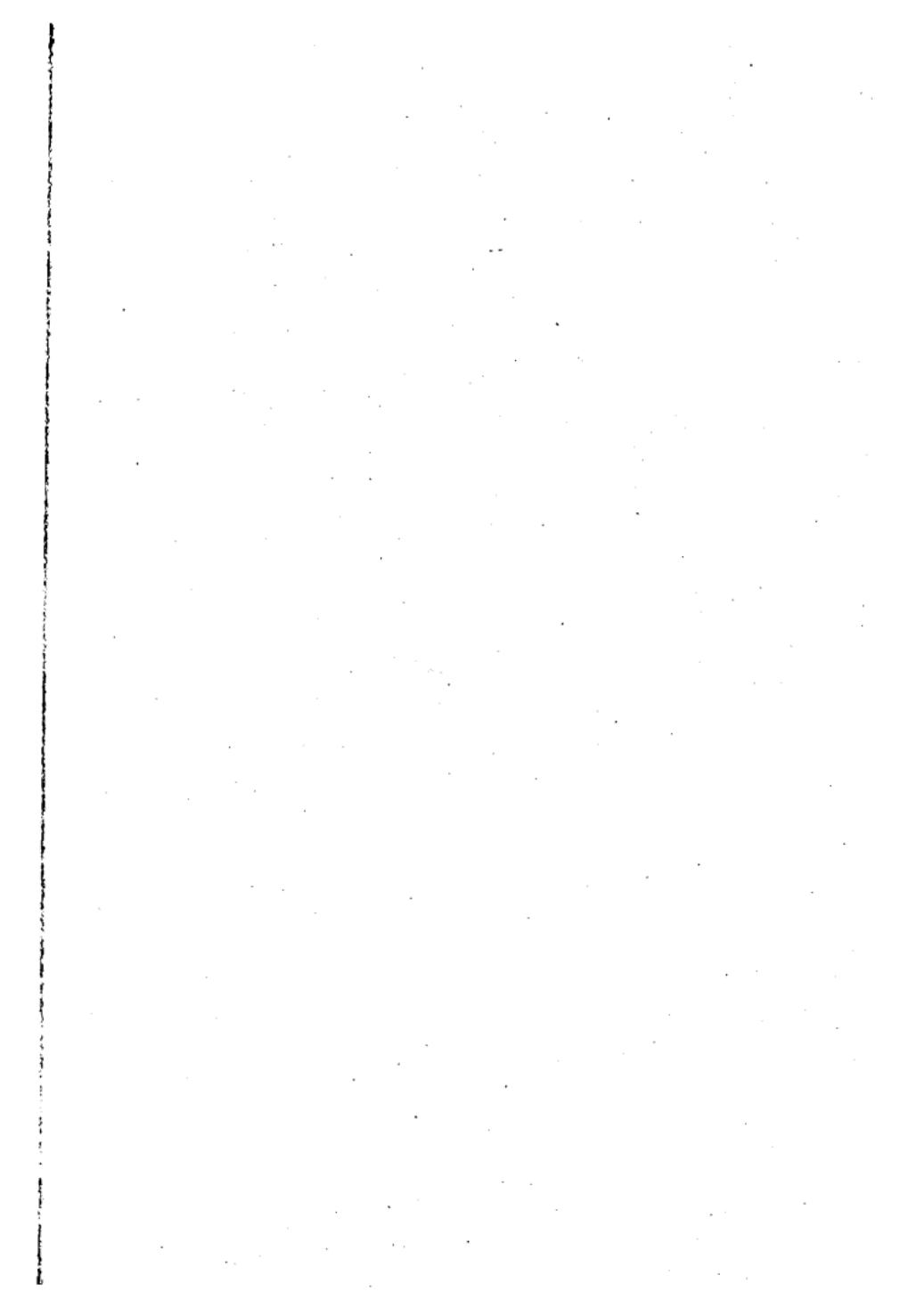


الخلاصة:

- تاريخية زكريا - عليه السلام -، فرع عن الإيمان بتاريخية المسيح ويحيى عليهما السلام.
- ليس في أخبار زكريا - عليه السلام - ما لا بد أن نجد أثره في الكشف الأركيولوجية.
- ليس في خبر القرآن عن زكريا - عليه السلام - ما يخالف حقيقة تاريخية.

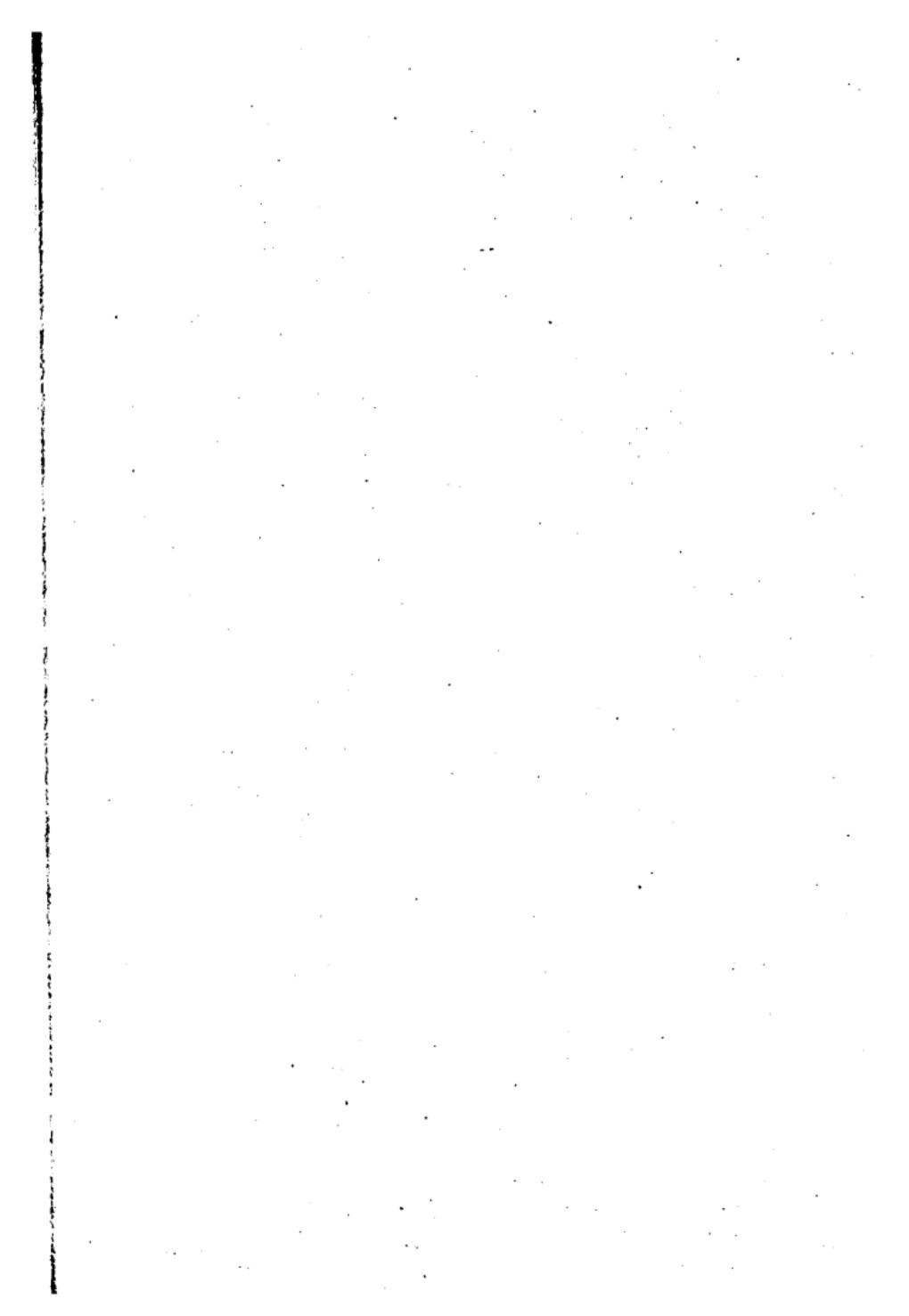
الباب الثالث

**الوجود التاريخي للأنبياء
في الألفية الأولى قبل الميلاد**



جاء الخبر القرآني عن الأنبياء السابقين لعصر عيسى -عليه السلام-، المنسوبين إلى الألفية الأولى قبل الميلاد بعيداً عن التفصيل التاريخي، على خلاف الخبر التوراتي الذي ميز هذه المرحلة بإسهام واسع في الوجهين التاريخي والجغرافي، وذكر الأسماء الرئيسة والهامشية في أحداث قصص الأنبياء، ولعل ذلك يعود إلى أنّ أسفار التوراة قد كُتبت كلّها في هذه الألفية.

والنظر النبدي لما جاء في قصص الأنبياء في القرآن في هذه المرحلة التاريخية، يقتضي من المعارضين ألا يدينوا الخبر القرآني؛ بما ينكرونه على التوراة، وإنما عليهم النظر في القرآن رأساً، مع الإفادة من اللمحات التاريخية المذكورة في التوراة، باعتبار التوراة شاهداً تاريخياً قديماً، لأنّه دينياً يُحتاج به على القرآن.



الفصل الأول

الوجود التاريخي لداود - عليه السلام -

المبحث الأول: داود - عليه السلام - في القرآن والكتاب المقدس

داود - عليه السلام -،نبي من بنى إسرائيل، عاش بعد أكثر من قرنين من وفاة موسى - عليه السلام -. وقد جاء خبره في القرآن في عدد من السور؛ بذكر فضائله ومعجزاته، وبعض أخباره، دون سرد قصته كاملة بتفاصيلها.

جمع الله - سبحانه - لداود - عليه السلام - الملك والنبوة، بعد أن قتل جالوت القائد الفلسطيني المحارب لبني إسرائيل: «وَقَتَلَ دَاؤِدُ جَالُوتَ وَإِنَّهُ أَمْلَكَ وَلَمْعَةً وَعَلَمَهُ مَكَايِشَةً» (البقرة/ 251). وكان ممكناً في ملكه، حاكماً بالعدل، قال تعالى: «وَشَدَّدَنَا مَلْكَهُ وَأَيْتَنَا الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ لِلْقَطَابِ» (ص/ 20). وأتاه الله الوحي في كتاب، قال سبحانه: «وَمَاتَنَا دَاؤِدُ زَوْرَكَ» (الإسراء/ 55). وأكرمه بعمل الدروع من زرداد، ولعلها كانت قبل ذلك من صفائح. كما وبه الله الصوت الحسن، في قراءة الوحي والتسبيح، قال نبياً - صلى الله عليه وسلم -: «لَقَدْ أُعْطِيَ أَبُو مُوسَى مِنْ مَزَامِيرِ دَاؤِدَ»⁽¹⁾. وكان كثير العبادة، قال - صلى الله عليه وسلم -: «أَحَبُّ الصَّيَامَ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاؤِدَ؛ كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَأَحَبُّ الصَّلَاةَ إِلَى اللَّهِ صَلَاةً دَاؤِدَ؛ كَانَ يَنَمُّ يَضْفَفَ اللَّيلَ وَيَقُومُ ثُلَّتَهُ، وَيَنَمُّ سُدُسَهُ»⁽²⁾. وأما داود - عليه السلام - في الكتاب المقدس؛ فقد ورد ذكره بصورة أوسع، حتى

(1) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن، (ح/ 4779)، ومسلم، كتاب صلاة المُسَافِرِينَ وَنَصْرَهَا، باب اشتغاله تخفيض الصوت بالقرآن، (ح/ 1374).

(2) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود، (ح/ 3238)، ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم النهر لمن تضرر به أو فرق به حقاً أو لم يفطر العبدان والشريقي، وبيان تفضيل صوم يوم راغثار يوم، (ح/ 1159).

إن اسمه قد تكرر في سياقات مختلفة أكثر من ألف مرة في العهد القديم و 59 مرة في العهد الجديد. وقد جاء خبره التاريخي أساساً في 1 صموئيل 16 - 1 ملوك 2، مع ما جاء في 1 أخبار الأيام.

توافق القصة التوراتية لداود - عليه السلام - القرآن نسبته إلى الملك والتبوة، وعمركته مع جالوت (جليات ٤٦:٢)، وتزيد التوراة على ذلك أخباراً بعضها يخالف الرؤية الإسلامية لعصمة النبوة، وأخرى لا توافق القرآن فيها ولا تختلفه. ومن أهم هذه الأحداث فتح داود - عليه السلام - لأورشليم، المدينة ذات الحصون، وإقامته فيها مبان جديدة، بعد أن أخذها من البيوسين، وإخضاعه بالحرب المواتيين والأراميين ودمشق والعمونيين والأدوميين والعمالقة... وقد مات داود - عليه السلام - في السنة الحادية والسبعين من عمره، بعد حكم امتدّ أربعين سنة. وتُنسب إلى داود - عليه السلام - عامة المزامير في الكتاب المقدس.

لم يهتم التحدي الإلحادي المشكك في وجود داود - عليه السلام - بما أوتيه هذا النبي من خوارق، وإنما جعل جهده ردة تاريخية داود - عليه السلام - من جهة غيابه صريحة اسمه عن الاكتشافات الأثرية، وامتناع صدق وجود دولة بالسعة والعظمة المدعاة في التوراة. وحول هاتين القضيةتين سُنَدَنْدَنْ.

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لداود - عليه السلام -

ليس في القرآن من خبر داود - عليه السلام - مما يقبل البحث الأركيولوجي سوى أنه أوتي الملك، وأمر بن آخرين:

- معركة داود - عليه السلام - ومن معه، جالوت (جوليات ٤٦:٢) الفلستيني

وجيشه: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَصَلَ طَائُولَتْ بِالْجُحُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَدِئُ كُلِّ شَيْءٍ وَمِنْ شَرِبَ وَمِنْ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطَعْنَاهُ، مِنِّي إِلَّا مَنْ أَغْرَى عَزْفَ عَرْقَةً بِيَدِهِ، فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَبِيلَاتُهُمْ فَلَمَّا جَاءَوْزَهُ، هُوَ وَالذِّينَ كَانُوا مَعَهُ، قَالَ الْأَوَّلُ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَاهُولَتْ وَجُحُودِهِ، قَالَ الَّذِينَ يَظْهُونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوْنَا اللَّهُ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً يَادُنَّ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (١١) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَاهُولَتْ وَجُحُودِهِ، قَالُوا رَبُّنَا أَفْيَعْ عَلَيْنَا صَبَرًا وَكَيْتَ أَقْدَامَنَا وَأَنْصَرَنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٢) فَهَمَرَ مُؤْمِنُونَ بِيَادِنَ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاؤِدُ جَاهُولَتْ وَمَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكُ وَالْحِكْمَةُ وَعَلَمَهُ، مَكَايِشَهُ وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بِعَصْمَهُ بِسَبْعِينَ لَفْسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهُ ذُو فَضْلِ عَلَى الْمُكَلِّمِينَ (١٣)﴾ (البقرة / 249 - 251).

- صناعة بعض آلات الحرب، دون تعلم وإنما يالهم خارق: قال تعالى:
﴿وَقَدْ مَأْتَنَا دَاؤِدُ مِنَ اقْصَلَّا يَنْجَأُ أَوْيَ مَعَهُ وَأَطْبَرَ وَإِنَّا لَهُ الْحَمْدُ (١٤) أَنْ أَعْمَلَ سَيِّعَنَتْ وَقَيْرَرَ فِي التَّرْدَ وَأَعْمَلُوا صَلَحَانِيْ إِنِّيْ يَمْنَلُونَ بَصِيرَ (١٥)﴾ (سبأ / 10 - 11).

لم يجد اللادينيون حجة لإنكار الوجود التاريخي لداود - عليه السلام - في أمر المعركة مع جالوت أو في صناعة داود - عليه السلام - بعض آلات الحرب، وإنما زعموا خرافية شخصية هذا النبي استناداً إلى غياب أي أثر أركيولوجي يشهد لوجوده.

ولذلك قالوا إن داود - عليه السلام - مجرد اختراع إسرائيلي شعبي؛ تم اختلاقه لفسير وجود مملكة متحدة قبل وجود مملكتي يهودا والسامرة بداية من القرن التاسع قبل الميلاد. فهل للقائلين بتاريخية داود عليه السلام حاجة مقابلة؟

المطلب الأول: صدق الخبر التوراتي في خبر مملكتي يهودا والسامرة

اعتراض المعارضين ينحصر بنفسه حجة القائلين بتاريخية داود وابنه سليمان - عليهما السلام -؛ فإن علمنا اليقيني المدعوم بقطعية الشواهد الأركيولوجية بوجود مملكتين لبني إسرائيل منذ القرن التاسع قبل الميلاد كما هو مذكور في أسفار العهد القديم، فرينة قوية على صدق وجود مملكة متحدة سابقة لهما؛ فإن قبول هذا التراث الإسرائيلي الشفهي والمكتوب لاحقاً في أسفار العهد القديم منذ القرن التاسع قبل الميلاد، وووصم الخبر السابق لذلك بقرن واحد (القرن العاشر قبل الميلاد) أنه اختلاق ممحض، مكابرة لم يجر التاريخ - عادة - على تصديقها.

ويُصدق كلامنا الكاتب فراس السواح، بقوله في كتابه: «الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم»: «أما من الناحية التاريخية، فلا يمكن التثبت من قيام المملكة الموحدة، ولا من وجود داود وسليمان، بسبب عدم تقاطع الأخبار التوراتية هنا مع أي نص تاريخي قديم. إلا أنه يمكن استنتاج قيام المملكة الموحدة، ووجود أساس تاريخي لسليمان وداود، وذلك من البيانات التاريخية اللاحقة التي تثبت وجود مملكتي يهودا وإسرائيل، وورود أسماء خلفاء سليمان على هاتين المملكتين في السجلات الآشورية مثل عمري وأخاب وياهو ومنسي ومنحيم»⁽¹⁾.

وقد سبق أن تحدثنا عن ملوك يهودا وإسرائيل الذين شهد لوجودهم البحث الأركيولوجي، بدءاً من بداية القرن التاسع قبل الميلاد (الملك عمري) في مملكة إسرائيل، ومتتصف القرن التاسع قبل الميلاد (الملك أخزيا) في مملكة يهودا. وهنا

(1) فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ص 206.

يسأل ندف نامان: «لماذا لا يؤمن العلماء بوجود أساس تاريخي لرواية غزو داود للقدس واحتلالها؛ إذا كانوا يتّبّلون عموماً مصداقية الرواية التوراتية لتأسيس عمري للسامرة كعاصمة لمملكة إسرائيل الشمالية» (ملوك الأول 16/24)؟⁽¹⁾. ولذلك قال أميجاي مازار: «الاعتراف بتاريخية الرواية التوراتية فيما يتعلق بشمال إسرائيل في القرن التاسع، مع إنكار تاريخية المملكة المتحدة في القرن العاشر [...] إلا بسندٍ للدعوى من إشارات أركيولوجية واضحة؛ موقف لا يقوم على منطق صائب».⁽²⁾.

المطلب الثاني: نقش تل دان

كانت المفاجأة الكبرى الصادمة للقائلين بخرافية شخصية داود - عليه السلام - العثور في 1993 - 1994 في تل دان شمالي فلسطين على ثلاثة قطع لنصب آرامي للنصر، وفيه عبارة: «بيت داود»⁽³⁾؛ حتى إن أحدهم اقترح أن النعش مزور على يد أحد أنصار التوراة؛ لعلمه بآثار الإقرار بأصالة هذا النقش⁽⁴⁾ ! يقول هذا النقش الذي دقق كلماته الظاهرة والصادقة من الأجزاء الضائعة غالباً النقوش القديمة جوزيف نافه وأبراهام بيران⁽⁵⁾:

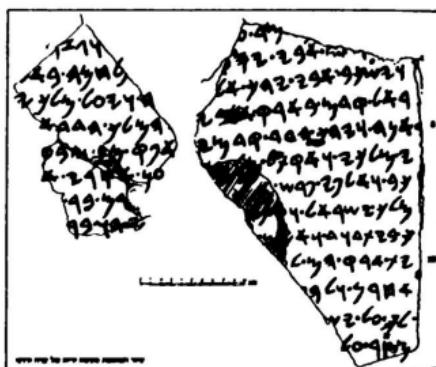
[...] وقطع [...] [וגזר] [...] مر.ع.[...] [.]

[...] أبي صعد [ضده عنده] [...] אבִי יְסָק. עַלְוָה. בָּה תַּחֲמָה. בָּא [...] حارب عند [...]

Nadav Na'aman, 'Cow Town or Royal Capital?', *Biblical Archaeology Review* 23.4 (1997): 43-47, 67. (1)
Israel Finkelstein, Amihai Mazar, *The Quest for the Historical Israel*, p.118. (2)
Andre Lemaire, 'Hebrew and west Semitic inscriptions and Pre - exilic Israel', p.369 (3)
See F.H. Cryer, 'On the Recently - Discovered "House of David" Inscription,' *Scandinavian Journal of the Old Testament* 8 (1994), pp. 14-15.
Cited in Israel Finkelstein, Neil Asher Silberman, *David and Solomon* (New York: Simon and Schuster, (5) 2007), pp.264 - 265.

ومات أبيه. مضى إلى [آبائه] وقام ويשכּבְ אָבִי יְהֹדָה אֶל [אָבָהוּ הַוַּעֲלָמִים] يְשָׁכֵן מֶלֶךְ [إـسـ] رائيل. حلّ بأرض آبائي. [وـ]הִנֵּה רָאֵל קָדוֹם בָּאָרֶק אָבִי [וـ]הַמֶּלֶךְ הַדָּד [أـ]יתـيـ[ـ] מֶלֶךְ גָּדוֹל נـيـ. وـسـارـهـدـذـ أـمـامـيـ. [وـ]סـرـتـ אـנـהـוـיـהـדـذـ קـدـمـيـ[וـ]אـفـكـמـןـ شـبـعـاـتـ من سـبـعـةـ...ـ] لـمـلـكـتـيـ. وـقـتـلـتـ [سـبـعـينـ يـمـلـכـיـוـאـكـتـلـ مـلـ[ـכـونـشـبـ] مـلـ[ـكـ] سـخـرـواـ[ـلـافـالـعـ] עـןـאـסـרـיـאـ[ـלـפـרـ] رـبـاتـ. وـآلـافـ الفـرـسـانـ، [وـ]قـتـلـتـ כـבـוـאـלـפـיـפـרـשـ] קـתـلـתـآـיתـיـהـוـ[ـرـمـبـرـ] يـهـוـ[ـرـامـبـنـ[ـآـخـابـ] مـلـكـ إـسـرـايـلـ. وـقـتـلـ[ـثـ أـخـرـ] يـاـ[ـ] מـلـךـ יـשـרـאـلـוـكـتـלـ[ـתـآـיתـאـחוـ] יـהـוـ[ـبـرـ] بـنـ[ـبـهـورـامـمـلـ] كـبـيـتـ دـاـودـ. وـجـعـلـتـ [ـقـرـاهـمـ] דـبـيـتـدـودـ. وـآـشـمـ[ـآـيـتـكـرـيـتـهـمـחـرـبـتـ] وـآـهـפـךـ[ـآـ] خـرـابـاـ، وـقـلـبـ[ـ] أـرـضـهـمـ [ـقـفـرـ] يـتـأـرـكـهـمـلـ[ـיـشـמוـ] آـخـرـوـلـهـ[ـ...ـوـيـهـוـمـ] مـلـكـ عـلـىـ إـسـرـايـلـ...ـوـآـشـمـ[ـ] لـקـعـلـ[ـيـشـ[ـرـאـלـ...ـوـآـشـمـ]. مـصـرـعـلـ[ـ] حـصـارـاـعـلـ[ـ...ـ]

صورة نقش تل دان بالحرف الأصلي⁽¹⁾



صورة ضوئية لنقش تل دان
حروف «بيت داود» باللون الأبيض



(1) בומתאי עודד, האוניברסיטה הפתוחה, תולדות עם ישראל במיל בית ראשון (אוניברסיטתה הפתוחה, 2008), 2 / 43.

كتب هذا النقش لتمجيد ملك آرام حزائيل - على الأرجح -، وذلك في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد. وقد افتخر فيه بانتصاره على ملك إسرائيل ومن معه؛ مصريحاً أنه قتل يهورام وأخزيا. وللهذا النقش أربع ميزات عظيمة بالنظر في أهميته عند مناقشة تاريخية شخصية داود - عليه السلام -:

1. صرّح هذا النقش باسم داود - عليه السلام - في عبارة «بيت داود». وقد كان من عادة الأمم المجاورة لبني إسرائيل تسمية المملكة بـ«بيت أحد ملوكها»؛ كـ«بيت أجوشى» اسمًا لمملكة أرفاد في الشمال السوري، نسبة إلى جوشى / أجوشى، وـ«بيت حزائيلي» لمملكة دمشق، نسبة إلى حزائيل. كما اشتهر في النقوش الآشورية تسمية مملكة إسرائيل بـ«بيت [الملك] عمرى»^(١).
2. وردت عبارة «بيت داود» في الإشارة إلى قوم داود - عليه السلام - والسلالة الحاكمة بعده، في مواضع كثيرة في العهد القديم، منها:
 - 1 ملوك 12/19: «فعصى إسرائيل على بيت داود إلى هذا اليوم».
 - 1 ملوك 12/26: «وقال يربعم في قلبه: الآن ترجع المملكة إلى بيت داود».
 - إرميا 21/12: «إِنَّمَا يَسْتَأْتِي دَاؤُدَّ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: اقْضُوا فِي الصَّبَاحِ عَذْلًا وَأَنْقِذُوا الْمَعْصُوبَ مِنْ يَدِ الظَّالِمِ، لِئَلَّا يَخْرُجَ كَنَارٌ غَصَبِيٌّ فَيُحْرِقَ وَلَيْسَ مِنْ يُطْفَئُ، مِنْ أَجْلِ شَرِّ أَعْمَالِكُمْ».
 - مزمور 122/5: «لَا كُنْهُ هُنَاكَ اشْتَوَتِ الْكَرَاسِيُّ لِلْقَضَاءِ، كَرَاسِيُّ بَيْتِ دَاؤُدَّ».
3. جاء هذا التصريح على لسان عدو لبني إسرائيل. وذلك يدفع كل معارضة قائلة إنّ صاحب النقش قد أراد تمجيد سلّمه الموهوم الذي اخترعه لغaiات دينية أو سياسية.
4. نُقِشَ النُّصُّ بعد قرابة قرن أو قرن ونصف فقط من وفاة داود - عليه السلام -.

كانت الصدمة شديدة على عامة الأركيولوجيين؛ بما اضطر كثيراً منهم إلى الإقرار بوجود داود -عليه السلام-، وعلى رأسهم إسرائيل فنكلشتاين -الأركيولوجي المعروف بتشكيكه في الرواية التوراتية لنشأةبني إسرائيل، ولأهم المحطات الكبرى لهذا التاريخ، والذي وصفه فراس السواح أنه «أبرز علماء الآثار في الكيان الصهيونياليوم»⁽¹⁾، وأنه «بطله المفضل» باللهجة السورية⁽²⁾ -؛ فقد أعلن صراحة قوة دلالة نقش تل دان على وجود داود -عليه السلام-، في قوله: «هل بإمكان الأركيولوجيا أن تظهر أنَّ داود وسليمان شخصيتان تاريخيتان؟ بينما الجدال مستعر، اكتشاف من حفريات المنطقة القديمة لتل دان في شمال إسرائيل، بالقرب من واحد من منابع نهر الأردن، غير طبيعة الجدال حول الوجود التاريخي لداود وسليمان»⁽³⁾.

ثم أضاف: «باختصار، يُقدم نقش تل دان شهادة مستقلة على الوجود التاريخي لسلالة حاكمة أُسست من طرف حاكم اسمه داود، بعد أجيال قليلة من العصر الذي من المفترض أنَّه عاش فيه»⁽⁴⁾.

وعلى الأركيولوجي ولIAM ديفر على نقش تل دان بقوله إنَّ عامة كبار العلماء المتخصصين في النقوش القديمة (وكلهم ليسوا من أنصار التوراة)⁽⁵⁾ على أنَّ هذا

(1) فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ص 89.

(2) في لقاء مرئي متاح على اليوتيوب.

Israel Finkelstein; Neil Asher Silberman, *David and Solomon*, p.263. (3)

Ibid., p.266. (4)

(5) قارن هذا الاستقراء؛ بالعبارة «العجبية» لفراس السواح تعليقاً على هذا الكشف العظيم؛ إذ ذهب إلى أنَّ الأركيولوجي فيليب ديفر قد قلل إنَّ هذا النص يشير إلى شخص يسمى داود -عليه السلام-، ليضيف السواح بعد ذلك قوله: «وإني لا أرى نفطاً من إبراد تفاصيل هذا الجدال لأنَّ في مضيبي للوقت» (آرام دمشق، ص 134)! فهو يستدلُّ بأركيولوجي متطرف من رموز مدرسة «الحد الأدنى». ويتجاهل قول جمهور النقاد، فأزواً من الدلالة العظيمة لهذا الكشف؛ بالقول إنَّ متابعة حديث المتخصصين فيه «مضيبي للوقت»! وقد قلل القائد دعوى ديفر أنَّ العبارة ليست «بيت داود» لغياب علامة الفصل بين «بيت» و«داود»، من أوجه الوجه الأول: إنَّهم ديفر مخالفيه أنَّ قراءتهم لممارسة مجرد تخمين، رغم أنَّ «اجتهاده» هو مجرد تخمين، لم يضفيه بأي دليل خارجي. الوجه الثاني: أقرَّ ديفر نفسه أنَّ «بيت داود» -بحروفها الحست- تتكون من كلمتين، «بيت» و«داود». وهو وإن زعم =

= إن «دود» قد تعني «محبوب» أو «عم»، إلا أنه عاد للإقرار آتنا لسا أمام كلمة بسيطة، وإنما هي كلمة مرتبة من اسمين دون فاصل.

الوجه الثالث: زعم ديفيس أن «بيتدود» اسم لمكان، واستدلل لذلك بأن أسماء الأماكن تكتب متعلقة، واحتاج لدعواه

بعثال واحد، وهو «بيت لحم»، رغم أن بيت لحم تكتب بكلمتين اثنين وليس هي متعلقة في التوراة: *Deut 12:15*

الوجه الرابع: حتى لو سلمنا أن «بيتدود» اسم لمكان، ففيه أن تسمية هذا المكان باسم «بيت داود» نسبة إلى

داود، أرجح، وإنكار عندها لإثباتات تاريخية داود عليه السلام، سواء كان «بيتدود» اسمًا لسلالة حاكمة أو منطقة.

الوجه الخامس: تكرر عبارة «بيت داود» في الكتاب المقدس أكثر من عشرين مرة، يزيد رجحان قراءة «بيت داود» قوية.

الوجه السادس: بين غاري رندسبورغ أن تسمية السلالات الحاكمة والعائلات بعبارة «بيت داود» في التفوح

الaramية، شائع جدًا؛ بما يجعل استعمال هذا الاسم لدولة إسرائيل (يهودًا) متوفقاً، ويجعل استغاثة الناسخ

عن الفاصل بين الكلمتين «بيت داود» في نقش تل دان، ممفوتاً.

(Gary A. Rendsburg, 'On the Writing Bytdwd in the Aramaic Inscription from Tel Dan,' *Israel Exploration Journal* 45 (1995), pp. 22–25).

الوجه السابع: وجود «بيت داود» بعد «بيت إسرائيل» أولى من ذكر «بيت المحبوب»؛ إذ هو ينافق مع وجود:

ملكة يهودا الجنوبيّة التي تحكم عاصمة مملكة داود عليه السلام، وملكة إسرائيل في الشمال.

الوجه الثامن: مشكلة غياب الشاهد الخارجي على وجود منطقة باسم «بيتدود»، أو بعبارة الناقدين ديفيد فريدمان

وجيري جيوغجان: «لا يوجد أي مكان يُعرف بـ«بيتدود» في أي نص أو تراث أو نقش» (David Noel Freedman and Jeffrey C. Geoghegan, "House of David" Is There?, *Biblical Archaeology Review* 21.2 (1995):

78-79). فافتراض قراءة بعيدة لا يدعمها التاريخ، ولا سياق الكلام في النقش، تكفلَ غير مصنف.

الوجه التاسع: افترض أنسون ريني – أستاذ تفاصيل الشرق الأدنى القديم واللغويات السامية في جامعة تل أبيب

– بشدة على مقالة ديفيس، في مقالة أكد فيها أنها من جنس مغالطات الهوا، ولا تستحق غير التجاهل. وأشار إلى أن غياب علامة الفصل في «بيت داود» في نقش تل دان، ليس بداعٍ من الأمر، فقد وردت الصورة نفسها في نصب

ميشع كاما شرحه لومير. كما توجد تنازعات لتوهش أخرى أ Ramirez لا تضم علامة الفصل، كما هو في نقش دير علا،

عن «بلعام بن بعور»؛ إذ لا علامة فصل بين «أبي ابن» وبعور، رغم وجود علامة فصل بين بلعام وبوريور، وعدم

وجود علامة الفصل بين بير وركب في نقش آرامية من زنجرلي في جنوب تركيا. وأنا في التصوّص الأوغاريتي؛ فقد ذكر أنسون ريني أنه رغم شجاع استعمال الفاصلة، إلا أن الدارسين للأوغاريتي لا يستغربون من غياب الفاصلة

(Anson F. Rainey "The 'House of David' and the House of the Deconstructionists," *Biblical Archaeology Review* 20.6 (1994): 47)

الوجه العاشر: ذهب ثمانان إلى أن غياب علامة الفصل بين «بيت» و«داود»، سببه أن هذا الاسم مسبوق بكلمة

«ملك»، وبين «ملك» و«بيتدود» علامة فصل، فأسقط الناتج علامة الفصل الثانية بين المضاف والمضاف [إيه

لوجود علامة أولى بين «ملك» و«بيتدود». وقد أراد بذلك المحافظة على الصورة نفسها في الحديث عن «بيت

يسrael» [إسرائيل] «بيت دود» [داود]، وقد ذكروا وراء بعض.

(Nadav Na'aman, 'Beth - David in the Aramaic Stela from Tel Dan,' *Biblische Notizen* 79 (1995), p.20).

الوجه الحادي عشر: تبه ثمانان إلى أنه إذا كان الصف الثاني من الكلمة هو «دود» بمعنى محبوب؛ فالالأصل أن تكتب الكلمة – كما هي العادة تقليدياً – بحرف الدال فقط؛ مع إسقاط حرف الميم الطويل؛ لعدة إسقاط الصوات.

فوجود الواو يدلّ عامة على أنها هنا ليست من الصوات، وإنما استعملت في النقش مع حرقة غير الفضة الطويلة.

(Nadav Na'aman, 'Beth - David in the Aramaic Stela from Tel Dan', pp. 18 - 19).

الوجه الثاني عشر: بعد نشر ديفيس مقالته الشهيرة في النقش سنة 1994، نشر الجزء الآخر من النقش، والذي أيد

به جميع أصحاب قراءة «بيت داود» قراءتهم.

لقد أثems ديفيس مخالفيه أنهم يفرضون إيمانهم بالتوراة على الكشف الأركيولوجي، رغم أن عامة الناقدين الذين

قرؤوا النص أنه عن «بيت داود»، لا يؤمنون بقداسة التوراة ابتداءً، والحق أن ديفيس متهمنا عندنا بفرضه روئته =

النقش يتحدث عن بيت داود؛ بما يشير إلى وجود حاكم اسمه داود⁽¹⁾.
قول السواح إنَّ داود - عليه السلام - «ليس إلا شبهاً تاريخياً لم يعد يُورق سوى
بعض الحلقات الأكاديمية المحافظة»⁽²⁾، مجرد مشاكسة أسيرة للأدلة اللاحديّة.

المطلب الثالث: نقش ميشع

بالإضافة إلى نقش تل دان، يتحدث العلماء عن شهادة لداود - عليه السلام -
في نقش ميشع الذي يعود أيضاً إلى منتصف القرن التاسع. وأهم من انتصر لذلك
عالم النقوش القديمة أندرلي لومير الذي أنفق سنوات طويلة في دراسة هذا النقش؛
إذ ذكر أنَّ السطر 31 فيه «ب - ت [د] - و - د» أي «بيت داود». والسطر بذلك
يقول: «وأما حُورُوتَاهِمْ»⁽³⁾، فقد سكنها بيت داود» في الحديث عن مملكة يهودا؛
بتسميتها باسم المؤسس داود - عليه السلام -. وهو ما يوافق السياق جيداً⁽⁴⁾ . وهي
قراءة أيدها لاحقاً عدد من الباحثين، مثل عالم النقوش القديمة إيميل بويسن⁽⁵⁾،
ولورنس مايكاتيوك⁽⁶⁾.

=المنظرة التي ترى التاريخ اليهودي القديم محض تلقيح اخترع في العصر الفارسي وما بعده.
وقد حاول بعضهم رد قراءة «بيت داود»، بالقول إنَّ النقش يقابل بعض ما جاء في التوراة، لكنه يعارضه في
التفاصيل. وأجاب نامان عن ذلك بقوله إنه لو ثبت هذا التقابل والاختلاف؛ فليس هو بشيء؛ إذ إنَّه في كل
الحالات التي وجدنا شواهد تارikhية خارجية تتعلق بتاريخ إسرائيل آخر القرن العاشر وبداية التاسع قبل الميلاد
(مثال: زوجة شيشون، ومرة فرق، وثورة ميشع، وجزية بعير)، نجد معمونية في التوفيق بين النص التوراتي
والشاهد الخارجي في التفاصيل. وبرأ نامان ذلك إلى تأخر تدوين النص التوراتي عن الحدث التاريخي الذي
يذكره، وانتفاء تلك الشواهد التاريخية إلى جنس أدبي مختلف عن التوراة (أي إنَّه يتم بمتعيد الحكم لا سرد
وقائع التاريخ بمحاجة).

(Nadav Na'aman, 'Beth - David in the Aramaic Stela from Tel Dan, pp.21 - 22).

William Dever, *What did the Biblical Writers Know and When did they Know it?*, pp.128 - 129. (1)

(2) فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ص 58.

(3) مدينة في موراب.

Andre Lemaire, 'Hebrew and west Semitic inscriptions and Pre - exilic Israel', p.368. (4)
Émile Puech, "La stèle araméenne de Dan: Bar Hadad II et la coalition des Omrides et de la maison de (5)
David," *Revue Biblique* 101 (1994), p. 215. See also Anson F. Rainey, "The 'House of David' and the
House of the Deconstructionists," *BAR*, November/December 1994.

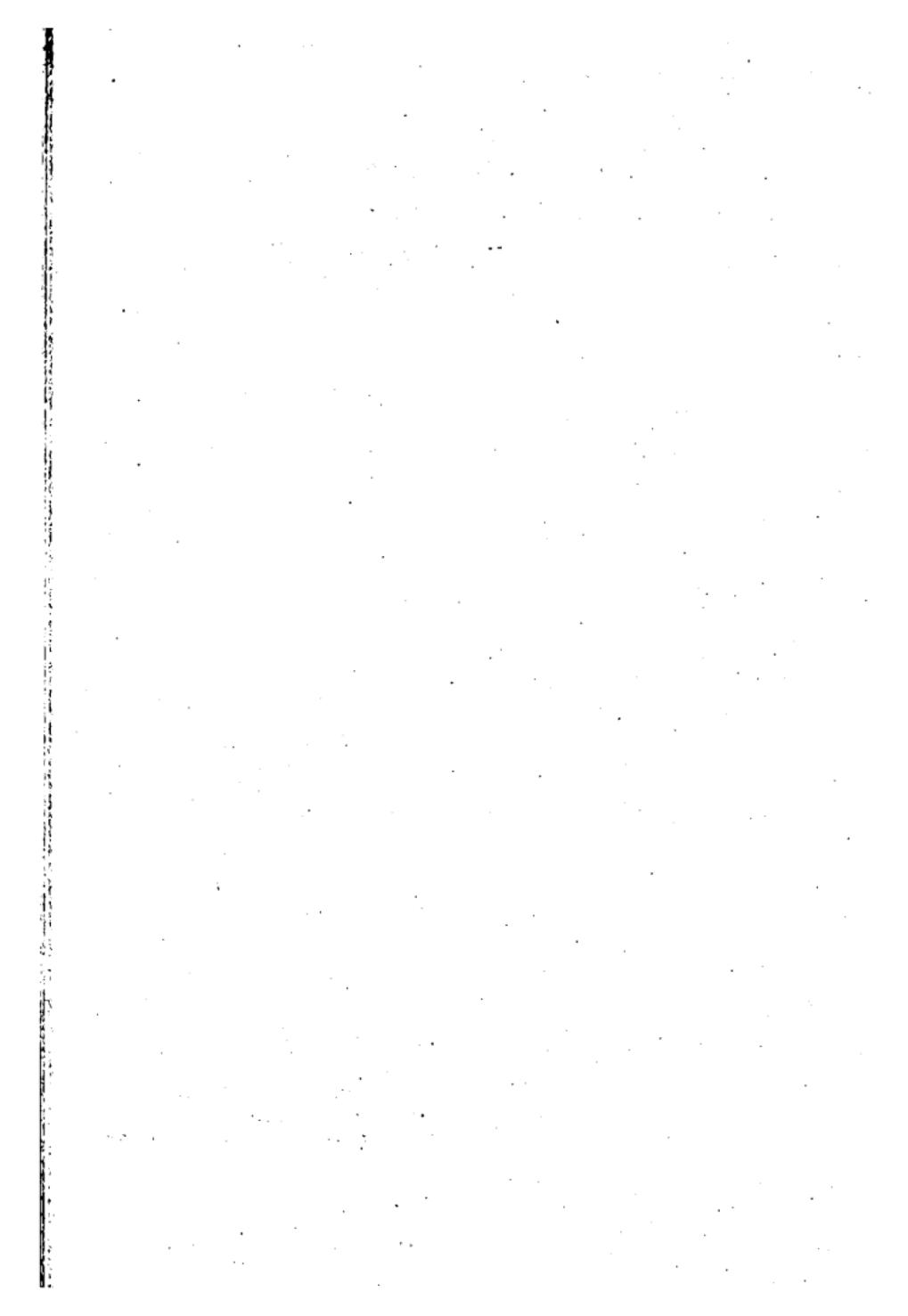
· Lawrence J. Mykytiuk, *Identifying Biblical Persons in Northwest Semitic Inscriptions Of 1200 - (6)*
539 B.C.E. pp.265 - 277.

المطلب الرابع: نقش شيشنق

من الشواهد الأخرى لوجود داود -عليه السلام- (وحكمه) ما جاء في نقش شيشنق الأول. يقول كنث كتشن: «بعد انتصاره على رحبعام ويربعام في 926/925 ق.م، تَقَشَّ شيشنق الأول ملك مصر في معبد الكرنك قائمة طويلة لأسماء الأماكن الفلسطينية. بعضها خراب الآن، وبالتالي مفقود بالنسبة لنا، ولكن الكثير منها يمكن التعرف عليه كأماكن معروفة في إسرائيل، وبهذا، والنجد، والقليل في غرب الأردن. ولكن بقيت قلة غامضة، ومن بين هذه في مجموعة الأسماء التي من الواضح أن موقعها مرتبطة بمنطقة النجف/جنوب يهودا، هناك موقع يسمى «مرتفعات داوت Dwt». وهذه في الواقع لا يمكن أن تكون دوثان لأنه لا يوجد حرف «ن» في نهايتها، كما أن القرينة هنا خطأ تماماً بالنسبة لمستوطنة فلسطينية شمالية. ولكن، في نقش نصر أثيوبي يعود لبدايات القرن السادس بعد الميلاد في جنوب غرب العربية، اقتبس إمبراطور أكسوم بوضوح الفقرات (مزامير 65 و 19) من «مزامير Dawit»، هنا الحروف نفسها الساكنة لكلمة (Dwt) التي وجدت في حالة شيشنق، وفي النسخ المصرية للأسماء الأجنبية (لكل من الأماكن والأشخاص)، فإن حرف «ت» يمكن أن يحل محل «د» السامي، وقد حدث هذا أحياناً، فقد حدث هذا في الدولة الحديثة في أسماء أماكن معروفة مثل «مجدو» (بالمصرية: مكت)، إدرى (Edre'i) (بالعبرية: אֶתְרַעִי)، و (Adummim) (بالعبرية: אֲדֻמִּים) (بالمصرية Itmm إتمم)، دمشق (بالمصرية Tmsq تمدق)، دوثان/ دونان (بالمصرية Ttyn). وحوَّلت الدولة الوسطى سابقاً نصوص اللعنة لأحد أمراء مجداли (بالمصرية MKTRY). وبهذا فقط، لدينا هذه الطريقة نفسها في أسماء الأشخاص أيضاً، بما في ذلك شخص يدعى «داود». الآسيوي، رئيس النجارين، Twti توتي وهو اسم ربما لشخص يدعى داويد أو دودي منقوشاً على

نصب تذكاري، وشخص آخر محتمل وهو دودي. (ه) أوتو، بالمصرية Tt - w't في إحدى البرديات، وبالتالي فلا مجال للشك أن الـ «د» النهائية تصير الـ «ت» الصامدة في كل من المصرية والأثيوبيّة (حيث كل منهما، لغات أفروآسيوية)«^(١).

(١) ك.أ. كتشن، مصداقية المهد القديم، ص 171 - 172.
K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.93.



المبحث الثالث: تاريخية مملكة داود - عليه السلام -

يُهاجم عامة الأركيولوجيين دعوى أن داود - عليه السلام - كان على رأس مملكة واسعة وقوية. والاعتماد في تقرير هذا الموقف قائم على إنكار الرواية التوراتية التي جاء فيها تفصيل سعة هذه المملكة التي من المفترض أنها قامت في زمن شاؤول قرابة سنة 1050 ق.م، قبل أن يخلفه داود - عليه السلام - لمدة أربعين سنة، وهي المدة نفسها لحكم سليمان - عليه السلام - (1 صموئيل 13/1، 2 صموئيل 5/4، 1 ملوك 11/42).

وهو جدل محتمد، كُتبت فيه مؤلفات كثيرة، وعقدت لأجله مؤتمرات وندوات دراسية متالية. ولا يزال هذا النقاش إلى اليوم محلَّ أخذ ورد؛ وإن كان اللادينيون العرب لا يزالون يُصدِّرون كتابات فراس السواح في الباب باعتبارها نهاية القول في الموضوع، رغم أنها ملخصات سبعة لجدل حي عريض ومتعدد الأقوال؛ فهي منشورات تكتفي بعرض الرأي المتطرف، وتشويه الرأي المخالف في شكل كاريكاتوري؛ بوصفه أنه رأي ديني «لا علمي»، مع ضعفٍ بين في رصد أبحاث الأركيولوجيين المعارضين للقول بوجود مملكة قوية لداود - عليه السلام⁽¹⁾. ولذلك علينا أن ندرس الأمر عن كثب، مع محاولة الإفادة من أهم الدراسات والكشف وأحدثها في الباب، بعد أن نكشف عن الصورة القرآنية لمملكة داود - عليه السلام -.

(1) ومن العجيب قول السواح: «وفيما عدا كتابي الذي صدرت طبعته الأولى عام 1995 تحت عنوان: «آرام دمشق وإسرائيل»، فإن البحث التاريخي العربي بقي غير معنى بالجدل الدائر في الغرب بخصوص تاريخ فلسطين» (فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ص 14)، رغم أن د. محمد بيومي مهران - كمثال - قد نشر موسوعته التاريخية «إسرائيل» في أربعة مجلدات سنة 1979م، وفيها اطلاع واسع على الجدل الأركيولوجي في الغرب حول تاريخ فلسطين القديم.

المطلب الأول: الوصف القرآني لمملكة داود - عليه السلام -

تحدثت التوراة عن مملكة داود - عليه السلام - في سفر صموئيل الثاني وسفر الملوك الأول. وتبدو هذه المملكة ممتدة من البحر المتوسط إلى الصحراء العربية، ومن البحر الأحمر إلى الفرات. وزادت قوتها لاحقاً في عصر سليمان - عليه السلام - الذي بني مدنًا قوية، مثل مجدو وحاصور وجازر.

وليس في القرآن خبر عن مملكة واسعة وعمران عظيم لدولة داود - عليه السلام -. وإنما في الآيات خبر سلطان داود - عليه السلام - المعجز، دون وصف لسعة الأرض، وتعدد الغزوات.

قال تعالى: ﴿ وَدَاؤُدْ وَسَلِيمَنْ إِذْ يَمْكُمَانِ فِي الْمَرْأَتِ إِذْ نَقَشَ فِيهِ غَنْمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِلْكَوْمِهِمْ شَهِيدِينَ ﴿٧﴾ فَفَهَمْنَاهَا سَلِيمَنْ وَكُنَّا لِإِنْيَا حُكْمًا وَعَلَمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاؤُدَ الْجَبَالَ يُسَيِّحُنَ وَالْطَّيْرَ وَكُنَّا فَعِلْمَنَ ﴿٨﴾ وَعَلَنَّهُ سَنْكَةَ لَبُؤْسِكُمْ لِنُخْصِنَكُمْ إِنْ بِأَسْكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَكِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الأنبياء / 78 - 79).

وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ إِنْيَا دَاؤُدْ وَسَلِيمَنْ عَلَمًا وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَلَّنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (النمل / 15).

وقال تعالى: ﴿ * وَلَقَدْ إِنْيَا دَاؤُدْ مِنَ الْفَضْلِ يَنْجَالُ أَوَّلَيْهِ مَعَهُ وَالظَّيْرُ وَأَنَا لَهُ الْمَدِيدُ ﴿١١﴾ أَنْ أَعْمَلْ سَيِّعَتِ وَفَقِيرَ فِي الْسَّرَّدِ وَأَعْمَلُوا صَلِحَاتِي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (سبأ / 10 - 11).

وقال سبحانه: ﴿ أَسَيْرُ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا دَاؤُدَ ذَا الْأَيْدِي إِنَّهُ أَوَّلُهُ ﴿١٣﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجَبَالَ مَعَهُ يُسَيِّحُ بِالْعَشَنِ وَالْإِنْرَاقِ ﴿١٤﴾ وَالْطَّيْرَ تَحْشُرُهُ كُلُّ لَهُ أَوَّلُهُ ﴿١٥﴾ وَشَدَّدْنَا مُلْكَهُ وَإِنْيَنَهُ الْجَكَهُ وَفَصَلَ لَكِنَّطَابِ ﴿١٦﴾ ﴾ (ص / 17 - 20).

ليس في وصف دولة داود وسليمان - عليهما السلام - في القرآن ما يظهر سعتها، ولكن بإمكاننا القول إن دوتيهما - كما هي في القرآن - لم تكن مجرد قرية على تلة في أورشليم - كما هو قول فنكاشتاين -، وذلك من دلالة قوله تعالى: ﴿ وَعَلَنَّهُ

صَنْعَة لِبُوْسٍ لَكُمْ لِتُخْصِّبُوكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَتَمْ شَكِّرُونَ ﴿٨٠﴾ (الأنبياء / 80)، إذ يفهم من الآية السالفة أنَّ داود - عليه السلام - كان رجل حرب، يحتاج دروعاً لجنته؛ فقد كانت لداود - عليه السلام - معارك تحتاج بأساً شديداً. كما أنَّ قدومن ملكة سباً - صاحبة العرش العظيم - من أقصى جنوب الجزيرة العربية إلى مملكة سليمان، دون أن تزدري مُلك هذا النبي بعد أن رأته بعينيها، حجة أنها لم تر قرية نائية في الشام بعد رحلتها المضنية إليها من اليمن.

وإذا كانت مملكة داود وسليمان - عليهما السلام - القرآنية تحمل مظاهر القوة والباس - وإن لم تبلغ في سعتها ما تذكره التوراة - ؛ فعلينا أن نطرح مجموعة من الأسئلة الجادة التي تطلب جواباً:

- لماذا لا نجد ذكرًا للمملكة داود وسليمان - عليهما السلام - في أخبار البلاد المجاورة لها في عصرها؟
- هل يجب أن تشهد آثار فلسطين عامة، وأورشليم خاصة، لوجود هذه المملكة؟
- هل حقًا تشهد الآثار لامتناع قيام هذه الدولة في القرن العاشر قبل الميلاد؟
- ما القول العدل في نظرية فنكلشتاين - وهي أشهر إعلامياً - في شأن هذه المملكة؟
- ما هي القيمة العلمية لما طرحة فراس السواح في شأن أصل هذه المملكة؟

المطلب الثاني: مملكة داود - عليه السلام - في أخبار دول الجوار

ردة الأركيولوجي الشهير عميجاي مازار على الاستدلال بغياب الشواهد التاريخية الخارجية على مملكة داود - عليه السلام -؛ لإنكار وجود هذه المملكة، بقوله: «يجب ألا يفاجئنا عدم وجود مصادر خارجية تتعلق بمملكة مثل مملكة داود وسليمان، لأنَّه لم تكن هناك إمبراطوريات أو قوى سياسية كبرى في القرن العاشر قبل

الميلاد من الممكن أن ترك وراءها وثائق مكتوبة كثيرة. المصدر الخارجي الوحيد المتعلق بهذه الفترة هو نقش شيشنق الأول... الذي يشير إلى غارة عسكرية ضد أرض إسرائيل وقعت حوالي 920 قبل الميلاد. أولاً، يجب أن ندرك أن ذكر حملة شيشنق في ملوك الأول 14/25-28⁽¹⁾ لا يمكن تفسيره على أنه اختراع لمؤلف من القرن السابع قبل الميلاد وما بعده؛ لأنّه يجب أن تكون لكاتب هذا النص سجلات من نوع ما. وهذا في حد ذاته حجّة مهمة للبعد التاريخي للسرد الكتابي والطريقة التي ظهرت بها.

على عكس أي من الحملات العسكرية السابقة للمملكة المصرية الحديثة في كنعان، تذكر قائمة شيشنق موقع شمال القدس، مثل بيت حورون وجبعون. يجب أن يكون التفسير الوحيد المعقول لهذا هو وجود قوة سياسية في بلد التل المركزي كانت مهمة بدرجة كافية في عيون المصريين لتسويغ مثل هذا الطريق الاستثنائي للحملة. المرشح الوحيد المعقول لمثل هذه القوة هو مملكة سليمان.... إذا كانت هذه الغارة قد تمت بالفعل بعد وفاة سليمان، ربما كان شيشنق يحاول من خلالها استغلال هذه المملكة في زمن الضعف وتوجيه ضربة لدولة إسرائيل الناشئة»⁽²⁾.

شاغب فراس السواح - تبعاً لتيار «الحد الأدنى» في الغرب - على الحقيقة السابقة، بأمررين⁽³⁾:

الفرعون صهر سليمان - عليه السلام - : قال السواح: «سجلات الفرعون سيامون آخر ملوك الأسرة الواحدة والعشرين)، الذي يفترض المؤرخون التوراتيون أنه الفرعون الذي زوج ابنته لسليمان، تخلو من أية إشارة إلى الأحوال السائدة في

(1) «وفي السنة الخامسة للملك زُجْنَقَامَ صعدَ شيشنقَ ملِكَ مصرَ إلى أُورُشَلِيمَ، وأخذَ خزَانَ بَيْتِ الرَّبِّ وَخَزَانَ بَيْتِ الْمَلِكِ، وأخذَ مُلْكَ شَنِيِّ، وأخذَ جُمِيعَ أَنْزَالِ الدَّفَقِ الَّذِي عَمِلَهَا سُلَيْمَانُ. فَعِمَلَ الْمَلِكُ زُجْنَقَامَ عَوْنَاحَ عَوْنَاحَهَا أَنْزَالَ».

(2) Israel Finkelstein and Amihai Mazar, *The Quest for the Historical Israel*, pp.123-124.

(3) فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ص 67.

فلسطين أو إلى قيام أي نوع من العلاقات الدبلوماسية بين البلاد المصرية والممالك الفلسطينية»⁽¹⁾.

وهنا وقع السواح - كعادته - في أخطاء منهجية في التعامل مع الخبر التاريخي؛ فهو يرى أن خطأ الخبر التوراتي في جزئية من القصة الكبرى؛ سبب لنفسها رأساً. فيدين بذلك القرآن بجريرة التوراة!

جاء في ملوك 1/3: «وَصَاهَرَ سُلَيْمَانُ فِرْعَوْنَ مَلِكَ مِصْرَ، وَأَخْدَى بُنْتَ فِرْعَوْنَ وَأَتَى بِهَا إِلَى مَدِينَةِ دَاؤَدَ إِلَى أَنْ أَكْمَلَ بَنَاءَ بَيْتِهِ وَبَيْتِ الرَّبِّ وَسُورِ أُورُشَلَيمَ حَوَالَيْهَا». وهو خبر مريب؛ يستبعده المسلم لعدم وروده في القرآن أو السنة، رغم ورود الخبر في السنة عن زواج سليمان من مئة امرأة، وقصته مع ملكة سبا، بالإضافة إلى بعد احتمال زواج نبي كريم من امرأة وثنية، خاصة إذا كانت ابنة فرعون الذي كان سلفه قبل ثلاثة قرون أكبر عدو للتوحيد في قصة موسى - عليه السلام -. ولستا مع ذلك نقطع ببني ذلك - إسلامياً - لجهلنا بشرعية التوراة - غير المحرفة - التي كان عليها سليمان - عليه السلام -، ولكتنا نراه بعيداً. وصفمت الخبر القرآني - على كل حال - يمنع الاستدلال بدعوى هذه المصاهرة؛ للقول إن صفت الآثار المصرية عن خبر مملكة سليمان - عليه السلام -؛ حججة لعدم وجودها.

نقش شيشنق: أشار المعارضون إلى عدم ذكر أورشليم في نقش شيشنق؛ للتشكيك في وجود عاصمة دولة داود - عليه السلام - فيها. والجواب هو أن غياب اسم إسرائيل لا يعني أن تكون أورشليم مدينة مأهولة بالسكان آنذاك؛ لواحد من الأسباب التالية:

- النقش غير كامل؛ فإن أسماء كثيرة فيه قد محبت منه بعوامل الزمان، كلياً أو جزئياً⁽²⁾. كما أن هناك أسماء أخرى في النقش باهتهة يستحيل - أو يصعب

(1) المصدر السابق.

Hermann Michael Niemann, 'The sociopolitical shadow cast by the biblical Solomon', in *The Age (2) of Solomon: Scholarship at the Turn of the Millennium*, ed. Lowell K. Handy (New York: BRILL, 1997), p.297.

- قراءتها⁽¹⁾، ولا ندري إن كانت أورشليم مذكورة في الجزء المفقود أو الباهت أم لا، خاصة أن ترتيب المناطق غير مفهوم؛ إذ هو ليس مطابقاً ضرورة للتقارب الجغرافي بين هذه المناطق. فلا يمكن أن نبني على الجهل مذهبنا في وجود مدينة أو عدمه.

- ربما استعcessت المدينة على شيشنق؛ فلم يذكرها في نقش انتصاره.

ربما حفقت غزو شيشنق (التي اختلف النقاد في سببها وأغراضها) هدفها دون الوصول إلى أورشليم.

- ربما كان غزو شيشنق للمناطق القرية من أورشليم كاذباً؛ فإنَّ عادة الفراعنة في نسبة انتصارات وهمية إلى سجلهم الحربي معروفة، خاصة أنَّ قائمة المدن التي يزعم النقش أنه تم غزوها طويلة تضم 12 صفاً من الأسماء. ولذلك ذهب الأركيولوجي ليام فوكسول أولبرايت إلى أنَّ شيشنق قد أخذ هذه الأسماء من القوائم القديمة التي سجلها الملوك السابقون على أجزاء أخرى من مجمع الكرنك؛ من أجل إعطاء الانطباع بأنه كان أيضاً فاتحاً عظيماً⁽²⁾. كما أشار فراس السواح إلى «تناقض معلومات النص مع بعض الحقائق التاريخية؛ فململكة «ميتاني» التي يتباهى الفرعون بإخضاعها لم تكن قائمة في زمانه»⁽³⁾.

ربما جتب رجيع الملوك أورشليم الغزو بالاستسلام ودفع الجزية؛ فقد جاء في سفر الملوك الأول 14 / 26 أنَّ شيشنق «أَخْدَ خَزَائِنَ بَيْتِ الرَّبِّ وَخَزَائِنَ بَيْتِ الْمَلِكِ، وَأَخْدَ كُلَّ شَيْءٍ. وَأَخْدَ جَمِيعَ أَثْرَاسِ الدَّهَبِ الَّتِي عَمِلَهَا سُلَيْمَانُ».

Yigal Levin, 'Did Pharaoh Sheshonq Attack Jerusalem?', Biblical Archaeology Review 38.4 (2012): (1) 43-45, 48-52.

William F. Albright, 'Egypt and the Early History of the Negev,' Journal of the Palestine Oriental Society 4 (1924), pp. 131-161.

(3) فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ص. 73.

نَقْشُ غَزَوَاتٍ شِيشْتَقَ فِي الْكَرْنَكِ
وَفِيهِ مَوَاضِعُ أَسْمَاءٍ كَثِيرَةٍ مَطْمُوسَةٍ



صُورَةً أَقْرَبَ لِنَقْشِ شِيشْتَقَ
وَفِيهَا صُورَ الْعَبِيدِ وَعَلَيْهِمْ خَرْطُوشٌ فِي اسْمِ الْبَلَادِ الْمَغْزُونَ
وَفِيهَا آثارَ الْمَحْوِ



ويوضح كتشن ما أجمله مازار سابقاً في شأن صمت دول الجوار عن خبر الحال السياسي في فلسطين ببيانه الحال في القرن العاشر في بلاد الرافدين والشام، بما يجعل غياب ذكر دولة داود - عليه السلام - فيها، غير صادم للمؤرخين: بلاد الرافدين: لم يبدأ ملوك آشور في ذكر أسماء خصومهم إلا منذ سنة 853 ق.م فصاعداً. وقد بدأ اتصالهم ببني إسرائيل سنة 853 ق.م.^(١)

مصر: ليس لدينا أي نقش تاريخي من أي نوع، يذكر القوى الفلسطينية بين عصر رمسيس الثالث (حوالى 1184 - 1153 ق.م) وشيشنق الأول (حوالى 945 - 924 ق.م)^(٢). ونحن لا نملك من تلك الفترة سوى عمليتين أدبيتين: «ون.آمون» الذي يشير فقط إلى الموانئ الساحلية (من دور إلى بيلوس)، ورسالة موسكو الأدبية التي تذكر جبل سير، بالإضافة إلى شقفات مشهد انتصار الملك سا. أمون (حوالى 979 / 960 ق.م - 959 ق.م)، والمعاصرة للسنوات الأولى لحكم سليمان - عليه السلام -، عندما غزا أحد الفراعنة جازر وأعطاه له على زعم التوراة (1 ملوك 9 / 16)^(٣).

الشام: بعد أن علمت أنه لم يكن للدول العظمى المجاورة للشام في القرن العاشر أي دور في جنوب منطقة الشام، سيكون من بعيد أن توقع ذكراً للداود - عليه السلام - وملكته في الممالك الصغرى. وقد كشفت النصوص الهيروغليفية من الممالك الحية الحديثة مثل كركميش، ومالاتيا، وجورجوم، وباتينو، وحتى حماة، أنها تقريباً لا تعني بغير شؤونها الخاصة. كما أنه لا يوجد أي نقش آرامي أثري يؤرخ لما قبل القرن التاسع من منطقة بلاد الشام حتى الآن^(٤).

وظاهرة ندرة آثار الممالك القديمة القوية في منطقة الشام، معروفة، فهذا - مثلاً - حزائل ملك آرام دمشق، صاحب السلطان العظيم، لم يترك لنا من خبره سوى بعض

(١) K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, pp.88 - 89.

(٢) ولا نملك من عصر شيشنق الأول عن فلسطين سوى النقش السابق، ولم تُبنِّ الآثار نصوصاً في وصف الغزو، أو وثائق أو نصوصاً إدارية تتحدث عن الأسرى أو الغنائم، رغم أهمية هذه الغزو.. فكيف يرى - مع ذلك -

المخالف وجوب ذكر فلسطين في عصر داود وابنه عليهم السلام، وليس بين البلدين تماساً؟!

Ibid., 156 - 157. (٣)

Ibid., 90. (٤)

الشذرات في أماكن مختلفة، ولم يبق لبنيه سوى نصب تذكاري واحد، ولم يبق من خبر ملوك موآب كلّهم سوى نصب ميشع وقصاصنة واحدة. وأما الأخناتون؛ فلا نملك سوى ثلاث قطع صغيرة في خبر ملوك بني عمون، ولا شيء عن ملوك أدونيم. ورغم أننا نملك كتابات قصيرة عن الملوك الأربع الأوائل لبيلوس، إلا أننا لا نملك شيئاً عن ملوك صور وصيدا قبل القرن السادس⁽¹⁾.

المطلب الثالث: مملكة داود ومشكلة آثار فلسطين

المسارعة إلى إنكار وجود مملكة داود وسليمان - عليهما السلام -، أو إنكار قوتها في عصرها، عجلة لا تتأتى للنظر في عدد من الأمور التي تنبئ إلى وجوب التريث قبل إعلان أنَّ آثار فلسطين قد كشفت أنَّ تلك المملكة لم توجد أو كانت مجرَّد هقرية صغيرة في القرن العاشر قبل الميلاد.

ومن هذه الأمور المهمة:

أ. ندرة النقوش

تبه عالم النقوش القديمة أندرى لومير إلى أنَّ النقوش السامية الغربية متذبذبة العصر الحديدي حتى حوالي 830 قبل الميلاد، لا تزال نادرة جدًا، ولم تبدأ هذه النقوش بالظهور البين إلا مع نهاية القرن التاسع قبل الميلاد، في مصر، وجنوب الأنضول، وشرق الأردن، وشمال بلاد ما بين النهرين⁽²⁾.

ثم إنَّ بعض النقوش لها دلالات على أزمة الدليل الأركيولوجي عند أنصار الحد الأدنى؛ فإنَّ هؤلاء الأركيولوجيين ينكرون وجود مملكة يهودا في القرن التاسع أو يرونها كياناً هامشياً جدًا، ولكن كشف نقش تل دان وجود دولة قائمة لها صيت في القرن التاسع قبل الميلاد، تُنسب إلى داود - عليه السلام -، وكانت متحالفة مع المملكة الشمالية بعد قرن واحد فقط من وفاة سليمان - عليه السلام -.

Ibid., p.91. (1)

Andre Lemaire, 'Hebrew and west Semitic inscriptions and Pre - exilic Israel', pp.366 - 367 (2)

بـ. ندرة البرديات

وأشار ألان ميلارد - عالم اللغات الشرقية والنقوش القديمة - إلى أنَّ غياب مادة أرشيفية لمملكة داود وسليمان - عليهما السلام -، يجب ألا يفاجئنا، ومن الراجح الأُكْتُشِفُ أبداً؛ لأنَّ أرشيف القرن العاشر قبل الميلاد كان مكتوبًا على ورق البردي، ولا يبقى محفوظاً إلَّا عندما يُدفن في مناطق جافة^(١). وما يؤيد ذلك ندرة وثائق القرن التاسع (بما فيها النقوش) رغم أنَّ وجود المملكة الشمالية في القرن التاسع حقيقة لا شك فيها^(٢).

تـ. ظاهرة الهدم المتكرر

النقوش لا تكون عادة إلَّا على المعابد والقصور والبنيات الرسمية؛ فهي إن وجدت فستكون في أورشليم. وتَلَفُّ هذه النقوش - إن وجدت بدها - متوقع إذا علمنا أنَّ أورشليم قد تعرضت إلى إعادة البناء مرات كثيرة؛ فقد سُكِّنَت باستمرار على مدى قرون متتالية، واستُخدِمَت حجارتها في إعادة بناء العمran الجديد، كما بُنيت بنيات جديدة فوق البناء القديم في العصور المتتالية التي تمتد إلى ثلاثة آلاف سنة. وهو أمر معروف لا يُنكره أحد؛ فتحن أمامنا ظاهرة متكررة للهدم، وإعادة البناء باستخدام الحجارة نفسها^(٣). وذلك شبيه بتاريخ دمشق التي أُعيد بناؤها مراتاً على مدى ألفية كاملة، ولم تترك لنا - حتى الآن - أي نقوش من العصر الحديدي^(٤).

وقد أشار الأركيولوجي نامان إلى معضلة دراسة المناطق التي تتكون من طبقات متتالية من البناء؛ فقال: «يبدو أنه في التلال ذات الطبقات المتعددة، قد تنتهي الأبحاث الأركيولوجية إلى استنباط أمور خطأ من نتائج الحفر، خاصة في الفترات التي تكون فيها الثقافة الحضورية في حال انحدار ويتم إنشاء أبنية قليلة وبسيطة، وغالباً على أسس

Alan R Millard, 'Texts and Archaeology: Weighing the Evidence. The Case for King Solomon', in (1) *Palestine Exploration Quarterly* (January - June 1991): 25

Amihai Mazar and Israel Finkelstein, *The Quest for the Historical Israel*, pp.134 - 135. (2)
See Nadav Na'aman, 'Ancient Israel's History and Historiography: The First Temple Period', p.3 (3)
See K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.91. (4)

الأبنية السابقة. هذا صحيح لا سيما في مدينة أورشليم القديمة [...، فقد أقامت كل مدينة جديدة أصولها على حجر أساس [المدينة السابقة]، ودمرت ما كان يقوم سابقاً على حجر الأساس»⁽¹⁾.

كما قدم نaman إشارة مهمة جدّاً في شأن الاعتماد على الأركيولوجيا لرسم تاريخ ممالك قديمة هدمت آثارها؛ كعامة الحضارات القديمة. فقد ذكر أنه طبق ما جاء في رسائل تل العمارنة - المكتشفة في أرشيف أختنون، والتي تعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وتمثل مراسلات دبلوماسية خارجية مع أختنون - كانت أورشليم في القرن الرابع عشر قبل الميلاد عاصمة ملك محلي، ولكن لا نكاد نجد أي بناء في الحفريات يعود إلى ذاك العصر في أورشليم رغم القيام بعدة حفريات في المنطقة التي من المفترض أن البناء الرسمية كانت متواجدة فيها في أورشليم. وقد دفع هذا الفشل الأركيولوجي الباحثين فرانكن وشتاينر إلى إنكار أن تكون يوروساليم تل العمارنة هي نفسها أورشليم. وهو مذهب يردّه الأركيولوجيون لأنَّ كل القرائن تدل على التطابق بين المدينتين⁽²⁾.

تبخرنا رسائل العمارنة أنَّ أورشليم كانت عاصمة لملك كان يُنับه فرعون مصر. وقد كان يعيش في قصر، وله حامية عسكرية من قرابة خمسين رجلاً تُرابط عند هذا القصر. وكان رُسل الفرعون يزورون ملك أورشليم باستمرار. وكان هذا الملك يرسل قوافل إلى الفرعون فيها الجزية والهدايا. وأمتد إقليم أورشليم ذاك للزمان من بيت إيل في الشمال إلى حبرون في الجنوب، ومن الأردن في الشرق إلى تلال شفيلاً في الغرب. وأما صورة أورشليم لتلك الفترة في البحث الأركيولوجي ف بعيدةٌ كلية عنما علمناه من رسائل تل العمارنة؛ إذ لم تدلّنا الحفريات إلا على قطع فخارية قليلة، وبقايا بناءات

Nadav Na'aman, 'Does Archaeology Really Deserve the Status of A 'High Court'? ', in *Between (1) Evidence and Ideology*, p.183

Nadav Na'aman, *Ancient Israel's History and Historiography: The First Temple Period* (Winona Lake, Ind.: Eisenbrauns, 2006), p.4.

قليلة مطمورة، وبقيةُ نصِبٍ مصرىٍ عليه كلام هيروغليفىٍ مجھول السياق. ولم يُكتشف بعد كلَّ الحفريات إلا موقعان لذاك العصر. ولذلك؛ فعلى أساس النظر الأركيولوجي الصرف؛ على العلماء أن يتھوا إلى أنْ أورشليم قد كانت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد وما قاربه مجرد مجمع لعدد قليل من المجتمعات الريفية الصغيرة، بالإضافة إلى مجموعات رعوية منعزلة للاجئين عاشوا في مرتفعات يهودا وبنiamin⁽¹⁾.

ومما يزيد في إظهار عجز الشاهد الأركيولوجي، وجود ست رسائل (في أرشيف تل العمارنة) أرسلها ملك أورشليم في القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى الفرعون، تظهر جانب التعقيد في الجهاز الدبلوماسي لهذا الملك وقيمة التسخّان الذين عنده، في حين أنه لا سبيل البتة للأركيولوجيين أن يهتدوا إلى أي نشاط للنساخ في تلك الفترة إذا اكتفوا بالشاهد الأركيولوجي⁽²⁾.

رسالة من ملك أورشليم عبد هيبا إلى فرعون مصر (أرشيف تل العمارنة)⁽³⁾



Ibid., 6 (1)
Ibid., 8. (2)

Michael D. Coogan, 'Assessing David & Solomon,' *Biblical Archaeology Review* 32.4 (2006): 56-60. (3)

وبته نأمان أيضاً إلى أن مدينة شكيم (نابلس) وأرضها في القرن الرابع عشر قبل الميلاد كما تظهر في البحث الأركيولوجي تختلف كثيراً عما يُفهم من رسائل تل العمارنة؛ إذ إنَّه طبق الشواهد الأركيولوجية وحدها، تبدو شكيم في ذاك العصر مركز مدينة - دولة متوسطة الحجم، تسكن مرتقعنها أساساً مجتمعات قروية ورعوية مستقلة. وصورة شكيم الحقيقة بعيدة عن ذلك كثيراً طبق مكتوبات العصر؛ فقد كانت مملكة كنعانية قوية، تمتد مساحتها من وادي يزرعيل في الشمال إلى نحل شيلوه في الجنوب، ومن وادي الأردن في الشرق إلى سهل شارون في الغرب. وقد أخضعت حكامها المدن - الدول القريبة، مع اجتهدهم لمد مساحة حكمهم غرباً وشمالاً. وقد بلغت قوَّة هذه المملكة أن تتباهت بمخاطرها الممالك الكنعانية الأخرى البعيدة كأورشليم وجزر وغيرها.⁽¹⁾

ولا شك أنَّ هذين المثالين اللذين ساقهما نأمان لهما اتصال مباشر بمعرفة القيمة العلمية لدراسة مملكة داود وسليمان - عليهما السلام - اكتفاء بالشاهد الأركيولوجي وحده، والمتأثر بعوامل الخراب والتبدل العمراني اللاحق والمتتابع على الأرض نفسها. لقد كانت أورشليم وشكيم مملكتين قويتين في عصرهما، كلَّ واحدة منها يحكمها ملك قوي ذات الصيت، له عاصمة، وقصر، ومحكمة، وعيادة، وهيكلاً، وإن لم تدل الآثار الباقية على شيءٍ من ذلك. وكذلك هو حال مملكة داود - عليه السلام - وسليمان - عليه السلام -.

ولذلك انتهى نأمان - الذي كانت أطروحته للدكتوراه في وثائق تل العمارنة⁽²⁾ - إلى أنَّ التحليل الدقيق لبعض النصوص التوراتية والشواهد الأركيولوجية، إلى جانب الدروس المستفادة من وثائق تل العمارنة، سيدفعاننا إلى أن نصل إلى أنَّ أورشليم كانت مركزاً لسلطة تحكم مملكة في القرن العاشر قبل الميلاد حيث داود - عليه السلام - ومن أعقبه من الحكام يديرون السلطة⁽³⁾.

Nadav Na'amani, *Ancient Israel's History and Historiography*, p.5. (1)
The Political Disposition and Historical Development of Eretz - Israel according to the
• عنوانها: (2) Amarna Letters

Nadav Na'amani, *Ancient Israel's History and Historiography*, p.14. (3)

ث. ضعف الحفريات

مناطق مهمة في أورشليم القديمة لم تعرف حفريات البتة، أو لم تمتها حفريات إلا قليلاً (هضبة عوفيل والحافة الشرقية)؛ بسبب الوضع السكاني للمنطقة⁽¹⁾. ولم تمسّ حفريات مس كينيون - على شهرتها، وكثرة الإحالة إليها عند فراس السواح وغيره من التشكيكين - سوى 2% من المنطقة⁽²⁾!

ليست الاعتراضات الواردة في النقاط الأربع السابقة محض دعاوى للدفاع عن وجود ما لم يوجد في أورشليم؛ وإنما هي حقائق تاريخية مادية، لم يستطع أن يصمد أذيه عنها حتى فنكلشتاين القائل: «تم إبراز حجج قوية في مواجهة بعض اعتراضات المعتدلين التوراتيين. فقد جادل العديد من العلماء قائلين بأن غياب أي آثار تعود للفترة السليمانية في أورشليم (القدس)، إنما سببه استئصال تلك الآثار بالكامل بسبب الانشاءات الهيرودية Herodian الهائلة على جبل الهيكل في الفترة الرومانية المبكرة. كما أن غياب الشواهد الخارجية في النقوش القديمة على حكم داود وسليمان أمر مفهوم جداً (جداً)، لأن الفترة الزمنية التي يعتقد أن داود وسليمان حكمها فيها (1005 - 930 ق.م) كانت فترة انحطاط للإمبراطوريات العظيمة في مصر وبلاد ما بين النهرين. فليس هناك ما يفاجئ في عدم وجود إشارات إما على حكم داود أو على حكم سليمان؛ سواء في النصوص الضئيلة المصرية المعاصرة لتلك الفترة، أو النصوص ما بين النهرين»⁽³⁾.

كما اعترف فراس السواح، قائلاً: «أما عن عظمة أورشليم أيام الملك سليمان فإن علم الآثار (كما بينا سابقاً بالتفصيل) لا يستطيع تقديم بيته لأن المدينة

K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.157. (1)

Ibid., 51. (2)

(3) إسرائيل فنكلشتاين ونيل سيلبرمان، التوراة اليهودية مكتشفة على حقيقتها، ترجم: سعد رستم (دمشق: صفحات للدراسات والنشر، 1427هـ/2007م)، ص 173 - 174.

بكاملها قد ضاعت بسبب استخدامها كمقالع للحجارة، عدا أجزاء من السور لا تقدم كثيراً من المعلومات الدقيقة، رغم تقديمها لتواريخ أكيدة. والشيء نفسه ينطبق على هيكل سليمان الذي لم يبق منه ولا من أسواره حجر واحد...
وتؤكد عالمة الآثار السيدة كاثلين كينيون، التي كشفت عن كل ما يمكن كشفه في موقع أورشليم القديمة، عدم جدوى البحث عن هيكل سليمان لأنه قد ضاع إلى الأبد»^(١).

وقال السواح أيضًا: «المدينة السليمانية قد زالت مع المدينة اليبوسية بسبب اقلاع الحجارة لاستعمالها في إعادة البناء... فإن علم الآثار لا يستطيع إعطاء فكرة عن أبنية سليمان وقصوره الفارهة التي أطرب كتاب التوراة في وصفها (هامش: هذا إذا كانت هذه الأبنية قد وجدت أصلًا)»^(٢).

بل يقول عن بنايات أورشليم: «كل البني المعمارية السابقة على العصر البيزنطي قد زالت بسبب الاقلاع الدائم لحجارة (كذا) في كل طبقة آثرية واستخدامها في الطبقة التي تليها»^(٣). فمعمار أورشليم قبل المسيح وقرونًا بعد المسيح، قد طمس بسبب إعادة استعمال أحجاره.

ولذلك قال كتشن: «سيكون الأمر معجزة إن بقي بعد ذلك شيء مثل الألواح المنفردة كالأنصاب التذكارية المنقوشة التي تبقى بعد عصور التخريب وإعادة الاستعمال!»^(٤).

والحق أن وجود نقوش لتمجيد حكام العصر وممالكيهم - كما هي عادة العصور القديمة - محل شك في شأن النبيين داود وسليمان - عليهما السلام - ؛ فإن

(١) فراس السواح، الحديث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ص 206.

(٢) المصدر السابق، ص 147.

(٣) فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة بهروذا، ص 181.
See K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.91. (4)

عادة الأنبياء الانصراف إلى تعظيم الرب وعبادته، لا تمجيد النفس وطلب تحديد الانتصارات العسكرية؛ إظهاراً للقوة والمجد الشخصيين.

المطلب الرابع: شواهد تاريخية على مملكة داود وسليمان -عليهما السلام-

لم يمنع ما سبق، من وجود شواهد على وجود داود -عليه السلام- ودولته؛ فقد دلت الشواهد التاريخية الثلاث السابقة (نقوش تل دان وغيره)، على وجود داود -عليه السلام- ومملكته. وظهرت أدلة أركيولوجية على أن مملكته وسليمان -عليهما السلام- أكبر من حدود أورشليم، ومنها:

أ. خربة قيافا

قدم الأركيولوجي غارفنكيل⁽¹⁾ منذ سنوات قليلة نتائج حفرياته في خربة قيافا (عشرون ميلاً غرب القدس)، معتبراً ذلك ضربة قاتلة لتيار «الحد الأدنى»؛ إذ ذهب إلى أن التأريخ الكربوني لما عُثر عليه في هذا المكان يدل على أن آثاره تعود إلى عصر داود -عليه السلام-، وأن أهل خربة قيافا كانوا على دين بنى إسرائيل لأن بقايا أكلهم لا تضم عظام الخنزير على خلاف وثني ذاك العصر في البيئة القرية، كما أن البوابة الرئيسية مواجهة لأورشليم لا فلستيا، وتدل بقايا السور العظيم والبوابات والقاعة الإدارية الكبيرة على أن الإسرائيلين قد اتخذوا خربة قيافا في ذاك العصر أرضاً محصنة، ومنطقة إدارية تابعة لأورشليم التي فيها داود -عليه السلام-⁽²⁾. وأكد ويليام ديفر على أهمية هذا الكشف، ببيانه أن طبيعة التخطيط والتحصين العظيمة لخربة قيافا لا يمكن أن تُنسب إلى مجموعة من المزارعين أو القررويين؛ إذ لا

(1) يوسف غارفنكيل Yosef Garfinkel (1956-) : استاذ أركيولوجيا ما قبل التاريخ وأركيولوجيا عصر الكتاب المقدس في الجامعة العبرية.
Yosef Garfinkel et al, *In the Footsteps of King David: revelations from an ancient biblical city* (2) (London; New York: Thames & Hudson, 2018).

محيد من نسبة ذلك إلى سلطة مركبة خطّطت وبنت. والمرشح الوحيد لذلك في القرن العاشر هو داود - عليه السلام -، من عاصمة المملكة في أورشليم. وممّا يقوّي ذلك العثور على نقش على جرة في هذا الحصن، مكتوب عليها «إيش - بعل» (אִישׁ בָּעֵל): «رجل بعل» بالخط الكهنوتي القديم الذي كانت تكتب بمثيله العبرية. وهو أول توثيق لهذا الاسم العربي خارج الكتاب المقدس. وقد ورد هذا الاسم في الكتاب المقدس على أنه ابن شاؤول الذي حاول أن يحكم قبل تولي داود - عليه السلام - الحكم (أخبار الأيام 8 / 33). وقد غير مؤلف 2 صموئيل 2 / 10 الاسم إلى «إيشبوشت» (אִישׁ־בְּשַׁת): أي «رجل العار»؛ لأن الإله الكهنوتي «بعل» رمز لعار الوثنية. واللافت للنظر هنا أنَّ اسم «إيش - بعل» لم يرد في الكتاب المقدس إلا في قصة داود - عليه السلام -⁽¹⁾.

ب. تل عتون⁽²⁾

ينذهب عامة الأركيولوجيين إلى أنَّ تل عتون هو نفسه منطقة عجلون المذكورة في الكتاب المقدس (يشوع 10 / 34 - 36). وهي منطقة كانت جزءاً من مملكة يهودا بعد انقسام المملكة. وقد دلت الحفريات في السنوات الأخيرة، والتي رأسها أبراهام فوست - أحد الأركيولوجيين من جامعة Ilan Bar - أنَّ هذه المنطقة كانت مزدهرة وقوية في القرن العاشر؛ بدلالة ما فيها من بناءات إدارية عظيمة. وذاك يخالف ما شاع من أنَّ يهودا برمتها كانت قبل القرن الثامن قبل الميلاد بلا نظام اجتماعي معقد⁽³⁾. وهذا الكشف، وإن كان لا يدل مباشرة على وجود مملكة داود وسليمان - عليهما السلام -، إلا أنه يتوافق - في أدنى تقدير - مع القول بوجود مملكة قوية في القرن العاشر في تلك المنطقة وماجاورها، وهو ما لا يتوافق مع جوهر دعوى أنصار

William G. Dever, *Has Archaeology Buried the Bible?*, p.81. (1)
Tel Eton (2)

Avraham Faust and Yair Sapir, 'The "Governor's Residency" at Tel 'Eton, The United Monarchy, and (3) the Impact of the Old - House Effect on Large - Scale Archaeological Reconstructions', *Radiocarbon*,

Volume 60 , Issue 3 , June 2018, pp. 801 - 820.

< <https://www.cambridge.org/core/journals/radiocarbon/article/governors-residency-at-tel-eton-the-united-monarchy-and-the-impact-of-the-oldhouse-effect-on-large-scale-archaeological-reconstructions/5CES4AE6CEE838CC0D076186A2FBACE5> >.

مدرسة «الحد الأدنى» وكثير من الأركيولوجيين الآخرين المنكرين لسعة مملكة داود - عليه السلام - وابنه سليمان - عليه السلام -.

ت. مدن حاصور ومجدو وجازر

أشهر ما كان يُستدل به لوجود مملكة سليمان - عليه السلام - في مساحة أكبر من منطقة أورشليم، الآثار المكتشفة في حاصور ومجدو وجازر، بما يوافق ما جاء في 1 ملك 9 / 15: «وَهَذَا هُوَ سَبَبُ الشَّخِيرِ الَّذِي جَعَلَهُ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ لِتَنَاءِ بَيْتِ الرَّبِّ وَبَيْتِهِ وَالْقَلْعَةَ وَسُورِ أُورُشَلِيمَ وَحَاصُورَ وَمَجِدُو وَجَازَرَ».

شكّلت الكشف الأركيولوجية التي تعود إلى حاصور ومجدو وجازر إلى القرن العاشر مشكلة للرافضين لوجود مملكة قوية لسليمان - عليه السلام - في القرن العاشر؛ فإن طريقة التاريخ التقليدي للفخاريات تشير إلى أن هذه المدن قد تم بناؤها في القرن العاشر قبل الميلاد. وهو ما دفع الأركيولوجي ويليام ديفر أن يصرّح، قطعاً لتشغيب المشاغبين: «رددنا جدران مدينة جازر III وبواباتها إلى منتصف القرن العاشر على أساس الرؤية المتفق عليه عامة حول الفخاريات - لا على أساس القبول السادس لقصص الكتاب المقدس حول «سليمان وكل مجده» - ^(١)».

أزعج هذا الكشف أنصار مدرسة «الحد الأدنى» كثيراً، فحاولوا الخروج من هذا المأزق بأيّ صورة. وقد قدم لهم فنكسلشتاين - من خارج تيار «الحد الأدنى» - المعارضية التي اجتمع حولها عامة منكري نسبة هذه البناءات في هذه المدن الثلاث إلى سليمان - عليه السلام -. وخلاصة قوله هو أنه لا بد من إعادة تأصيل قواعد تزمين الآثار، بما يُسمى «التسلسل الزمني المنخفض» «Low Chronology» الذي يُقابل «التسلسل الزمني التقليدي (العالى)» «Traditional (or high) Chronology»؛ بما يجعل آثار القرن العاشر قبل الميلاد تعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد.

William G. Dever, *What Did the Biblical Writers Know and When Did They Know It?*, p.132. (١)

ومذهب فنكلشتاين في التسلسل الزمني قد انُتقد في دراسات كثيرة من نواحي فتية وتاريخية⁽¹⁾؛ منها أن النماذج التي اختارها للفحص لا تعود إلى بداية العصر الحديدي الثاني وإنما إلى مرحلة متأخرة في العصر ذاته، ومنها الاعتماد كلية على نماذج من مدن المملكة الشمالية لا الجنوبية، رغم أن التوراة تنص على أسبقية اعتماد أورشليم كعاصمة على تأسيس السامرة بمنطقة وعشرين سنة. بل إن الدراسة الكربونية التي أجرتها فنكلشتاين نفسه سنة 2007، ونشرت سنة 2009 على نماذج من مجدو (الطبقة 4 - K) وتل كيسان (الطبقة 9أ) ويوكتنعم (الطبقة 17) وكلاهما من المملكة الشمالية قد دلت أنها تعود حوالي 1000 ق.م⁽²⁾؛ وهو ما يوافق التزمن التقليدي!

ثم إننا لو أردنا أن نطلق في تزمن المنطقة من حدث معروف؛ فسنجد أنفسنا ضرورة نتجه إلى غزو شيشنق لفلسطين في السنة الخامسة للملك رحبعام (أي بعد خمس سنوات من موت سليمان -عليه السلام-)؛ فإن هذا الحدث يشهد له التاريخ المصري - كما سبق ذكره - وسفر الملوك الأول 25 / 14 - 28. وقد جاء في نقوش الكرنك أن من الأماكن التي تم غزو أهلها منطقة عراد لـ⁽³⁾؛ بما يدل أن عراد كانت منطقة سكنية مأهولة زمن سليمان -عليه السلام-. وقد دلت حفريات يوحنان

Amnon Ben - Tor and Doron Ben - Ami, 'Hazor and the Archaeology of the Tenth Century B.C.E.' (1) *Israel Exploration Journal* 48 (1998), pp. 1-37; William G. Dever, 'Archaeology, Urbanism and the Rise of the Israelite State,' in Walter E. Aufrecht, Neil A. Mirau and Steven W. Gauley, eds., *Aspects of Urbanism in Antiquity. From Mesopotamia to Crete* (Sheffield: Sheffield Academic Press, 1997), pp. 172-193; Lawrence E. Stager, 'The Patrimonial Kingdom of Solomon,' in William G. Dever and Seymour Gitin, eds., *Symbiosis, Symbolism and the Power of the Past: Canaan, Ancient Israel and Their Neighbors from the Late Bronze Age Through Roman Palaestina* (Winona Lake, IN: Eisenbrauns, 2003), pp. 63-74; Raz Kletter, 'Chronology and United Monarchy: A Methodological Review,' *Zeitschrift des Deutschen Palastina - Vereins* 120 (2004), pp. 13-54; Amihai Mazar, 'The Spade and the Text: The Interaction Between Archaeology and Israelite History,' in H.G.M. Williamson, ed., *Understanding the History of Ancient Israel* (Oxford: Oxford Univ. Press, 2007), pp. 143-171 (Dever, William G., and Aaron A. Burke. "Divided Kingdom, United Critics," *Biblical Archaeology Review* 40.4 (2014): 37-41, 71).
Israel Finkelstein and Eli Piasetzky, '14C and the Iron Age Chronology Debate: Rehov, Khirbet en - (2) Nahas, Dan and Megiddo,' *Radiocarbon* 48 (2006), pp. 373-386.

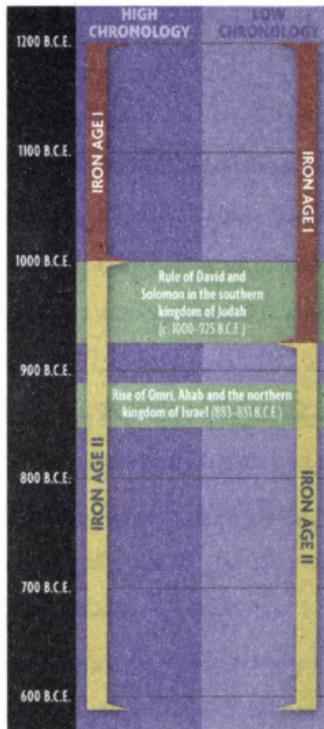
أهاروني في المستوطنات المبكرة في المنطقة أنها تضم فخاريات تشابه الفخاريات المكتشفة في يهودا التي تم ردها - تقليدياً - إلى القرن العاشر (في بتر سبع ولخيش لدיש). وهو ما يتعارض مع ردة عراد وغيرها من المستوطنات إلى القرن التاسع قبل الميلاد على مذهب فنكلشتاين⁽¹⁾.

وإن أقل ما يقال في علامات الطابع الحضري في المدن المنسوبة إلى المملكة المتحدة في القرن العاشر قبل الميلاد، أنها تدل على احتمال لوجود هذه المملكة، لم يتم نقضه بأدلة نهائية من المخالفين حتى الآن؛ بما يمنعهم من الجزم أن آثار فلسطين لا تشهد لهذه الدولة زمن داود - عليه السلام - وسليمان - عليه السلام -، وبما يُسقط العبارة الحماسية لفراس السواح في إشارته الصريحة إلى كتابات فنكلشتاين ومشايعيه: «وقد قام الجيل الجديد من علماء الآثار في إسرائيل بالإجهاز على مفهوم أركيولوجيا المملكة الموحدة، إجهازاً تاماً، وبكل علمية وموضوعية»⁽²⁾!

Amihai Mazar and Israel Finkelstein, *The Quest for the Historical Israel*, pp.121 - 122. (1)

(2) فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ص 81.

التزمين الأعلى والأدنى وعصر داود - عليه السلام - وسليمان - عليه السلام -⁽¹⁾



ث. طبيعة الحياة في أورشليم القرن التاسع قبل الميلاد

كشف إلى شكرتون وروني رايك في القدس عن بركة منحوتة في الصخر بالقرب من نبع، وفي داخلها عدد كبير من الأواني الفخارية من العصر الحديدي 2أ، تعود إلى آخر القرن التاسع قبل الميلاد. وعند غربلة الأرض تم العثور على عدد كبير من

Yosef Garfinkel, 'The Birth & Death of Biblical Minimalism,' *Biblical Archaeology Review* 37.3 (1) (2011): 49.

الأختام التي كانت ملتصقة برسائل من ورق البردي، كما عُثر على أختام عليها آثار أقمشة منسوجة وقش وعصي؛ بما يدلّ على أنها بضاعة، معباً، ومختومة. كما أظهر تحليل عظام السمك المكتشف مع ما سبق، أنَّ الجزء الأكبر قد اصطُبِدَ من البحر الأبيض المتوسط، وبعضه من النيل.

وهذا الكشف - غير المتوقع - يخالف ما كان يُقال عن أورشليم القرن التاسع، حتى عند من كانوا يقولون إنَّها إذ ذاك عاصمة مملكة يهودا؛ فإنَّ ما عُثر عليه في هذه البركة دالٌّ أنه كانت لأورشليم في القرن التاسع قبل الميلاد شبكة تجارية مع شمال فلسطين متطرورة، كما تدلُّ رسائل ورق البردي على انتشار الكتابة، وتدلُّ النقوش المختلفة على الأختام على وجود عدد كبير من عليه الموظفين والشخصيات المدنية المهمة التي تملك أختاماً خاصة⁽¹⁾.

هذه الصورة المثيرة لأورشليم القرن التاسع قبل الميلاد أقرب إلى ميراث الدولة الموحدة التي كان على رأسها داود - عليه السلام - وسليمان - عليه السلام -، من صورة أورشليم القروية الضعيفة التي روج لها فنكلشتاين، أو الصورة الأهون منها عند أنصار مدرسة «الحد الأدنى».

ج. التغير الجيوسياسي للقرن العاشر قبل الميلاد

تبه الأركيولوجي عميمحاي مازار إلى التغير الواضح لأحجام المستوطنات في فلسطين التي لم تمتد إليها مملكة داود وسليمان - عليهما السلام - ؛ فإنَّ المدن المحاذية لفلسليا من الجهة التي يقال إنَّ داود وسليمان - عليهما السلام - قد سيطرا عليها، قد عرفت تقلصاً في حجمها في القرن العاشر قبل الميلاد، مثل مدينة عكرورون التي كانت واحدة من أكبر مدن فلسطين بمساحة تقارب عشرين هكتارات؛ فقد تقلص حجمها القرن العاشر قبل الميلاد إلى حوالي أربعة هكتارات، في حين أنَّ أشدود التي تقع في المناطق الساحلية (وبالتالي هي أبعد عن داود وسليمان - عليهما

Nadav Na'aman, 'Does Archaeology Really Deserve the Status of A 'High Court'? ', pp.169 - 170. (1)

السلام -) قد عرفت في القرن العاشر قبل الميلاد توسيعاً في مناطق الاستيطان من ثمانية هكتارات إلى أربعين هكتاراً. والتفسير الأقرب لذلك هو ضغط المملكة الجديدة على جهة التماس مع فلستيا؛ مما ألجأ فريقاً من السكان إلى الهجرة إلى المناطق الأبعد في فلستيا⁽¹⁾.

كما أشار ويليام ديفر إلى أنه عند النظر في الحفريات التي تمت عند المناطق الإسرائيلية والفلسفية عند الحدود المفترضة لمنطقة يهودا، بإمكاننا أن نلاحظ - بعد وضع آثار طبقات هذه المناطق متحاذية زميئاً - ؛ وجود حدود حقيقة كانت قائمة بين المنطقة الإسرائيلية والمنطقة الفلسفية. كما بإمكاننا ملاحظة أنَّ المناطق الفلسفية قد عرفت اضطرابات ثم دمار في منتصف القرن العاشر، ثم زالت بعد ذلك كلية. «وهذه حججة قوية أنَّ داود لم يكتُف بالقيام بهذه الحروب، وإنما انتصر فيها كلها أيضاً»⁽²⁾.

ح.طبيعة مملكة داود وسلمىمان - عليهما السلام -

نقرأ في ملوك 4/21: «وَكَانَ سُلَيْمَانَ مُسَلِّطًا عَلَى جَمِيعِ الْمَمَالِكِ مِنَ النَّهَرِ [نهر الفرات] إِلَى أَرْضِ فِلِسْطِينِ، وَإِلَى تُحُومِ مِصْرَ». كأنَّوا يقدِّمونَ الْهَذَايَا ويَعْدِمُونَ سُلَيْمَانَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ». وتلك هي الداعوى التي رفضها الأركيولوجيون؛ لأنَّها تتحدث عن مملكة واسعة جداً (جداً) في منطقة الشام. وقد اشتهر في هذا الصدد زعم فنكليشتاين المؤمن بوجود «حاكمين» اسمهما داود وسلمىمان، أنَّ حكم داود وأبنته - عليهما السلام - لم يتجاوز قرية صغيرة في أورشليم.

والنظر في الوصف القرآني لا يجد فيه مشابهة لزعم التوراة، بل حديثاً عن طبائع أخرى لمُلُك هذين النبيين؛ بما يُوحى أنَّ الخبر القرآني يتنهى إلى عدم صحة الرواية التوراتية في زمنٍ كانت موافقة الخبر التوراتي ما ينتظره السامعون من أهل الكتاب لقصص القرآن عن الأنبياء السابقين.

Amihai Mazar and Israel Finkelstein, *The Quest for the Historical Israel*, p. 135. (1)
William G. Dever, *Has Archaeology Buried the Bible?*, p.80. (2)

ونحن إذا رفضنا المبالغات التوراتية، فلسنا نميل إلى مذهب فنكلشتاين - وقد علمت عيوه -، ونرى أنَّ الشكل الأقرب إلى هذه الدولة أنها كانت على هيئة مركز (أورشليم)، ثم مقاطعات خاضعة للملك، وأخرى أبعد يحكمها حلفاء خاضعون له. ولعل ذلك قريب مما ذهب إليه أستاذ الأركيولوجيا في الجامعة العبرية في القدس، يوسف غارفنكيل؛ من أنَّ داود - عليه السلام - قد أسس منطقة محاطة بـ «دول - مدن» «city - states» لها استقلالها الخاص، ليتطور الأمر ببطء لاحقاً إلى إنشاء مملكة. وقد جلب داود - عليه السلام - تابوت العهد إلى أورشليم ليمنحها سلطاناً دينياً خاصاً ويرسخ عبادة مركزية في المملكة، كما أقام ابنه بعده قصراً كبيراً، اتخذه لتخزين المؤونة، وبنى معبداً عظيماً⁽¹⁾.

والقول إن مملكة داود - عليه السلام - وسليمان - عليه السلام - متوسطة الحجم يوافق نوعية خاصة من «الإمبراطوريات الصغيرة»⁽²⁾ التي تلائم فقط الفترة ما بين 1180 - 870 ق.م، ولا توجد في أي فترة أخرى في الألفية الأولى قبل الميلاد. وذلك نوع من الدول معروفة أيضاً عند الحثيين والآراميين⁽³⁾.

وليس بغريب أن يكون حكم داود - عليه السلام - وسليمان - عليه السلام - غير مركزي؛ فإنَّ هذا الطابع متوقع في ظلَّ دولة حادثة، وتوسيعية، لها جيران يناصبونها العداء. وقد رأينا في التاريخ نماذج لسلطان ملوك استطاعوا من عواصم صغيرة تحقيق إنجازات سياسية وعسكرية كبيرة، ومن ذلك طرد أحمس الأول الهاكسوس، رغم أنه كان متمركاً في عاصمة صغيرة - هي طيبة المملكة بعد الوسطى - حتى وصل إلى كنعان، وسار جنوباً في النوبة؛ حتى توسيع مملكته بطول 1400 ميل من الشمال إلى الجنوب، بالإضافة إلى سلطانه في كنعان. واستطاع خليفته بعده -

Yosef Garfinkel, Saar Ganor, and Michael G. Hasel, *In the Footsteps of King David: Revelations from an Ancient Biblical City* (London: Thames & Hudson, 2018)

(2) كلمة إمبراطور لا تُ المتعلَّم هنا بالمعنى السلي الذي قد يتقدَّم لهن البعض بمعنى الحاكم المتسلط. هي كلمة قرية من معنى «الملك».

K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.157. (3)

تحتمس الأول - الوصول إلى ما بعد الشلال الرابع من النيل النبوي وشمالاً إلى الفرات وكركميش، وهو تمتد هائل يبلغ حوالي 2300 ميل. ولا تزال طيبة عندها مدينة صغيرة^(١)!

المطلب الخامس: المملكة المفترة وتناقضات فنكلشتاين

يهتم الكتاب العربي الذين يروج الإلحاد العربي الشعبي لكتاباتهم بتبني أطروحات فنكلشتاين والترويج لها، كلها أو عامتها؛ لأنها تشکك في روايات توراتية وقرآنية عن تاريخبني إسرائيل. ويغتر فنكلشتاين في مؤلفاته في العقدتين الأخيرتين بالتأكد أنه يمثل تياراً وسطياً بين مدرسة «الحد الأدنى» - خاصة كما تظهر في أدبيات توomas تومسون - ومدرسة «الحد الأعلى» - كما هي في أدبيات ويليام فوكسويل أولبرايت -. ويلخص فنكلشتاين أطروحته في أنه يرى أن كتابة أسفار التوراة المنسوبة إلى موسى - عليه السلام - (الأربعة الأولى)، وأسفار التاريخ الثنوي^(٢) (سفر التثنية، وسفر يشوع، وسفر القضاة، وسفرى صموئيل، وسفرى الملوك)، وأجزاء كبيرة من الأسفار التوبية وأسفار الحكمة قد تمت آخر العصر الملكي (من القرن الثامن إلى بداية القرن السادس قبل الميلاد)، في حين تم تفكيح هذه الأسفار وتضخيمها وتعديلها في حقبة السبي وما بعدها^(٣).

ويعرض موقفه من القيمة التاريخية لهذه الأسفار بقوله عن العلماء الذين يستخدمون هذا الموقف «الوسط»: «إنهم يعترفون بقيمة هذه النصوص لحفظ أدلة موثوقة على تاريخ إسرائيل في العصور الملكية. ومع ذلك هم يرون هذه القصص - كما قدمت في النص - مؤدلة بصورة بالغة، وقد تم تبنيها لاحتاجات الجماعة في عصر جمعها»^(٤).

Ibid., 154. (1)

Deuteronomistic History. (2)

Amihai Mazar and Israel Finkelstein, *The Quest for the Historical Israel*, p.29. (3)

Ibid., 14 - 15. (4)

اعتراض فنكسلشتاين على تيار «الحد الأدنى» القائل إن تاريخ إسرائيل مزيف، وإنه اختلاف متأخر لصناعة تاريخ قومي مجيد، مركزه أورشليم، وإنه قد تم نسخ هذه المؤامرة في حدود القرن الخامس قبل الميلاد أو ما بعده. ووصف هذا التيار أنه متناقض منطقياً وأركيولوجياً. وج tegجه في هذا الوصف الاستنكارى:

- النشاط الأدبي والنسخي في أورشليم بعد السبي (في العصرين الفارسي والهلنستي) أقل تأثيراً في بيته منه في القرن السابع قبل الميلاد كما بيته الناقد ويليام شنيدون؛ ولذلك فمن غير المتصور أنه في القرن الخامس أو الرابع أو حتى الثاني قبل الميلاد، قام النساخ في هيكل صغير ضعيف التأثير في جبال اليهودية بكتابه تاريخ طويل وتفصيلي خيالي لإسرائيل في العصر الحديدي دون الاعتماد على مصادر قديمة.
- العدد الكبير لقوائم الأسماء والهيئات الإدارية الملكية في مملكة يهودا كما هي في التاريخ الثنوي، تبدو غير ضرورية في تاريخ أسطوري.
- شهادة الأركيولوجيا لصحة عامة الأخبار المتعلقة بالحدود الجغرافية للقبائل ومقاطعات المملكة في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، تبدو صدفة غير مفهومة إذا كان هذا التاريخ محض زيف.
- يزيد الأمر نكارة الكشف عن أن الوثائق غير التوراتية - خاصة الآشورية - لذاك العصر، تشهد لعدد كبير من الأحداث التي جاء ذكرها في الكتاب المقدس في شأن القرون التاسع - السابع قبل الميلاد.
- كتب التاريخ الثنوي بعبرية تختلف عن عبرية ما بعد السبي، كما شهد بذلك Avi Hurwitz.
- قول أنصار مدرسة «الحد الأدنى» إن داود وسليمان شخصيات خرافية، تعرّض لضررية قاضية بعد الكشف عن نقش تل دان الذي يذكر اسم داود - عليه السلام-^(١).

ونحن نتفق في أصل موقف المذهب الوسط لفنكلشتاين (وديفر ومازار)، أن هذه الأسفار قد كتبت بعد عصر داود -عليه السلام-، وأنه أعيد تحرير أجزاء منها لاحقاً، وأنها تضم حقاً وباطلاً تاريخيين، وأنها تأثرت بأغراض تمجيدية دعائية ظهرت في قصص الحروب وأعداد الجيوش وإنجازات سليمان -عليه السلام- وغيره.

ونحن نقبل ما سبق لسيбин، أحدهما مادي تاريخي وثانيهما شرعي قرأته. أما المادي؛ فلأن هذه الأسفار تُظهر بما لا شك فيه أنها قد كُتبت في زمن بعيد عن الأحداث الأولى، وهو ما يظهر أساساً في المفارقات التاريخية؛ بنسبة شخصية أو اسم ظاهرة إلى غير عصرها، كتدجين الجمال زمن الآباء، ووصف أرض فلسطين أنها أرض العبرانيين ^{٣٦٨} قبل غزو كنعان (تكوين 40/15). وأتأ وجه الشرعي؛ فلأننا نمنع - بلا تردد - أن تكون هذه الأسفار متاحة في عصر النبيين الملوك (داود وسليمان - عليهما السلام -) اللذين كانا يملكان القدرة على طمس هذه الأسفار التي تفترى على الله الكذب في شأن الله وكمال صفاته، وعلى الأنبياء بإنكارها عصمتهم. ولا يمكن أن تنتشر هذه الأسفار إلا بعد عصر سليمان -عليه السلام- حين أصبح صوت الأنبياء ضعيف التأثير في أمّةبني إسرائيل المارة.

ونحن مع ذلك نرى في مذهب فنكلشتاين اضطراباً منهجياً جلياً، إذ إن تأكيد موثوقية جوهر الخبر التاريخي للأسفار التثنوية في خبر ما بعد انقسام المملكة المتحدة، وجود داود وسليمان - عليهما السلام -، لا يلتقي مع إنكار جل خبر هذه الأسفار عن المملكة المتحدة، واعتبارها جغرافياً وسياسياً وعسكرياً من الزيف الفاحش... إننا هنا لا نتحدث عن مبالغة ثُرَّة تفاصيلها بسبب الأغراض التمجيدية، وإنما نتحدث عن عامة ما جاء في خبر المملكة، بما فيه من تفاصيل سياسية وجغرافية وأسماء لرجال دين وسياسة وعسكر وحلفاء وأعداء.. لا تبدو هذه التفاصيل إضافة لا معنى لها إذا كانت مجرد زيف؟!

ونحن إذا صدقنا - مع أميحاي مازار وغيره - أن النقوش الآشورية والمحليّة (مثل نقش ميشع) تطابق الإطار التاريخي العام للرواية الشتوية عن القرن التاسع قبل الميلاد⁽¹⁾ - أي بعد قرن واحد فقط من عصر المملكة المتحدة - ؛ فسيغدو عندها أمر تزيف تاريخ القرن العاشر كليّة - تقريرًا - مصدر إشكال. وستقول مع هؤلاء الأركيولوجيين إنّه لا معنى لقبوّل أخبار القرن التاسع قبل الميلاد من أسفار ألفت في القرن السابع قبل الميلاد، ثم نرفض - تقريرًا - كلّ ما تقوله عن عصر آخر لا يبعد عن الأول سوى قرن واحد⁽²⁾!

إنّ قيام أطروحة فنكلشتاين على أن الدليل الأركيولوجي لا يدعم وجود مملكة متحدة قوية، كاشف لانتقائية فنكلشتاين في تعامله مع الشاهد الأركيولوجي، واستعماله «دليل الصمت» حُجّة في الباب؛ فإنّ فنكلشتاين - ويَا للعجب! - يصرّح أنه لا شكّ أن الهيكل وقصر ملوك مملكة يهودا كانوا مُبْتَسِّين في مركز أورشليم⁽³⁾، رغم أنه لا أثر للهيكل اليوم، ولا قصر ملوك يهودا!

وفنكلشتاين متناقض أيضًا بقوله إنّه «من غير المتصور أن كتاب الأسفار قد اخترعوا القصص»؛ مؤكّدًا أنّ قبول هذه الأسفار في بيتهما يتضيّ ضرورة أن تكون قد كُتّبت على صورة تمنحها موثوقية في آذان السامعين وعيون القراء، وأنّ عدم التزامهم بذلك يهددهم بأن يفقدوا ثقة الناس في ما يكتّبون⁽⁴⁾، لكنه مع ذلك يجعل أهم حدث قريب في تاريخ شعب مملكة يهودا، وهو أنّهم امتداد لدولة عظيمة يرأسها ملك قوي، مجرد أسطورة رقيقة!

ولعلّ أغرب مواقف فنكلشتاين ما جاء في مقاله الذي نشره السنة الماضية⁽⁵⁾، مؤكّدًا جوهر ما قرره في كتابه «المملكة المفقودة» الذي نشره بالفرنسية سنة

Ibid., 30 (1)

Ibid., 118. (2)

Ibid., 188. (3)

Ibid., 185. (4)

'Saul and Highlands of Benjamin Update: The Role of Jerusalem'. (5)

2013⁽¹⁾، ثم تُشير في السنة نفسها بالإنجليزية⁽²⁾؛ إذ ذهب إلى أن شاؤول الذي حكم - في التوراة - المملكة المتحدة قبل داود - عليه السلام -، قد عاش في القرن العاشر قبل الميلاد، وبعد أن تسلط على جبعون، استولى على أورشليم في الجنوب وشكيم في الشمال؛ فأنشأ بذلك دولة مُهَدَّدة للمطامع السياسية لمصر؛ مما اضطر الفرعون شيشنق الأول أن يغزوها، ويقضي عليها، وينصب داود - عليه السلام - حاكماً على أورشليم، ويربعاً الأول حاكماً على شكيم؛ كحاكمين محليتين، تابعتن مصر⁽³⁾.

وما انتهى إليه هنا فنكلاشتاين يكفي لينهي الجدل لصالح مقالتنا؛ فإن فنكلاشتاين يصور لنا واقع القرن العاشر قبل الميلاد على الصورة التالية:

- كان شاؤول من المنطقة الجنوبية لفلسطين.
- تقع جبعون في الجهة الجنوبية، ولا تبعد عن أورشليم سوى 6 أميال.
- كان شاؤول يحكم مناطق واسعة مما سُيُسمى لاحقاً بملكية يهودا ومملكة السامرة؛ وهي أرض تمتد من الجنوب إلى السامرة وما بعدها حتى وادي يزرعيل (مرج ابن عامر) في الشمال.
- كانت هذه المملكة على درجة معتبرة من القوّة؛ حتى إن أعظم قوّة بجانبها (مصر) كانت تدرك خطورتها.

أي إننا إذا وضعنا اسم داود مكان اسم شاؤول؛ فستكون عندنا دولة قوية في القرن العاشر، يحكمها داود - عليه السلام -، تمتد على عامة الأرض التي انقسمت لاحقاً إلى مملكة يهودا ومملكة السامرة. وأثنا ضعف العمران (النبي) في أورشليم؛ فتجاورز عنه بالقول إننا لا نقبل مبالغات التوراة، كما أن داود - عليه السلام - كان مشغلاً

Le Royaume Biblique Oublié⁽¹⁾

The Forgotten Kingdom: The Archaeology and History of Northern Israel⁽²⁾

Israel Finkelstein, 'Saul and Highlands of Benjamin Update: The Role of Jerusalem', in Joachim J. (3) Krause, Omer Sergi, and Kristin Weingart, eds. *Saul, Benjamin, and the Emergence of Monarchy in Israel: Biblical and Archaeological Perspectives* (Atlanta: SBL Press, 2020), pp. 43 - 51.

بالتوسيع عند حدود مملكته، ولم يكن هو ولا ابنه -عليه السلام- من أهل البذخ... وهكذا يتصر فنكلشتاين لخبر القرآن، ويبيّن الخلاف معه صورياً، في اسم الحاكم. ولا أدرى هل سيعود فراس السواح القائل: «ونحن لا نشكك في قيام المملكة الموحدة لكل إسرائيل خلال القرن العاشر، بل نقول إنه من المستحبيل أن تكون قد قامت»^(١) إلى الاعتراف بوجود هذه المملكة بعد إقرار «نجمة المفضل» فنكلشتاين بها - وإن لم يشاركنا الأسماء -؟

لا أرى ذلك بعيداً إن نُسِّي في أجله؛ فإن السواح، مقلد، متارجع؛ فقد كان معترفاً بوجود المملكة المتحدة في كتابه «الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم» حيث قال: «يمكن لنتائج التنقيب الأثري، وخصوصاً في المدن الملكية الثلاثة مجده وجازر وحاصور أن تستند واقعة قيام سلطة مركزية خلال القرن العاشر قبل الميلاد في فلسطين الداخلية»^(٢)؛ تقليداً للأركيولوجية كاثلين كنيون^(٣)، ثم عاد في كتابه «تاريخ أورشليم» إلى إنكار وجودها تقليداً لتوomas تومسون^(٤)؛ فلزمه أن يذهب اليوم إلى مذهب فنكلشتاين، خاصة أنه عنده «أبرز علماء الآثار في الكيان الصهيوني اليوم»^(٥)!

المطلب السادس: فراس السواح، والمؤامرة الساذجة

لا يُعرف لفراس السواح كتاب جديد في مسألة التاريخ الإسرائيلي وأورشليم منذ عقدين من الزمان. ومؤلفاته قبل ذلك هي: «الحدث التوراتي والشرق الأدنى

(١) فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ص 66.

(٢) فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ص 205.

(٣) كاثلين كنيون Kathleen Kenyon (1906 - 1978)؛ أركيولوجية بريطانية.

(٤) وقد قام الجيل الجديد من علماء الآثار في إسرائيل بالإجهاز على مفهوم أركيولوجيا المملكة الموحدة، إجهازاً تاماً، وبكل علمية و موضوعية. فقد خرج عالم الآثار الالماني فنكلشتاين وزميله D. Ussishkin (وكلاهما من الجامعة العبرية في تل أبيب [قلت سامي: الجامعة العبرية في القدس، وهي غير جامعة تل أبيب]) من دراستهما الميدانية للتيتني العمارة المعروفة لمصر المملكة الموحدة، بنتيجة ففادها أن جميع هذه المنشآت تعود إلى القرن التاسع، ولا علاقة لها بسليمان أو المملكة المتحدة» (السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، ص 82 - 81).

(٥) المصدر السابق، ص 89.

القديم»، و«آرام دمشق وإسرائيل»، و«تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود». وقد كان في كتابه «الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم» على مذهب قريب من المحافظين (فيما يتعلق بعصر القضاة وما بعده)، معتمداً على تلخيص جهود الأركيولوجية كاثلين كنيون، وموافقاً لها في تاريخية كثير من أخبار التوراة، وإن أنكر المبالغات التوراتية التي ينكرها جميع الباحثين⁽¹⁾، ثم تحول في كتابه «آرام دمشق» إلى الذوبان في التيار المقابل تماماً، وهو تيار توماس تومسون؛ فهو ينقل عن تومسون بتوسيع، ويلخص رؤاه (مع الهجوم العنيف على كنيون، وهجاء فنكلشتاين أنه صاحب «منظور منحرف الرؤية»!⁽²⁾)، إلى أن وصل إلى المرحلة الثالثة، وهي تمجيد تومسون مع الثناء على فنكلشتاين في كتابه «تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة يهودا»؛ ليتقل السواح بعد تأليفه كتبه الثلاث إلى تمجيد فنكلشتاين ومدرسته بطريقة قد يراها فنكلشتاين نفسه مبالغ فيها، دون أن يؤلف السواح كتاباً جديداً يُظهر فيه سبب انتقاله إلى اليمين فالشمال فالوسط. وإن كنت لا أنكر على الباحث أن يراجع فكره، ونتائج جهده، إلا أنني أرى بوضوح أن سبب هذا التحول؛ قلة الاطلاع، والانخداع بلغة الجزم والجسم التي تملأ دراسات عامة الأركيولوجيين الغربيين.

والمشهور من «المذهب» السواح، إقراره بصحة كثير من الأخبار التوراتية عن مملكتي السامرة ويهودا⁽³⁾، غير أنه يرى أن هاتين المملكتين كنعايتان، لا علاقة لهما باليهودية إثنية ولا هوئا⁽⁴⁾، وأن فريقاً من النساخ قد قاموا بعد القرن الخامس بالاستيلاء

(1) مقدمة الطبعة الثالثة (1997) لا تعكس روح نص الكتاب، وإنما تعكس روح التحول إلى مذهب تومسون.
(2) ص 180.

(3) وقد رأينا من خلال دراستنا الأركيولوجية لعدد من المواقع الرئيسية في المملكتين، تطابق الرواية التوراتية في جزء لا يأس به منها مع نتائج التنقيب الأثري ونصوص الشرق القديم؛ (فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ص 207).

(4) «كل الوثائق الأثرية والتاريخية المتوفرة حتى نهاية القرن العشرين، تنفي وجود اليهود كإثنية، واليهودية كدين، قبل القرن الخامس قبل الميلاد» (فراس السواح، تاريخ أورشليم، ص 286).

على تاريخ المنطقة الكنعاني، ونسبته إلى «تاريخ إسرائيل الموحدة» الأسطوري.
والسواح يضع نفسه هنا في مجموعة مازق:

أولها أن السواح - نفسه - هو القائل: «بداء من عصر عمرى تبدأ بعض أحداث وشخصيات الرواية التوراتية بالتقاطع مع الأخبار التاريخية. وبعود السبب في ذلك إلى قرب القرن التاسع نسبياً من فترة تدوين التوراة، وبقاء بعض الأحداث حية في الذاكرة الشعبية وفي الأدب الفولكلوري»⁽¹⁾. فهو يرى أن المسافة بين القرن التاسع والقرن الرابع لم تمح الذاكرة الشعبية «لبني إسرائيل»؛ ولذلك احتفظت هذه الذاكرة بأخبار تاريخية تفصيلية صحيحة على مدى القرون الماضية، منها ما هو سابق لعصر داود عليه السلام⁽²⁾، وبعضها أصله مكتوب⁽³⁾، ثم إنها أخبار مخزونة في الذاكرة الشعبية لا فقط في أذهان قلة من الأخبار. وذلك ما يجعل تصديق «الزهايمر العقدي والتاريخي» عند اليهود، بلا قاعدة تاريخية تستند.

وهذا القول بالانقطاع المفاجئ للذاكرة، قد دفع رونالد هندل أن يقول في مراجعته لكتاب: «الذاكرة والمدينة في إسرائيل القديمة» (2014)، في شأن هذا النوع من الدعاوى: «يبدو من أنه من التعسف تعريف «إسرائيل» على أنها ظاهرة (اختُرعت) في الفترة الفارسية وتركت القرون 10 - 6 فارغة، بلا ذكريات أو مفكرين متعلمين»⁽⁴⁾!

(1) فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة يهودا، ص 151.

(2) يرى السواح أن ما جاء في سفر صفيتا 2 / 4 - 5 وحزقيا 15 / 16 من أن الفلسطينيين «لهم أصلهم من جزيرة كربيل اليونانية (فراس السواح، العدث التوراتي والشرق الآدنى، ص 188) توئده الأبحاث الأرثيولوجية. وقد سأل الناقد رندزبورغ الاثنين من كبار الأرثيولوجيين في العالم - مستنكراً مذهبهما: - كيف ينذّر اليهود أصل غيرهم وينسون أصلهم؟ فلم يُحسنا الجواب!

(3) «ببر وقراطية البلاط الملكي في السامرة (وبعدها في أورشليم) قد بدأ بقليل ببر وقراطية القصور الملكية في عواصم الشرق الكبri، وراح تدُونُ أخبار البلاط في حوطيات تُشبه مانغرفة عن حوطيات ملوك فيينا المذكورة في المصادر التاريخية.... ويبدو أن تَكُنَّا من حوطيات ملوك إسرائيل وحواليات ملوك يهودا (التي يذكرها المحرر التوراتي تحت عنوان أخبار الأيام لمملوك يهودا، وأخبار الأيام لمملوك إسرائيل) قد وصلت إلى محجرى التوراة، ولكن ليس ببعضها الأصلي بل من خلال مراجع ثانوية» (فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة يهودا، ص 151).

Ronald Hendel, review of D. Edelman and E. Ben Zvi, eds., *Memory and the City in Ancient Israel* (4)
(Winona Lake, IN: Eisenbrauns, 2014), *Review of Biblical Literature*, April 21, 2014.

وثانيها أن السواح هو القائل - بصدق - في رده على أطروحة كمال الصليبي القائلة إن مسرح التوراة جزيرة العرب لا فلسطين: «فإذا كان أقدم نص توراتي من نصوص قمران يرجع إلى نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، وأقدم ترجمة ذات أصل مستقل، وهي السبعونية، ترجع إلى أواسط القرن الثالث قبل الميلاد... فكيف تستَّى لهؤلاء نسيان مسرح الحدث التوراتي في غرب العربية، خلال هذا الوقت القصير؟»⁽¹⁾. ونحن نسأل السواح: إذا كان التوحيد اليهودي قد بدأ في حدود القرن الرابع قبل الميلاد؛ فكيف تستَّى لليهود نسيان عرقهم ودينهم وأصل لغتهم في قرن واحد فقط؟!

وثالثها، أن الزعم أن اليهود قد رضوا بتغيير عرقهم من الكنعانية إلى الإسرائيلية، ودينه من الوثنية الشركية، إلى التوحيد، ولم يثوروا رغم مstemهم في هويتهم (العرق والدين واللغة...)، دعوى بعيدة عن التصديق؛ فإن عادة الناس أن يختلفوا ويتنازعوا ويتناقضوا في ما هو أدنى من ذلك، وطبائع ظهور الفرق «الهرطقةية» خير شاهد على ذلك..!

ورابعها أن السواح يعترف أن علم الآثار «لا يوافقه رأيه» في التحول التدرجي من ديانة الكنعانيين الشركية إلى ديانة الإسرائيليين التوحيدية⁽²⁾. بل ويعترف هو نفسه أنه بلا جواب أمام أهم سؤال في هذا البحث؛ فقد كتب: «كيف ومتى تم الانتقال من عقيدة يهوه الفلسطينية التقليدية إلى عقيدة يهوه التوراتية؟ في الحقيقة نحن جاهلون كل الجهل بالكيفية التي تم بها هذا الانتقال. ويعود السبب في ذلك إلى أن الفترة التي دونت خلالها أسفار التوراة، أي القرن الرابع والثالث قبل الميلاد، هي فترة ظلام مطبق في تاريخ فلسطين، والنصوص ليست نادرة فحسب وإنما معدومة»⁽³⁾.

(1) فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ص 224.

(2) فراس السواح، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة يهودا، ص 133.

(3) المصدر السابق، ص 245.

وأما خرعل الماجدي؛ فذهب إلى أنَّ الملك يوشيا أخفى «سفر الشريعة» في هيكل الرب سنة 639 ق.م، ثم دبر حيلة ليكتشفه كبير الكهنة حلقياً، ثم ينتهي الأمر بعرضه على يوشيا الذي أعلن على إثر ذلك ثورة دينية ضد الشرك⁽¹⁾. وهكذا انتقل «هذا الشعب الخلط المتفرق المشارب، عديم الهوية، خليط الأعراق»⁽²⁾ إلى هوية أخرى مختلفة تماماً؛ بسلامة عجيبة، لا يصدقها إلا ساذج لا يدرك صعوبة نقل الناس من الشرك إلى التوحيد، وحجم الممانعة الشرسة التي يبدوها المشركون أمام دعوة نبذ آلهة الأجداد، بالإضافة إلى سذاجة الظن أنَّ الأمم تغير إثنيتها العرقية بين يوم وليلة!

ويزيdena الماجدي بعد ذلك عجباً منه - بعد صفحات من ادعائه السابق - ؛ إذ أخبرنا أنه في شك من ذاك السيناريو الانقلابي؛ ليؤجل الانقلاب إلى القرن الخامس على يد عزرا⁽³⁾. وهو بذلك لا يزيد «اجتهاده» إلا وهاء؛ إذ إنَّه كلما تأخر سيناريو «الانقلاب التوحيدِي»، زاد القول به نكارة؛ فإنَّ عصر عزرا أقرب إلى القرن الأول الميلادي، ومع ذلك؛ لم تُبق لنا تلك المؤامرة المدعاة أي أثر لزلزال الانتقال من الشرك إلى التوحيد، كما أنَّا نملكُ تُسخنَ أسفارٍ للعهد القديم تنضح بالتوحيد يعود بعضها إلى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد⁽⁴⁾، بما يدل على أنَّ مجموعة الكتب المقدسة كانت مجموعه قبل ذلك بمدة.. بل إنَّ دعوة التوحيد منتشرة في عامة الأسفار المقدسة؛ والتراث اليهودي صريح وقاطع في ردها إلى ما قبل عصر عزرا.

(1) خرعل الماجدي، تاريخ القدس القديم، ص 191.

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق، ص 233.

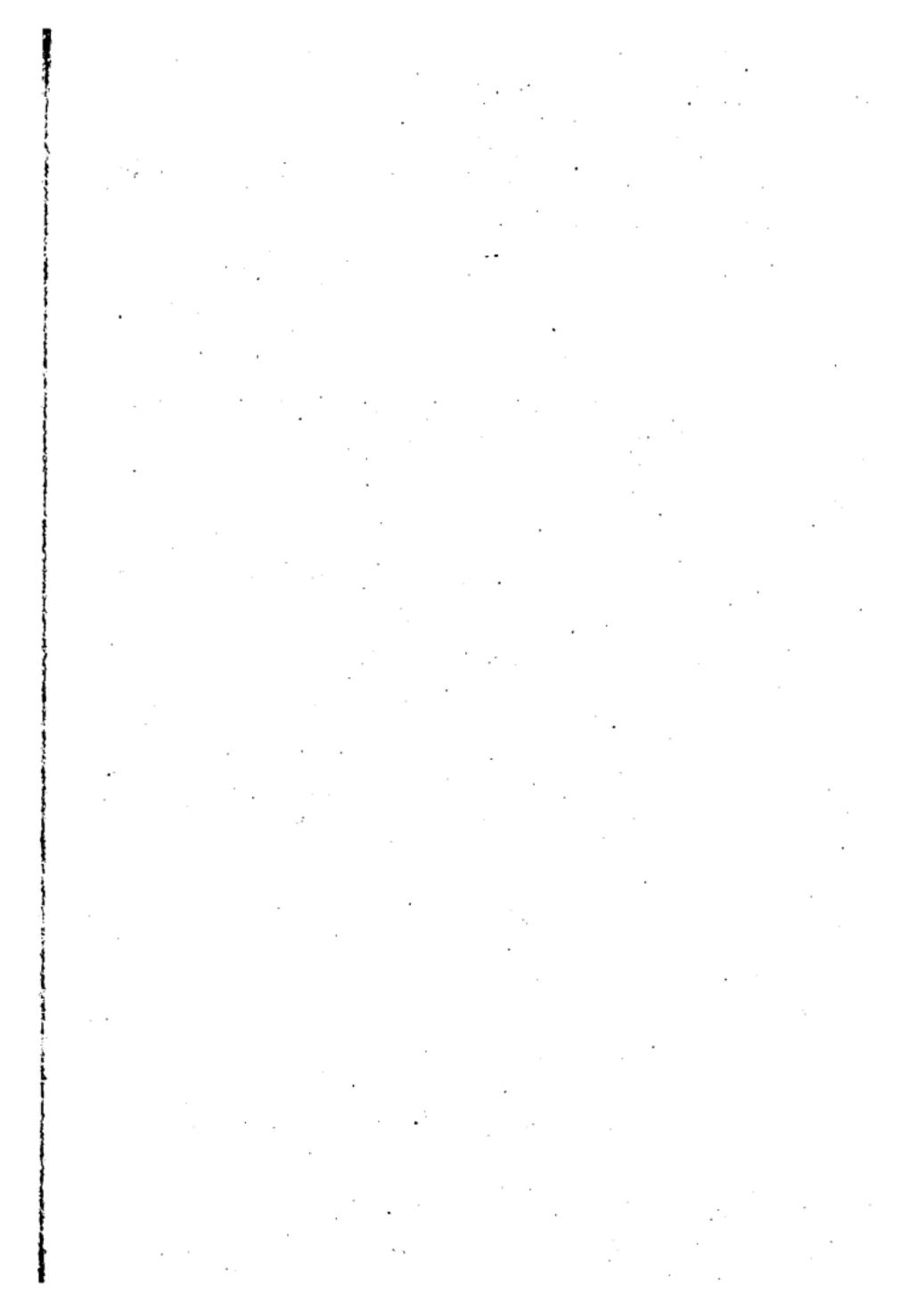
Timothy H. Lim, John J. Collins, eds. *The Oxford Handbook of the Dead Sea Scrolls* (Oxford: OUP (4) Oxford, 2012), p.281.

الخلاصة:

- السبب الأول للتشكيك في تاريخية داود - عليه السلام - الوصف المبالغ فيه لمملكته، وليس في القرآن ذاك الوصف؛ بل في الآيات القرآنية ما يشهد أن عظمة مملكة داود ليست في سعتها أو عمرانها، وإنما في خوارق النبي الذي يحكمها وابنه.
- القول بخrafية شخصية داود - عليه السلام - مع الإقرار أن البحث الأركيولوجي يشهد لوجود مملكتي إسرائيل ويهوذا⁽¹⁾ بعده بقرن واحد، مذهب انتقائي مضطرب في قبول شهادة التراث الإسرائيلي.
- كشف البحث الأركيولوجي عن وجود اسم داود - عليه السلام -.
- كشف البحث الأركيولوجي عن وجود مدن قوية زمن داود وابنه سليمان - عليهما السلام - ضمن مملكتهما.
- رسائل تل العمارنة كافية أن الطبيعة التاريخية لأورشليم قد تطمئن آثار دولة قوية.
- لا يزال جمهور المؤرخين والأركيولوجيين - كما هو قول دافيد رودمان في مراجعته لكتاب فنكشتاين الأخير «المملكة المفقودة» - على أن مملكة السامرة ومملكة يهوذا قد ظهرتا بعد انقسام المملكة المتحدة⁽²⁾.

(1) هناك من برأ مملكة يهوذا إلى القرن الثامن أو السابع قبل الميلاد.

David Rodman, Review 'The forgotten kingdom: the archaeology and history of northern Israel,' *Israel/ (2) Affairs*, 2005, 21:1, 175.



الفصل الثاني الوجود التاريخي لسليمان - عليه السلام -

المبحث الأول: سليمان - عليه السلام - في القرآن والكتاب المقدس

سليمان - عليه السلام -، النبي الكريم، ابن داود - عليه السلام -. أوتي النبوة والملك بعد والده، قال تعالى: «وَوَرِثَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ فَقَالَ يَتَأَبَّهَا أَنَّا شَعَرْنَا مَنْطَقَ الظَّفَرِ وَأَوْتَنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ» (التمل / 16).

لم يأتِ خبر سليمان - عليه السلام - في القرآن مستفيضاً؛ فقد اقتصر الأمر على ذكر نبوته، وبيان حكمته، وما أوتيه من خوارق عجيبة، وعلى رأسها تسخير الجن له. ولم تستفطر الآيات إلا في قصته مع ملكة سبأ في سورة النمل.

كما جاءت السنة في الإخبار عن طبائع ما اختص به سليمان - عليه السلام -، قال صلَّى الله عليه وسلم -: «لَمَّا فَرَغَ سُلَيْمَانَ بْنُ دَاوُدَ مِنْ بَنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سَأَلَ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ، حَكْمًا يَصَادِفُ حُكْمَهُ، وَمِلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، وَالْأَيْمَنَ هَذَا الْمَسْجَدُ أَحَدٌ لَا يَرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِيهِ إِلَّا خَرَجَ مِنْ ذِنْبُوهُ كَيْوَمْ وَلَدَتُهُ أُمُّهُ». فَقَالَ النَّبِيُّ - صلَّى الله عليه وسلم -: «أَمَّا اثْنَانِي فَقَدْ أُعْطِيْهِمَا، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أُعْطِيَ الثَّالِثَةَ»⁽¹⁾. وهو حديث دال أيضًا على أنَّ سليمان - عليه السلام - قد بنى - أو قل على الصواب: جدد بناء مسجد!

كما جاء في حكمة سليمان - عليه السلام -، قول نبينا - صلَّى الله عليه وسلم -: «كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما. فقالت لصاحبتها:

(1) رواه ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس، (ج / 1408). وصححة الألباني.

إنما ذهب بابنك! وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك! فتحاكمتا إلى داود - عليه السلام - ؛ فقضى به للكبرى؛ فخرجتا على سليمان بن داود - عليهما السلام - ؛ فأخبرتاه. فقال: اثنوني بالسكين أشقة بينهما! فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله هو ابنها! فقضى به للصغرى»^(١).

يوافق الكتاب المقدس القرآن في أنَّ سليمان - عليه السلام - قد ورث الملك عن أبيه، وأنَّه صاحب حكمة عالية، وأنَّ ملكة سبأ قد زارتة، غير أنه لا يصرح أنهنبي. والحق أنَّ نسبة بعض الأسفار إلى سليمان - عليه السلام - في الكتاب المقدس، حجَّةٌ أنه كان يُنظر إليه قبل زمن المسيح أنهنبي. ومع ذلك فإنَّ أعظم أوجه الخلاف بين القرآن والتوراة، نسبة سليمان - عليه السلام - إلى بناء معابد للآلهة الوثنية بعد أن أغْوَيْته زوجاته؛ حتَّى غضب ربّ منه، وهَدَّده بتمزيق مُلْكِه!

وردت عامة القصة التوراتية لسليمان - عليه السلام - في الفصول الأحد عشر الأولى من سفر الملوك الأول والفصول التسع الأولى من سفر أخبار الأيام الثاني. وفيها تفاصيل تاريخية وجغرافية غزيرة. وقد تميز حكم سليمان - عليه السلام - فيها بشاء الدولة، ووفرة المال بين الناس على صورة عجيبة، وعظمة البناء المعماري، وغياب الحروب. وكان أعظم ما بناه سليمان - عليه السلام - الهيكل (المسجد) في أورشليم.

(١) رواه البخاري، كتاب الفرائض، باب إذا ادعت المرأة ابنًا، (ج / 6387)، ومسلم، كتاب الأقضية، باب بيان اختلاف المجتهدين (ج / 3245). وقد وردت قصة فيها بعض الشبه بهذه القصة في 1 ملوك ، 3 ، 16 - 28.

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لسليمان - عليه السلام -

- لم يذكر القرآن أحداً سياسية قابلة للرصد الأركيولوجي في سيرة سليمان - عليه السلام - سوى بعض المسائل المتعلقة بملكه، وبزيارة ملكة سبأ له:
 - وراثة مملكة داود - عليه السلام -: قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانَ دَاؤُودَ﴾ (النمل / 16). قال ابن كثير: «أي: في الملك والتبوة»⁽¹⁾.
 - له محاريب وتماثيل وقصاص عظيمة وقدور كبيرة ثابتة في الأرض (صنعتها له الجن): قال تعالى: ﴿وَلَسْلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسْلَانًا لَهُ عَيْنٌ أَقْطَرٌ وَمَنْ أَجْنَى مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ رَبِيعًا وَمَنْ يَرِعَ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذْقَهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾⁽²⁾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مُحَرِّبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَأْسِيَّتِ آتَمْلَوْا إَلَى دَاؤُودَ شَكْرًا وَقَيْلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ﴾⁽³⁾ (سبأ / 12 - 13).
 - له خيول: قال تعالى: ﴿وَوَهَبْتَا لِدَاؤُودَ سُلَيْمَانَ يَعْمَلُ الْعَبْدَ إِنَّهُ أَوَّبٌ﴾⁽⁴⁾ إذ عَرِضَ عَلَيْهِ بِالْمُعْنَى الصِّفَرَتُ الْمُجَادِ﴾⁽⁵⁾ فَقَالَ إِنِّي أَجِبُكُمْ حَمَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ حَتَّى تَوَرَّتْ بِالْحِجَابِ﴾⁽⁶⁾ رُدُودُهَا عَلَى فَطْفَقَ مَسْطَحًا بِالشُّوفِ وَالْأَنْتَافِ﴾⁽⁷⁾ (ص / 30 - 33).
 - له قصر أو بيت أرضه شفافة من قوارير تحتها الماء يجري: قال تعالى:
 - ﴿قَيْلٌ مَا أَذْهَلِي أَصَرْحُ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْ لَجَةً وَكَفَتْ عَنْ سَاقِيَهَا قَالَ إِنَّهُ صَمَحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ وَرِبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽⁸⁾ (النمل / 44).

ومما سبق، يتبيّن لنا أنَّ قصة سليمان - عليه السلام - كما في القرآن ليس فيها

(1) ابن كثير، نسخ القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة (دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ / 1999م)، 182/6.

مما ينطاطع مع السرد التاريخي الذي يقبل الاختبار الأركيولوجي سوى وجود مملكة لسليمان، وما فيها من محاريب وتماثيل وقصاص عظيمة وقدور ثابتة، وهي كلها مما لا يجزم العلماء أنها قادرة على مقاومة عadiات الأيام، أو أعمال السلب والنهب المحلي أو الخارجي. وما عدا ذلك فهو سلطان لسليمان -عليه السلام- على الطبيعة بطريقة خارقة. والخوارق خارج دائرة السبر الأركيولوجي.

ورغم أن بعض الكتابات العربية الإلحادية توهם القراء أن البحث الأركيولوجي في الغرب قد انتهى إلى إنكار الوجود التاريخي لسليمان وداود -عليهما السلام-، إلا أن الحقيقة أن الإشكال ليس في امتناع وجود ملك اسمه سليمان، وإنما الإشكال في التفاصيل المبالغ فيها المذكورة في التوراة لمملكته.

إن إنكار وجود سليمان -عليه السلام-، لا بد أن يقوم على القطع أن التراث الإسرائيلي المتواتر في شأنه مزييف كلياً. ولم يقم دليل إلى الآن على ذلك. وأخطاء القصة والمباغتات لا تملك وحدها إنكار الوجود التاريخي لشخص ما، وإنما لأنكرنا وجود الإسكندر المقدوني وكورش وغيرهما من احتفت بهم المبالغات والأساطير.

وقد ثبت لدينا في البحث السابق وجود داود -عليه السلام-. ولا تجد اليوم ناقداً ينكر وجود سليمان -عليه السلام-. مع إقراره بوجود داود -عليه السلام-؛ لأن الإقرار بالأب يلزم منه الإقرار بابنه. وليس هناك داع جاد لاختلاق وجود سليمان -عليه السلام-، ونسبة أسفار له، والإفاضة في خبره تتسع، إذا كان والده قد وجد حقاً، وسبقه بالنبوة والملك.

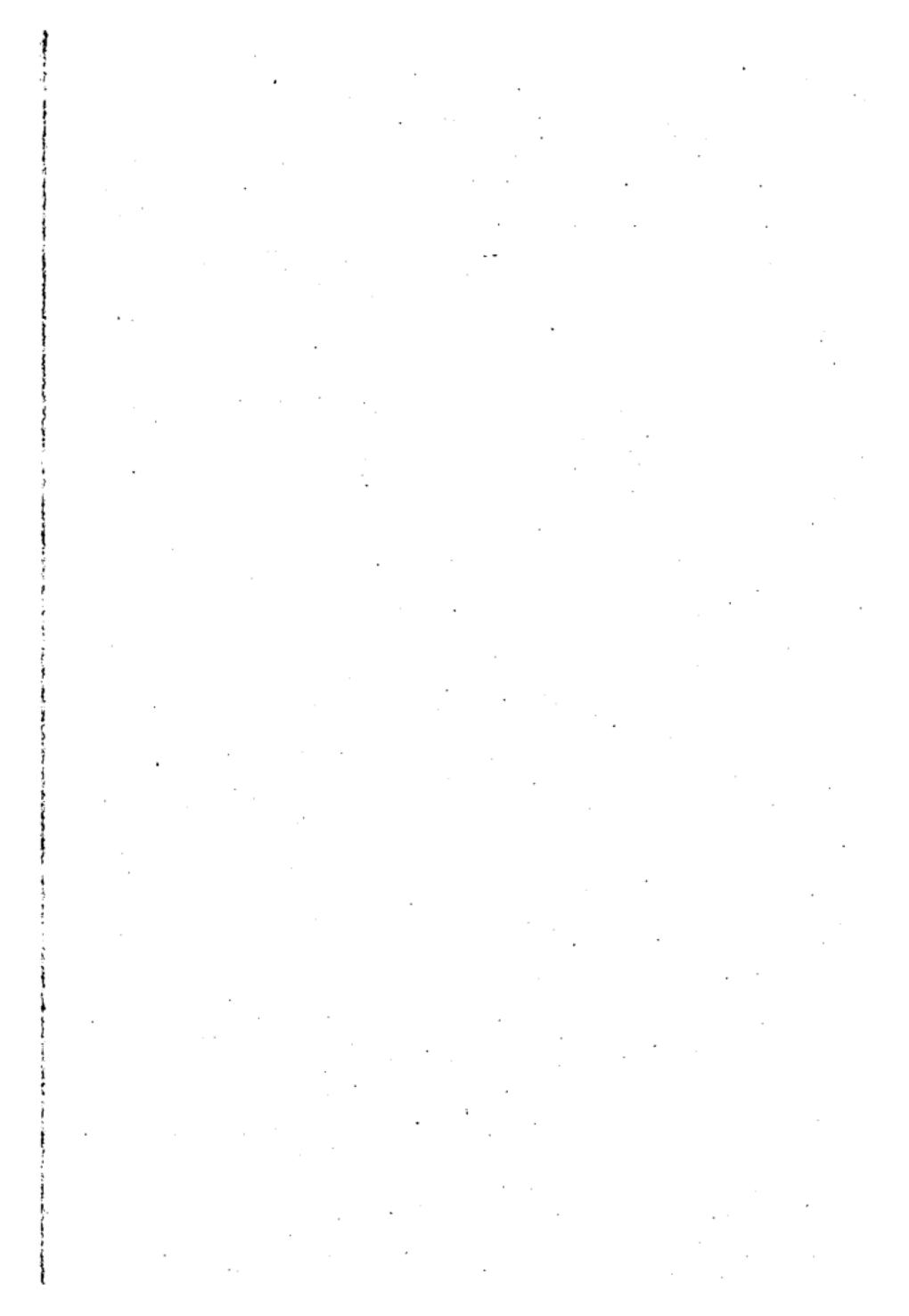
ومن الغريب أن فراس السواح مولع بالتشكيك في وجود سليمان -عليه السلام- في لقاءاته على القنوات؛ والقول إنه مغرم بأمانة الباحثين اليهود المعاصرین، الذين ينهازون إلى الدليل العلمي ولو خالف أهواءهم، وعلى رأسهم فنكاشتاين الذي يكفر السواح أنه قال في أحد كتبه: «إنه ليصعب على روحي الرومانسية أن تقبل

بما وجدناه في علم الأركيولوجيا. أستميحك عذرًا يا سليمان لأنني لم أجده⁽¹⁾! وعلوم أن فنكلشتاين يقرر صراحة في كتابه ولقاءاته الصحفية إيمانه بوجود سليمان -عليه السلام-. ومن ذلك قوله: «أنا أزعم - على خلاف من يسمون بأنصار الحد الأدنى - أنَّ داود وسليمان شخصيتان تاريخيتان، مؤسساً سلالةٍ حاكمةٍ في مدينة أورشليم اليهودية»⁽²⁾.

وإذا صحت عندي أدلة وجود مملكة داود - كما سبق - ؟ فلن يبقى من الإشكال الذي يعرضه المخالفون سوى الوصف التوراتي لمملكة سليمان -عليه السلام-، ولقائه بملكة سبا. وهو مضمون حديثنا التالي.

(1) هذا اقتباس بلسان فراس السواح (في حوار تلفزيوني مشهور مع الصحفي المصري إبراهيم عيسى، بالحرف عنه) ينقل كلام فنكلشتاين بالمعنى. وقد كرره في أكثر من لقاء! وقد حاولت أن أحمل كلام السواح على أنه متعلق بملكية سليمان لا وجوده التاريخي؛ فعجزت؛ لأن الاقتباس صريح في الإشارة إلى عجز فنكلشتاين أن يجد سليمان -عليه السلام- نفسه لا دوته.

(2) Against the so - called minimalists, I contend that David and Solomon are historical figures—the founders of a dynasty based in the Judahite city of Jerusalem.» (Amihai Mazar and Israel Finkelstein, *The Quest for the Historical Israel*, pp.107 - 108).



المبحث الثالث: مملكة سليمان، وتراثها

يتفق القائلون بتاريخية شخصية سليمان - عليه السلام - أنه قد حكم المملكة التي ورثها عن أبيه، في القرن العاشر قبل الميلاد. واختلفوا مع ذلك في السنوات التي حكم فيها؛ فمنهم من ذهب إلى أنه حكم 974 - 943 ق.م، وقال آخرون إنها 973 - 936 ق.م، وقال غيرهم 970 - 933 ق.م، وقيل 961 - 923 ق.م، وقيل 971 - 931 ق.م، و960 - 922 ق.م...⁽¹⁾.

والناظر في الكتاب المقدس تأخذنا الدهشة من حجم مملكة سليمان، وطبيعة الرفاه فيها؛ إذ نقرأ - مثلاً - في ملوك 1 / 4 - 21 - 34: «وَكَانَ سُلَيْمَانُ مُسْتَلْطًا عَلَى جَمِيعِ الْمَمَالِكِ مِنَ النَّهَرِ إِلَى أَرْضِ فِلِيسْطِينِ، وَإِلَى تُحُومَ مِصْرَ». كَانُوا يُقَدِّمُونَ الْهَدَايَا وَيَعْدِمُونَ سُلَيْمَانَ كُلَّ أَيَّامِ حِيَاتِهِ. وَكَانَ طَعَامُ سُلَيْمَانَ لِلْيَوْمِ الْوَاحِدِ: ثَلَاثَيْنَ كُرَّ سَمِيدٍ، وَسَيْئَيْنَ كُرَّ دَقِيقٍ، وَعَشْرَةَ ثِيرَانَ مُسْمَيَةٍ، وَعِشْرِينَ ثُورًا مِنَ الْمَرَاعِيِّ، وَمِنْهُ خَرْوِفٌ، مَا عَدَا الْأَيَّالِ وَالظُّبَّاءِ وَالْيَحَامِيرِ وَالْأَوْزَ السَّمْسَمَةِ. لَأَنَّهُ كَانَ مُسْتَلْطًا عَلَى كُلِّ مَا عَبَرَ النَّهَرِ مِنْ تَفَسُّحٍ إِلَى غَرَّةٍ، عَلَى كُلِّ مُلُوكٍ عَبْرِ النَّهَرِ، وَكَانَ لَهُ صُلْحٌ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِيهِ حَوَالِيهِ. وَسَكَنَ يَهُودَا وَإِنْسَارِيلُ أَمْبَيْنَ، كُلُّ وَاحِدٍ تَحْتَ كَرْتَنِهِ وَتَحْتَ تِبَيَّهِ، مِنْ ذَانَ إِلَى بَنْرَ سَبْعَنَ، كُلُّ أَيَّامِ سُلَيْمَانَ. وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ أَرْبَعُونَ أَلْفَ مِنْدَوَةٍ لِلْخِيلِ مِنْ كَبَابِهِ، وَاثْنَا عَشْرَ أَلْفَ فَارِسَ. وَهُؤُلَاءِ الْوُكَلَاءُ كَانُوا يَمْتَازُونَ لِلْمُلْكِ سُلَيْمَانَ وَلِكُلِّ مَنْ تَقْدَمَ إِلَى مَائِدَةِ الْمُلْكِ سُلَيْمَانَ، كُلُّ وَاحِدٍ فِي شَهْرِهِ. لَمْ يَكُونُوا يَخْتَاجُونَ إِلَى شَيْءٍ. وَكَانُوا يَأْتُونَ بِشَعِيرٍ وَرِتَنٍ لِلْخِيلِ وَالْجَيَادِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ، كُلُّ وَاحِدٍ حَسَبَ قَضَائِهِ. وَأَغْطَى اللَّهُ سُلَيْمَانَ حِكْمَةً وَفَهْمًا كَثِيرًا جَدًّا، وَرَخْبَةً قَلْبًَ كَالَّرْمَلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ. وَفَاقَتْ حِكْمَةُ سُلَيْمَانَ حِكْمَةً جَمِيعِ بَنِي الْمَشْرِقِ وَكُلَّ حِكْمَةٍ مِنْصَرٍ. وَكَانَ

(1) انظر محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، في بلاد الشام، ص 159 - 160.

أَخْكَمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ، مِنْ إِثْبَانَ الْأَرْضِ حَتَّىٰ وَهِيمَانَ وَكَلْكُولَ وَدَرْدَعَ تَبَّىٰ مَاحُولَ.
وَكَانَ صِبَّتُهُ فِي جَمِيعِ الْأُمُّ حَوَالِيْهِ. وَتَكَلَّمَ بِثَلَاثَةِ أَلْفِ مَثَلَ، وَكَانَتْ نَسَائِدُهُ الْفَا
وَخَمْسَةٌ. وَتَكَلَّمَ عَنِ الْأَشْجَارِ، مِنَ الْأَرْضِ الَّذِي فِي لُبْنَانَ إِلَى الرُّوفَا النَّابِتِ فِي الْحَاطِطِ.
وَتَكَلَّمَ عَنِ الْبَهَائِمِ وَعَنِ الطَّيْرِ وَعَنِ الدَّبِيبِ وَعَنِ السَّمَكِ. وَكَانُوا يَأْتُونَ مِنْ جَمِيعِ
الشَّعُوبِ لِيَسْمَعُوا حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ، مِنْ جَمِيعِ مُلُوكِ الْأَرْضِ الَّذِينَ سَمِعُوا بِحِكْمَتِهِ.
ولِذَلِكَ نَقَرَ فِي مَعْجمِ الْكِتَابِ الْمَقْدِسِ «The Anchor Yale Bible Dictionary»:
«جَمِيعُ الْأَرْقَامِ وَالْأَوْصَافِ الْوَارِدَةِ فِي حِسَابَاتِ الْأَنْشَطَةِ التِّجَارِيَّةِ لِسُلَيْمَانَ وَعَادِدَاتِهِ
وَثِرَوَتِهِ تَمَتَ الْمِبَالَغَةُ فِيهَا. مِنَ الْوَاضِعِ أَنَّ هَذِهِ الْحِسَابَاتِ لَمْ تَوْلِفْ بِقَصْدِ إِعْدَادِ
تَقْرِيرٍ تَارِيْخِيٍّ عَنِ الْأُمُورِ الْمَالِيَّةِ لِسُلَيْمَانَ. لَقَدْ كَانَ هَدْفُهُمْ إِظْهَارُ مَبْلَغِ ازْدَهَارِهِ فِي
ظَلِّ النَّعْمِ الْإِلَهِيَّةِ»^(١).

وَفِي الْمُقَابِلِ، لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ شَيْءٌ مِنَ التَّفْصِيلِ التَّوْرَاتِيِّ؛ فَالْقُرْآنُ يُخَالِفُ التَّوْرَاهَ
مِنْ أَوْجَهِ:

- لَمْ يَتَحدَّثُ الْقُرْآنُ عَنْ حَجْمِ مَمْلَكَةِ سُلَيْمَانَ، وَلَمْ يَجْعَلْ طَبِيعَتِهَا التَّوْرَاتِيَّةَ
أَصْلَ تَمِيزِهَا، بَلْ أَوْحَتِ الْآيَاتُ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ طَبِيعَتِهَا؛ إِذْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ:
﴿قَالَ رَبِّ أَغْزِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لَأَحَدٌ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ ﴾٢٥﴿فَسَخَّرَنَا
لَهُ الْرِّيحُ بَمَرْرَهُ، رَطَّا ثَأْرَهُ حَتَّىٰ أَسَابَ ﴾٢٦﴿وَالشَّيَّطِينُ كُلُّ بَنَاؤُ وَغَرَابِصٌ ﴾٢٧﴿وَمَا خَرَّنَ
مَغَرَّبِينَ فِي الْأَكْسِفَادِ ﴾٢٨﴿ (ص/ 35-38). وَهَذَا دَالُ أَنَّ الْمُلْكَ الَّذِي طَلَبَهُ
سُلَيْمَانَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَتَمِيزَ بِهِ، لَيْسَ سُعَةَ الْمَمْلَكَةِ، وَلَا وَفْرَةَ الْمَعَادِنِ
الْتَّفِيسَةِ، إِنَّمَا هُوَ تَسْخِيرُ الْرِّيحِ وَالْجَنِّ لِيَصْنَعُوا لَهُ مَا يَرِيدُ. وَلَا شَكَّ أَنَّهَا
مَصْنُوعَاتٌ مِبْهَرَةٌ تَغْرِي مِنْ غَزوَا أُورْشَلِيمَ مِنْ شِيشْنَقَ -إِنَّ صَحَّ غَزوَهُ لَهَا-
إِلَى مَنْ بَعْدِهِ، أَنْ يَسْتَولُوا عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ تَمْسِهَا يَدُ الْبَحْثِ الْأَرْكِيُّولَوْجِيِّ.

● مَصْدِرُ الْفَاقِسِ الَّتِي يَمْلِكُهَا سُلَيْمَانَ مَا سُحْرَ لَهُ مِنَ الْجَنِّ، لَا عَطَايَا الْأَمْمِ.

T. Ishida, art. Solomon (Person), *The Anchor Yale Bible Dictionary*, 6/105 - 112. (1)

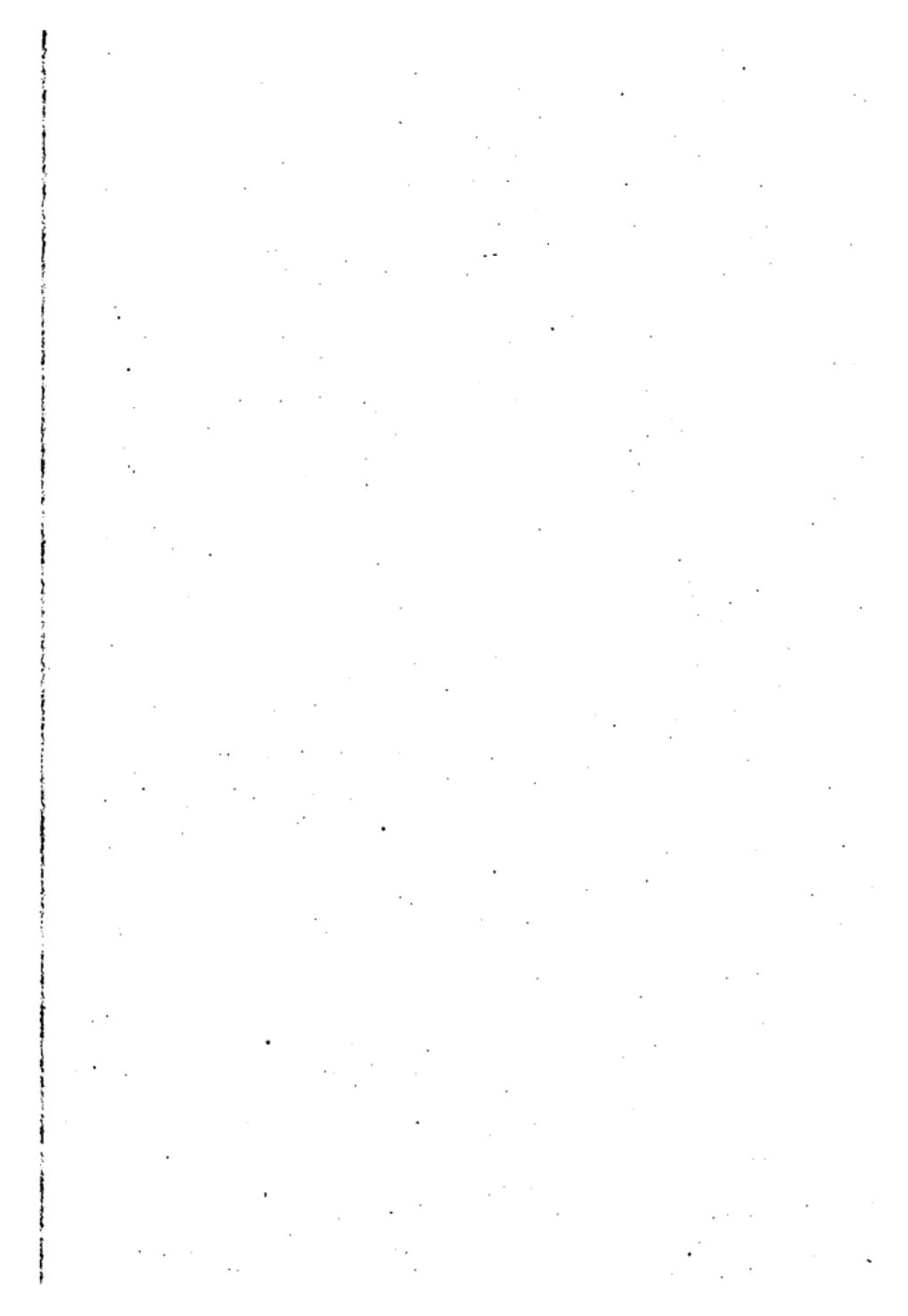
وقد جاء في ملوك الأول 10 / 22: «كَانَ لِلْمُلِكِ فِي الْبَحْرِ سُفْنٌ تَرْشِيشٌ مَعَ سُفْنٍ حِيرَامَ فَكَانَتْ سُفْنٌ تَرْشِيشٌ تَأْتِي مَرَّةً فِي كُلِّ ثَلَاثٍ سَنَوَاتٍ أَتَتْ سُفْنٌ تَرْشِيشٌ حَامِلَةً ذَهَبًا وَفِضَّةً وَعَاجًا وَفُرْودًا وَطَوَاوِيسٍ».

- ليس في القرآن ما يشير إلى المناطق التي كان يحكمها سليمان - عليه السلام - مع أورشليم.

قصة سليمان - عليه السلام - مع ملكة سبا دالة أن سليمان - عليه السلام - ما كان معروفاً عند السبئيين، ولا كان مشهوراً بالحكمة أو بالثراء في الأرض البعيدة؛ إذ لم تشر الملكة إلى الملا من قومها أنها تعرف سليمان - عليه السلام -، على خلاف زعم ملوك الأول 10 / 23 - 24: «فَتَعَاظَمَ الْمُلِكُ سُلَيْمَانُ عَلَى كُلِّ مُلُوكِ الْأَرْضِ فِي الْغَنَى وَالْحِكْمَةِ وَكَانَتْ كُلُّ الْأَرْضِ مُلْتَمِسَةً وَجْهَ سُلَيْمَانَ لِتَشْمَعَ حِكْمَتُهُ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قَلْبِهِ».

- لم يذكر القرآن العدد الألفي المهوول لخيول سليمان - عليه السلام - كما في التوراة (ملوك 1 / 4). (26)

لا شك أن الوصف التوراتي لمملك سليمان مهول بمقاييس عصره، وأن شهرته تقتضي أن نجد صدى لخبره عند الأمم المجاورة التي كانت تلهم بذكرة. وهو ما لا نرى له أثراً في الآثار. وأما الخبر القرآني؛ فبعيد عن ذلك. ولذلك فالاعتراض الأكبر على عظيم مملكة سليمان أصله فساد الخبر التوراتي. ونحن إذا عدنا إلى الخبر القرآني، لا نجد للاعتراض الكلاسيكي من الأركيولوجيين سبيلاً.



المبحث الرابع: ملكة سبا

يقول المعارض: جاء في سورة النمل / 20 - 44 عن سليمان: «وَقَنَدَ الْطَّيرَ فَقَالَ مَا لِي لَا رَأَى الْهُدَى هُدَى أَمْ كَانَ مِنَ الْكَايِسِينَ ① لَا عَذَّبَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْعَنَهُ أَوْ لَا يَأْتِيَهُ سُلْطَنٌ مُّبِينٌ ② فَسَكَتْ غَيْرَ بَعْدِهِ فَقَالَ أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ تُعْطِ بِهِ، وَجَنَّتْكَ مِنْ سَلَكٍ يَنْلَمِّعُ بَعْنِ ③ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَعْلِمُكُمْ وَأُولَئِكَ مِنْ كُلِّ شَفَوْ وَهُمَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ④ وَجَدْتُهُمَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَذَنِينَ لَهُمُ الشَّيْطَنُ أَعْنَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ⑤ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْبِحُ الْخَبَةَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلَمُونَ ⑥ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ⑦ قَالَ سَنَنُطُرُ أَسْدَدَتْ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَذَّابِينَ ⑧ أَدْهَبْتَكَنِي هَذَا فَلَقَةَ الْيَمِّ ثُمَّ قَوْلَ عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ⑨ قَالَتْ يَكِيَّا الْمَلَوْا إِنِّي أَلْقَى إِلَيْكُنْ كَيْمٌ ⑩ إِلَهُ مِنْ سَلَيْمَنَ وَلَهُ أَنْتَ يَسِّرْ اللَّهُ أَرْحَمْنَ الرَّحِيمِ ⑪ أَلَا تَأْتَلُوا عَلَى وَأَتُؤْنِي مُسْلِمِينَ ⑫ قَالَتْ يَكِيَّا الْمَلَوْا أَفَتُؤْنِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَلْرَحَى تَهَدُّدُونَ ⑬ قَالُوا أَخْنَمْتُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَنْزُ لِلَّهِ فَأَنْظُرِي مَاذَا تَأْمِنِينَ ⑭ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْبَكَ أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَةً أَهْلَهَا أَذْلَهُ وَكَذَّالِكَ يَفْعَلُونَ ⑮ وَلِنِ مُرْسِلَةُ الْيَمِّ يَهْدِيَنَّ فَنَاظِرَةً يَمْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ⑯ هَلَّا جَاءَ سَلَيْمَنَ قَالَ أَتَيْدُونَ يَمَالِي فَمَا مَاتَنِيَّ، اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا مَاتَنُكُمْ بَلْ أَنْتُ يَهْدِيَنَّكُمْ نَفَرْحُونَ ⑰ اتَّرْجِعُ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْسِيَّهُمْ بِجُنُودِهِ لَا قِبْلَ لَهُمْ يَهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذْلَهُ وَهُمْ صَغِيرُونَ ⑱ قَالَ يَكِيَّا الْمَلَوْا إِنَّكُمْ يَأْتِيَنِي بِعِرْشِهِ أَقْبَلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ⑲ قَالَ عِزِيزُتْ قَنِ الْجَنِّ أَنَا مَإِلِكُ بِهِ، قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَ إِلَيْكَ طَرْفَكَ فَلَمَّا وَلَقِيَ عَلَيْهِ لَقَوْيَ أَمِينَ ⑳ قَالَ أَلَّا لَيْدَى عَنْهُ، عَلَمْ مِنَ الْكَنْتِ أَنَا مَإِلِكُ بِهِ، قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَ إِلَيْكَ طَرْفَكَ فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقِرًّا عَنْهُ، قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَلْوَقَ مَا شَكَرَمَ أَكْفَرُ وَمَنْ شَكَرَ فَلَنَأْشُكُرُ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ كَفَرَ فَلَأَنْ رَفِيْغَنِي كَرِيمٌ ㉑ قَالَ تَكْرُوا لِمَا عَرَشَهَا نَظَرَ أَنْهِيَدِي أَنْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ㉒ فَلَمَّا جَاءَتْ قِلَّ أَهْنَكَادَأَعْرَشَكَ قَالَتْ كَانَهُ، هُوَ وَأَوْنَتِنَا أَلْعَمَ مِنْ قِلَّهَا وَكَادَ مُسْلِمِينَ ㉓ وَصَدَّهَا مَا

كانت تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كُفَّارِينَ ﴿١﴾ قَالَ مَا أَدْعُكُمْ أَصْرَحُ فَلَمَّا رَأَتُهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَاحِبُ شَرَدٍ مِنْ قَوْمَيْرٌ قَالَتْ رَبِّيْ إِنِّي ظَلَّمْتُ نَقْرِيْ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ إِلَهَ رَبِّ الْمَدَائِنِ ﴿٢﴾.

قصة سليمان في القرآن مع ملكة سبا فيها - على دعوى المعارضين - أخطاء ثلاثة:

- 1 - مملكة سبا تأسست في القرن الثامن قبل الميلاد.
 - 2 - لم تعرف سبا مملكة زمن سليمان.
 - 3 - رحلة مملكة من جنوب البلاد العربية إلى فلسطين مستبعدة جدًا؛ لطولها.
- وجواب ما سبق، في الحديث التالي.

المطلب الأول: مملكة سبا في القرن العاشر

يزعم فريق من المنكرين لتاريخية مملكة سبا أن مملكة سبا لم تظهر إلا بداية من القرن الثامن قبل الميلاد؛ بما يجعل الحديث عن مملكة سبئية في القرن العاشر مفارقة تاريخية.

والحق هو أن هذا الاعتراض لا يقوم على دليل تاريخي متبين؛ فإن داعي الاعتراض؛ هو معرفتنا بازدهار سبا بداية من القرن الثامن قبل الميلاد، لا أنها نعلم أنه لم تكن للسبئيين دولة قبل ذلك. ورغم أن إسرائيل فنكليشتاين ينكر تاريخية وجود مملكة في سبا زمن سليمان -عليه السلام-، إلا أنه قال: «رغم أن الأبحاث الأركيولوجية الحديثة قد كشفت على ما يبدو بقايا أقدم من العصر الحديدي في اليمن، فمن الواضح أن مملكة سبا قد بدأت في الازدهار فقط من القرن الثامن قبل الميلاد فصاعداً»⁽¹⁾. فالملكة على هذا الفهم قد وجدت قبل القرن الثامن.

Israel Finkelstein, Neil Asher Silberman, *David and Solomon*, pp.170 - 171 (1)

وقد كان بحث كثث كثشن الرائع حول تاريخ البلد العربية القديمة، من أهم الدراسات التي بيّنت أنَّ مملكة سبأ تعود إلى الألفية الثانية قبل الميلاد، وأنها كانت راسخة الأركان في القرن العاشر قبل الميلاد⁽¹⁾. وممَّا استدلَّ به لذلك استمرار ظاهرة تقنيات الريّ وهندستها - نفسها - منذ منتصف الألفية الثانية، عند دراسة مأرب والمناطق السبيئية الأخرى⁽²⁾.

كما أشار لفرانسي في مقالته «التجارة المبكرة للقوافل بين جنوب البلد العربية وببلاد ما بين النهرين» إلى نشر نصوص جديدة تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد. وهي تضم المعلومات الأقدم عن تجارة القوافل العربية في بلاد ما بين النهرين. وهي نصوص صدرت عن ملك سهو Suhu (عند حدود سوريا والعراق اليوم)، وتتصف باقافية فيها 200 جمل جاءت من سبأ. كما كشفت نقوش آشور ناصر بال الثاني (883 - 859 ق.م.) وسلفه توكلتي نينورتا الثاني (890 - 884 ق.م.) آنه منذ بداية القرن التاسع قبل الميلاد كانت منطقة هنданو المذكورة في نصوص ملك سهو مخرج أهم طرق القوافل من البلد العربية إلى بلاد الرافدين. ولذلك تبه لفرانسي إلى أنَّ تحليل نصوص الجزية يدفع تاريخ معرفتنا بالتجارة بين سبأ وببلاد الرافدين إلى قرابة سنة 890 ق.م⁽³⁾، أي بعد عقود قليلة من وفاة سليمان - عليه السلام -.

المطلب الثاني: لماذا اختفت اسم مملكة سبأ؟

تبه كثشن إلى أنَّ الاستدلال بغياب ذكر مملكة لسبأ زمن سليمان - عليه السلام - خارج الكتاب المقدس، ليس حجة حاسمة لإنكار وجود هذه المملكة، وأنَّ حكم متعجل؛ لأسباب:

أولاً: التاريخ الكامل والدقيق للملوك الأوائل لسبأ لا يزال غير نهائي؛ فهو مجرد

Kenneth A. Kitchen, *Documentation for ancient Arabia. Part I, Chronological framework & (1) historical sources* (Liverpool: University of Liverpool Press, 1994).

Ibid., 131. (2)

Liverani, M. 1992. Early caravan trade between South Arabia and Mesopotamia. *Yemen* 1:111-5. (3)

صناعة افتراضية مما بقي من الآثار⁽¹⁾. وليس بإمكاننا أن نحصي دائناً حكام البلاد؛ فبعضهم قد يملك لأشهر أو لسنوات قليلة لا تترك أثراً في المنشآت التي تصنع أيام حكمهم، والتي هي مصدر معرفتنا الأساسي بذلك العصر. وتاريخ بلاد العرب فيه انقطاعات واضحة، ومن ذلك أن منطقة القرى في الشمال الغربي للجزيرة العربية قد عرفت طفرة ثقافية في القرنين الثالث عشر والثاني عشر، وُعرفت بالتواصل مع مصر أثناء حكم رسميس الثاني، ثم صارت المصادر التاريخية عنها كلية حتى ظهور أخبار معركة قرقور سنة 853 ق.م التي ذكرت أهلها. وكذلك فإن منطقة دلمون في الجهة الشرقية للبلاد العربية والبحرين كانت منطقة مهمة في الألفية الثالثة قبل الميلاد حتى حوالي سنة 1425 ق.م. وقد انقطع الخبر التاريخي عنها بين حوالي 1150 و 720 ق.م.⁽²⁾.

وإن مما يزهد الباحث في القطع بمعرفتنا بملوكات سبا الأوائل أنه على مدى 15 قرناً في جنوب البلاد العربية (حيث سبا)، لا نجد أي شهادة صريحة لأي ملكة سوى شهادة لواحدة، وهي الملكة (Halik - malik) (في حدود 225م)، علماً أنه لم يصلنا خبرها إلا لأنّ أخاها (ملك سبا) قد خطفها من زوجها (ملك حضرموت) لسوء مسلكه⁽³⁾. والراجح أنّ أسماء الملوكات قد ضاعت؛ إذ إن الوثائق الآشورية تخبرنا عما لا يقل عن أربع مملكات متتاليات في شمال البلاد العربية بين 750 - 690 ق.م. ثانية: لا أحد يعلم ما تخيّله الأيام، خاصة أنّ تلال مأرب لا تكاد تعرف حفريات البتة، علماً أنّ المادة التاريخية لسبا في القرن العاشر قبل الميلاد تقع في الأغلب تحت 70 قدمًا أو أكثر تحت «تل» مأرب القديمة⁽⁴⁾.

Kenneth A. Kitchen, 'Sheba and Arabia', in *The Age of Solomon: Scholarship at the Turn of the Millennium*, ed. Lowell K. Handy (Leiden: BRILL, 1997), pp.142, 152.

Kenneth A. Kitchen, 'External Textual Sources - Early Arabia', in André Lemaire; Baruch Halpern, (2) eds. *The Books of Kings: Sources, Composition, Historiography and Reception* (Atlanta, Georgia: SBL Press, 2017) p.382.

Kenneth A. Kitchen, 'External Textual Sources - Early Arabia', p.383. (3)

Kenneth A. Kitchen, 'Sheba and Arabia', in *The Age of Solomon*, p.152. (4)

ثالثاً: إذا كان عامة النقاد على أن سليمان -عليه السلام- إن وُجد، فسيكون حكمه في حدود 970 - 930 ق.م؛ فإنه من الناحية النظرية هناك انقطاع في الخط العائلي بين يدع إيل بنوف وذمار علي الأول؛ إذ لا يزال أمرهما مقتضياً على اجتهاد نظري؛ ولذلك فبالإمكان إقحام حكم ملكة في حدود 970 - 960 ق.م.^(١).

ونضيف إلى ما قاله كتشن شهادة القرآن أن ملكة سبا قد أسلمت بعد أن زارتة في فلسطين، قال تعالى: ﴿قَيْلَ هَا دَخَلَ الصَّنْعَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَثُفَتْ عَنْ سَاقِيهَا فَأَلَّ إِنَّهُ صَاحِحٌ مُعَرَّدٌ بَنْ قَوَارِيرٍ قَاتَتْ رَبِّ إِنِّي طَلَمْتُ تَقْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ شَيْئَنَنَ لَهُ رَبِّ الْمُلْكِمِينَ﴾ (النمل / ٤٤). ولا يتوقع عندها أن يُعيق أهل سبا لملكه (أو زوجة ملك) خبراً على منحوتاتهم؛ إذ هي عندهم خائنة، مرتدة عن دين الآباء والأجداد. ولعلها بعد زيارة فلسطين لم تعد إلى بلدها؛ لعلمها بما آل من ارتدَّ عند قومها عابدي الشمس.

المطلب الثالث: زوجة الملك، الحاكمة؟

يدهب كتشن إلى أن الملكة التي جاء ذكرها في قصة سليمان -عليه السلام- من الممكن أن تكون زوجة ملك كان يحكم سبا. وأن سلطانها ناتج عن تفويض الملك لها كثيراً من السلطات، ومنها التفاوض مع سليمان -عليه السلام-. ومن أمثلة ذلك في التاريخ، حال شجرة الدر مع الملك عز الدين أبيك؛ فقد كانت تملك أثناء حُكمه أمور السياسة في البلاد مدةً من الزمان، حتى قال المؤرخ ابن تغري بردي: «كانت مسؤولة عن أبيك في جميع أحواله، ليس له معها كلام»^(٢).

وهناك احتمال أقوى، وهو أن ملكة سبا كانت أمّا لأحد الملوك القاصرين، وصيحة عليه في إدارة الأمر؛ فإنه في العصر الذي حكم فيه سليمان -عليه السلام- المملكة

K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.117 (1)

(2) جمال الدين بن تغري بردي، *النحو الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة* (القاهرة: دار الكتب العلمية، 334 / 6، 1992هـ)، 1413هـ.

المتحدة - في حدود ما يفترض عند المؤرخين -، كان ثلاثة من الحكام الأربع الذين حكموا سباً، سلسلة: أب ثم ابن. وإذا قلنا إن أحد هؤلاء الملوك كان طفلاً عندما مات أبوه، سهلَ عندها افتراض وصاية أمه عليه⁽¹⁾.

المطلب الرابع: الرحلة من سبا إلى فلسطين

استبعد بعضهم رحلة ملكة سبا إلى فلسطين بما يقارب 1400 ميل؛ باعتبار ذلك أمراً شائقاً، ومخالفاً لعوائد العصر. وهو اعتراض يدلّ على جهلهم بتاريخ العصر؛ إذ التاريخ القديم يشهد أنه في الألفية الثالثة قبل الميلاد، قام سرجون بحملة سافر فيها إلى «جبال الفضة»، عبرَ خلالها 900 ميل. وسافر تحسن الأول والثالث وأمنحتب الثالث (القرن الخامس عشر والرابع عشر) جنوباً من منف إلى شلال النيل الرابع وما وراءه، مسافة 1300 أو 1400 ميل. وفي آخر القرن الثامن، جلب الأمير طهارقة جيشاً من أعلى التوبة إلى منف، من مسافة 1800 ميل. وسار أشوريان وبالوقات من نينوى إلى طيبة ذهاباً وإياباً، مسافة 2700 ميل⁽²⁾.

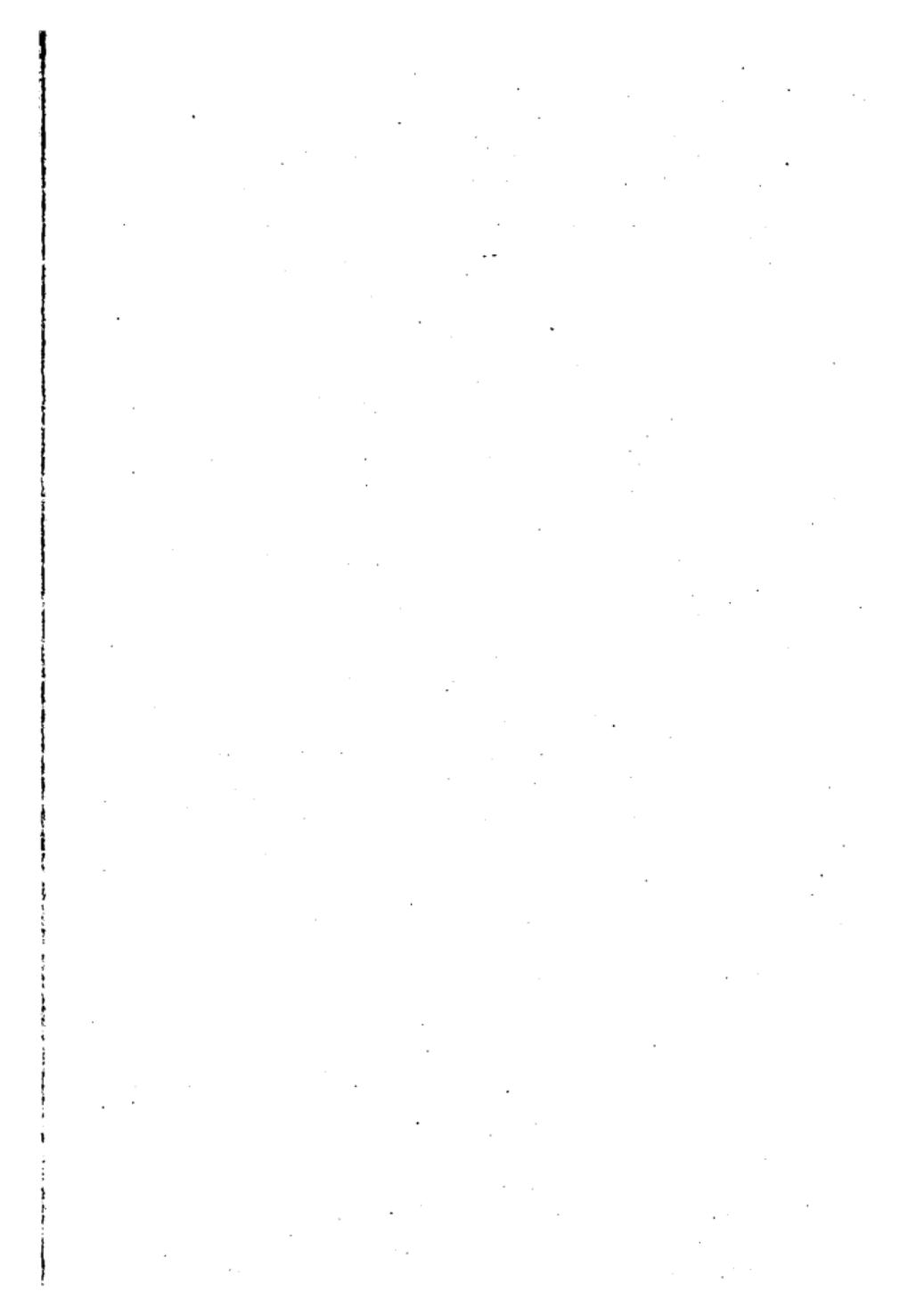
كما أنَّ سَفَرَ القوافل التجارية من سبا وإليها من آشور وغيرها، معروف في القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد، وكذلك إلى فلسطين ودول البحر الأبيض المتوسط. ولم يبدأ هذا التواصل مع بداية القرن التاسع قبل الميلاد؛ إذ المنطقة قد عرفت نشاطاً فلاحياً قائماً على الري قبل ذلك بقرون لكنَّ أخبارها لم تدون إلا متأخراً؛ فإنه لم تجِد الحاجة إلى تبني الحروف الألفبائية والكتابة إلا مع القرن الثالث عشر / الثاني عشر⁽³⁾.

Nicholas Clapp, *Sheba: Through the Desert in Search of the Legendary Queen* (Houghton Mifflin (1) Harcourt, 2001), p.206.

K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.120. (2)
Ibid., p.118. (3)

الخلاصة:

- القول بخرافية شخصية سليمان -عليه السلام-، مع الإقرار بوجود داود -عليه السلام-؛ مذهب لا يكاد يعرف.
- السبب الأول للشكك في تاريخية سليمان -عليه السلام-، الوصف المبالغ فيه لمملكته. وليس في القرآن ذاك الوصف؛ بل في الآيات القرآنية ما يشهد أن عظمة مملكة سليمان -عليه السلام- ليست في سعتها أو ثراء أهلها.



الفصل الثالث

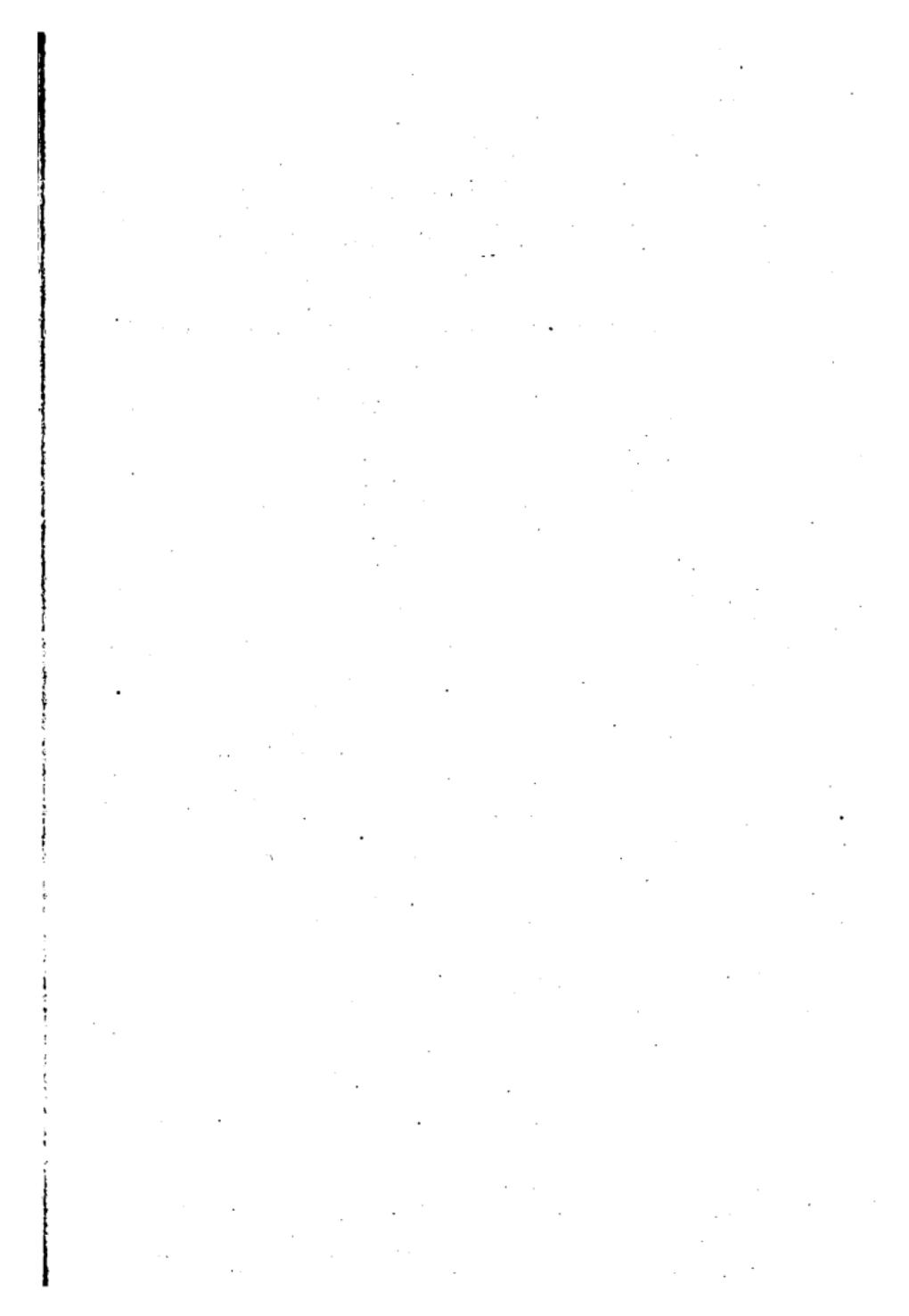
الوجود التاريخي لليسع - عليه السلام -

المبحث الأول: اليسع - عليه السلام - في القرآن والكتاب المقدس

جاء ذكر اليسع - عليه السلام - في القرآن مرتين فقط؛ الأولى في قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَطُوْلَأَ وَكَلْدَأَ فَضَّلْنَا عَلَى الْكَلَيْنِ﴾ (الأنعام / 86)،^(١) والثانية في قوله سبحانه: ﴿وَادْكُنْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلُّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾^(٢) (ص 48).

ليس في القرآن في أمر اليسع - عليه السلام - إذن - أي خبر، غير ذكر نبوته، فلا تفصيل في التاريخ أو الموطن. ولذلك؛ فليس للمؤرخ أن يُظهر أي اعتراض لإنكار وجود هذا النبي وفق الخبر الإسلامي.

وأما الكتاب المقدس، فإنه يذكر اليسع باسم «أليشع بن شافاط» «אֵלִישָׁע בֶּן־שַׁפָּט» في ملوك الأول 19/16. وقد جاءت سيرته في سفر الملوك الثاني 2 - 9 . ومعنى اسمه «الله خلاص». وهو خليفة إلياس - عليه السلام - في العمل النبوي في المملكة الشمالية. وقد أمر الله إلياس - عليه السلام - بمسحه ليكون في عقبه. ويدو آنه كان يدعو أيام الملوك أخبار وأخزيا وبهورام في النصف الثاني من القرن التاسع قبل الميلاد. وقد سكن آبل محولة في وادي الأردن، وكانت له معجزات كثيرة، بعضها شبيه بمعجزات المسيح.

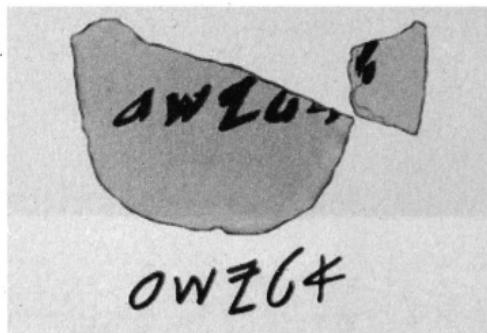


المبحث الثاني: الوجود التاريخي لليشع - عليه السلام -

ليس في روایات سفر الملوك الثاني ما يلزم أن تحفظ به الآثار، وإن كان سفر الملك الثاني يذكر لأليشع نشاطات قرية من النشاط السياسي. ويکفي في هذه الحال حفظ التراث الإسرائيلي لخبر أليشع ليكون وجوده ممکناً أو راجحاً مال لم يقم مانع تاريخي من تصدیق هذه الروایة، ولا مانع.

ومن اللافت أنه قد اکُشفت سنة 2013 في تل رحوب (تل الصارم اليوم) قطعة من الفخار تعود إلى منتصف القرن التاسع، كتب عليها نص قديم بالعبر الأحمر، ومن الممکن قراءة اسم أليشع عليها بوضوح^(١).

رسم لصورة القطعة الفخارية
وعليها اسم أليشع



Noah Wiener, Tel Rehov House Associated with the Biblical Prophet Elisha, Bible and archaeology (1) news, July 23, 2013, Biblical Archaeology Society <<https://www.biblicalarchaeology.org/daily/news/tel-rehov-house-associated-with-the-biblical-prophet-elisha/>>.

ولا نستطيع أن نجزم أن هذه القطعة الفخارية تذكر اسم النبي أليشع، لكن هناك قرائن تجعل هذا الافتراض جاداً، وأهمها أن هذه القطعة الفخارية تعود إلى عصر هذا النبي، وأنها لا تبعد عن آبل محولة - التي كان أليشع يمضي فيها وقتا طويلاً - إلا بضعة أميال، وأن نقشًا يحمل اسم نمشي قد وجد قريباً منها، علماً أنه قد جاء في سفر الملوك الثاني 9/ 1 - 3 أن أليشع قد طلب من أحد تلاميذه أن يمسح ملِكَا على إسرائيل رجلاً اسمه «يَهُو شَافَّاطَ بْنَ نَمْشِي».

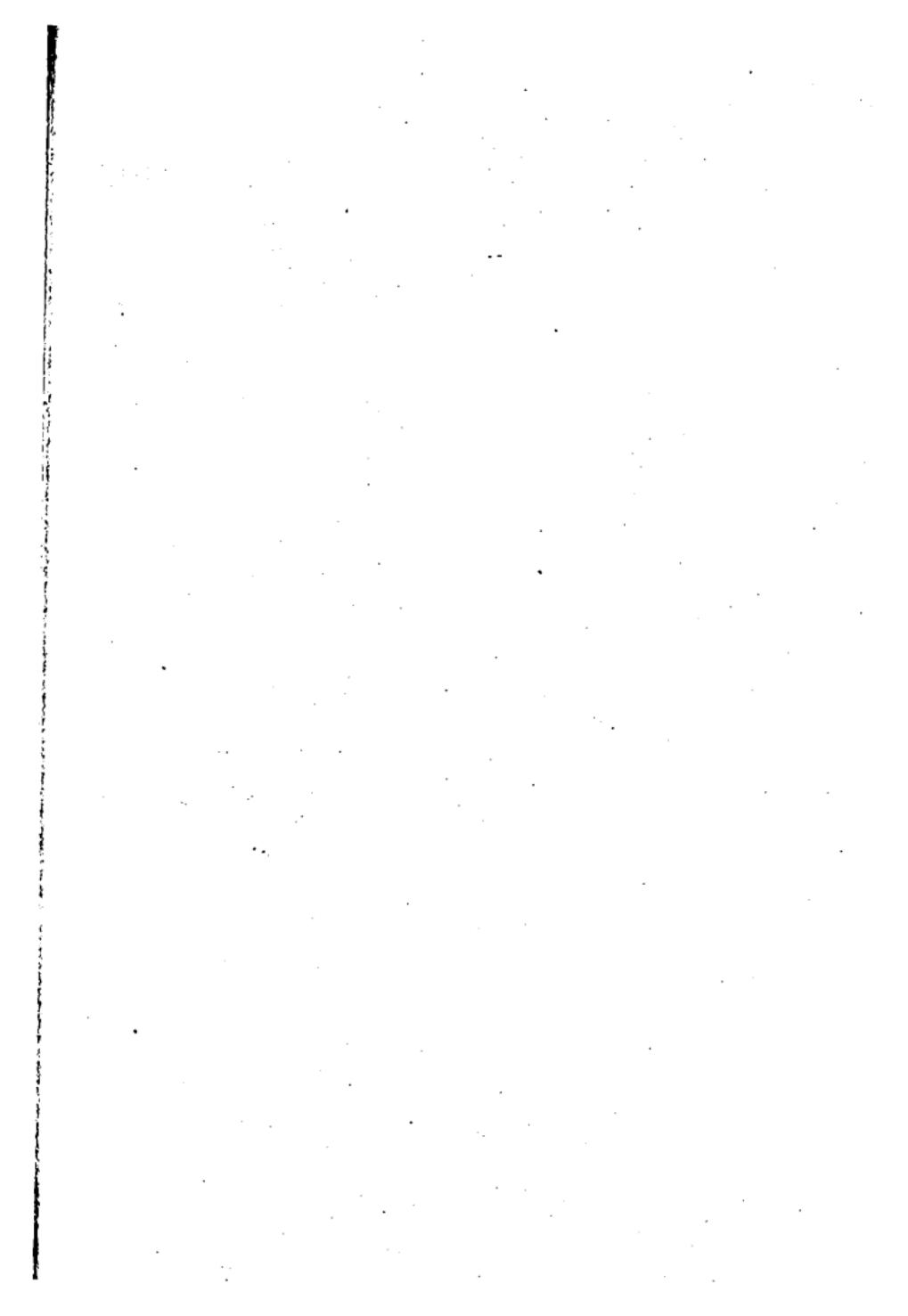
نقش نمشي^(١)



Nava Panitz - Cohen, 'To What God?' *Biblical Archaeology Review* 34.4 (2008): 40, 42, 44-47. (1) <<https://www.baslibrary.org/biblical-archaeology-review/34/4/10>>.

الخلاصة:

- ليس في أخبار اليسع -عليه السلام- في القرآن ما لا بد أن نجد أثره في الكشف الأركيولوجي.
- ليس في خبر القرآن عن اليسع -عليه السلام- ما يخالف حقيقة تاريخية.



الفصل الرابع

الوجود التاريخي لأيوب - عليه السلام -

المبحث الأول: أيوب - عليه السلام - في القرآن والكتاب المقدس

أيوب - عليه السلام -،نبي ارتبط اسمه في القرآن والتراث الإسلامي ، بالصبر؛ فهو المثال الذي يحتذى به في الثبات عند الألواء ، خاصة أوجاع المرض إذا طالت أيامه ، وقد عانى الله أيوب - عليه السلام - بأمره له أن يغتسل بماء بارد ، ويشرب منه ، قال تعالى: «وَإِذْ كُرْتَ عَبْدَنَا أَيُوبَ إِذْ نَادَ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي الشَّيْطَنُ يُمْضِي وَعَذَابٌ ۝ أَزْكَفْ بِرْجِيلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرِيكٌ ۝» (ص / 41 - 42). كما أكرم الله أيوب - عليه السلام - بالمال الوفير . قال - صلى الله عليه وسلم -: «يَنْهَا أَيُوبَ يَغْتَسِلُ عَرِيَانًا ، خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلٌ⁽¹⁾ جَرَادٌ مِنْ ذَهْبٍ فَجَعَلَ يَحْشِي فِي ثُوبِهِ فَنَادَاهُ رَبُّهُ: «يَا أَيُوبَ ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عِمَارَتِي؟!» قَالَ: «بِلِّي يَا رَبِّ ، وَلَكِنْ لَا غَنِيَ لِي عَنْ بَرْكَتِكَ⁽²⁾».

وأما الكتاب المقدس، ف فيه سفر منسوب إلى أيوب - عليه السلام -. وفي فصوله تفاصيل قصته التي ملخصها أنَّ أيوب - عليه السلام - رجل يسكن أرض عيص ۲۶-۳۷ (لا يُعرف مكانها اليوم)، بالقرب من الصحراء، في بيته كان الكلدانيون يقومون فيها بغزوات. وقد كان في نعمة وعافية وثراء. وفي يوم تحدى الشيطان رب ليثبت له أنَّ أيوب - عليه السلام - ما أظهر التقوى إلا بسبب ما به من نعمة؛ فسمح رب للشيطان أن يختبر أيوب - عليه السلام - في أملاكه؛ فقد أتاه الشيطان مالا يقدر إيمانه بعدل رب. ثم طلب الشيطان أن يُسمح له أن يمتحن أيوب - عليه

(1) أي جماعة.

(2) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين (3211).

السلام - في صحته؛ فأظهر أیوب - عليه السلام - الرضى والصبر. ثم جاءه ثلاثة من أصحابه، فجزعوا حاله؛ حتى إنه أظهر السخط وسب يومه لما آتاه أمره، وقال في عدل الله قولًا عظيمًا؛ كصرخته: «فَهُمْنِي لِمَاذَا تُخَاصِّمُنِي أَحَسَّنْ عِنْدَكَ أَنْ تَظْلِمَ، أَنْ تُزَدِّلَ عَمَلَ يَدِنِيَكَ، وَتُشْرِقَ عَلَى مَشْوَرَةِ الْأَشْرَارِ؟» (أیوب ١٠/ ٢ - ٣) ! وفي السفر حديث مطول بين أیوب - عليه السلام - وأصدقائه في فهم الحكمة من الابلاء. ثم تدخل شاب حكيم اسمه أليهو، أدان أیوب - عليه السلام - الذي ظن أن الله يعاقبه رغم برته، وأدان أصحاب أیوب - عليه السلام - الذين لم يحسنوا فهم حكمة الله، ثم تكلم الرب من العاصفة مؤثثاً أیوب - عليه السلام - و沐تماً له. وفي آخر السفر، يظهر أیوب - عليه السلام - ندمه، ويرضى عنه الرب ويباركه. والسفر في جوهره طرح فلسي لمشكلة ابتلاء البار في عالم خلقه الله رحيم.

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لأيوب - عليه السلام -

تتراوح تقديرات النقاد لزمن تأليف سفر أيوب، بين عصر الآباء إلى ما بعد السبي⁽¹⁾، أو حتى من الألفية الثالثة قبل الميلاد وسنة 400 ق.م. وسبب ذلك أنه لا توجد علامة واضحة من الممكن معرفة زمن التأليف من خلالها.

وهو اضطراب يظهر في «قاموس الكتاب المقدس» (تحت إشراف بطرس عبد الملك، النصرياني) الذي قال - رغم طابعه المحافظ والتقليدي -: «ولا يمكن تعين تاريخ كتابة السفر على وجه التحقيق. وقد ظنَّ بعض النقاد أنه كُتب في عصر إرميا. وظنَّ آخرون أنه كتب بعد السبي بسبب الصراع الواضح فيه بشأن الثواب والعقاب. أما لغة السفر فهي بعض من مؤثرات آرامية أو عربية آرامية، وربما تشير إلى تاريخ متأخر لكتابه التسفري. ومع أن بعض العلماء يقولون إنه كُتب حالاً بعد السبي، إلا أنَّ غيرهم يظنون أنه كُتب في القرن الرابع قبل الميلاد تقريباً، كما أن هناك علماء يعتقدون أنه بما أن البيئة والظروف التي يتحدث عنها السفر تشبه البيئة والظروف التي عاش فيها الآباء الأولون فلذلك يحتمل أنه يرجع إلى الألف الثانية قبل الميلاد»⁽²⁾.

واعامة محاولات معرفة زمن تأليف سفر أيوب تعتمد على أمرتين، لغة السفر وعلاقة نصه ببعض المقاطع في أسفار العهد القديم. والبحث عن حلٍ من خلالهما؛ لم يهدِ الباحثين إلى يقين أو ظنٍ غالب قويٍ.

فيما يتعلق بلغة السفر؛ تُخالف لهجة الكتاب طبيعة اللهجة المستعملة في بقية أسفار العهد القديم، مع ثراء لفظي متميز. ولا تشهد أي من نصوص السامية الشمالية الغربية المكتشفة، لهذه اللهجة⁽³⁾. وقد وقع الاختلاف لذلك في اللغة الأصل للسفر؛

John E. Hartley, *The Book of Job* (Wm. B. Eerdmans Publishing, 1988), p.17. (1)

(2) بطرس عبد الملك وأخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص 148.

John E. Hartley, *The Book of Job*, p.17. (3)

فقد قبل هي العبرية، وقيل الآرامية⁽¹⁾، وقيل الأدومية⁽²⁾، وقيل العربية⁽³⁾. وأما تقاطع سفر أيوب مع بقية أسفار العهد القديم؛ فمشكلته عجزنا عن تأريخ هذه المقاطع، بجزم (مثال: مزمور 8، 107، إشعياء 40 - 55)، وصعوبة تحديد النص المتأثر بالآخر، أو إن كان النصان قد تأثراً ببعض ثالث⁽⁴⁾.

خلاصة الأمر في سفر أيوب ما قاله موريس أوسليفان: «هناك أمور قليلة اتفق العلماء والتقاد عليها في شأن سفر أيوب»⁽⁵⁾. وهو ما يجعل القول في الزمن الافتراضي لحياة أيوب - عليه السلام - في التراث التوراتي، محض رمي في عمامة. وأما اسم «أيوب» فمشتق من التراث السامي، وهو معروف خارج الكتاب المقدس؛ ففي إحدى رسائل تل العمارنة (رقم 256) - وتعود إلى حوالي 1350 ق.م. -، يظهر أمير عشتروت في باشان (في كنعان) باسم «أيتاب»، وهي الصيغة الأقدم للاسم. وفي زمن أبكر من ذلك (حوالي 2000 ق.م.)، جاء في وثيقة لعن مصرية ذكر قائد اسمه أييم. واسم أيتوم موجود في الوثائق الأكادية من ماري وألاخ في بداية الألفية الثانية قبل الميلاد. كما جاء اسم أيوب في قائمة أسماء شخصيات القصر في الأوغاريتية⁽⁶⁾.

ليس في الخبر القرآني تفاصيل تاريخية تخبر عن موطن أيوب - عليه السلام - وزمنه أو أي حدث من الممكن أن يتقطنه البحث الأركيولوجي؛ وغاية ما فيه أن أيوب - عليه السلام - من نسل إبراهيم - عليه السلام -: «وَوَهَبْتَنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلَّا هَدَيْتَنَا وَتُوْحَّدَهَدَيْتَنَا مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ ذُرْيَتِنِّهِ دَاؤَدَ وَمُسْلِمَدَ وَأَيُوبَ

N.H. Torczyner, *The Book of Job* (Jerusalem: Hebrew University Press, 1941); N.H. Tur - Sinai, *The Book of Job: A New Commentary* (Jerusalem: Kiryath Sepher, 1957) xxx - xl.

R.H. Pfeiffer, "Edomitic Wisdom", *Zeitschrift für die alttestamentliche Wissenschaft* 44 (1926) 13 - 25. (2)

F.H. Foster, 'Is the Book of Job a Translation from an Arabic Original?', *American Journal of Semitic Languages and Literatures* 49 (1932 - 1933) 21 - 45.

John E. Hartley, *The Book of Job*, pp.17 - 18. (4)

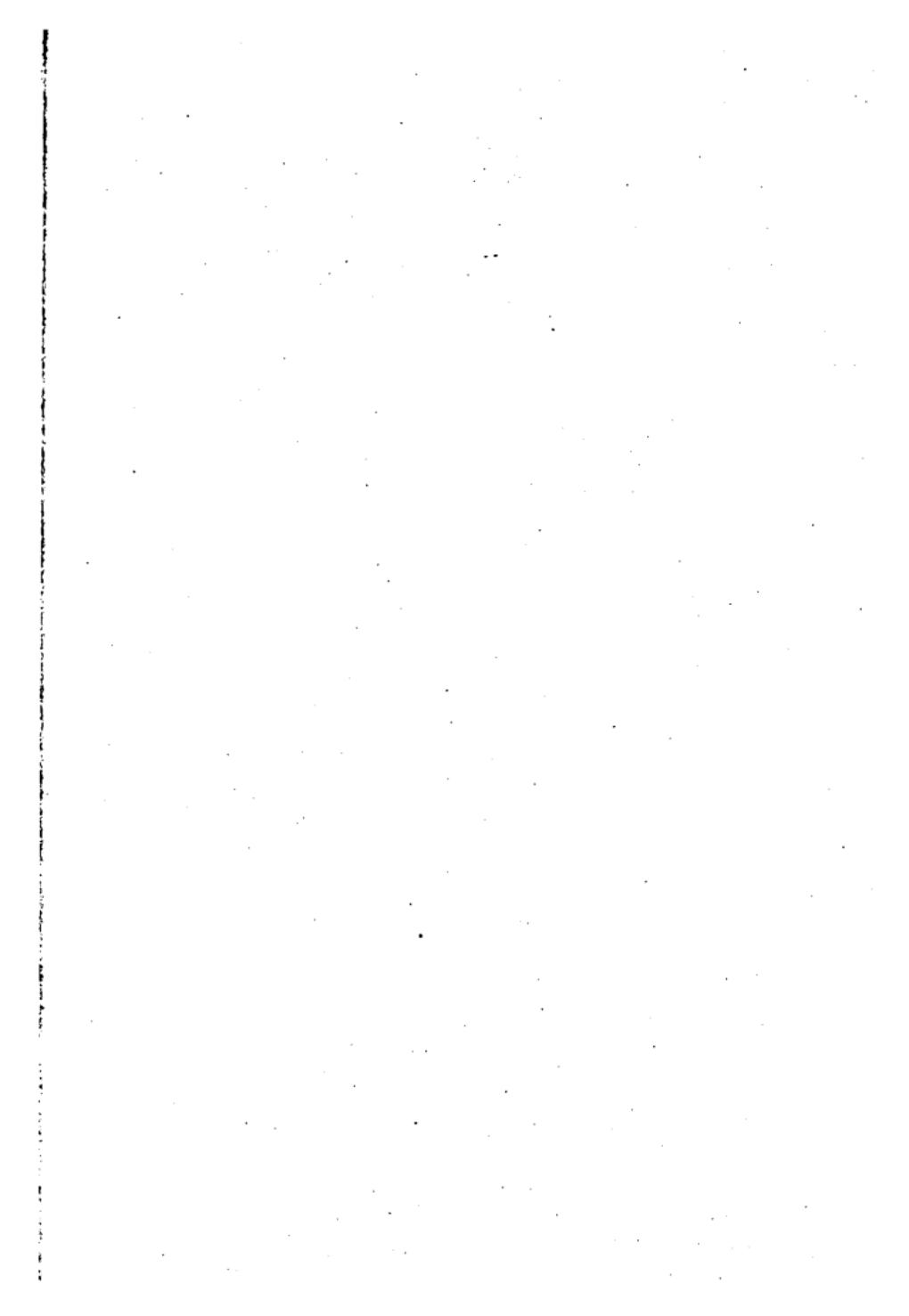
Maurice J. O'Sullivan, *The Books of Job* (UK: Cambridge Scholars Publishing, 2009), p.9 (5)

August H. Konkel, Tremper Longman III, *Job, Ecclesiastes, Song of Songs* (Illinois: Tyndale House, 2016), p.29. (6)

وَيُوْسَفَ وَمُوسَىٰ وَهَرُونَ وَكَذَّالِكَ بَغْرِي الْمُتَخَيِّبِينَ ﴿٤٦﴾ (الأنعام / 84)، وأنه قد أصابه أذى؛ فدعا الله سبحانه أن يرفعه عنه؛ فأجابه الله لما طلبه، وأكرمه وأهله. ولذلك فليس للمخالف أن يتهم القرآن بمخالفة التاريخ المعلوم.

الخلاصة:

- ليس في أخبار أيوب -عليه السلام- في القرآن ما لا بد أن نجد أثره في الكشف الأركيولوجي.
- ليس في خبر القرآن عن أيوب -عليه السلام- ما يخالف حقيقة تاريخية.
- سفر أيوب لم يقربنا إلى القصة الأصلية؛ فهو مجهول التاريخ.



الفصل الخامس الوجود التاريخي لإلياس - عليه السلام -

المبحث الأول: إلياس - عليه السلام - في القرآن والكتاب المقدس

ورد ذكر إلياس - عليه السلام - في القرآن ثلاث مرات، مررتين باسم إلياس: «وَرَأَكُرَا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلَيَّا سُكْنَى كُلِّ مِنَ الْمُصْلِحِينَ» (٨٥) (الأنعام / ٨٥)، «وَإِنَّ إِلَيَّا سَعَى لِيَنَّ الْمُرْسَلِينَ» (١٢٣) (الصفات / ١٢٣)، ومرة واحدة باسم إل ياسين: «سَلَّمَ عَلَى إِلْ يَاسِينَ» (١٣٠) (الصفات / ١٣٠). ولعل تسمية القرآن إلياس إل ياسين، بفضل إل عن بقية الاسم؛ للدلالة على أن اسمه ليس من إلياس، وإنما هو اسم مزجي، نصفه الأول من (إل) بمعنى الله^(١). والعرب تلحق النون بأسماء كثيرة، كما هي تسمية طور سيناء بطور سينين في القرآن، وهي لغة بنى أسد^(٢).

وقد وردت قصة إلياس - عليه السلام - في قوله تعالى: «وَإِنَّ إِلَيَّا سَعَى لِيَنَّ الْمُرْسَلِينَ» (١٢٣) إذ قال لقومه لا تنتظرون (١١٦) أذدعون بعلاً وتذرون أحسن الخاتفين (١١٥) الله ربكم (١٢٤) إذ قال لقومه لا تنتظرون (١١٦) فكذبوا فلما هم مخضرون (١١٧) إلا عباد الله المخلصين (١٢٥) وتركتها عني في الآخرين (١١٨) سَلَّمَ عَلَى إِلْ يَاسِينَ (١٣٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجِزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّمَا من عبادنا المؤمنين (١٣٢) (الصفات / ١٢٣ - ١٣٢). وخلاصة خبره أنه قد أرسل إلى قومه، يدعوهم إلى ترك عبادة البعل، وعبادة الله وحده.

(١) رزوف أبو سعدة، العلم الأعجمي في القرآن مفستراً بالقرآن (القاهرة: دار الهلال)، 2/ 168.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 7/ 37.

واسم إلياس القرآني، من العبرية ﴿אֱלֹהַיָּהוּ﴾ إيلياهو بمعنى: إلهي يهوه. وقد انتقل إلى العرف اللساني العربي قبل الإسلام من اليونانية «إلياس» *«Ηλίας»*، أو من إحدى صورته في السريانية: «إلياس» *«ܐܵܠܝܵܲܶܳ*».

جاء خبر إيلياهو في العهد القديم، في 1 ملوك 17 - 19، 21، و 2 ملوك 1 - 2. وهونبي من بنى إسرائيل عاش في عهد الملك أخاب بن عمري الذي تزوج إيزايل بنت ملك صور التي دعمت عبادة الآلهة الوثنية، واستقدمت كهنة البعل وأنبياءه إلى المملكة. وقد تصدّى النبي إيليا لأنّا خاب وإيزايل وكهنة الإله الكنعاني بعل، بقوة. ثم انتهى أمره أن رفعه الله إليه بعد أن عاش أيام حكم أخزيا بن أخاب، وأنكر عليه هو أيضاً إيمانه بجعل زبوب إله عُثُرون.

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لإلياس - عليه السلام

ليس في الخبر القرآني أي تفصيل تاريخي يقبل الاختبار الأركيولوجي الذي يؤول إلى إثبات وجود إلياس - عليه السلام - أو نفيه؛ فقد اقتصر الخبر القرآني على ذكر أنَّ إلياس - عليه السلام - قد دعا قوماً يؤمنون بالروحية البعل إلى التوحيد. وعبادة البعل قد شهد البحث الأركيولوجي لها في القرن التاسع قبل الميلاد وما بعده في فلسطين^(١). وأما الكتاب المقدس فيخبر أنَّ إلياس - عليه السلام - قد عاش في المملكة الشمالية، زمن الملك أخاب، في القرن التاسع قبل الميلاد.

وكلَّ ما نعرفه عن الملك أخاب خارج الكتاب المقدس، هو ذِكْرُ اسمه في نقش ميشع الذي كتبه الملك الموأبى ميشع الذياني، وهو يذكر انتصارات هذا الملك على بني إسرائيل. وكذلك ذُكر أخاب (على القراءة الأشهر) في نصب كورح الذي يعود إلى السنة 853 ق.م، والذي يذكر الملوك الذين هزمهم الملك الآشوري شلمنصر الثالث في معركة قرقور، ومنهم أخاب.

نقش ميشع (محفوظ في متحف اللوفر في باريس)



Avraham Negev, ed. *Archaeological Encyclopedia of the Holy Land* (New York: Continuum), p.45. (1)

نصب كورح (محفوظ في المتحف البريطاني)



وإذا كان حال أهم شخصية في قصة النبي إلياس -عليه السلام-، وهي شخصية الملك، لا تُعرف في الآثار المحفوظة إلا في أثرين اثنين فقط، أحدهما محل جدل بين العلماء؛ فكيف سيتوافق أن تذكر لنا الآثار اسم هذا النبي الذي عاش مطارداً من هذا الملك؟!

الخلاصة:

- ليس في أخبار إلياس -عليه السلام- في القرآن ما لا بد أن نجد أثره في الكشف الأركيولوجي، باستثناء عبادة البعل.
- يشهد البحث الأركيولوجي لصدق خبر القرآن عن عبادة البعل زمن إلياس -عليه السلام-.
- ليس في خبر القرآن عن إلياس -عليه السلام- ما يخالف حقيقة تاريخية.

الفصل السادس

الوجود التاريخي ليونس - عليه السلام -

المبحث الأول: يونس - عليه السلام - في القرآن والكتاب المقدس

جاء ذكر النبي يونس - عليه السلام - في القرآن في أربع آيات: قوله تعالى:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحَ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُوبَ وَيُوسُفَ وَهَدْرُونَ وَسُلَيْمَانَ وَمَا أَتَيْنَا دَاؤِدَ رَبُورَا﴾ (النساء / 163)، وقوله سبحانه: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلُّا فَضَلَّنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام / 86)، وقوله - جل وعلا -:
﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً مَأْمَنَتْ فَتَعَاهَدُوا إِلَّا قَوْمٌ يُؤْسَرُ لَهَا مَأْمَنُوا كَشَفَنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْغَزِيزِ فِي الْجَوَهِ الْأَذِي وَمَنْعَنَّاهُ إِلَى جِنِ﴾ (يونس / 98)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لَكِنَّ الرَّسُولَينَ﴾ (الصافات / 139).

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أنّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: «ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى»⁽¹⁾. وورد خبره في الكتاب المقدس باسم يومنا بن أمانتي «זֹהָה בֶן־אַמְתֵּי» (ملوك 2 / 14 - 25).

كما لقب القرآن يونس - عليه السلام - بذى التون، أي الحوت: ﴿وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُفْدَصِبًا فَطَئَنَ أَنَّ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ فَكَادَ فِي الظُّلْمَنَتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء / 87)، وهو أيضاً صاحب الحوت: ﴿فَاصِرِ

(1) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى وإن يومن يعن المرسلين إلى قوله وهو مليم، ح / 3234، ومسلم، كتاب الفضائل، باب في ذكر يومنس وقول النبي لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يومنس بن متى، ح / 2376.

لِمَنْ كَرِيْكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْمَوْتِ إِذَا نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٦﴾ (القلم / 48).

للحصن ابن كثير قصّة يونس - عليه السلام -، بقوله: «قال أهل التفسير بعث الله يُونس - عليه السلام - إلى أهل بيته من أرض المُوصِل، فدعاهم إلى الله - عز وجل - فكذبوا وتمروا على كفرهم وعنادهم فلما طال ذلك عليهم من أمرهم، خرج من بين أظهرهم ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاثة.

قال ابن مسعود، ومُجاهد، وسعيد بن جبير، وفادة، وغير واحد من السلف والخلف^(١): فلما خرج من بين ظهرانِهم، وتحقّقوا نزول العذاب بهم، قذف الله في قلوبهم التوبة والإيمان، وندموا على ما كان منهم إلى تبّعهم؛ فلَبِسُوا المسوح وفروا بين كل بيضة ولدِها، ثم عجّوا إلى الله - عز وجل - وصرخوا وتصرّعوا إليه وتمسّكوا لدّيه. وبكي الرجال والنساء والبنين والبنات والأمهات. وجارت الأنعام والدوا بـ والماشي فرغت الإبل وفضلاتها. وخاربت البقر وأولادها. وتقطعت الغنم وحملاتها. وكانت ساعة عظيمة هائلة؛ فكشف الله العظيم بخوله وقوته ورأفته ورحمته عنهم العذاب الذي كان قد اتصل بهم بسببه. ودار على رؤوسهم كقطع الليل المظلم.

ولهذا قال تعالى: «فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً مَاءْتَ فَنَفَّهَا إِيمَانُهَا» (يونس / 98)، أي: ملأ وُجدَت فيما سلف من القروء قريةً آمنت بكماليها؛ فدلّ على أنَّه لم يقع ذلك، بل كما قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَالَ مُتَّرَوْهَا إِنَّا بِإِيمَانِ إِسْلَامِهِ كَفِرْوْنَ» (سبأ / 34)^(٢).

وأما الكتاب المقدس، فيخبر عن قصّة يونس - عليه السلام - في سفر يونان. وهو سِفر صغير يتكون من أربعة فصول. وتفاصيل قصته بعيدة عن طابع القصص القرآني؛ فإن يونان قد أرسل من الله سبحانه إلى أهل نينوى، غير أنه كرّه ذلك لأنه خشي أن

(١) لا يخلو هذا السرد في تفاصيله من إسرائيليات (الاتفاق الخبر القرآني).

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية (بيروت: دار الفكر، 1407 هـ - 1986 م)، 1 / 387.

تصيّبهم رحمة الله (ربما لأنّه نبي إسرائيلي، مُبغضٌ لأهل نينوى، أشهر أعداءبني إسرائيل)؛ فحاول الفرار من الأمر، وركب سفينة ذاهبة إلى ترثيش، غير أن عاصفة عظيمة هبّت، وكانت تغرقها. ولما اقترب أهل السفينة لمعرفة من هو الخاطئ منهم الذي كان سبباً لل العاصفة، وقعت القرعة على يونان الذي أخبرهم آله «هارب من وجه ربّه». ولم يرموه في البحر، سكت الأمواج. ثم التقط حوت عظيم يونان، وأبقاء في بطنه ثلاثة أيام وثلاث ليال.

دعا يونان في جوف الحوت الله أن يُنجيه؛ فألقاه الحوت في البر، وأمره الله أن يسيراً في نينوى، ويُخبر أهلها أنها ستُقلب بعد أربعين يوماً. وعلى إثر سماع أهل نينوى لهذا النذير، تابوا، وأظهروا الخضوع والخشوع والتندم؛ الملك ومن معه، والعامة. ولما رأى ربّ توبتهم المفاجئة، ندم على العذاب الذي هددتهم به، ولم يهلكهم.

اغتمت لذلك يونان، واغتاظ؛ لأنّه كان يريد هلاك أهل نينوى؛ حتى إنّه قال مؤثّباً للرب (!): «آه يا ربّ، أليست هذا كلامي إذ كنّت بعده في أرضي؟ لذلك بادرت إلى الهرّب إلى ترثيش، لأنّي علّمتُ أنّك إله رؤوفٌ ورحيمٌ تطليُ الغضبِ وكثير الرّحمة ونادمٌ على الشرّ. فالآن يا ربّ، خذ نفسِي مِنِّي، لأنّ موتِي خَيْرٌ منْ حَيَاّتي» (يونان 3-4 / 2).



المبحث الثاني: الوجود التاريخي ليونس - عليه السلام -

ليس في سفر يونان تحديد لتاريخ زمن هذا النبي. ومع ذلك يربط عامة الباحثين يونس - عليه السلام - بزمن رباعم الثاني ملك السامرة في القرن الثامن قبل الميلاد؛ متحججين بما جاء في 2 ملوك 14 / 23 - 25: «فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ عَشَرَةً لِأَمْضِيَابْنِ يُوَآشَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ فِي السَّامِرَةِ إِخْدَى وَأَبْعِنَ سَنَةً. وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ. لَمْ يَحْدُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ حَطَاطِيَا يُرْبَعَامَ بْنَ تَبَاطَ الَّذِي جَعَلَ إِسْرَائِيلَ يُخْطِيُّ. هُوَ رَدَّ تُخْمَ إِسْرَائِيلَ مِنْ مَدْخَلِ حَمَّةَ إِلَى تَحْرِيرِ الْعَرَبَةِ، حَسَبَ كَلَامَ الرَّبِّ إِلَيْهِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ عَنْ يَدِ عَبْدِهِ يُونَانَ بْنِ أَمْتَايِ النَّبِيِّ الَّذِي مِنْ جَهَّ حَافِرَ».

والتسليم أنَّ «يونان بن أمتاي» في السفرين السابقين شخص واحد، لا يُلزمنا بشيء؛ لأننا لا نسلم صحة ما جاء في سفر الملوك الثاني؛ لأنقطاع إسناده إلى أصل الأخبار، ولما فيه من أخطاء تاريخية، خاصة أنَّ الإشارة فيه إلى يونان النبي كانت عابرة، وخارطة.

لم يبق لنا إلا أن ننظر في سفر يونان؛ لأنَّه قد كتب لتفصيل الحديث في أمر هذا النبي؛ ولكنَّ هذا السِّفر مجھول التاريخ؛ إذ ليست فيه أي إشارة إلى حدث تاريخي له شواهد من خارجه؛ كاسم ملك أو اسم معركة، ولا يُعرف مؤلفه ولا زمان تأليفه من طريق موثوق من التراث الإسرائيلي. كما أنَّ فيه إشكالات تاريخية؛ كحديثه عن «ملك نينوى» (يونان 3 / 6، 7)، رغم أنَّ نينوى لم تكن مملكة، وإنما كانت تابعة لكيان سياسي أكبر، وحديثه عن حجم نينوى الذي هو أعظم بكثير من حجمها الحقيقي (يونان 3 / 6)⁽¹⁾.

Steven L. McKenzie, *How to Read the Bible: History, Prophecy, Literature* (Oxford: Oxford University Press, 2005), p.9.

ولعل أعدل ماجاء في سفر يونان، قول معجم الكتاب المقدس «عامةً، تشير طبيعة الكتاب والاعتبارات المختلفة المذكورة أعلاه إلى أن هذا الكتاب ليس من تأليف نبي القرن الثامن يونان المذكور في سفر الملوك، وأن الكتاب هو تأليف متاخر عن ذلك بمدة كبيرة، وإن كانت التواريخ المقترحة تتراوح من القرن السادس إلى القرن الرابع. مشكلات تاريخ السفر نفسها، تجعل من المستحيل تحديد شخصية المؤلف، بمجرد استبعاد النبي نفسه»⁽¹⁾. ثم إننا لو سلمنا أنَّ يونس -عليه السلام- قد عاش في القرن الثامن قبل الميلاد، وأنه من جت حافر (ملوك 14 / 25) -القريبة من الناصرة-، وأنه سافر إلى نينوى، المدينة الآشورية؛ فلسنا نجد ما يجعل علمنا بوجوده أثريًا أمَّا راجحًا؛ فإنه لم يكن صاحب سلطان سياسي أو عماز عظيمة، كما أنَّ نينوى لم يصبها العذاب المُهلك؛ لغفو الله سبحانه عن أهلها في خاتم القصة.

كما شَكَّ كثير من الباحثين في تاريخية يونس -عليه السلام- لأنَّ في أبرز فصول قصته خارقةُ ابتلاءِ الحوت له ثم لفظه بعد ذلك حيًّا. وأمر هذه الخارقة ليس من مباحث النظر الأركيولوجي؛ فلن تخبر به أسوار نينوى ولا آيتها ولا نقوشها. وأمرُ تصديق الخوارق، فرع عن الإيمان بالله؛ فمن آمن بالخالق الذي أنشأ الوجود من عدم، وخلق الشجر وأنزل المطر، ورفع الجبال ومهد السُّبُل، لا يعجزه أن يحفظ نبيًّا في بطنه حوت أيامًا أو دهْرًا. فالإنسان يملك بخارقة إلهية أن يعيش دون تنفس، ويعجز الحوت أن يهضمه لإرادة الله سبحانه ألا يكون ذلك. والقول إنه لا يوجد حوت لا يتسع بطنَه لإنسان، غير صحيح؛ فإنَّ حوت العبر الذي يبلغ معدَّل طول الذكور البالغة منه 16 متراً، يتسع بطنَه لذلك⁽²⁾.

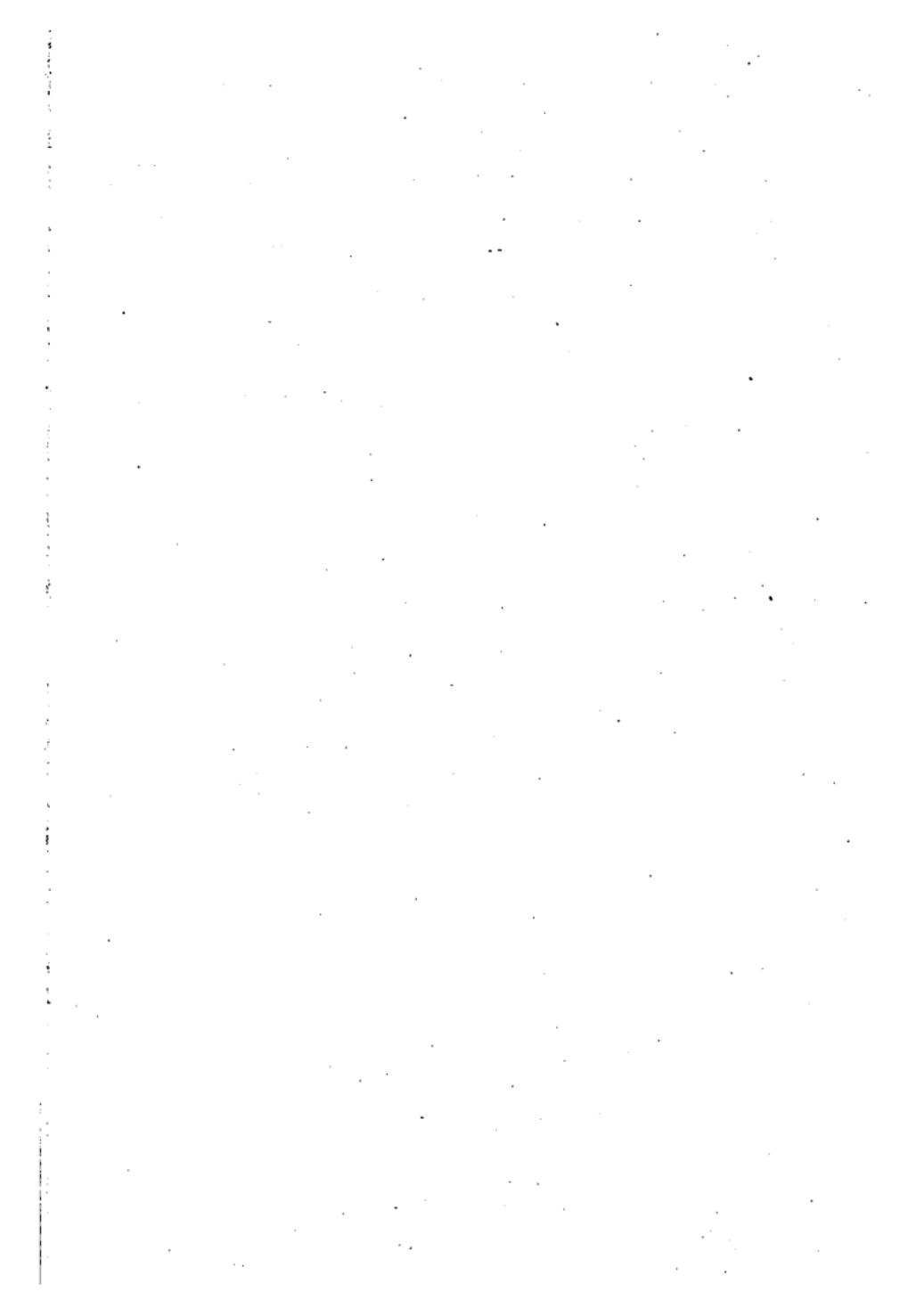
J. Magonet, art. Jonah, Book of, *The Anchor Yale Bible Dictionary*, 3/941. (1)

(2) أشار جليسون آرتشر إلى عدد من الحوادث الموقعة التي ابتلعت فيها حيتان ضخمة بعض البشر. ونجا هؤلاء رغم ذلك من الموت.

Gleason L. Archer, *A Survey of Old Testament Introduction* (Chicago, IL: Moody Press, 1965), p.303.

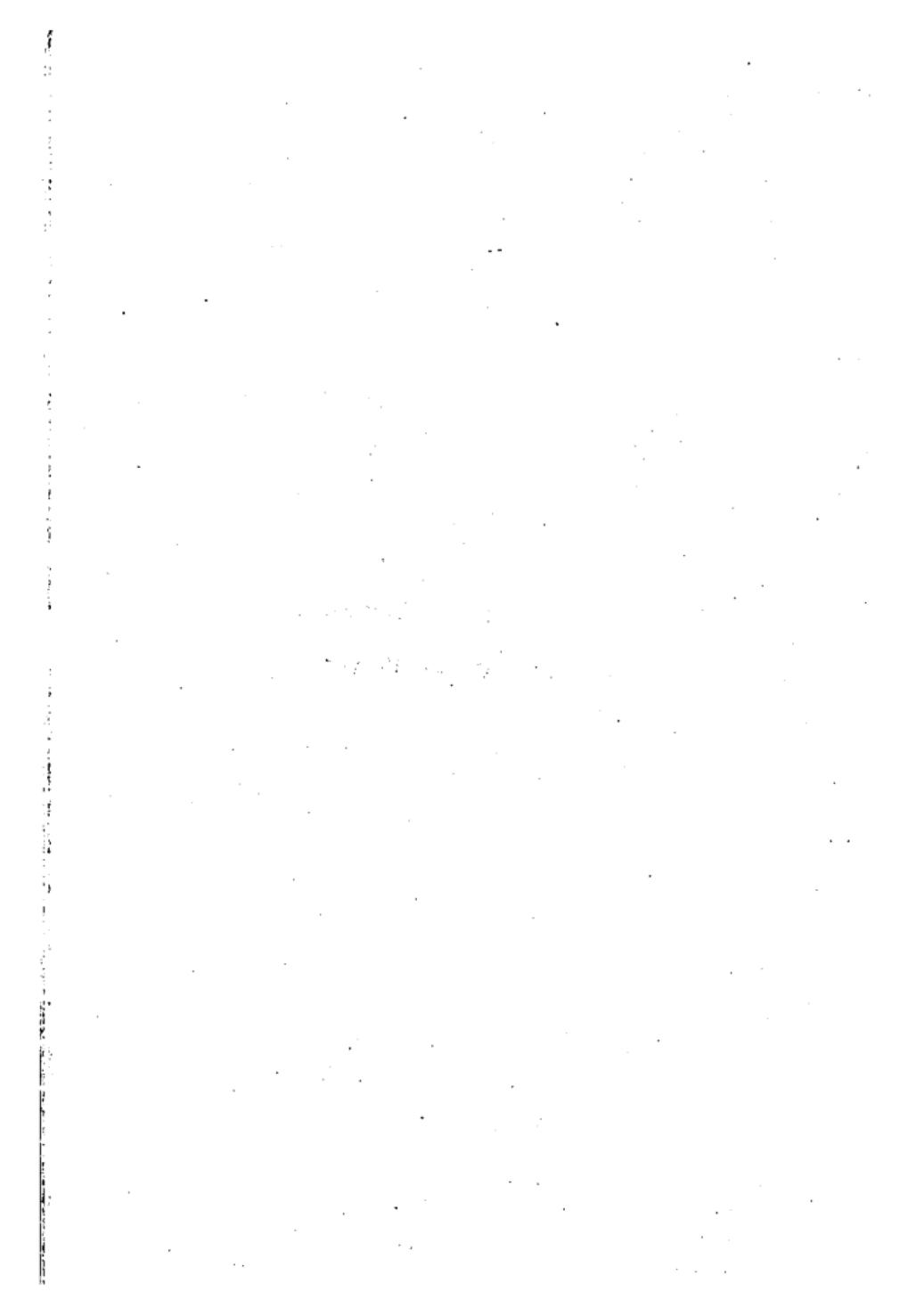
الخلاصة:

- ليس في أخبار يونس -عليه السلام- في القرآن ما لا بد أن نجد أثره في الكشوف الأركيولوجية.
- ليس في خبر القرآن عن يونس -عليه السلام- ما يخالف حقيقة تاريخية إنكار تاريخية شخصية يونس -عليه السلام- بسبب إنكار معجزة ابتلاء الحوت له، لا يقوم على أساس أركيولوجي، وإنما يقوم على أساس عقدي، طبيعاني، يُنكر الخوارق.
- ليس في القرآن أي تحديد لزمن يونس -عليه السلام-. ولذلك، لا حجّة لمن أراد أن يستنكر تاريخية هذا النبي؛ لاستبعاده إيمان أهل نينوى في القرن الثامن قبل الميلاد بنبي التوحيد.

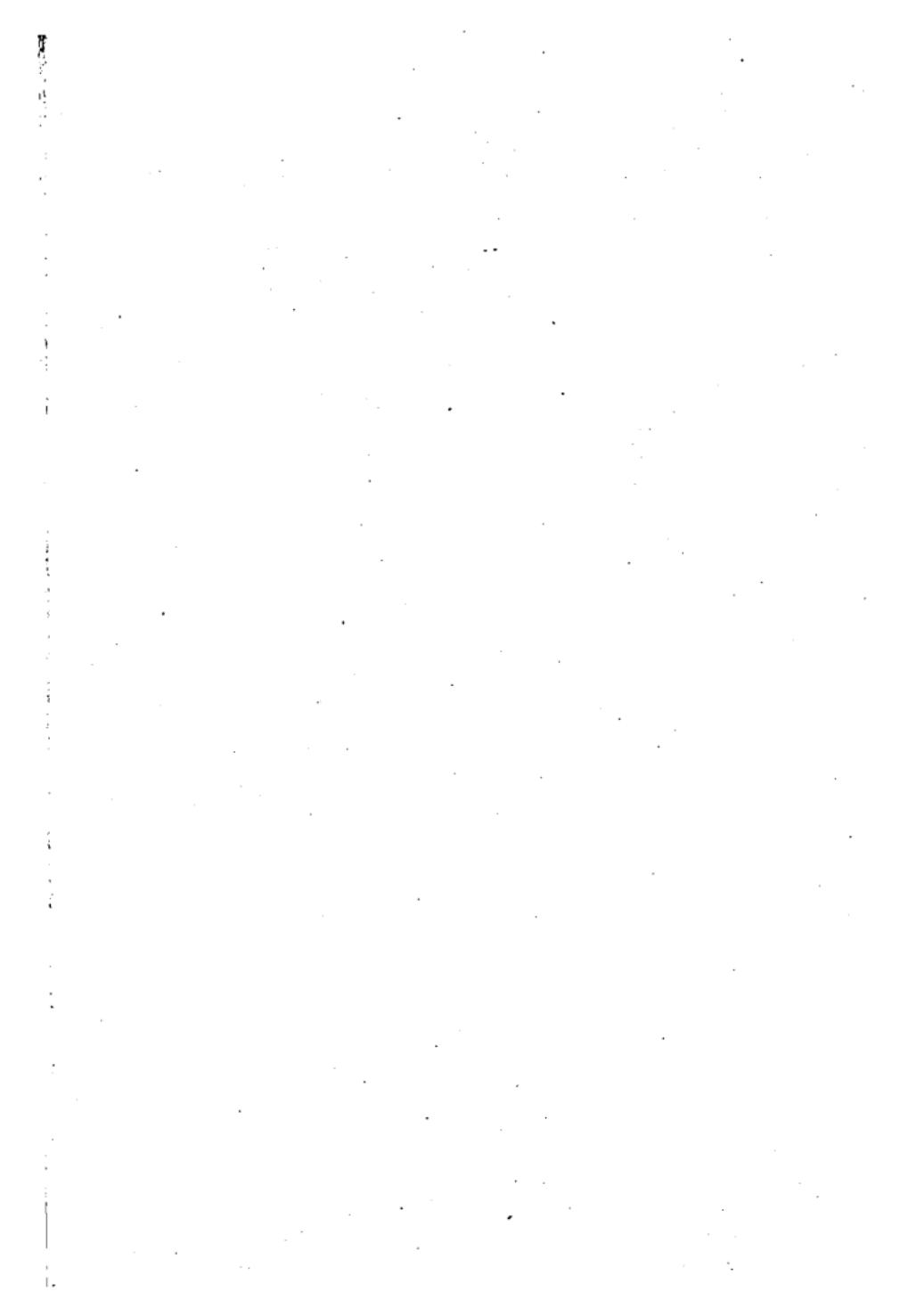


الباب الرابع:

**الوجود التاريخي للأئمّة
قبل الألفية الأولى قبل الميلاد**



يقع خبر أنبياء القرآن في الألفية الثانية قبل الميلاد في مساحة تاريخية أقلّ وضوحاً في ملامحها مما تلاها؛ ولذلك فالقول فيها يطلب مزيداً من التأني والتمهل والتواضع، قبل إطلاق الدعاوى العريضة سلبًا أو إيجابًا؛ فإنّ المبادرة إلى حسم ما لا يبدو جلياً، برهان التكليف وتحكّم الأغراض الأولى في قيادة البحث التاريخي.



الفصل الأول

الوجود التاريخي لموسى وهارون - عليهما السلام -

المبحث الأول: موسى وهارون - عليهما السلام - في القرآن والكتاب المقدس

موسى - عليه السلام -،نبي من نسل يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام -، أحد أولي العزم من الرسل. لم يُذكر في القرآن خبر نبي بتفصيل وتكرار مثل خبره. نزلت عليه التوراة التي اتبعها بعده جميع أنبياءبني إسرائيل. ولم تُنسخ إلا بنزول القرآن. وقد جاءت قصة أخيه هارون - عليه السلام - في ثانيا قصته مع فرعون وما كان في رحلة التي.

خلاصة قصتها - عليهما السلام - أن موسى - عليه السلام - قد ولد في زمن استضعفاف فرعون لبني إسرائيل في مصر. ولما خشيت عليه أمه أن يُقتل، ألهمت أن تضنه في تابوت، وترميه في اليم. وساقه الله سبحانه بعد ذلك في الماء إلى زوجة فرعون التي طلبت الاحتفاظ به لتربيته.

نشأ موسى - عليه السلام - في قصر حاكم مصر، ثم لما بلغ واشتَدَّ عوده، خرج من مصر إلى مدين بعد أن قتل مصرئياً - بعد أن ضربه لزجره لا لازهاق روحه - كان يتضارب مع إسرائيلي. هناك، وبقي لسنوات⁽¹⁾، وتزوج من ابنة رجل مدياني.

حن موسى - عليه السلام - إلى أهله في مصر، فرجع مع زوجه إليها. وفي الطريق إليها أمره الله سبحانه عند جانب الطور أن يذهب إلى فرعون وملته، وبعث معه أخيه هارون - عليه السلام -، عوناً له؛ لدعوة فرعون إلى الإيمان، وإطلاق بنى إسرائيل

(1) عشر سنوات على الأرجح.

ليذهبوا مع موسى وهارون - عليهما السلام -. -

لقي موسى وهارون - عليهما السلام - فرعون؛ فدعوه إلى عبادة الله وحده، وأن يرفع أذاه عن بنى إسرائيل، ويتركهم يعبدون الله حيث شاؤوا، وأظهر موسى - عليه السلام - أمامه الآيات العظيمة الخارقة، إلا أن فرعون كذب وطغى، واستمر في إيداع بنى إسرائيل واضطهادهم. فيسر الله سبحانه لبني إسرائيل في هذه المحنة سبيل الخروج من مصر، وجعل لهم أرض البحر يبساها، غير أن فرعون تبعهم وجذبه؛ فأطريق الله سبحانه عليه البحر؛ فهلكوا.

طلب موسى - عليه السلام - من بنى إسرائيل غزو أورشليم، إلا أن بنى إسرائيل جبنوا خوفاً من أهلها؛ فكتب الله - سبحانه - عليهم التيه أربعين سنة لا يجدون مخرجاً. وفي أثناء التيه أكرمهم الله بالخوارق لحفظهم من الهلاك، لكنهم استمروا في إظهار الفساد. وقد مات موسى - عليه السلام - قبل انتهاء سنوات التيه كاملة. ورثت أهم تفاصيل قصة موسى وهارون - عليهما السلام - عند أهل الكتاب في سفر الخروج في الكتاب المقدس. والقصة مشابهة للخبر القرآني كثيراً، وعامة الاختلافات في التفاصيل لا في مراحل تطور القصة من ولادة موسى - عليه السلام - إلى التيه، فمن الاختلافات أن الذي التقط موسى - عليه السلام - من الماء ابنة فرعون لا زوجته، وأن الذي صنع العجل هارون - عليه السلام - لا السامرية.

بعض الاختلافات بين القصتين لها وزن خاص في البحث الأركيولوجي في قصة موسى وهارون - عليهما السلام -، ستأتي الإشارة إليها لاحقاً.

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لموسى وهارون - عليهما السلام -

قصة موسى وأخيه هارون - عليهما السلام -، في مصر وخارجها، غنية بالأحداث التاريخية، وكثير منها غير قابل للرصد الأرثيولوجي؛ كوضع أم موسى ابنها في النهر بعد ولادته، وضرب موسى - عليه السلام - لأحد الإسرائيليين ضربة قاتلة، ولقائه بابتي رجل مدين، وزواجه من إحداهما، وذبحه البقرة في قصة النفس المقتولة في سورة البقرة، وقصة السبت واحتياطبني إسرائيل على أحكام الشريع، وقصة موسى - عليه السلام - مع الرجل الصالح في سورة الكهف، وإطعامهبني إسرائيل - بمعجزة المن والسلوى... فإن حفظ هذه الأمور ليس من طبيعة السجلات التاريخية لمصر أو مدنٍ أو غيرهما.

ونحن إذا نظرنا إلى قصة موسى وهارون - عليهما السلام - كما وردت في القرآن؛ نلحظ أن فيها أحديًا من الممكن أن توجد لها آثار تذكرها أو تشهد لها، وهي:

• حياةبني إسرائيل في مصر: قال تعالى: ﴿تَنَوَّا عَلَيْكُمْ مِنْ تِبَأْ مُؤْمِنٍ وَقِرْعَوْنَ إِلَّا حَقَّ لِقَوْمٍ يُقْصَدُونَ﴾ (٢) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَىٰ فِي الْأَرْضِ وَحَمَلَ أَعْنَاهَا شَيْعَةً يَسْتَصْعِفُ طَالِيفَةً مِنْهُمْ بُدَيْعَ أَبْنَاهُمْ وَيَسْتَخِي، نَسَاءُهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (١) (القصص / ٣ - ٤).

• تربية موسى - عليه السلام - في قصر فرعون: قال تعالى: ﴿وَأَوْجَحْنَا إِنَّ أَمْرَ مُوسَى لَأَنَّ أَرْضَ عِيهِ فَلَمَّا خَفِتَ عَلَيْهِ فَكَأْلَقَهُ فِي الْبَرِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزِنْ إِنَّ رَادُوْهُ إِلَيْكُمْ وَجَاعُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧) فَالْفَقَطُهُ مَا أَلَّ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَّوْا وَحَزَّنُوا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَنْ وَجْهُهُمْ كَانُوا حَطَبِيْعَتَهُ (٨) وَقَالَتِ أَمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي وَلَكَ لَا نَقْتُلُهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ تَسْخِدَهُ وَلَدَأْهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩) (القصص / ٧ - ٩).

- ادعاء فرعون الألوهية: قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ أَخْذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنْ أَمْسِجُونِكَ﴾ (الشعراء / 30).
- اضطهاد فرعون لبني إسرائيل، وقتل أبنائهم لشلا يتکاثروا: قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْئًا يَسْتَصْبِعُ طَالِقَةً تِنْهَمَ يَدْبِغُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَخْنِي، نَسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص / 4).
- تحدي موسى وهارون - عليهم السلام - لفرعون مصر على مشهد من الناس: قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَأْتِيَنِي فِرْعَوْنٌ إِلَيَّ رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١) حَقِيقٌ عَلَى أَن لَا أَوْلَى عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْنَاهُكُمْ بِيَنْتَهَى مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسَلْتَ مَعِيَ بَقِيَّةَ إِسْرَائِيلَ﴾ (٢) قَالَ إِنِّي كُنْتَ جِئْنَتِي بِآهٍ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣) قَالَنَّا عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تُغْبَانُ مُؤْمِنِينَ﴾ (٤) وَزَرَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِصَالَةِ الْنَّاظِرِينَ﴾ (٥) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّكَ هَذَا لَسَيْرُ عَلَيْمٍ﴾ (٦) يُرِيدُ أَن يُغْرِبَكَ بِنَ أَنْتَكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (٧) قَالُوا أَتَرِبْهُ وَأَخْاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَشِيشِينَ﴾ (٨) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحِيرٍ عَلَيْهِ﴾ (٩) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّكَ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا تَخْنُنُ الْغَلَبِيِّينَ﴾ (١٠) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَنِّي الْمُقْرَبِينَ﴾ (١١) قَالُوا يَأْمُوسَقَ إِمَّا أَن تُلْقِنَ وَإِمَّا أَن تُكَوِّنَ تَخْنُنَ الْمُلْتَقِيِّينَ﴾ (١٢) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقُوا سَحَرُوا أَغْيَتَ النَّاسِ وَأَسْتَرَهُوْمُ وَجَاهُوهُ وَسَخِيرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) * وَأَوْجَحَتَا إِلَى مُوْسَقَ أَن أَلْقِي عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تُلْقَتُ مَا يَأْكُونُ﴾ (١٤) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَتَمَلَّوْنَ﴾ (١٥) فَعَلِلُوا هُنَالِكَ وَأَنْقَلُوا صَغِيرِينَ﴾ (١٦) وَالْقَرَى السَّحَرَةُ سَعِيدِينَ﴾ (١٧) قَالُوا إِنَّا يَرِبَّ الْمَلَائِكَ رَبِّ مُوسَى وَهَدَرُونَ﴾ (١٨) قَالَ فِرْعَوْنَ مَامَنْتُمْ بِهِ، قَبْلَ أَنْ مَادَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَتَكْرُ مَكْرُوشَةٌ فِي الْعَرَبَيَّةِ لَتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا مَسْوَقَ تَعَلَّمُونَ﴾ (١٩) لَأُفْطِمَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْبَلُكُمْ مِنْ جَلْفِ ثِمَ لَأُصْلِلُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٢٠) قَالُوا إِنَّا إِن

رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا نَقْمُ مِنَ إِلَّا أَنْ مَأْمَنًا يَأْتِي رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبِّنَا أَفْغَى عَلَيْنَا صَبَرًا وَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٧﴾ (الأعراف / 104 - 126).

الأوبئة التي أصابت المصريين: الطوفان والجراد والقتل والضفادع والدم: ●
قال تعالى: «وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ مَاءٍ يَرْسَعُنَا هَبَّا فَمَا مَنَّ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالجِرَادَ وَالْقَمَلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ مَأْتَى مُعَذَّلَتِ فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٩﴾ (الأعراف / 132 - 133).

انفلات البحر، وهو حدث وإن كان معجزة؛ فقد شهده الجيش المصري: ●
قال تعالى: «فَلَمَّا تَرَهُ الْجَمَاعَانِ قَالَ أَنْصَبْتُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُوكُونَ ﴿٢٠﴾ قَالَ كَلَّا إِنْ مَعَ رَبِّنَا سَهِيْلِينَ ﴿٢١﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ مُوعِنَ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَابَ الْبَحْرِ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالظُّرُورِ الْعَظِيمِ ﴿٢٢﴾ وَأَزْفَنَاهُمُ الْآخَرِينَ ﴿٢٣﴾ وَأَعْيَنَا مُوسَى وَنَّ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٢٤﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٢٥﴾ (الشعراء / 61 - 66).

رحلة التيه أربعين سنة، وإطعامهم المن والسلوى، وظهور الماء لهم: قال ●
تعالى: «قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتَهَوَّنُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسُ عَلَى الْقَوْمِ الْفَسِيقِينَ ﴿٢٦﴾ (المائدة / 26).

اختياربني إسرائيل صنم العجل ليكون لهم إليها: قال تعالى: «وَمَا أَعْجَلَكُمْ عَنْ قَوْمَكَ يَنْتَسِيْسِي ﴿٢٧﴾ قَالَ هُمْ أُفْلَأُهُمْ عَلَى أُثْرِيْ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّيْ لِتَرْضِيْ ﴿٢٨﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَاهُ قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ الْأَسَارِيْرِيْ ﴿٢٩﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَيْهِ قَوْمِهِ عَضْبَنَ أَسِفًا قَالَ يَقُولُ اللَّهُ يَعْدِكُمْ وَعْدَنَا حَسَنًا أَنْفَلَنَا عَيْتَكُمْ الْمَهْدُ أَمْ أَرْدَتُمْ أَنْ يَحْلَّ عَلَيْكُمْ غَصَبٌ مِنْ رَبِّنَا فَأَخْلَقْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٣٠﴾ قَالُوا مَا أَخْلَقْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكَنَا وَلَنْكَا حُمَّلْنَا أَوْرَادًا مِنْ رِبَّنَةِ الْقَوْمِ فَقَدْ فَتَنَاهُ فَكَذَلِكَ أَلْقَ أَسَارِيْرِي ﴿٣١﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجْلًا جَسَدًا لَهُ حُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُنَا مُوسَى

فَتَسْعَ (٢٦) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَعْمًا (٢٧) وَلَدَّ
قَالَ لَهُمْ هَرُونُ مِنْ قَبْلُ نَعْوَرْ إِنَّمَا فَيْتَشَمُ بِهِ، وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَلَا يَعْوَنُ وَلَا يَطْعَمُوا
أَنْرِي (٢٨) قَالُوا نَأْتَنَّ بِنَيْرَ عَلَيْهِ عِنْكَفِينَ حَقَّ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (٢٩) (طه / 83 - 91).

والناظر في الأخبار السابقة، يلحظ أنها في النظر التاريخي تنقسم إلى صفين؛
أخبار عليها شواهد تاريخية، وأخرى لا شواهد عليها إلى الآن. وليس الأمر كما يقول
دعاة خرافية قصة موسى - عليه السلام -، من أنها كلها محض خرافة.

المطلب الأول: أخبار لها شواهد تاريخية

الغالب على عامة علماء المصريات المعтинين بقصة موسى - عليه السلام - في مصر الاعتقاد أنّ موسى - عليه السلام - قد عاش تحت حكم رمسيس الثاني (على الأقل فترة من حياته)^(١). والناظر في قصة هذا النبي وقومه في ضوء ما نعرفه من التاريخ المصري القديم، سيلحظ أنّ لهذه القصة شواهد مباشرة وغير مباشرة من تاريخ هذه الأرض تلك الفترة.

أ. وجود بني إسرائيل زمن الفراعنة

اكتشف فلندرز بيترى سنة 1896 م لوحة تذكارية لفرعون مصر مربتاخ بن رمسيس الثاني تعود إلى سنة 1210 ق.م، أو إلى ما بعد ذلك بقليل. وقد ذكر اسم «إسرائل» في السطر السابع والعشرين من النص المنقوش على اللوحة.

هذه القصيدة منقوشة على لوحة تذكارية من الجرانيت الأسود، وقد أقيمت في معبد الملك الجنائزي، وعلى لوحة في معبد الكرنك كما يستدل على ذلك بقطعة وجدت هناك. وهي قصيدة مضمونها الفخر بالنصر الذي أحرزه الملك على الليبيين في السنة الخامسة من حكمه (1220 ق.م)، وما لحق عدوه من خسائر، والرخاء

James K. Hoffmeier, *Israel in Egypt: The Evidence for the Authenticity of the Exodus Tradition*, p.126 (1)

الذي عَمَّ الْبَلَادَ بَعْدَ هَذَا الْاِنْتِصَارِ؛ حَتَّى «الْحَيْوَانُ قَدْ تُرَكَ جَائِلًا دُونَ رَاعٍ» فِي حِينَ أَنَّ
«أَصْحَابِهِمْ يَرْوُحُونَ وَيَغْدُونَ مُغْتَنِينَ، وَلَيْسَ هُنَاكَ صِبَاحٌ قَوْمٌ مُتَوَجِّعِينَ». وَفِي خَتَامِ
الْقُصِيدَةِ يُعَدَّ الشَّاعِرُ الْقَبَائِلِيُّ أَوَّلَ الْأَقَالِيمِ الَّتِي أَخْضَعَهَا «مَرْبَتَاج»⁽¹⁾.

وَنَفَرَأُ عَلَى هَذِهِ الْلَّوْحَةِ النَّصُّ التَّالِيِّ:

«يَقُولُ الرُّؤْسَاءُ مُنْطَرِحِينَ أَرْضًا: السَّلَامُ

وَلَمْ يَعْدِ يَرْفَعَ وَاحِدًا مِنْ بَيْنِ قَبَائِلِ الْبَدْوِ «تَسْعَةُ الْأَقْوَاسِ»⁽²⁾ رَأْسَهُ.

وَالْتَّحْنُونُ قَدْ خَرَبَتْ.

وَبِلَادُ خَاتِيٍّ أَصْبَحَتْ مَسَالِمَةً.

وَكَنْعَانُ أُسِيرَتْ مَعَ كُلِّ خَبِيثٍ.

وَأُزْيَلَتْ عَسْقَلَانَ.

وَجِيزَرُ قُبِضَ عَلَيْهَا.

وَبِنَوَامُ أَصْبَحَتْ لَا شَيْءَ.

وَإِسْرَائِيلُ خَرَبَتْ وَلَيْسَ لَهَا بَذْرٌ.

وَخَارُو⁽³⁾ أَصْبَحَتْ أَرْمَلَةً لِمَصْرَ.

وَكُلَّ الْأَرْاضِيِّ قَدْ وَجَدَتْ التَّلْمِ.

وَكُلَّ مَنْ ذَهَبَ جَائِلًا أَخْضَعَهُ مَلْكُ الْوَجْهِ الْقِبَلِيِّ وَالْبَحْرِيِّ بَنْعٌ - مَحْبُوبٌ - آمُونَ.

ابْنُ الشَّمْسِ مَرْبَتَاجُ مُنْشَرِحٌ بِالصَّدْقَ.

مُعْطِيُّ الْحَيَاةِ مُثْلُ رَعٍ كُلِّ يَوْمٍ⁽⁴⁾.

(1) سليم حسن، الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1940م)، 214/2.

(2) اسم قديم لأعداء مصر المجاورين لها.

(3) فلسطين.

(4) سليم حسن، الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة، 2 / 218 – 219.

وقد كتب الأركيولوجي ويليام ديفر في تلخيص موقف النقاد من نص اللوحة: «يتفق جميع العلماء على أن التاريخ محدد في هامش أقل من خمس سنوات بحسب فلكي، وأنَّ قراءة «إسرائيل» مؤكدة؛ وأنَّ «إسرائيل» متبوعة بعلامة مصرية للأمم أو عالمة محددة لـ«شعوب»، بدلًا من عالمة مملكة أو دولة - مدينة أو ما شابه ذلك؛ وبالتالي فلا بدَّ أنَّ هذه العالمة متعلقة بتعيين مجموعة عِرقية خاصة؛ وأنَّ هذا الكيان - أياً كان - كان متميًّا في أذهان المصريين عن الكنعانيين والحواريين والشاسو البدو أو غيرهم من الجماعات في كنعان المعروفة لدى المصريين والمذكورة في هذا النص وغيره من النصوص المصرية»^(١).

علامة القوم الأجانب الموضوعة عند اسم إسرائيل



١١١

- إننا - إذن - أمام نص تاريخي قديم مثير:
- من العصر الافتراضي لموسى - عليه السلام -.
- يذكر كلمة إسرائيل .

العلامة الموضوعة بجانب كلمة «إسرائيل» مختلفة عن العالمة الموضوعة للكلمات الأخرى، والتي هي عالمة الدول أو البلاد الأجنبية؛ إذ وضعت «إسرائيل» عالمة هي صورة رجل وامرأة للدلالة على أن الحديث عن جماعة من الناس ليست لهم دولة؛ فلا أرض لهم يملكونها.

William G. Dever, *What Did the Biblical Writers Know and When Did They Know It?*, p.118. (1)

تعود هذه اللوحة إلى السنة الخامسة من حكم مرتبتاح بن رمسيس الثاني. ويرى العلماء الذين ينتصرون للقول إنَّ مرتبتاح الفرعون الذي غرق في البحر أثناء مطاردة موسى -عليه السلام- وقومه - و منهم إميلي شتاين، رئيس قسم المcurities في الجامعة العبرية -، أنَّ هذه اللوحة تذكِّر حالبني إسرائيل تحت حُكم مرتبتاح، وقبل الخروج؛ فهي مُخبرة عن وجود «إسرائيل» دون أرض لأهلها، وأنَّ الفرعون قد نجح في قتل ذريتهم؛ إفناه بذرهم (هو وأبواه من قبله)⁽¹⁾. وهو ما جاء في سورة البقرة / 49: «وَلَذِكْرَنَّكُمْ مِنْ مَا لَيْ فَرَعَوْنَ يَسْمُونَكُمْ سُوَّالْمَلَابِ يَدْخُلُونَ أَنْتَهَى كُمْ وَسَتَحْمِلُونَ يَسْأَمَّ وَفِي ذَلِكَمْ بَلَّامَةٌ مِنْ رَيْكُمْ عَظِيمٌ»⁽¹⁾، وسفر الخروج / 22: «ثُمَّ أَمَرَ فِرْعَوْنَ جَمِيعَ شَعِيرِهِ قَاتِلًا: «كُلُّ ابْنٍ يُولَدُ طَرْحُونَهُ فِي التَّهْرِ، لِكِنَّ كُلَّ إِبْرَهِ يَسْتَخْيُونَهَا». ويرى الذين يقولون إن فرعون الخروج هو رمسيس الثاني مذهبًا آخر في تفسير الإشارة إلى إسرائيل في اللوحة⁽²⁾.

وقد حاول التيار الأركيولوجي المتطرف التشكيك في أهمية هذا الشاهد على وجود إسرائيل ذاك الزمن؛ بالقول إننا أمام شاهد واحد لهذه الدعوى. والحق أنَّ وجود شاهد واحد موثوق يكفي لإقامة الحجة أمام القضاء في إثبات مثل هذه الأمور. وكم من خبر عن الحضارات القديمة في بلاد الرافدين أو كنعان أو البلاد العربية يُسلِّم النقاد لحججته بشاهد تاريخي واحد!

Maurice Bucaille, *Moses and Pharaoh in the Bible, Qur'an and History* (Kuala Lumpur: Islamic Book (1) Trust, 2008), p.94.

عبارة «إنفاس البذر»، هنا، تمثل الحديث عن تدمير إسرائيل في نصب ميشع؛ فالمعنى الإنihan لا الإيادة.

(2) انظر رشدي البدراوي، موسى وهارون عليهما السلام (قصص الأنبياء والتاريخ، الجزء الرابع) (القاهرة: د.ن.، 1998)، ص. 668 - 677.

لوحة من نبات
المتحف المصري بالقاهرة



اسم إسرائيل على لوحة من نبات



ب. ادعاء فرعون الألوهية

لم تذكر التوراة ادعاء فرعون الألوهية، وخالفها القرآن في هذا الأمر، إذ ذكر ادعاه الألوهية، وجعل ذلك أمراً مركزاً في قصة موسى - عليه السلام - وصراعه مع حاكم مصر. ويعرف الباحثون النصارى وغيرهم اليوم بصحبة الخبر القرآني عن فرعون موسى - عليه السلام - ؛ إذ تدلّ النقوش المصرية القديمة وغيرها على ادعاء

كثيرٍ من الفراعنة الْأُلوهية، ومنها رمسيس الثاني.

يقول جون كورد - المتخصص في الدراسات التوراتية والأركيولوجيا - عن الفرعون في مصر: «اعتبره المصريون صاحب قدرة مطلقة بسبب تلك السلطات المنسوبة إليه. لقد حكم الأرض كإله، كابن لرع وتحتَّ له... وكاجتمع لأنَّه مصر العليا والسفلى. نصب سع حتب رع من أبيdos يأمر بعبادة الملك نَي ماعت رع (أنمنحات الثالث، 1844 - 1797 قبل الميلاد) كإله:

عبدوا الملك نَي مات رع، حيَا إلى الأبد، داخل أجسادكم، وجلالته في قلوبكم.
إنه إدراك في قلوب الرجال،
وعيناه تفحص كلَّ جسد.

إنه رع، الذي يرى الناس من خلال أشعته
هو الذي يُنير الأرضين أكثر من قُرُونِ الشمس....
هو الذي لا يكون إلا خلقه
لأنَّه خنوم⁽¹⁾ جميع الأجساد.

وصف المصريون فرعون بأنه أَبِيدِي، يستحق العبادة، وكلّ العلم؛ منح مصر الوجود والقوَّة. وعلَّموا الناس أنه كان «كا»: قوة حياة مصر وروحها. وكان تاج الأفعى يرمز إلى تألِّيه وعظمته. عندما جعل موسى هارون يقذف ثعبان العصا أمام فرعون، كان يهاجم مباشرة رمز السيادة الفرعونية؛ لقد كان المشهد مليئاً بالسخرية. وعندما ابتلعت عصا هارون عصي السحراء المصريين، هوجمت الْأوهية فرعون وقدرته المطلقة، ورفضتا كلية⁽²⁾.

(1) خنوم: إله عند المصريين القدماء، خلق الإنسان من طمي التل.
John Currid, *Ancient Egypt and the Old Testament* (Grand Rapids, Mich.: Baker Books, 1999), pp.93 - (2).

وقد ألف لبيب حيشي (1906 - 1984) - عالم المصريات الكبير، صاحب الصيت في الأوساط العلمية في العالم - (وهو نصراني) كتاباً يعنون: «Features of the deification of Ramesses II» في بيان مظاهر تاليه رمسيس الثاني كما ظهر في الآثار المصرية.

ولخص صاحب كتاب: «الآلهة والبشر في الشرق الأدنى القديم» حال دعوى الوهية الفرعون عصر رمسيس الثاني، بقوله: «حمل رمسيس الثاني دعوى الوهية إلى مستوى آخر تماماً... وصفَ نصب 410 في متحف هيلدسهایم⁽¹⁾ - ألمانيا - رمسيس الثاني بعبارة: «ملك مصر العليا والسفلى، رب الأرضين، رمسيس - مريامون، الإله». لم يكتفي رمسيس الثاني بإعلان نفسه ملكاً أو حاكماً بأمر الإله، وإنما أعلن أنه لا شيء غير «الإله»⁽²⁾.

نصب 410 في متحف هايلشيم



ت. الولع بالسحر في مصر

جاء في القرآن والتوراة أن فرعون قد تحدى موسى -عليه السلام-؛ بأن أحضر له السّحرة لمعاقبته. ولم يكن اختيار فرعون للسّحرة اعتباً؛ فقد كان أمر السّحر رائجاً في الثقافة المصرية القديمة على صورة واضحة، يحتفي به العامة والخاصة كثيراً. ومن ذلك ما جاء في برديّة وستكار، أو قصّة خوفو والسّحرة؛ إذ يظهر فيها الفرعون «خوفو» مغرماً بقصص السحر. ومن قصص البرديّة التي تُروى للفرعون؛ قصة الكاهن «أوبا أوونز» الذي لما علم خيانة زوجته مع شابٍ، صنع من الشّمع كهيئة

Roemer - und Pelizaeus - Museum Hildesheim (1)

Tyson L. Putthoff, *Gods and Humans in the Ancient Near East* (Cambridge: Cambridge University Press, 2020), p.42.

التمساح، وألقاه في البحيرة؛ فبَثَتْ فيه الروح بعد أن قرأ عليه الكاهن من تتماته السحرية. ولما نزل عشيق الزوجة إلى الماء، أمسك به التمساح وغاص به إلى القاع، ثم أخبر الكاهن الملك بما كان من زوجته، وأخذه إلى البحيرة حيث أراه التمساح. وعند رؤية الملك للتمساح، ارتاع؛ فانحنى الكاهن ليلتقط التمساح الذي عاد مباشرة إلى حاله الأولى، دُمِيَّةً من الشمع.

و جاء في البردية أيضًا ذكر قصة الساحر «ددي» الذي برع في السحر حتى إنه أوتي القدرة على أن يلحم الرأس المقطوع، ويدلل الأسد لإرادته. وقد ذاع صيته حتى إن الفرعون «خوفو» استدعاه ليختبره؛ فقدم له إوزة ثم ثورًا مفصولي الرأس؛ فردا الرأس إلى بقية الجسد. ثم أعاد الفرعون اختباره ببطأ وثور مفصولي الرأس؛ فنجح مرتة أخرى في الاختبار⁽¹⁾.

ثـ. مدينة بر - رمسيس

تقوم دعوى خرافية شخصية موسى -عليه السلام- على أن التراث التوراتي - اليهودي عن موسى -عليه السلام- ومقامه في مصر، كله اختلاق متاخر جدًا، بعد قرون من عصر رمسيس الثاني.

والناظر في التوراة اليهودية يرى أن فيها بقايا تاريخية تشهد لتراث قديم محفوظ من الألفية الثانية للميلاد. ومن أمثلة ذلك إخبار سفر الخروج ١ / ١١ أن موسى -عليه السلام- قد ولد في زمن حكم الفرعون الذي أمر ببناء مدينة رمسيس (لعام ٥٥). والناظر في التاريخ يدرك أن خبر مدينة بهذا الاسم كان مطويًا في القرن الثامن قبل الميلاد وما بعده؛ فقد تحولت عاصمة شرق الدلتا قبل نهاية الألفية الثانية قبل الميلاد من بر - رمسيس إلى تانيس، ولم تزدهر بر - رمسيس سوى 250 سنة (حوالي 1270 - 1120 ق.م)⁽²⁾; أي إن «بر - رمسيس قد غابت عن النصوص بعد الأسرة

(1) محمد يحيى مهران، بنو إسرائيل (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1999)، 1 / 292 - 294
James K. Hoffmeier, *Ancient Israel in Sinai: The Evidence for the Authenticity of the Wilderness Tradition* (New York; Oxford: Oxford University Press, 2005), p.57

العشرين ولم تعد إلى الظهور بعد غيبة طويلة إلا في القرن الثالث قبل الميلاد⁽¹⁾؛ بما يثبت أن القصة التوراتية لموسى -عليه السلام- ليست أثراً عن جغرافيا القرن السابع قبل الميلاد أو ما بعده على دعوى أنصار مدرسة «الحد الأدنى»⁽²⁾. وهذا يتجلّى كثيراً من خلال نص مزמור 11/78 - 12 الذي يتحدث عن بنى إسرائيل زمن موسى -عليه السلام-: «وَنَسْوَا أَفْعَالَهُ وَعَجَابَتِهِ الَّتِي أَرَاهُمْ. قُدَّامَ آبَائِهِمْ صَنَعَ أَغْجُوبَةً فِي أَرْضِ مِصْرَ، بِلَادِ صُونَعَنْ». وهاهنا تحدث صاحب المزمور الذي كتب بعد عصر داود -عليه السلام- في الألفية الأولى قبل الميلاد (والمنسوب لأساف)، عن صوعن المسماة تانيس Tāvēwōs [تانيوس] عند اليونان⁽³⁾. ولا ذكر لصوعن في الأسفار الخمسة المنسبة إلى موسى -عليه السلام- إلا مرة واحدة عابرة في سفر العدد 13/22. وسبب ذلك أنّ تراث خبر موسى مرتبط بالقصة الأولى لما كانت بر - رومسيس هي العاصمة، وأما تانيس فقد صارت العاصمة زمن الأسرة الحادية والعشرين (945 - 1078 ق.م.).

ج. اختيار بنى إسرائيل لصنم العجل ليكون لهم إلهًا

جاء في القرآن والتوراة اليهودية أنّ بنى إسرائيل قد اتخذوا صنماً على صورة العجل إلهًا، قال تعالى عن قول بنى إسرائيل لموسى -عليه السلام-: «قَالُوا مَا أَخْلَقْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حِلْمَنَا أَوْ زَادَنَا مِنْ زِيَّةِ الْقَوْمِ فَقَدْ فَتَنَّنَا فَكَذَّلَكَ الَّذِي أَسَأَرَنَا⁽⁴⁾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِبْرَلَاهُ جَسَدًا لِهِ حُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَلَهُ مُؤْمِنٌ فَتَسَوَّ⁽⁵⁾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قُولًا وَلَا يَعْلَمُ لَهُمْ صَرًا وَلَا تَقْنَمًا⁽⁶⁾» (طه/ 87 - 89).

وجاء في التوراة: «وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي التَّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: قُمْ اصْبِنْ لَنَا إِلَهًا تَسِيرُ أَمَانًا، لَأَنَّ هَذَا مُوسَى الرَّجُلُ

Manfred Bietak, 'On the Historicity of the Exodus: What Egyptology Today Can Contribute to Assessing the Biblical Account of the Sojourn in Egypt', in Israel's Exodus in Transdisciplinary Perspective, p.29.

K. A. Kitchen, On the Reliability of the Old Testament, p.256. (2) V. H. Matthews, M. W. Chavalas & J. H. Walton, The IVP Bible background commentary: Old Testament (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2000), Ps 78:12 (3)

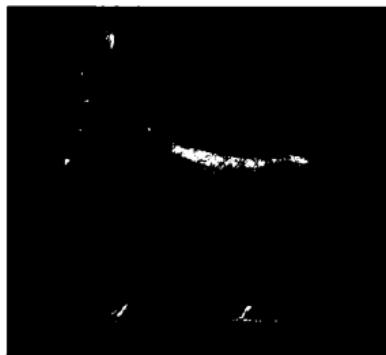
الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لَا نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ». فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: «إِنْزِعُوا أَفْرَاطَ الدَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيَّكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَأَتُونِي بِهَا». فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَفْرَاطَ الدَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. فَأَخْتَدَ ذَلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالْأَزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلًا مَشْبُوكًا. فَقَالُوا: «هَذِهِ الْأَيْمُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ» (الخروج ٣٢ - ٤).

وبعيداً عن الخلاف بين القرآن وتوراة اليهود في تحديد من قام على صناعة العجل من حلي بني إسرائيل (هارون - عليه السلام - أم السامرية)؛ لنا أن نقول إن خبر عبادة بني إسرائيل صنماً على صورة عجل يحمل مصداقية تاريخية من جهة علاقة ذلك بمعتقدات القوم الذين عاش بينهم بنو إسرائيل.

يقول عالم المصريات د. محمد بيومي مهران: «وليس هناك من ريب في أن هذا، إنما كان، مرة أخرى، من تأثير الوثنية المصرية على بني إسرائيل، ذلك أن عبادة العجل في مصر جد عميقة الجذور، إذ ترجع إلى ما قبل عصر موسى بكثير، إلى أيام الأسرة الأولى حوالي عام ٣٢٠٠ ق.م، ثم استمرت حتى ظهور المسيحية وغابت عنها، ويذهب «والتر إمري» إلى أن العجل كان في نظر القوم، رمزاً للقوة في الحروب، كما أنه رمز للإخصاب، في نفس الوقت، وأن عبادته بدأت منذ أيام الأسرة الأولى، اعتماداً على تصوير ملوك هذه الأسرة على هيئة ثيران، هذا وقد اشتهرت هذه العبادة باسم «مرور وعي» (منفيسي وأبيس في تصحيف اليونان) حيث عبد الأول في «أون» (عين شمس) رمزاً للإله الشمس رع، وعبد الثاني في منف مدينة بناح، رمزاً للإله بناح. وقد احتفظ المصريون في معبد بناح بالعجل المقدس «أبيس»، دون أن تكون هناك علاقة ما بين الإلهين، على الأقل في العصور القديمة. كما أن «بناح» لم يتصور أبداً على هيئة ثور، ولم يعتقد أحد أنه تجسد في ثور، ولم يعتبر أبيس كروح للإله بناح، إلا على أيام الدولة الحديثة، وإن كان هناك اعتقاد يجعل من «أبيس»، وكذا «منفيسي» عجل أون، رسولين يقومان بتبلیغ الرسائل إلى إلههما، وهو اعتقاد يرجع كذلك إلى

عهد الدولة الحديثة (١٥٧٥ - ١٠٨٧ ق. م)^(١).

أبيس
متحف اللوفر، فرنسا



ح. التراث واللغة المصريان

انتهى عالم المصريات جيمس هوفرماير في كتابه «إسرائيل القديمة في سيناء» إلى إثبات وجود عدد كبير من الكلمات المصرية القديمة في قصة موسى - عليه السلام -، خاصة ما تعلق منها بالظواهر المادية للعبادة في زمن النبي (خيمة العبادة...)^(٢). وقد سبقته إلى ذلك كارول مايرز بقولها: «من الممكن إظهار أنَّ عدَّة خصائص للمعبد المتحرك، هي من الناحية الأركيولوجية واللغوية، والتاريخية، ذات أصول في ثقافة الشرق الأدنى في آخر العصر البرونزي وببداية العصر الحديدي، عصر موسى ويوشع والقضاة»^(٣). وكانت قد ذكرت أنَّ خيمة الاجتماع «أجل موعد التي كانت مكان

(١) محمد يوسي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، في مصر (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م)، ص ٣٥٢ - ٣٥١.

James K. Hoffmeier, *Ancient Israel in Sinai: The Evidence for the Authenticity of the Wilderness Tradition*, pp. 221 - 222.

Carol L. Meyers, 'The Elusive Temple,' *BA* 45, no. 1 (1982): 37. (3)

العبادة في عصر التيه - كما وصلنا وصفها في التوراة - تحمل علامات التصميم والتكنولوجيا المصرية. وهو ما ذكره أيضًا مايكل هومان⁽¹⁾؛ ببيانه أن خيمة الاجتماع توافق في شكلها وتفاصيلها وزيتها خيمة الفرعون رمسيس الثاني في الحروب⁽²⁾. واستنتجت مايرز من ذلك أن هذا التأثير لا يمكن أن يعزى إلا إلى آثار عصر تالي مباشرة للعصر الذي ذكر النقاد أنه زمن خروجبني إسرائيل من مصر⁽³⁾.

وجمع الناقد التوراتي غاري رندزبورغ⁽⁴⁾ قائمة من العناصر المنسوبة إلى التراث المصري في قصة الخروج. وانتهى إلى أن القصة في سفر الخروج 1/15 «تُظهر بشكل متكرر الإمام بالتقاليد المصرية»⁽⁵⁾.

كما رجح المؤرخ أبراهم مالامت⁽⁶⁾ - في ورقه قدمها في جامعة براون الأمريكية سنة 1992 - تاريخية قصة الخروج؛ في ضوء التشابهات مع التراث المصري القديم⁽⁷⁾. ووافقة النتيجة نفسها الناقد الهولندي يوهانس دو مور⁽⁸⁾ بالاعتماد على النصوص نفسها.

ومن المشابهات المتميزة خارج قصة الخروج، ما جاء في أمر صناعة اللَّبَن⁽⁹⁾، إذ تُخبرنا التوراة أنَّ المصريين قد أَلْزَمُوا بصناعة اللَّبَن (خروج 1/14)، وأنَّهم قد

(1) مايكل هومان Michael Homan (1966): ناقد أمريكي. درس التوراة والعبرية وديانات الشرق الأدنى في Xavier University. له اهتمام بالبحث الأركيولوجي.

(2) Michael Homan, *To Your Tents, O Israel!* (Leiden: Brill, 2002), pp. 111-115. (2)
Ibid. (3)

(4) غاري رندزبورغ Gary A. Rendsburg (1954): أستاذ اللغة العبرية واليهودية القديمة في Rutgers University، في نيوزيلندا.

(5) Gary Rendsburg, "Moses the Magician," T.E. Levy, T. Schneider and W.H.C. Propp, eds. *Israel's Exodus in Transdisciplinary Perspective: Text, Archeology, Culture and Geoscience* (Cham, Switzerland; New York: Springer, 2015), pp. 243-256.

(6) أبراهم مالامت Abraham Malamat (1922 - 2010): أستاذ التاريخ اليهودي في الجامعة العبرية. له اهتمام خاص بصلة التوراة بتراث الشرق الأدنى القديم، ونشأة إسرائيل.

(7) تُشرِّف ذلك لاحقًا في:

Abraham Malamat, *The History of Biblical Israel* (Leiden: Brill, 2001).

(8) يوهانس دو مور Johannes de Moor (1935): أستاذ اللغات السامية وثقافات الشرق الأدنى القديم في جامعة أمستردام اللاهوتية البروتستانتية.

Bricks. (9)

اشتكوا من منعهم من التبن عند صناعته (خروج 5/6 - 16)، وأنهم قد أُلزِموا بعد يومي من اللبن المطلوب (خروج 5/18 - 19). وفي ذلك يقول باروخ هالبرن: «تعكس صناعة الطوب كما هي مذكورة في قصة الاضطهاد، وجود معرفة جيدة بالظروف في مصر. تصور لوحة قير من القرن الخامس عشر الأسرى الكنعانيين والنوبيين وهم يصنعون الطوب اللبن في طيبة. ويشكوا نصًّ من ندرة التبن لصناعة الطوب. وهو الوضع الذي واجهته إسرائيل في مصر. في المقابل، لم يكن التبن في كنعان بشكل موحد أحد مكونات طوب اللبن. تعكس كل التفاصيل - تقريباً - في التراث أحوال مصر في ظل حكم الأسرة 19»^(١).

لا ثبت للتشابهات السابقة - بصورة مباشرة - صدق الخبر التوراتي لقصة موسى عليه السلام، وإنما تُظهر وجود إطار مصرى قديم للخبر التوراتي؛ بما يُضعف القول إنَّ قصَّة موسى عليه السلام في مصر من صناعة عصر قريب من السبي.

المطلب الثاني: أخبار لا شواهد تاريخية لها

يعترض المنكرون للتاريخية موسى - عليه السلام - على الخبر القرآني أنَّ القصَّة القرآنية مواجهة بصمت التاريخ المصري القديم. وهو صمت يدفع إلى إنكار صدق ما جاء فيها من تفاصيل.

ولالإنصاف البحث؛ فلن نكتفي بالحديث عن قصور الاستدلال بالصمت للنبي في البحث التاريخي، وإنما ستناقش المسائل التي ينفيها المنكرون للتاريخية موسى - عليه السلام - وقومه، أو يستنكرونها تاريخياً. وهي أساساً:

- ٥ تربية موسى - عليه السلام - في قصر فرعون.
- ٥ اضطهاد الفرعون لبني إسرائيل، وقتل أبنائهم لثلا يتکاثروا.
- ٥ الضربات التي أصابت المصريين: الطوفانُ والجرادُ والقملُ والصفادُ والدم...

Halpern, "The Exodus and the Israelite Historians", *Eretz Israel*, 1992, 92. (1)

- ٥ الخروج من مصر بعد انفلاق البحر.
- ٥ رِحْلَةُ الْتَّيْهِ خارج مصر أربعين سنة.
- ٥ كما تطرح قصة ميلاد موسى -عليه السلام- سؤال اقتباسها من أسطورة ميلاد سرجون.

أ. صمت الآثار

لا يتصور مُنْصِيفٌ أنَّ قَصَّةَ قِلَّةٍ مُسْتَضْعَفَةٍ في مصر، هاجرت في زَمْنٍ طاغِيَّةٍ مُتَّأَلِّهٍ، مِنْذَ أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثَةَ آلَافَ سَنَةٍ، سَتَرَكَ بِصَمَاتِهَا فِي مَبَانِي مَصْرٍ أَوْ سِينَاءَ.. وَلَذِلِكَ فَغْيَابُ شَوَاهِدَ هَذِهِ الْقَصَّةِ (اسْمُ مُوسَى -عليه السلام-)، وَمَوَاجِهَتِهِ لِفَرَوْعَوْنَ، وَخَرْوَجِهِ وَقَوْمِهِ مِنْ مَصْرَ، وَانْفِلَاقِ الْبَحْرِ...) فِي الْآثَارِ الْعُمَرَانِيَّةِ، أَمْرٌ مُتَوَقَّعٌ. وَأَمَّا رَفْضِ كَثِيرٍ مِنَ الْأَرْكِيُولُوْجِيِّينَ أَصَالَةَ الْقَصَّةِ؛ فَلِنِسْ لَاتَّهُمْ قَدْ اكْتَشَفُوا أَنَّهَا لَا تَصْحُ، وَإِنَّمَا لِغَيَابِ الدَّلِيلِ الْمُبَاشِرِ عَلَى وَقْعِهَا.

وَالآنَةُ تقتضي دراسة القصة في ضوء ما احتَفَ بها من أحوال، مع مراعاة طبائع الزمان والثقافات:

أَوَّلًا: التاريخ المصري ليس أَمِيناً في ذِكْرِ أَخْبَارِ الْعَصْرِ؛ فَإِنَّ الْمَنْقُوشَاتِ الْأَثْرِيَّةِ - رَغْمَ كَثْرَتِهَا وَتَنوِّعَهَا - لِيُسْتَ عَلَى طَرِيقَةِ السِّرْدِ التَّارِيْخِيِّ الْمُعْرُوفِ فِي كِتَابِيْنِ الْمُؤْرِخِينَ الْمُتَّأَخِرِيْنَ، وَإِنَّمَا هِيَ سِرْدِيَّاتٌ - فِي أَغْلِبِهَا - قَدْ نُقْشَتْ لِتَمْجِيدِ الْفَرَوْعُونَ، وَسِرْدٌ بَطْوَلَاتٍ. وَتَكْرَرُ فِيهَا أَخْبَارُ فَتوَحَاتِ الْفَرَوْعُونَ، وَقُوَّتِهِ، وَكَرْمِهِ، وَعَدْلِهِ، وَمَبَانِيهِ الَّتِي بَنَاهَا لِلَّآلهَةِ، وَتَقْدِيمَاتِهِ لِهِمْ.

وَقَدْ يَبْلُغُ الْأَمْرُ فِي التَّعَالِمِ مَعَ الْأَحْدَادِ، الْكَذْبُ أَوِ التَّدْلِيسُ؛ صِيَانَةً لِسُمْعَةِ الْفَرَوْعُونَ مَمَّا شَابَهَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ سُوءٍ؛ وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ بَعْدَ مَعرِكَةِ قَادِشَ (1274 ق.م.) احْتَفَى رَمْسِيُّسُ الثَّانِي بِالْمَعْرِكَةِ وَكَانَهُ قَدْ حَقَّقَ نَصْرًا عَسْكَرِيًّا عَظِيْمًا، فَأَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِ أَخْبَارِ الْمَعْرِكَةِ فِي نَصْوُصَ طَوِيلَةٍ عَلَى جَدْرَانِ الْمَعَابِدِ،

رغم أنه في الحقيقة لم يأخذ قادش، وعاني بعض الهزيمة أثناء المعركة، وكاد يُقتل فيها⁽¹⁾.

كما ظهر المبالغة والكذب في الآثار المصرية في موضع آخر، ومنها ما نقرأه على نصب سفنكس أمنحتب الثاني، على لسان هذا الفرعون: «أُمرني [آمون رع] أن استولي على كل الأراضي دون هزيمة... كل البلاد الأجنبية تحت قدميه». ولا يخلو نصب منربتاح الثاني الشهير هو أيضاً من مبالغات⁽²⁾.

وممّا يؤيد الحرج من ذكر هزائم الفرعون، ظاهرة غياب أسماء أعداء الفرعون في عصر المملكة الحديثة التي عاش أثناءها موسى -عليه السلام-. وال Shawabد على ذلك كثيرة. منها أن حملة تحتمس الثالث ضد تحالف الثائرين في مجدو، لم تذكر اسم ملك قادش، واكتفت بتسميته بـ«ذاك العدو البائس القادشي» أو «ذاك العدو البائس» كما في حوليات تحتمس الثالث وفي نصب جبل بركل في الخرطوم. وفي نصب أمنحتب الثاني في ممفيس، جاء ذكر حملات أدوم وكنعان وسوريا، وهزيمة الملوك أو قتلهم، دون ذكر لأسمائهم. وقد تكرر هذا الأمر في عصر رمسيس الثاني رغم ثراء المادة التاريخية في آثاره الواسعة؛ فعادة ذِكر ملوك الأعداء وقادتهم في تلك الفترة، هي وصفهم أنهم «قادة أرضٍ كذا» أو «القائد البائس لقوم كذا»⁽³⁾.

ولذلك يقول ريتشارد فرونند - أستاذ التاريخ اليهودي، والأركيولوجيا الكتابية، والمشرف على عدد كبير من الحفريات الأركيولوجية -: «ليست قصة الخروج نفسها هي التي تثير الجدلات عند علماء الأركيولوجيا الكتابية. إن الأمر هو أنه ليس لدينا مادة مقارنة من الأدلة الأركيولوجية لمناقشة الدقة التاريخية لهذه القصة. عندما كنت طالباً قبل حوالي ثلاثة عاًماً، كانت الأسئلة حول الخروج قد بدأت تردني... درستُ فيما بعد الحضارة المصرية القديمة بتفصيل كبير، واقتنعت بأن المصريين

K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.470 (1)

James K. Hoffmeier, *Israel in Egypt: The Evidence for the Authenticity of the Exodus Tradition*, p.41. (2)

Ibid., p.109 - 110 (3)

كانوا مثل النظام الستالياني في الاتحاد السوفياتي السابق، مهتمين بالتحكّم في تدفق المعلومات، وأنه كان لديهم منظور شامل حول تاريخهم التراكمي، وكانوا بالفعل خبراء في العلاقات العامة... بالإضافة إلى ذلك، وكما هو الحال مع العديد من الشعوب الأخرى في العصور القديمة، فإن التاريخ المسجل للمصريين كان تاريخ النخبة من المصريين الأصليين، واستثناء أي «أجانب/شعوب» سكنت مصر على وجه الخصوص. لذلك تعلّمت الدرس الأول من البحث عن التاريخ في شواهد التاريخ المصري. أحذر متّما تجده وممّا لا تجده»⁽¹⁾.

ولا يبقى لنا - تقريرًا - إلا أن نبحث في البرديات التي قد تحفظ لنا خبر الصراع مع موسى -عليه السلام-، وخروج بني إسرائيل؛ فقد يرجى أن تؤرخ بعض أحداث العصر بعيدًا عن لغة التمجيد الرسمية على المعابد والقصور.

ويسفينا عالم المصريات جيمس هوفمانير بالجواب السريع، في قوله: «لم تقدم لنا دلتا النيل حيث يقول الكتاب المقدس إنّ الإسرائيлиين القدماء عاشوا أي وثائق تاريخية أو إدارية قد تسلط الضوء على أي فترة»⁽²⁾.

وبعبارة أكثر تفصيلاً، يقول عالم المصريات الكبير كنث كتشن في رده على الذين يعجبون من الجمع بين الإيمان بوجود بني إسرائيل في مصر وغياب ذكرهم في الآثار المصرية: «بخصوص تحديد موقع العبرانيين الذين تم ذكرهم في الكتاب المقدس وتحركتهم على الأرض في مصر، فنحن محدودون بمنطقة شرق الدلتا من الناحية الجغرافية.

تفرض هذه الحقيقة حدودًا شديدة على كل تساؤل في الموضوع. الدلتا هي مكان مليء بالطمي المترسب هناك عبرآلاف السنين بواسطة فيضان النيل سنويًا، وليس بها مصدر حجري. إنها طين، طين وتعريشات، وأبنية من الطوب المصنوع من الطين، وهي ذات استمرارية واستعمال محدودين، وتُهدم وتُستبدل تكراراً،

Richard Freund, *Digging through the Bible: modern archaeology and the ancient Bible* (Lanham, Maryland: Rowman & Littlefield, 2010), p.56.

James K. Hoffmeier, 'Out of Egypt,' *Biblical Archaeology Review* 33.1 (2007): 30-37, 39-41. (2)

وكثيراً ما تختلط بطين الحقول، لذا فهو لاء الذين يجتمعون من وقت لآخر: «لم يُغترَّ على آثار للعبرانيين أبداً» (وبالتالي فلا خروج بالطبع!)، يُضيّعون أنفاسهم بلا طائل؛ فإنَّ الأكواخ الطينية لعبيدِ حقول الطُّوب والمزارعين المتواضعين مزّ عليها الكثير منذ عادت لأصولها في الطين، ولن تُرى ثانية أبداً. حتى المباني الحجرية التي نجت (مثل المعابد)، في تباين مذهل مع الواقع في الوادي المحاط بجرف صخري في وادي صعيد مصر في الجنوب. الحجر كله نُقلَ قديماً بالسُّفن من الجنوب، ويعاد استخدامه من فترة لأخرى مراراً وتكراراً. وهكذا أُعيد استخدام الكتل التي تخصَّ الأُسرة الثامنة عشرة في معابد رمسيس، ومعابد الرئاعمةُ استبدلت تحت الأُسرات التالية بكثرة، بعد إعادة استخدام الأحجار مرة أخرى، وخلال حقبة الأُسرة 26، والحقيقة البطلمية، والرومانية البيزنطية، والإسلامية تكررت العملية. وفي القرون الأكثر حداة، يحرق الحجر الجيري على مستوىٍ واسع للحصول على الجير، أما الأحجار الأكثر صلابة فغالباً ما يعاد استخدامها كأحجارٍ رحى أو أي شيء آخر. القليل من العجب، أنه من الناحية العملية لم تُسترجع أي سجلات مكتوبة عن أي شيءٍ من موقع الدلتا التي تحولت إلى خرب وتلل من الطوب (وأزيل طوبها نفسه لتحويله إلى سماد، سباح)، حتى المعابد الضخمة تحولت إلى كومة من الأحجار المستداعنة. وفي الطين، 99٪ من البردي المهمَل قد فُنيَ إلى الأبد، فيما جزءٌ صغيرٌ جداً يرجع لتأريخٍ متاخر، غيرَ عليه مُكرَّبناً (متحفَّماً). مثلما حدث في يومي. ولكن يمكن فقط فتحها وقراءتها بصعوبة شديدة. فأجزاء ضئيلة للغاية من تقارير شرق الدلتا، تقع في برديةٍ أُنقذتْ من الصحراء قرب منف. بخلاف ذلك، سجلات مصر الإدارية كلَّها في الفترات كلَّها في الدلتا مفقودة، والنصوص التذكارية هي أيضاً شبه منعدمة. ولأنَّ الفراعنة لا يخلدون أبداً ذكرى الهرائم على جدران المعابد، فلا يوجد أبداً سجلٌ لأي ملك عن خروجٍ ناجحٍ لجماعة كبيرةٍ من العبيد الأجانب.

(مع فقدان سرِّب كامل من المركبات)، في معابد الْدَّلَّةِ أو في أي مكان آخر، بخصوص تلك الأمور»⁽¹⁾.

وأجاب كتشن عن غياب ذكر الإسرائيليين باسمهم؛ بقوله: «لقد وُصِفت شعوب بلاد الشام في مصر بشكل عام ببساطة على أنهم «آسيويون»، وليس بحسب انتماءاتهم الخاصة. هؤلاء الناس لم يكن لهم مكان في مشاهد المعبد، مالم يكن قد تم غزوهم خارج مصر... هؤلاء الناس ليس لهم مكان في مشاهد المقابر أيضاً، ما لم تخصّ أُسرة مالكِ المقبرة الشخصية... فقط عندما يتم التعامل مع حالة منفردة، فإنه يتم إعطاء أي تفاصيل أخرى؛ مثلاً، رجلٌ سوريٌّ، يُدعى ناكادي من أر(ف)اد في برديه بولونيا 1086»⁽²⁾.

ثانية: لفت موريس بوكاي - الذي يرى أنَّ فرعون الخروج هو مرتبتاح بن رمسيس الثاني - في كتابه «موسى وفرعون في الكتاب المقدس والقرآن والتاريخ» النظر إلى أننا لا نملك اليوم وثائق تعود إلى السنوات الأخيرة من حكم مرتبتاح، وأنه في عشرين سنة من تاريخ مصر بدءاً من السنوات الأخيرة من حكم مرتبتاح، عرفت مصر فوضى كبيرة، مع صعود حاكم جديد وأغتيالات⁽³⁾ بما يُظهر أننا أمام «تاريخ غامض» و«فوضى» قد توحى بحدث أو أحداث غير مألوفة. وذلك يجعل جهلنا بقصة الخروج من مصر بعد غرق الفرعون، أمراً يتتفق مع الطبيعة التاريخية لتلك الفترة.

ثالثاً: طبيعة القصة ليست من جنس الأمجاد المختلفة؛ إذ إنَّ شخصية موسى - عليه السلام - هي الشخصية الأعظم في قصص التوراة، ومع ذلك لم تُظهر التوراة قصته في صورة الأساطير القديمة، وإنما أظهرت قصة أمةٍ مُستَعبدَةٍ في مصر،

(1) ك.أ. كتشن، مصداقية العهد القديم، تعرِّيف باسم الشرقاوي وأمير سامي (مصر الجديدة: باتاريون، 2019)، ص 419 – 418

(2) المصادر السابقة، ص 777
Maurice Bucaille, *Moses and Pharaoh in the Bible, Qur'an and History*, pp.88 - 89. (3)

ونبئ مُطَارِدٍ، وخروج أمة مهددة بالقتل دون أن تنتصر عسكريًا على الفرعون، ثم متاعب متكررة لهذا النبي مع قومه، وأعظمها قضاء الله عليهم باليه في أرض بلا ملامح، وموت موسى -عليه السلام- أثناء ذلك، دون أن يدخلوا الأرض المباركة التي وعدوها. إن قصة الاستضعاف والخروج والتيه لا تشابه الشكل النموذجي للقصص الأسطوري.

ولا يجد موسى -عليه السلام- في صورته القرآنية والتوراتية اليهودية شخصية من جنس أبطال الأساطير؛ فهو بشر، تعتريه أعراض البشر من الخوف والغضب، ويحتاج مساعدة أقرب الناس إليه، ويتوسيعه عجز قومه عن الوفاء لحقوق الرسالة السماوية. شخصية موسى -عليه السلام- القرآنية والتوراتية اليهودية تحمل ملامح الواقعية التاريخية.

رابعًا: الناظر في الرواية التوراتية، يدرك أن فيها دلالات على تاريخ قديم محفوظ أبعد من الألفية الأولى قبل المسيح، ومنها الكلمات المستعارة من المصرية في قصة موسى -عليه السلام -؛ فإن القصة التي ترد من ثقافة مختلفة لها لغتها المختلفة قد ترك أثراً في ألفاظها المقترضة من جغرافيا بيئه القصة الأصل، وهو أمر غير متصور في قصة مختلفة كلية لا يربطها شيء بالأصل القديم المزعوم، خاصة إذا اتباعت الديار وبعد الزمان.

وقد لاحظ بنجامين نونان أن هناك 27 كلمة مصرية مستعارة في روايات الخروج والتيه في البرية في قصة موسى -عليه السلام -، مقارنة بواحد وخمسين كلمة مصرية مستعارة فقط في بقية العهد القديم العبري.

وطرح ريتشارد فريدمان سؤالاً قد يرد في ذهن المعارضين، وهو أن الكتاب اليهود المتأخرين قد أرادوا خداعنا لإثبات أصالة القصة بذكر أسماء مصرية فيها؛ فكتبوا سفر الخروج، ووضعوا فيه أسماء مصرية من عندهم. وأجاب بجواب ذكي، وهو لفت انتباه القارئ إلى خطأ كاتب سفر الخروج في شأن معنى اسم موسى عليه

السلام⁽¹⁾؟ فإنه قد جاء فيه أنَّ اسم موسى بمعنى «المتشَّل»⁽²⁾.

لقد حاول صاحب⁽³⁾ سفر الخروج أن يفسر اسم «موسى» بالعبرية؛ فأخذَهُ من وجهين؛ إذ زعم أنَّ «موسي» «ملاحًا» كلمة عبرية تعني «متشَّل». والصواب أنَّ «موسي» تعني «متشَّل» لا «متشَّل». وزعم أنَّ اسم موسى عربي، ولكنَّ الإجماع العلمي اليوم على أنَّه اسم مصرى⁽⁴⁾، وذلك كافٍ أنَّ صاحب سفر الخروج كان يتعامل مع تراث قديم، لم يختر أهل معلمه، وإنما اجتهد ليفكّ مغاليقه. ومن معالم هذا التاريخ طابع مصرية بعض الأسماء⁽⁵⁾، ومن ذلك اسم بطل رواية الخروج⁽⁶⁾.

كما قام نونان أيضًا بتحليل العديد من اللغات والنصوص السامية الشمالية الغربية وخلص إلى أنها تفتقر عمومًا إلى المصطلحات المصرية، بما يظهر أنَّ العدد الكبير

(1) Richard Friedman, *The Exodus: how it happened and why it matters*, pp.33 - 34.

(2) «تَحْكَمَتِ الْمَرَأَةُ وَلَدَتِ ابْنًا، وَلَمَّا رَأَتِهِ حَسِنٌ، حَسِنَةَ لَهُ لَهُ أَشْهَرٌ، وَلَمَّا رَأَتِهِ مُنْكِرُهَا أَنَّهُ مُتَحَمِّلٌ بَعْدٌ، أَخْذَتْ لَهُ سَقْطًا مِنَ التَّرْبِيزِيِّ وَطَلَّهُ بِالْحَمْرَ وَالزَّفْتِ، وَوَضَعَتِ الْوَلَدَ بِهِ، وَوَضَعَتِهِ تَبَيْنَ الْخَلْفَاءِ عَلَى حَاقَةِ الْهَنْرِ، وَوَقَعَتِ الْأَنْجَةُ مِنْ بَعْدِ لِتَفَرُّجِ مَاذَا يَتَقْلِبُهُ، فَتَرَكَتِ الْإِنْثَى فَرِعَوْنَ إِلَى الْهَنْرِ لِتَنْقِيلِهِ، وَكَانَتْ مُؤْرَبِيَّهَا مَاتِيَّاتٍ عَلَى خَابِ الْهَنْرِ، فَرَأَتِ الْأَسْقَطَ بَيْنَ الْحَلْقَاءِ، فَأَخْسَلَتْ أَنْجَهَا وَأَخْدَلَهَا، وَلَمَّا تَنَحَّتْ رَأَتِ الْوَلَدَ، وَلَمَّا هُوَ مُسْبِيٌّ يَبْكيُ، فَرَقَتْ لَهُ وَقَالَتْ: «عَدَا مِنْ أَوْلَادِ الْمَبِرِّيَّاتِ، فَقَالَتْ أَنْجَهَا لَا يَنْهَا فَرِعَوْنٌ، هَلْ أَنْعَبُ وَأَذْعَنُ لَكَ امْرَأَةٌ مُرْسَعَةٌ مِنَ الْعَيْنَيَاتِ تُؤْخِذُ لَكَ الْوَلَدَ؟»، فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فَرِعَوْنَ: «أَدْهَمِيِّ»، فَذَكَرَتِ الْفَقَاهَةُ وَدَعَتْ أَمَّ الْوَلَدِ، فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فَرِعَوْنَ: «أَدْهَمِيِّ بِهَا الْوَلَدُ وَأَزْبَعِيهِ لَيْ وَأَنَا أَغْلِي أَجْزَائِكِ»، فَأَخْذَتِ الْمَرَأَةُ الْوَلَدَ وَأَزْبَعَتْهُ، وَلَمَّا كَبَرَ الْوَلَدُ جَاءَتْ بِهِ إِلَى ابْنَةِ فَرِعَوْنَ وَصَارَ لَهَا ابْنًا، وَدَعَتْ اسْمَهُ «مُوسَى» وَقَالَتْ: «إِبْيَ اسْتَكْلَهُ مِنَ النَّمَاءِ» (خروج 2 / 2 - 10).

(3) أو أصحاب!

R. Laird Harris, Gleason L. Archer, Jr., Bruce K. Waltke, eds., *Theological Wordbook of the Old Testament* (Chicago: Moody Publishers, 2003), p. 530.

(4) من هذه الأسماء المصرية:

«مراري» (William Propp, *Exodus 1-18, The Anchor Bible*, New York: Doubleday, 1998, p. 276).
«حنفي» (Donald Redford, *Egypt, Canaan, and Israel in Ancient Times*, Princeton, NJ: Princeton University Press, pp. 417-419).
«حور» (Ernst Axel Knauf, «Hur», *Anchor Bible Dictionary*, vol. 3, p. 334).
(6) تناولتُ فساد التحليل اللغوي للأصل أسماء الآباء وكثير من جاء بهدهم في التوراة في كتاب: العلم وحقائقه، بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل (الكتاب: مركز رواسخ، الكويت 2021م)، ص 368 - 387.

من الكلمات المستعارة من المصرية في روايات الخروج والبرية، ظاهرة شاذة في السامية الشمالية الغربية⁽¹⁾؛ بما يمثل قرينة قوية أن هناك ظرفاً تاريخياً معيناً ومهماً في تاريخ أهل اللغة العبرية قد أدى إلى هذا الأمر⁽²⁾.

ب. تربية موسى - عليه السلام - في قصر الفرعون

يُعَجِّبُ بعضاً من أمير تربية الفرعون المتأله، طفلاً من غير نسله، من أمة أجنبية. والحق إن خبر تربية موسى - عليه السلام - في قصر الفرعون ليس مُنكراً من الناحية التاريخية؛ لسبعين:

أولاً: لا يُشترط لقبول تاريخته تربية موسى - عليه السلام - في قصر الفرعون أن يكون ذلك من عادة الفراعنة؛ فإن الخبر القرآني يقدم سبيباً استثنائياً لتبني موسى - عليه السلام -، وهو أن زوجة الفرعون قد وقعت في قلبها حب هذا الوليد، ولعل ذلك لأنها لم تكن قد أنجبت (بعد): «وَقَالَتْ أَمْرَاتُ فِرْعَوْنَ كُفَرْتُ عَيْنِي فِي وَلَكَ لَا نَقْتُلُهُ عَسَى أَنْ يَغْنَمَ أَوْ تَنْجِذَهُ، وَلَدَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ»⁽³⁾ (القصص / 9). وقد كان لزوجات رمسيس الثاني مكاناً رضيًّا في قلبه، سواء إست (آسية) - التي لقبت في التقوش بالمجدة، وسيدة نساء الملك - أو نفرتاري.

ثانياً: كان من عادة الفراعنة زر من المملكة المصرية الحديثة تربية أبناء غير مصرىين؛ فقد أسس تحتمس الثالث عادة استقدام أبناء الأمم المهزومة لتربيتهم في مصر ليكونوا لاحقاً حاكاماً في قومهم مخلصين للفرعون. وكشف بحث لبسى براين أن عدة أطفال يحملون أسماء أجنبية قد ترقوا في وظائف الدولة إلى مراتب عالية⁽³⁾.

(1) أهم اللغات السامية الشمالية الغربية: العربية والأرامية القديمة والأوغاريتية.

Benjamin Noonan, 'Egyptian Loanwords as Evidence for the Authenticity of the Exodus and (2) Wilderness Traditions,' in James K. Hoffmeier, *et al.*, eds. "Did I Not Bring Israel Out of Egypt?": Biblical, Archaeological, and Egyptological Perspectives on the Exodus Narratives (Winona Lake: Eisenbrauns, 2016), pp.61 - 61.

Betsy Bryan, *The Reign of Thutmose IV* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1991), p.261. (3)

ت. تعبيد بني إسرائيل

ينكر بعض القائلين بخرافية قصة موسى -عليه السلام- ذكر التوراة استعباد فرعون بني إسرائيل: «فَاسْتَغْبَدَ الْمِصْرِيُونَ بَنَى إِسْرَائِيلَ يَعْنِي، وَمَرَّوْا حَيَّاتَهُمْ بِعُبُودِيَّةٍ قَاسِيَّةٍ فِي الطَّيْنِ وَاللَّيْنِ وَفِي كُلِّ عَمَلٍ فِي الْحَقْلِ. كُلُّ عَمَلِهِمُ الَّذِي عَمِلُوا بِوَاسِطَتِهِمْ عُنْفًا» (خروج 1/13-14). وهم في هذا يقولون إنه لا يوجد دليل على استعباد المصريين لأيّ من الأمم الأخرى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

والناظر في القرآن؛ لا يجد في آياته تصريحاً يذكر استعباد الفراعنة بني إسرائيل، وإنما في القرآن خبر استضعفاف بني إسرائيل وإذلالهم، وقتل أبنائهم، قال تعالى: «وَإِذَا فَيَّنَتِكُمْ مِنْ مَالِ فَرْعَوْنَ سُوْمُونَكُمْ سُوْءَ الْعَذَابِ يُدَعِّخُونَ أَنْتَهَا كُمْ وَيَسْتَحِيُونَ نِسَاءَهُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ» (البقرة/49)، وقال سبحانه: «إِنَّ فَرْعَوْنَ عَلَى الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْئًا يَسْتَضْعُفُ طَاغِيَّةٌ مِنْهُمْ يَدْعِيُ أَنَّهُمْ وَيَسْتَغْنُونَ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» (القصص/1) (القصص/4).

وبعيداً عن مناقشة صحة استرقاق المصريين لغيرهم⁽¹⁾، نقول: استضعفاف بني إسرائيل؛ ليس من الأمور المنافية لطبيعة العصر؛ فإن المملكة المصرية الحديثة قد اشتهرت بغزوتها العسكرية شمالاً في كنعان وجنوبياً في النوبة. وقد كان يؤتى بكثير من الأسرى من البلاد المهزومة. وقد عرضت بعض مشاهدهم في القبر الفخم لرخمير - وزير تحتمس الثالث وأمنحتب الثاني -. وفي الصور المحفوظة يظهر المشرفون على البناء من المصريين وهو يحملون عصيّاً، ومعهم العمال الأجانب الذين يصنعون الطوب الطيني ويجرّونه إلى حيث بناء المعبد الجديد. ويدرك النص

(1) ظاهرة الاستعباد معروفة في مصر. ومن شواهدها نص هيروغليفى على قبر أحمس الأول يتحدث عن طرد الهكسوس من طرف جند الفرعون: «وَغَنَمْتُ مِنْ هَنَاكَ رِجَالًا وَنِسَاءً، بِمَا مَجْمُوعَهُ أَرْبَعَةَ أَشْخَاصٍ. ثُمَّ وَمِنْهُمْ لِي جَلَانَهُ عَيْدَاءً».

(James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*, p.333).

المصاحب لهذه الصور أن هؤلاء العمال قد جيء بهم من كنعان - سوريا والذيبة بعد الحملات العسكرية التي كانت هناك⁽¹⁾.

صور صناعة الطوب في مقبرة رخمير⁽²⁾



Hoffmeier, James K. "Out of Egypt," *Biblical Archaeology Review* 33.1 (2007): 30-37, 39-41. (1)
James Hoffmeier, 'The Exodus and Wilderness Narratives,' in *Ancient Israel's History: An Introduction (2) to Issues and Sources*, eds., Bill Arnold and Richard Hess (Grand Rapids, MI: Baker, 2014), p.51.

كما جاء في بردية (Leiden 348) أن «العيرو... يجزون الحجر إلى الصرح العظيم لـ...» لبناء قصر. ويعيناً عن جدال العلماء في المطابقة بين العيرو والعربانيين تاريخياً، يبقى أن هذه البردية التي تعود إلى عصر رمسيس الثاني، تشهد لتسخير غير المصريين لخدمة المصريين^(١).

ث. الضربات

يجادل المخالفون في صدق قوله تعالى: «وَلَقَدْ أَنْذَنَا مَالِ فُرْعَوْنَ بِالسِّينَ وَنَقْصِنَ مِنَ الْفَمَرَاتِ لَعَاهُمْ يَدْكُرُوْنَ (١٣٢) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَسْنَةَ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَلَنْ نُصْبِهِمْ سِينَةً يَطْلِبُوْنَا بِعُوْسَنَ وَمَنْ مَعَهُمْ أَلَا إِنَّا طَلَبْنَاهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَتَلَمَّعُونَ (١٣٣) وَقَالُوا مَهَمَا تَأْنِي بِهِ مِنْ مَائِيقَةٍ لَنَسْحَرَنَا بِهَا فَهَمَا تَحْنَنَ لَكَ بِمُؤْمِنِيْنَ (١٣٤) فَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْطَّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُلْلَ وَالضَّفَاعَ وَالدَّمَ مَيْدَنَ مُفْصَلَتِ فَأَسْتَكْبَرُوْا وَكَانُوا قَوْمًا شَجَرِيْنَ (١٣٥)» (الأعراف / 130 - 133).

هذه العقوبات التي أصابت مصر أو الأرض التي عاش فيها فرعون داخل مصر

هي:

- قلة مياه الشرب والزرع.
- ضعف المحاصيل الزراعية بسبب قلة الماء أو الأمراض التي تصيب الزرع.
- الطوفان بفيضان النيل بما يهلك البيوت والأرض والزرع.
- الجراد الذي يفسد المحاصيل الزراعية.
- القمل الذي يفسد الحرش أو ينبعض على الناس معايشهم.
- الضفادع التي تفسد عليهم مياه الشرب، وتغزو بيوتهم؛ فتقذر صفوهم.
- الدم الذي يظهر في مياه الشرب.

وقد جاء أمر هذه العقوبات في سفر الخروج 7 - 11 (ما يُعرف بضربات مصر

منها مذراً) على صورة تشابه بعض ما في الخبر القرآني:

Hoffmeier, "Out of Egypt," *Biblical Archaeology Review* 33.1 (2007): 30-37, 39-41. (1)

- الدَّمُ الَّذِي أَهْلَكَ مَا يَعِيشُ فِي الْأَنْهَارِ وَالْمِيَاهِ: «هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: بِهَذَا تَغْرِفُ أَنَّى أَنَا الرَّبُّ: هَا أَنَا أَضْرِبُ بِالْقَصَّا التِّي فِي يَدِي عَلَى النَّاءِ الَّذِي فِي النَّهْرِ فَيَسْحَوْلُ دَمًا. وَيَمْوُتُ الشَّمْكُ الَّذِي فِي النَّهْرِ وَيَنْتَشِنُ النَّهْرُ. فَيَعْافُ الْمِضْرِيبُونَ أَنْ يَشْرُبُوا مَاءً مِنَ النَّهْرِ» (خروج 17 - 18).
- الصِّفَادُعُ . «قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اذْخُلْ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقُلْ لَهُ: هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: أَطْلُقْ شَغْبِي لِيَغْعَلُونِي. وَإِنْ كُنْتَ تَأْتَى أَنْ تُظْلِقُهُمْ فَهَا أَنَا أَضْرِبُ جَمِيعَ ثُخُومِكَ بِالصِّفَادُعِ فَيَفِيضُ النَّهْرُ صَفَادُعٌ. فَتَضَعُدُ وَتَنْخُلُ إِلَى بَيْتِكَ وَإِلَى مِنْدَعِ فِرَاشِكَ وَعَلَى سَرِيرِكَ وَإِلَى بَيْوِتِ عَبِيدِكَ وَعَلَى شَغْبِكَ وَإِلَى تَنَابِرِكَ وَإِلَى مَعَاجِنكَ. عَلَيْكَ وَعَلَى شَغْبِكَ وَعَبِيدِكَ تَصْنَعُ الصِّفَادُعُ» (خروج 8 / 1 - 4).
- الْبَعْوَضُ: «ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «قُلْ لِهَارُونَ: مَدَّ عَصَاكَ وَاضْرِبْ تُرَابَ الْأَرْضِ لِيَصِيرَ بَعْوَضًا فِي جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ». فَعَلَّا كَذَلِكَ. مَدَّ هَارُونُ يَدَهُ بَعْصَاهُ وَضَرَبَ تُرَابَ الْأَرْضِ، فَصَارَ الْبَعْوَضُ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ. كُلُّ تُرَابِ الْأَرْضِ صَارَ بَعْوَضًا فِي جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ» (خروج 8 / 16 - 17).
- النَّدَابُ: «إِنْ كُنْتَ لَا تُطْلِقْ شَغْبِي، هَا أَنَا أَزْسِلُ عَلَيْكَ وَعَلَى عَبِيدِكَ وَعَلَى شَغْبِكَ وَعَلَى بَيْوِتِكَ النَّدَابَ، فَتَمْتَلِئُ بَيْوِتُ الْمِضْرِيبِينَ ذُبَابًا. وَأَيْضًا الْأَرْضُ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا» (خروج 8 / 21).
- إِهْلَاكُ الْمَوَاشِي: «فَهَا يَدُ الرَّبُّ تَكُونُ عَلَى مَوَاشِيكَ الَّتِي فِي الْحَقْلِ، عَلَى الْخَيْلِ وَالْحَمِيرِ وَالْجِمَالِ وَالْبَقَرِ وَالْعَنْتَمِ، وَبَأْ نَقْلًا جِدًا» (خروج 9 / 3).
- البَشَورُ عَلَى الْجَلْدِ: «ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَهَارُونَ: «خُذَا مِنْهُ أَيْدِيكُمَا مِنْ رَمَادِ الْأَنْوَنِ، وَلِيُذَرِّهِ مُوسَى نَحْوَ السَّمَاءِ أَمَامَ عَيْنَيِ فِرْعَوْنَ، لِيَصِيرَ عَبَارًا عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. فَيَصِيرَ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ دَمَاءً مُلَطَّلًا عَلَيْهِ بَشَورٌ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ» (خروج 9 / 8 - 9).

- البرد والنار: «فَمَدَّ مُوسَى عَصَاهُ تَحْوَى السَّمَاءِ، فَأَعْطَى الرَّبُّ رُعْوَدًا وَبَرَدًا، وَجَرَثَ نَارٌ عَلَى الْأَرْضِ، وَأَنْفَرَ الرَّبُّ بَرَدًا عَلَى أَرْضِ مِصْرَ. فَكَانَ بَرَدًا، وَنَارٌ مُتَوَاصِلَةٌ فِي وَسْطِ الْبَرَدِ. شَيْءٌ عَظِيمٌ جِدًا لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ مُنْذُ صَارَتْ أَمْمَةً» (خروج 9/23 - 24).
- الجراد: «فَإِنَّهُ إِنْ كُنْتَ تَأْتِي أَنْ تُطْلِقَ شَعْبِيْ هَا أَنَا أَجِيْءُ غَدًا بِجَرَادٍ عَلَى تُخُومِكَ، فَيُغَطِّي وَجْهَ الْأَرْضِ حَتَّى لَا يُسْتَطِعَ نَظرَ الْأَرْضِ. وَيَأْكُلُ النَّفَلَةَ السَّالِمَةَ الْأَنْافِيَةَ لِكُلِّمِنَ الْبَرَدِ. وَيَأْكُلُ جَمِيعَ الشَّجَرِ التَّابِتِ لِكُلِّمِنَ الْحَقْلِ. وَيَمْلأُ بَيْوَنَكَ وَبَيْوَتَكَ جَمِيعَ عَيْدِكَ وَبَيْوَتَكَ جَمِيعَ الْمِصْرِيَّيْنَ، الْأَمْرُ الَّذِي لَمْ يَرَهُ آبَاؤُكَ وَلَا آبَاءُ آبَائِكَ مُنْذُ يَوْمٍ وُجِدُوا عَلَى الْأَرْضِ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ» (خروج 10/3 - 6).
- الظلام ثلاثة أيام: «لَمْ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ تَحْوَى السَّمَاءَ لِيُكُونَ ظَلَامٌ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ، حَتَّى يُلْمَسَ الظَّلَامُ». فَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ تَحْوَى السَّمَاءَ فَكَانَ ظَلَامٌ دَامِسٌ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. لَمْ يُبَصِّرْ أَحَدٌ أَخَاهُ، وَلَا قَامَ أَحَدٌ مِنْ مَكَانِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. وَلِكِنْ جَمِيعُ تَبِي إِسْرَائِيلَ كَانَ لَهُمْ نُورٌ فِي مَسَاكِنِهِمْ» (خروج 10/21 - 23).
- موت البكور: «وَقَالَ مُوسَى: «هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِنِّي نَحْوَ نِصْفِ اللَّيْلِ أَخْرُجُ فِي وَسْطِ مِصْرَ، فَيَمْوُتُ كُلُّ بَكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ، مِنْ بَكْرٍ فِي زَعْوَنَ الْجَالِسِ عَلَى كُرْسِيِّهِ إِلَى بَكْرِ الْجَارِيَّةِ الَّتِي خَلَفَ الرَّخْيَ، وَكُلُّ بَكْرٍ بَهِيمَةً» (خروج 11/4 - 5).
- يقول المعارض: إن هذه الآفات العظيمة قد أصابت مصر، ومن المحال أن تغفلها الآثار لو أنها وقعت حقيقة. ولسنا نجد في الآثار المصرية ذكرًا لها!
- وجواب هذا الاعتراض، قولنا:
- أولاً: لم تحفظ لنا منطقة دلتا النيل من أخبار عصر رمسيس الثاني وابنه سوئ الآثار التي تركها هذان الفرعونان لتمجيد حكمهما، وإظهار عظمتهما. وارتباط

النوازل التي أصابت مصر (الضربات) بموسى -عليه السلام-، يجعل ذكرها في القصور والمعابد بعيداً جداً؛ إذ هي مصدر إذلال للفرعون.

ثانياً: يبدو أنَّ هذه الآفات التي أصابت مصر قد وقعت في وقت مقارب، وربما وقعت كلُّها في سنة واحدة، أو في موسم الحصاد فقط. وبالتالي فإنَّ غالباً أحداث عام واحد أو عامين من تاريخ حكم رمسيس الثاني الذي استغرق 66 سنة، ليس صادقاً.

ثالثاً: جميع الآفات التي جاء بها الخبر القرآني - وهو ما يعنينا في هذا الكتاب - هي من النوازل المألوفة في مصر، والتي لها عادة أسبابها الطبيعية⁽¹⁾؛ وقد كانت دراسة ج. هورت أهم بحث لبيان أنَّ هذه الجوانح معروفة في مصر بسبب العوامل الطبيعية المرتبطة بالمناخ والنيل. وقد بيَّنت تكرر هذه الآفات في تاريخ مصر⁽²⁾.

ولستنا نعني بذلك أنَّ العقوبات التي أصابت آل فرعون ليست من الخوارق، وأنَّها أحداث طبيعية؛ فإنَّ النص القرآني صريح أنَّها معجزات خارقة للسنن الكونية، وإنَّما قصدنا أنَّ الله - سبحانه - قد عاقب آل فرعون من خلال أحداث تجري على يد موسى -عليه السلام- بنوازل اعتاد فرعون وأله أذاها في مصر؛ فقد كانت العقوبات بمألف الآفات البغيضة إلى القوم، وإنَّ كانت تجري بكلمة كن فيكون. كما أنَّ ظاهرة الدَّم في الأنهر والمياه لم تكن مجرد احمرار للمياه بسبب التربة الحمراء التي يجرفها فيضان أعلى النيل من أثيوبيا وأيضاً السوطيات Flagellates المجهرية التي تغير لون الماء وتسمم الأسماك (كما هي العادة أحياناً)، وإنَّما هي تحول حقيقي بعض المسطحات المائية إلى دم حقيقة.

وقد كان أهم ما اعْتَرَضَ به على ج. هورت أنَّ ترتيب الآفات كما في التوراة لا يوافق تابعها عادة في مصر. والناظر في القرآن يلحظ أمراً مميِّزاً؛ وهو أنَّ في القرآن

See Steiglitz, 'Ancient Records and the Exodus Plagues,' BAR 13.6 (1987): 46 - 49; N. M. Sarna, (1) *Exploring Exodus: The Heritage of Biblical Israel* (New York: Schocken, 1986).
G. Hort, 'The Plagues of Egypt.' ZAW 69 (1957): 84 - 103; 70 (1958): 48 - 59. (2)

ذكرًا «للطوفان» الذي لم يرد في الضربات العشر التوراتية، وأنه يسبق الجراد والقمل والضفادع والدَّم؛ بما يُمثِّل ترتيبًا «طبيعيًّا» لتالي هذه الآفات.

وبعلمنا بذلك، بإمكاننا أن ندرك أنَّ العقل الوثني المبغض لموسى -عليه السلام- سيجد تفسيرًا مفترى لتلك الأحداث؛ بربطها بالعاديات لا الخوارق؛ ولذلك فإنَّ إغفال ذكر هذه الآفات ليس مما يجب أن يصدِّم المؤرخين المعاصرین.

ج. الخروج من مصر

أعظم ما استنكره المنكرون لتأريخية موسى -عليه السلام- هو ما جاء في قصة التوراة عن العدد المليوني لليهوديين الذين خرجوا من مصر؛ فإنَّ هذا الرقم بعيد عن التصديق لسبعين؛ أولئما أنَّ أربعة قرون بين زمن يعقوب /إسرائيل- عليه السلام- وخروج بنيه من مصر بقيادة موسى -عليه السلام- لا يمكن أن تحول أسرة قليلة الأفراد إلى أمة بهذا العدد الهائل جدًا في الزمن القديم (مع ما تعرَّضوا له من قتل وظلم على يد الفرعون)؛ حتى قال فرعون لشعبه: «هُوَ ذَا بَنُو إِسْرَائِيلَ شَعْبٌ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنَّا». (خروج 1/9)، والثاني أنَّ خروج هذا العدد الضخم من مصر لا يمكن أن يُعقل تاريخيًّا، فلا بد أن يترك آثاره أو بعضها في مصر أو سيناء أو غيرهما؛ إذ إننا أمام شعب يساوي عدده حجم إمبراطوريات ذاك الزمان أو ما يقاربه. والأمر يحتاج بعض تفصيل:

(1) - عدد الخارجين من مصر:

نقلت الموسوعة اليهودية الاتفاق العام أنَّ الأحداث الواردة في سفر الخروج لا يمكن أن تكون تاريخية بكل تفاصيلها. وجعلت حجتها على ذلك ما يذكره هذا السفر عن عدد الخارجين من مصر من الإسرائيليين، والذين يبلغون مليوني نسمة على الأقل. وتساءلت عن معقولية عبور شعب غير منظم بهذا العدد البحر الأحمر في ليلة واحدة⁽¹⁾.

Isidore Singer, Cyrus Adler, eds. *The Jewish Encyclopedia* (New York: Funk & Wagnalls Company, (1) 1906), 5/294.

وجوابنا، هو أننا نافق هؤلاء المعتبرين إنكارهم للخبر التوراتي، لكننا نقول أيضاً بأنَّ إنكار العدد الضخم للإسرائييليين في مصر وأثناء الخروج لا يلزم منه اطراح القصة برمتها، وإنكار تاريخية موسى - عليه السلام -.

نحن أمام خيار آخر، وهو اتهام التوراة بالمباغة في أعداد الإسرائييليين، دون ردٍّ أصل القضية. وقد أحسن الناقد التوراتي الشهير ريتشارد فريدمان، البعيد عن الخطّ المحافظ، والذي اشتهر بدعمه القوي لنظرية الوثائق الأربع للتوراة؛ إذ قال في نقد إسقاط قصة الخروج بسبب مبالغات التوراة: «ادعاءات هؤلاء الأركيولوجيين بأنَّ الخروج لم يحدث أبداً، لا تستند إلى أدلة، وإنما هي تعتمد إلى حدٍ كبير على غيابها. إنهم يؤكدون أننا قمنا بتمشيط سيناء ولم نعثر على أي دليل على وجود عددٍ مليونيٍ من الناس يقول الكتاب المقدس إنهم كانوا هناك لمدة 40 عاماً. هذه الدعوى ليست صحيحة. لم تكن هناك حفريات كبرى كثيرة في سيناء، وبالتالي لم نقم بتمشيطها. علاوة على ذلك، فإنَّ الكشف عن الأشياء المدفونة منذ 3200 عام مسعى شاق. أخبرني زميلٌ إسرائيلي صاححاً أنَّ السيارة التي فقدت في حرب يوم الغفران عام 1973 تم الكشفُ عنها مؤخراً تحت 16 متراً - أي 52 قدماً - من الرمال. اثنان وخمسون قدماً في 40 عاماً!»

ومع ذلك، فإننا جميعاً نعرف بأنَّ مليوني شخص - 603550 من الذكور وعائالتهم، حسب دعوى التوراة - يجب أن يكونوا قد تركوا بعض البقايا التي سنجدها. لكنَّ قلةً متأنِّة اعتقدت أنَّ هذا الرقم تاريجيٌ على أي حال. لقد قدرَ أحدهم منذ زمن بعيد أنه إذا كان هذا العدد من الناس يسير، لِتُلْقَى في ثمانى مجموعات، فعند وصول الأوائل إلى سيناء، سيكون نصف الناس في مصر لم يغادروها بعد!

لا يوجد دليلٌ أثريٌ ضدَّ تاريخية الخروج إذا كانت مجموعةً أصغر هي التي غادرت مصر. في الواقع، وبوضوح، فإنَّ أول ذِكرٍ كتابيٍ للخروج - نشيد مريم⁽¹⁾ -،

(1) نشيد مريم Song of Miriam: وهي أغنية بنشيد البحر. وهو الوارد في نص خروج 15/1 - 18. وقد قال فريق من النقاد إنَّ لغته العبرية العتيقة، تدل على أنه قديم، وأنَّ تدوينه غير بعيد عن عصر موسى عليه السلام.

وهو أقدم نص في الكتاب المقدس، لم يذكر أبداً عدد الأشخاص الذين شاركوا في الخروج، ولم يتحدث أبداً عن أمّة إسرائيل بأكملها. إنه يشير فقط إلى شعب يغادر مصر.

لم تتم إضافة العدد 603550 ذكر إلى القصة إلا بعد فترة متأخرة بكثير عن الخروج - ما يسمى بالمصدر الكهنوتي، بعد حوالي 400 عام -⁽¹⁾.

لا شك أن مليونين إلى أربعة من الإسرائييليين الأجانب العابرين من مصر إلى سيناء - كما هو تقدير المفسرين التوراتيين المعاصرین - عدد من المحال تصديقه لأسباب؛ منها أن عدد سكان مصر في تلك الفترة كان في حدود 3 - 5 مليون فرد، وأن عدد جنود مصر ما كان يتجاوز 25 ألفاً في أقصى الأحوال، وأنه من المحال أن يملك هذا العدد الضخم من الإسرائييليين أن يعيش شمال شرق الدنيا (بالإضافة إلى غير الإسرائييليين) في تلك الفترة، وأن أكثر من ستمائة ألف من العمال كان بإمكانهم التخلص من السخرة بسهولة، وأن إرسال الفرعون لستمائة عربة لإرجاع الإسرائييليين الهاجرين (الخروج 14/7) عبثٌ إذا كان عدد الهاجرين يفوقهم أكثر من ألف مرة، ومنها أن عدد الإسرائييليين في النصف الأول من الألفية الأولى قبل الميلاد في مملكتي يهودا والسامرة لم يتجاوز في أقصى الأحوال 900 ألف.⁽²⁾.

وقد تبه الإمام ابن حزم منذ ما يقرب من ألف عام على براءة القرآن من خطأ التوراة في تقدير عدد الإسرائييليين الخارجين من مصر، في قوله: «أَيْنَ هَذَا الْكَذْبُ الْبَارِدُ مِنْ الْحَقِّ الْوَاضِعِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى حَاكِيَا عَنْ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ قَالَ إِذَا تَبَعَ بَنِي إِسْرَائِيلُ ۝ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَنْزَمُهُمْ قَلِيلُونَ ۝» (الشعراء / 54)، هَذَا الَّذِي لَا يجوز غَيْرُهُ وَلَا يُمْكِن سُوَاهُ أَصْلًا»⁽³⁾. فالذين خرجوا مع موسى - عليه السلام - قلة من الناس.

The Exodus Is Not Fiction An interview with Richard Elliott Friedman (1)

<<https://reformjudaism.org/exodus-not-fiction>>.

James K. Hoffmeier, *Ancient Israel in Sinai*, pp.153 - 155 (2)

(3) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواه والتحل، 1/ 128

كما نبه القرآن إلى قتل الإسرائيليين عند ولادة موسى - عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَىٰ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْئًا يَتَسْعَى فِي طَبَقَةٍ مِّنْهُمْ يَدْعُج أَبْنَاهُ هُمْ وَيَسْتَخِي، نِسَاءٌ هُنْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص / 4)، وقلهم عند ظهور نبوة موسى - عليه السلام -، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا أَفَتُولُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، وَأَسْتَحْيِوْنَا نِسَاءَ هُمْ وَمَا كَيْدُ الْكُفَّارُ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (غافر / 25)، كما نبه أيضاً إلى أنَّ الذين آمنوا بموسى - عليه السلام - من بني إسرائيل قبل الخروج فلَه - على قول طائفة من المفسرين - في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ آمَنَ لِيُؤْمِنَ إِلَّا دُرْيَةٌ بْنُ قَوْبَوْ، عَلَىٰ حَقْرَبٍ بْنِ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِكَتِهِ أَنْ يَقْنَعُهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَمَّا لَيْلٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَيْلَ الْمُشَرِّفِينَ﴾ (يونس / 83).

ومن العجيب وقوع فراس السواح في أسرِ التوراة التي يدعو إلى التخلص منها بالكلية؛ إذ يقول إنَّ الباحثين قد فشلوا في إيجاد أساس تاريخي لقصة الخروج من مصر «وبقيت النصوص المصرية صامتة صمتاً مطبقاً عن هذا الحدث المركزي في كتاب التوراة. مما يرجح أنَّ الخروج قد قامت به مجموعة صغيرة من الأُجراء المُسخَّرين فرت سليماً، أو سمح لها بالخروج والعودة من حيث أتت. فمن غير المعقول أن يُغادر مصر ستمائة ألف مُسخَّرٍ من أشياه العبيد، وينسحبون من الدلتا في قتال تراجعي نحو بربخ السويس حيث يهزمون الفرعون ويتسببون في مقتله، دون أن تأتي سجلات ذلك العصر، الذي يعتبر من أكبر فترات التاريخ المصري توثيقاً، على ذكرهم»⁽¹⁾. فبعيداً عن أنَّ الخارجين لم يهزموا الفرعون، وإنما نجوا منه بعد غرقه في البحر، اعترف السواح أنه من الراجح أنَّ للخروج حقيقة تاريخية، وأنَّ العدد كان صغيراً لقلةِ تم تسخيرها سابقاً في زمن الفرعون (وهو في جوهره عين مقالتنا)، وأنَّ «هؤلاء القادمين

(1) فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ص 198.

لم يدخلوا بأعداد كبيرة من شأنها تغيير الطبيعة السكانية للمنطقة والطغيان على الغالية الكنعانية الموجودة هناك منذ بدايات التاريخ المكتوب⁽¹⁾. ولا شك أننا نوافق السواح أن الحق هو أنّ الخارجين من مصر كانوا قلة، وما غيروا طبيعة الحياة الكنعانية في الأرض التي سكنوها..

(2) - تسجيل خروجبني إسرائيل من مصر:

يعترض عدد من المخالفين بقولهم إنّ خروجبني إسرائيل من مصر أمر لا يمكن تصديقه؛ لأنّا لم نثر على أي إشارة إلى عبور عدد كبير من الإسرائييليين الحدود في وثائق عابري حدود مصر ذاك الزمان.

ويجيب عالم المصريات كشن هؤلاء، بقوله: «قد قيل لنا: «الحدود بين مصر وكنعان كانت تحت السيطرة اللصيقه وقها، فإنَّ عَبر عدد ضخم من الإسرائييليين الهاجرين عبر حصنون الحدود التابعة للسيطرة الفرعونية فيجب أن يوجد سجل لذلك».

ولا شك في أنّ ذلك قد حدث... إننا نعرف من نقوش الحجارة مثل نقوش تلك القضية الناجحة لكاتب الخزانة موز (أو ميس) من محارب مقبرته في رمال سقارة الجافة أنه قد وُجدت أرشيفات ضخمة من البرديات في كل من هليوبوليس (التي للوزير) وفي بر - رمسيس نفسها (ملفات خزانة ومخزن الحبوب) في شرق الدلتا، والتي لم ينج منها ولا أصغر الفتات. في طين الدلتا الرطب الغامرة لم تنج أي برديّة أبداً (سواء ذكرت العبرانيين الهاجرين أم لا) ما لم تكن (كما في تانيس الفترة المتأخرة) قد أحرقت أولاً وتتمثّل كرثتها تماماً، وصارت بالتالي غير ممكّنة القراءة، إلا بوساطة تقنيات حديثة خاصة جداً. وبعبارة أخرى، فقدت أرشيفات القرن الثالث عشر الرسمية من مراكز شرق الدلتا بنسبة 100 %، فلا يمكننا أن نتوقع أن نجد ذكرًا

(1) المصدر السابق، ص 201

فيها عن العبرانيين أو أي شخص آخر. الأثر الوحد الإداري الصرف الذي عُثر عليه في بر - رمسيس (حتى الآن) حفنة من بطاقات محتويات آنية الخمر التي تذكر تفاصيل عن خمر من السنة الـ 52 من حكم رمسيس الثاني⁽¹⁾.

خلاصة الكلام في مسألة تاريخية قصة الخروج، هي أن هذه القصة لا تسقط إلا إذا حاكمنا القصة إلى جميع ما جاء في التوراة، وهو ما لا يفعله مسلم؛ لمخالفته تفاصيل التوراة اليهودية الخبر القرآني. وليس في البحث الأركيولوجي شيء يدين الخبر القرآني.

ومن اللافت هنا قول الأكيدولوجي أبراهم فوست⁽²⁾: « بينما هناك إجماع بين العلماء على أن قصة الخروج لم تقع بالطريقة الموصوفة في الكتاب المقدس، من المثير للدهشة أن معظم العلماء على اتفاق أن القصة تحتوي على نواة تاريخية صحيحة، وأن بعض مستوطني المرتفعات جاؤوا - بطريقة أو بأخرى - من مصر »⁽³⁾. وساق فوست أسماء نقاد كثر (يبلغ عددهم العشرين) على هذا الرأي⁽⁴⁾.

ح. رحلة النبي

يقول المعارض: كيف تكون رحلة تيه بنى إسرائيل أربعين سنة في سيناء صادقة تاريخياً، ونحن لم نعثر على آثار إقامتهم فيها هذه السنوات؟!

هذا الاعتراض غافل عن أوصاف حياة بنى إسرائيل في مرحلة التيه:

- بنو إسرائيل، كانوا في رحلة التيه جماعة صغيرة تعيش حياة شبهة بدوية، بعدما خرجت فارة من ظلم الفرعون. وليس من طبيعة هذه الحياة - كما هو متطرق عليه - ترك بصماتها على الأرض، إلا نادراً. وقد اعترف بذلك فنكلشتاين الذي كان له نشاط مشححٍ واسع في سيناء والتجف؛ فقد قال

(1) ك. أ. كشن، مصداقية العهد القديم، ص 776.

(2) أبراهم فوست Avraham Faust: أركيدولوجي من فلسطين المحتلة. أستاذ في جامعة بار إيلان. له اهتمام خاص بأركيدوجيا إسرائيل القديمة في العصر الحديدي.

Avraham Faust, 'The Emergence of Iron Age Israel,' in T.E. Levy, T. Schneider and W.H.C. Propp, eds. (3) *Israel's Exodus in Transdisciplinary Perspective*, p. 476.
Ibid. (4)

- إنه من الصعب العثور على آثار لساكنى الصحراe القدماء، وحتى بدو القرن التاسع عشر⁽¹⁾، مؤكداً أنَّ طبيعة التنقل المستمرّ وعدم الاستقرار، تجعلهم يتخلّقون من كثير من الأدوات المعيشية المادية والمظاهر الثقافية التي تركُ أثراًها عادة في الأرض⁽²⁾. وأضاف الأركيولوجي بن يوسف⁽³⁾ أنه حتى المجتمعات البدوية المعقدة والمستقرة والشريحة نسبياً «تبقي شفافة (لا تُرى) في الممارسات الأثرية الشائعة، ما لم تشارك في نشاطات متميزة مثل التعدين والصهر»⁽⁴⁾. وعلى الرغم من التقدّم الكبير في «علم آثار التنقل» إلا أنَّ مناطق البدو قد تُقلّت من الرصد⁽⁵⁾.
- خرج بنو إسرائيل فارين من مصر، لا يحملون معهم أسباب إقامة العمran في مناطق فقر. والتوراة تذكر أنهم قد سكّنوا الخيام أثناء ذلك (خروج 16/16، العدد 1/9، 52، 17، تثنية 1/27، 33,...). وقد شُكّ بعضهم في استعمالبني إسرائيل للخيام في ذاك الزمان البعيد. وليس ذاك الاعتراض بشيء؛ إذ من الممكن الإشارة إلى أنَّ حوليات تحمس الثالث ونقوش قادش التي تعود إلى رمسيس الثاني، قد ذكرت تخيم الجيش المصري في هذه الحملات⁽⁶⁾.
 - لم يلتقي بنو إسرائيل بجماعات أخرى للتعاون لإقامة العمran الذي يترك عادةً آثاره في الأرض.

Israel Finkelstein and Avi Perevolotsky, 'Processes of Sedentarization and Nomadization in the History (1) of Sinai and the Negev,' *BASOR* 279 (1990): 67.

Ibid., 68. (2)

العرب - مع ذلك - أنَّ فنكليشتاين قد عاد لاحقاً في كتابه الشهير «The Bible Unearthed» (ص 62) إلى الزعم أنه لا بد أنَّ ترك رحلة التي آثارها الظاهرة التي من الممكن كشفها. ولعل ذلك بسبب إيمان فنكليشتاين بالعدد المليوني للأسرى اليهود في رحلة النبي.

(3) إرز بن يوسف Erez Ben-Yosef: أستاذ في قسم الأركيولوجيا وثقافات الشرق الأدنى، جامعة تل أبيب. له اهتمام خاص بالمناهج العلمية الحديثة لتأريخ الآثار القديمة.

E. Ben-Yosef, 'Back to Solomon's Era, results of the first excavations at Slaves' Hill (Site 34, Timna, (4) Israel),' *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* (2016), 376:169.

H. Barnard, W. Wendrich, *The Archaeology of Mobility: Old World and New World Nomadism* (Los Angeles, CA: Cotsen Institute of Archaeology at UCLA, 2008). James K. Hoffmeier, *Ancient Israel in Sinai*, pp.151—152. (5)

● كان بنو إسرائيل يرجون كلّ سنة في رحلة التيه الطويلة أن يخرجوا من ضياعهم في هذه الأرض الواسعة؛ ليستقروا في بلاد من الممكن إقامة العمran فيها؛ ولذلك فلم يكن من الحكمة أن يقيموا بُنيانهم في أرض سير حلون عنها في يوم قريب جدًا - في ظنهم - .

ومن المهم الإشارة هنا أنَّ من الرافضين لتاريخية خروجبني إسرائيل من مصر، من أقرَّ أنَّ قصة الخروج كما في التوراة اليهودية تعكس معرفة جيدة بجغرافيا شرق الدلتا، وشبه جزيرة سيناء، والنجمف، وشرق الأردن، ومنهم الأركيولوجي أميهاي مازار، الذي زعم أنَّ ذلك قد يعود إلى أنَّ جماعة من العبيد ذوي الأصول السامية الغربية قد فروا من شمال شرقي الدلتا إلى سيناء في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ثم التحقوا «بالكونفدرالية الإسرائيليَّة» لاحقًا، وجاؤوا معهم بقصة الخروج مع أفكار دينية جديدة^(١) .

وما قاله مازار لا يفصله عن الحقيقة سوى أنَّ يتزعَّ من رأسه الرقم المليوني الذي ادعته التوراة للخارجين مع موسى - عليه السلام - من مصر؛ ليصير ما قاله عن هذا الفريق من «العبيد ذوي الأصول السامية الغربية» عين ما نقوله في بنى إسرائيل، وخروجهم من مصر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وليسعني - بذلك - المرء عن البحث عن سبب معقول لمعرفة مؤلف التوراة اليهودية بجغرافيا الخروج!

خ. مشابهة ميلاد موسى عليه السلام لميلاد سرجون
عُثر على نص شعرى يتحدث عن الملك سرجون، اتخذه عدد من الكتاب الملاحدة حجة للتشكيك في أصالة قصة ميلاد موسى - عليه السلام - في التوراة والقرآن.

Amihai Mazar and Israel Finkelstein, *The Quest for the Historical Israel*, p.60 (١)

تعود هذه الوثيقة إلى الألفية الأولى قبل الميلاد⁽¹⁾، وتحدّث عن ميلاد سرجون، وتفسر الصعود السريع لأول حاكم كبير ساميّ الأصل في بلاد الرافدين، سرجون الأول الأكادي (2334 - 2279 ق.م.).

يذكر النصُّ أنَّ سرجون الأول ابنٌ غير شرعيٍّ لكاهاة أهملته لِمَا كان رضيعاً؛ لأنَّ وظيفتها تمنعها أن يكون لها أولاد⁽²⁾. ولم تشتهر هذه الوثيقة إلا بسبب ما جاء فيها من مشابهة لقصة موسى - عليه السلام -؛ إذ يذكر النصُّ أنَّ سرجون قد وضعته في النهر في سلةٍ من البردي قد ختمت بالزفت. وهو نصٌ يُشابه نصَّ خروج 1-5: «وَأَدْهَبَ رَجُلٌ مِنْ بَيْتِ لَوَّيِّ وَأَخْذَ بَنْتَ لَوَّيِّ، فَحَبَّلَتِ الْمَرْأَةُ وَوَلَّدَتِ ابْنًا. وَلَمَّا رَأَتْهُ أَنَّهُ حَسَنٌ، خَبَّأَتْهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ. وَلَمَّا لَمْ يُمْكِنْهَا أَنْ تُخْبِتَهُ بَعْدَ، أَخْذَتْ لَهُ سَفَطًا مِنَ الْبَرْدِيِّ وَطَلَّتْهُ بِالْحُمْرَ وَالرَّزْفَتِ، وَوَضَعَتِ الْوَلَدَ فِيهِ، وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ. وَوَقَفَتْ أُخْتُهُ مِنْ بَعْدِ لِتَعْرِفَ مَاذَا يُفْعَلُ بِهِ. فَنَزَّلَتِ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ إِلَى النَّهْرِ لِتَغْسِلَ، وَكَانَتْ جَوَارِبِهَا مَاشِيَاتٍ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ. فَرَأَتِ السَّفَطَ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ، فَأَرْسَلَتْ أُمَّهَا وَأَخْدَهَا».

و قبل التعليق على دعوى الاقتباس، لا بد من نقل ترجمة النص؛ لتتضاح الصورة: «أنا سرجون، الملك العظيم، ملك بلاد أكاد. كانت أمي كاهنة عظيمة، ولا أعرف أبي. كان أعمامي يسكنون القلال.

ومديتي (حيث ولدت) هي أزوبيرانو التي تقع على ضفاف الفرات.
لقد حملتني أمي، الكاهنة العظيمة، وولدتني سِرّاً.

Bill T. Arnold, Bryan E. Beyer, eds. *Readings from the Ancient Near East: Primary Sources for Old Testament Study* (MI: Baker Academic, 2002), p.75; Benjamin R. Foster, *The Age of Agade: Inventing Empire in Ancient Mesopotamia* (London: Routledge, 2015), p.268; Brian Lewis, *The Sargon Legend: A study of the Akkadian text and the tale of the hero who was exposed at birth* (MA: American Schools of Oriental Research, 1980), pp.106 - 107.
Ibid. (2)

ووضعوني في سلة من البردي، وختمت غطاءها بالرقة.
تركتني إلى النهر الذي لا أملك الفرار منه.

حملني النهر، وأخذني إلى غراف الماء أكي. اتشلني أكي الغراف عندما غمس
دلوه في الماء.

رباني أكي الغراف كابن له.

وجعلني أكي الغراف بستانياً عندـه.

وعندما كنت بستانياً، أحبتني عشتار.

(ولذلك) حكـمـتـ كـمـلـكـ خـمـسـاـ وـخـمـسـيـنـ سـنـةـ

تـولـيـتـ عـلـىـ شـعـبـ الرـؤـوسـ السـوـدـاءـ⁽¹⁾، وـحـكـمـهـ.

[عبرت بين؟] جـبـاـ صـعـبـ مـعـتـمـداـ عـلـىـ فـؤـوسـ مـنـ الـبـرـونـزـ.

تـسـلـقـتـ التـطاـقاتـ الـعـلـيـاـ مـرـاتـ وـمـراتـ.

اجـتـرـتـ التـطاـقاتـ الدـنـيـاـ مـرـاتـ وـمـراتـ.

حاـصـرـتـ [أـرـضـ؟] الـبـحـرـ ثـلـاثـ مـرـاتـ.

غـزوـتـ تـلـمـونـ⁽²⁾ ...

صـعدـتـ إـلـىـ دـيرـ الـعـظـيمـةـ، وـ...ـ

حـطـمـتـ [كـرـلـوـ].

أـيـ مـلـكـ يـأـتـيـ بـعـدـيـ

[لـيـكـ مـلـكـاـ 55ـ عـامـاـ؟]

لـيـتـولـيـ وـيـحـكـمـ شـعـبـ الرـؤـوسـ السـوـدـاءـ.

(1) لقب للسمريين.

(2) منطقة في بلاد العرب.

[ليواجه؟] الجبال الصعبة مستعملًا [فؤوسًا من البرونز] ...

ليتسلق النطاقات العليا مزاراتٍ ومزاراتٍ ...⁽¹⁾.

ونحن نرفض دعوى الاقتباس لأسباب:

أولاً: لا تشابه بين القصصين سوى في وضع الأم ابنها في نهر، في سقط مطلي بالزفت. وأما الأمور السابقة لهذه الجزئية في قصة سرجون والتالية لها؛ فلا تشابه قصة موسى -عليه السلام- في التوراة والقرآن:

- والدموسي -عليه السلام- ليس رجلاً مجهولاً، وإنما هو رجلٌ لاوي.
- أم موسى -عليه السلام- ليست كاهنة.
- موسى وُضع في مجرى ماء في مصر، في حين وُضع سرجون في مجرى ماء في بلاد ما بين النهرين.
- لم تضع أم موسى -عليه السلام- ابنها في النهر لأنَّه ابن زنا، وإنما خشية أن يقتله فرعون.

في التوراة، اكتشفت ابنة فرعون موسى -عليه السلام- الرَّضيع، وفي القرآن اكتشفته زوجة فرعون، في حين أنَّ رجلاً فقيراً، يعمل في وظيفة متدنية تُسند عادة للأسرى، وهي الاغتراف من الماء، هو مكتشف الوليد في النهر.

- رُبِّي سرجون عند هذا المستقى من الماء في حين تربى موسى -عليه السلام- في قصر الفرعون.

صار سرجون بستائياً، ثم أحبَّه اللهُ الحب في بلاد الرافدين، عشتار؛ فصار بذلك ملكاً، في حين تُخبرنا التوراة والقرآن أنَّ موسى -عليه السلام- لم يَصِرْ ملِكًا، بل خرج من قصر الفرعون بعد طفولته، ثم خرج من مصر مع قومه المستضعفين.

ثانياً: قصة سرجون كُتبت - كما يقول عامة التقاد - في منتصف النصف الثاني من الألفية الأولى قبل الميلاد، في عصر سرجون الثاني (توفي 705 ق.م) أو قبله بقرن^(١)، قبل عصر موسى - عليه السلام - بقرون. وإثبات أنّ القصة مجرد نسخ لتراث قديم قريب من سرجون الأول (توفي حوالي 2284 ق.م) يحتاج إلى حجّة قوية، كما لا توجد حجّة إلى اليوم لردة هذه القصة إلى ما قبل عصر موسى - عليه السلام.

ثالثاً: التشابه في بعض التفاصيل بين القصص لا يلزم منه أنّ أحدهما أخذَ من الآخر؛ خاصةً إذا كانت الاختلافات بين القصتين كبيرة. وقد جمع دونالد ردفور كلّ أساطير «الطفل المتروك» المعروفة لنا من الشرق الأدنى القديم، فكانت 32 قصة.

وانتهي إلى تقسيمها إلى ثلاثة أنواع:

- الطفل المتروك بسبب العار.
- حاول الملك أو شخصية أخرى قوية قتل الطفل لأنّه يمثل تهديداً للحكم.
- مجرّزة تقتت، تهدّد حياة طفل وآخرين^(٢).

وانتهي ردفور إلى أنّ قصة سرجون تتبع إلى النوع الأول، في حين تتبع قصة موسى - عليه السلام - إلى النوع الثالث^(٣). ولذلك أنكر أن تكونا حقيقة متقابلين^(٤). رابعاً: فسر عالم المصريات هوفماير ورود قصة الوليد الذي يُلقى في الماء بعد ولادته طلباً لنجاته، في عدّة نصوص قديمة في الشرق الأدنى، بقوله: «السبب وراء كثرة قصص إلقاء طفل في المياه من جميع أنحاء الشرق الأدنى والبحر الأبيض المتوسط أنّ ذاك يعكس الممارسة القديمة المتمثلة في إسلام طفل غير مرغوب فيه،

Brian Lewis, *The Sargon Legend: a study of the Akkadian text and tale of the hero, who was exposed at birth* (Cambridge, 1980), 1 - 10

Donald B. Redford, 'The Literary Motif of the Exposed Child (Cf. Ex. ii 1 - 10)', *Numen*, Vol. 14, Fasc. (2) 3 (Nov., 1967), p.211.

Ibid., pp.214, 218. (3)

Ibid., p.219. (4)

أو شخصٍ يحتاج إلى الحماية، إلى أيدي العناية الإلهية. والمقابل الحديث لهذا الأمر هو ترك طفل على درجات دار أيتام أو على باب كنيسة⁽¹⁾.

وواقفه بروفان ولونجمان بقولهما: «الغاية من وجود السلة على الماء في كلتا الثقافتين إسلام الطفل إلى رعاية الإله الذي يتحكم في المياه. وذلك هو الموازي القديم للممارسة الحديثة بترك طفل غير مرغوب فيه على عتبة منزل أو مستشفى»⁽²⁾.

خامسًا: عَثْر هوفمير على ست كلمات في التوراة مقتبسة من اللغة المصرية القديمة في الأعداد القليلة التي جاء فيها خبر ميلاد موسى -عليه السلام- في التوراة⁽³⁾. والأصل أن نجد كلماتٍ أكادية في القصة التوراتية لو كانت دعوى الاقتباس صحيحة، خاصة مع تسليمنا بالأثر البابلي في إعادة كتابة التوراة في وقت متأخر.

أخيرًا، حتى تكون التشابهات لافتة للنظر؛ للقول بالاقتباس؛ تحتاج أن تتوفر في

هذه التشابهات مجموعة معالم مثل أن تكون:

- أوجه التشابه متعددة.
- الأحداث المشابهة غير مألوفة في عامة القصص.
- أوجه التشابه مرَكبة (من عناصر متداخلة).
- تخدم هذه التشابهات الأغراض نفسها في القصتين.
- بالإمكان تاريخيًّا رسم علاقةٌ أثيرٌ وتأثيرٌ بين النَّصَيْنِ؛ فالمقتبسُ منه فيهما أشيقٌ تاريخيًّا من المقتبس، إضافةً إلى ضرورة التقارب الجغرافي ...
- وذلك ما لا نجده في بحثنا هنا في المقارنة بين ميلاد موسى -عليه السلام- وقصة ميلاد سرجون.

Ibid., 138 (1)

Cited in: Josh McDowell and Sean McDowell, *Evidence That Demands a Verdict: Life - Changing (2) Truth for a Skeptical World* (Nashville, Tennessee: Thomas Nelson, 2017), p.465.

Hoffmeier, *Israel in Egypt*, 138-40. (3)

الخلاصة:

- قال عالم المصريات كنث كتشن عن وجود موسى -عليه السلام-: «لا يوجد دليل واقعي لاستبعاد مثل هذا الشخص في هذه الفترة، أو أنه لعب الأدوار المضمنة في سفر الخروج إلى سفر الشتنة. قدّرُ كبير من المناقشات غير الحاسمة من قبل علماء الكتاب المقدس خلال ما يقرب من مائتي عام لم تُثبت شيئاً تقريرياً بيقين»^(١).
- رفع النكارة عن وجود موسى -عليه السلام-، حُجَّة لرفع النكارة عن وجود هارون عليه السلام؛ لأنّ قصّة هارون عليه السلام داخلة في قصّة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل وفرعون.
- ليس في القرآن ما يستنكِرُ البحث الأركيولوجي في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.
- السبب الرئيس لشككِ فريق من الأركيولوجيين في وجود موسى -عليه السلام- ما زَوَّنهُ التوراة من وجود ملايين من الإسرائيليين في مصر في زمانِه، وعند خروجه من مصر، وعند التيه. وقد أومأ خبر القرآن إلى تكذيب التوراة المحرفة في مبالغاتها.
- في القرآن دقة تاريخية تشفُّ عن مصدره الإلهي.

K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.299. (١)

الفصل الثاني الوجود التاريخي ليوسف - عليه السلام -

المبحث الأول: يوسف - عليه السلام - في القرآن والكتاب المقدس

يوسف - عليه السلام -، النبي الكريم ابن النبي الكريم يعقوب - عليه السلام -، ابن النبي الكريم إسحاق - عليه السلام -، ابن النبي الكريم إبراهيم - عليه السلام -، وقصته في القرآن الأكثر تفصيلاً بين قصص الأنبياء بعد قصة موسى - عليه السلام -. وقد ورد خبرُها مجموعاً في سورة يوسف التي تحدثَت عن حياته من الطفولة بين والديه (خارج مصر) حتى التمكين في أرض مصر. وجاء فيها خبرُ حالِه مع أهله، ومكرِ إخوته به، وبيعه خارج بلده عبداً في مصر، وفتنة إغواء زوجة من اشتراه، ومكر القوم به بسجنه، وحاله في السجن مع الدعوة إلى التوحيد وتفسيره الرؤى المنامية، ثم علم الملك بقدرته على تفسير المنامات، وتأويله - عليه السلام - للمنام الذي حير الملك، ثم تنصيبه في مقام عال في إدارة البلاد، وقدوم أهله لمصر طليتاً للعون زمن المجاعة، والخطبة التي دبرها لاستبقاء أخيه بتهمة السرقة، وأخيراً كشفه نفسه لإخوته، وقدوم أبيه وأمه وإخوته لمصر آخر القصة.

وقد جاءت قصة يوسف - عليه السلام - في سفر التكوين 30 - 50 . وهي تذكر تفاصيل كبيرة موافقة للخبر القرآني منذ حياته في بيت والده، وتآمر إخوته عليه، وبيعه إلى قافلة مسافرة إلى مصر، وحياته مُشرقاً في بيت أحد كراء مصر، وفتنة زوجة سيده، وسجنه، ورؤيا ملك مصر، وتفسيره الرؤيا، ومجاعة مصر، واستلامه الوزارة في مصر، وزيارة إخوته له من (كنعان) دون معرفة أنه أخوهم إلى قدوم أبيه وأهله إليه.

آخر القصة، والسجود له، مع بعض المخالفات في التفاصيل. وقد تناولنا بشيء من التفصيل المقارنة بين قصبة يوسف التوراتية والقصة في القرآن، وبين الفارق التاريخي والعقدي والقيمي بينهما^(١). والاختلافات التاريخية التي تعنى بها في هذا الكتاب ليست كبيرة.

(١) انظر سامي عامري، براهين النبوة (لندن: مركز تكوين، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م)، ص ٣٨٠ – ٤٠٤.

المبحث الثاني: الوجود التاريخي ليوسف - عليه السلام -

العناصر التاريخية في القصة القرآنية ليوسف - عليه السلام -، القابلة للرصد
الأركيولوجي هي:

- دخول يوسف - عليه السلام -، ثم أفراد أسرته أكثر من مرة مصر من جهة
كعنان: قال تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْرَوْهُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفُوهُ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾^(١) (يوسف / 58). وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمْرَهُمْ أَبُوهُمْ
مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَنَهَا﴾^(٢)
(يوسف / 68). وقال - جل وعلا -: ﴿وَلَمَّا فَصَلَّتِ الْعِصْرُ قَالَ أَبُوهُمْ
إِنِّي لِأَحِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُقْنِدُونَ﴾^(٣) (يوسف / 94). وقال تعالى:
**﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ مَا وَعَ إِلَيْهِ أَبُوهُمْ وَقَالَ أَدْخُلُوا مَصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
مَا شاءَ﴾**^(٤) (يوسف / 99).
- انتشار الشرك في مصر: قال تعالى في قول يوسف - عليه السلام - لمن معه
في السجن: ﴿يَصْحِحِي الْسِّجْنَ مَأْزَابَ مُتَفَقِّرَاتٍ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٥)
(يوسف / 39).
- ظاهرة تأويل الأحلام في مصر: قال تعالى: ﴿يُوْسُفَ أَتَاهَا الصِّدِيقُ أَقْتَنَافِ
سَبْعَ بَقَرَاتٍ سَمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ شَنْبُلَتٍ خَضْرٍ وَأُخْرَ يَأْكُلُهُ
لَمَلِئَ أَرْجُعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَلْمُونَ﴾^(٦) (يوسف / 46).
- مجاعة تمتد سبع سنوات في مصر: قال تعالى: ﴿قَالَ نَزَّرَ عَوْنَ سَبْعَ سِينَانَ دَأْبًا
فَأَحَصَدُتُمْ فَدَرْوَهُ فِي شَبَيلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مَا تَأْكُلُونَ﴾^(٧) ثم يأني من بعد ذلك سبع
شداد يأكلن ما فقدتم من إلا قليلاً مَا تخسرون^(٨) ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث
الناس و فيه يعمرون^(٩) (يوسف / 47 - 49).

● تحول يوسف إلى أقرب «وزراء» الملك: قال تعالى: **﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْفُونِ
بِهِ أَسْتَعْنُكُمْ لِتَقْسِيَّ لَقَمْنَا كَلَمْنَهُ قَالَ إِنَّكَ أَلْيَوْمَ لَدِينَا مَكْبِكْنَ أَمِينٌ﴾**
**﴿فَأَلَّا جَعْلَنِي
عَلَى حَرَابِنَ الْأَرْضِ إِلَّا حَفِظَ عَلَيْهِ﴾** **﴿وَكَذَلِكَ مَكَنَا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ
بَسْبُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ تُصْبِيَتْ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا تُنْصِيَعُ أَجْزَرَ الْمُخْسِنِينَ**

﴿﴾(يوسف/ 54 - 56).

لم تصلنا قصة يوسف -عليه السلام- مع أهله وحاكم مصر في زمانه في الآثار المصرية المحفوظة. والمخالفون منكرون لما جاء في القرآن باستثناء أمر الشرك. والواجب التظر في وجاهة ما اعتبروا به على الإمكان التاريخي للقصة.

المطلب الأول: دخول الإسرائييليين مصر

يُخبرنا القرآن عن دخول يوسف -عليه السلام- مصر من البلد المجاور (كنعان). ثم تكرر في القصة ذكر دخول إخوة يوسف مصر منها. وقد بحث العلماء هذه المسألة، واستدلوا لإمكانها بوجود آثار دالة على استيطان مهاجرين من كنعان مصر. قال إسرائيل فنكشتاين ونيل سلبرمان: «هناك شيء واحد مؤكد، وهو أن الموقف الأساسي الموصوف في ملحمة الخروج؛ أي ظاهرة المهاجرين الذين نزلوا إلى مصر من كنعان واستقرروا في مناطق الحدود الشرقية للدلتا، قد تم التتحقق منه بوفرة في الاكتشافات الأثرية والنصوص التاريخية»⁽¹⁾، بعيداً عن تعريفهما لحقيقة أصحاب هذه الهجرة السامية، فإنّ قولهما يخدم الإطار الذي تقدمه قصة يوسف -عليه السلام- وأهله، وهي هجرة ساميين في تلك الفترة من كنعان إلى مصر للاستيطان فيها.

وقال ريتشارد فريدمان: «أعتقد أن نقطة اتفاق واحدة بين معظم العلماء المشاركون في مؤتمر دولي عقد مؤخراً بعنوان «الخروج من مصر» حول مسألة تاريخية الخروج، وبالغ عددهم 45 باحثاً، كانت أن الشعوب السامية، أو الغربيين الآسيويين، كانوا

Finkelstein and Silberman, *The Bible Unearthed: Archaeology's New Vision of Ancient Israel and the (1) Origin of Sacred Texts*, pp.52- 53.

يعيشون في مصر بالفعل. وكانوا يسافرون من مصر وإليها لعدة قرون»⁽¹⁾. إن شواهد التاريخ مخبرة أن جماعات من الساميين الغربيين، من العموريين وجماعات أخرى من بلاد الرافدين ترتبط بالإسرائيليين لغويًا وربما إثنياً اتجهت من كنعان إلى الدلتا في متصف الألفية الثانية قبل الميلاد⁽²⁾. ومن أشهر شواهد دخول الساميين مصر مشهد من قبور بني حسن. ففي هذا النعش حديث عن خبر 37 آسيوياً جاء بهم إلى مصر لأسباب تجارية. وقد جاء بهم أبي - شا، وهو اسم سامي كما هو ظاهر.

صور الآسيويين من قبور بني حسن⁽³⁾



وجاء في «نبءات نفرتي» (حوالي 1990 - 1960 ق.م.) التي كتبت لانتقاد الواقع القائم وشرعنة حكم أمنمحات الأول: «لقد هلكت كل الأشياء الطيبة، والأرض مُفلقة بالرؤس بسبب أولئك الذين يبحثون عن الطعام، الآسيويين الذين يجوبون الأرض. ظهر الأعداء في الشرق، ونزل الآسيويون إلى مصر... سُبّني أسوار الحاكم لمنع الآسيويين من التزول إلى مصر. سوف يتسللون للحصول على الماء بالطريقة المعتادة منهم، من أجل ترك قطعائهم تشرب»⁽⁴⁾.

The Exodus Is Not Fiction An interview with Richard Elliott Friedman. (1)

“<https://reformjudaism.org/exodus - not - fiction>”.

. William G. Dever, *Has Archaeology Buried the Bible?*, pp.19 - 20 (2)

<<http://www.asor.org/wp-content/uploads/2019/01/Cohen3 - 1024x179.jpg>>. (3)

Nili Shupak, 'The Prophecies of Neferti,' in William Hallo and K. Lawson Younger, eds., *The Context of Scripture: Canonical Compositions, Monumental Inscriptions and Archival Documents, from the Biblical World*, vol. 1, (Leiden: Brill, 1997), pp.107 - 110. (4)

نصب لمرتزق سوري في الجيش المصري، وزوجته، القرن 14 ق.م.
Neues Museum، برلين



كما اكتُشفت في منطقة تل دبعا على دلتا النيل في مصر منطقة سكنية واسعة تعود إلى بداية الألفية الثانية قبل الميلاد، فيها بيوت، وقبور، وفخار؛ كلها تقريباً مطابقة للمادة الثقافية لكتناع القديمة في الفترة نفسها. وأهمّ من كلّ ما سبق علمنا بسيطرة الهكسوس الساميين، الأجانب عن مصر، على مصر لقرنٍ من الزمان، في الزمن الذي يرى جمهور النقاد أنه يوافق الزمان التوراتي لوجود يوسف -عليه السلام- في مصر.

المطلب الثاني: الوزير المجهول

لعلّ أشهر ما أُنكر على قصة يوسف -عليه السلام-، غياب ذكر يوسف -عليه السلام- في المنقوشات. والحقّ إنّ القول بعدم وجود يوسف -عليه السلام- فرع

عن العلم بتفصيل حكم ملوك الهكسوس كلّهم، ومن استلموا الوزارة. والعلم التفصيلي بكامل مدة حُكْمِ الهكسوس لا يزعمه الأركيولوجيون. ولا تزال منه مناطق مظلمة إلى اليوم.

ومن أهم الشواهد التاريخية التي تدفع التكارة عن غياب اسم وزير في البلاط المصري، حال وزير سامي، وصاحب سلطانٍ واسعٍ أثناء حُكْمِ من منتخب الثالث وأختاً، اسمه El - Aper. فقد اكتشف قبره سنة 1987 على يد عالم المصريات الفرنسي ألان زيفي، في قرية سقارة (قرب القاهرة). وAper الهيروغليفية هي المقابل المصري القديم لكلمة عبد السامية. ويرى زيفي أنَّ الاسم كان يُنطق في الأصل عبدِ إيل، أي عبد الإله إيل. وهو اسمٌ أطلق في سفر أخبار الأيام الأولى 15 على أحد الشخصيات ^{٦٧٦٤}. وقد كشف هذا القبر أيضًا عن سامية اسم زوجة عبدِ إيل وأولاده، كما أنَّ الدفن العائلي (كما في حال عبدِ إيل وأهله) ظاهرةٌ كنعانية، وليس من العادات المصرية لأهل العصر^(١).

ومن ألقاب هذا الوزير: القاضي، وأبي الإله» بمعنى الشخص المقرب من الملك والناتج له والمعتني به منذ طفولته، وابن الحضانة^(٢)، و«رئيس كل الأرض» و«رسول الملك». وهو الوزير الوحيد الذي لُقبَ بـ«ابن الكتاب» (أي الذي ربّي أو ذُرس في بيت حاكم مصر). كما لُقبَ بـ«الخادم الأول لآتون»، الإله المصري^(٣). ويعلّق هو فماير على الكشف عن قبر هذا الوزير غير المصري في بلاط الفراعنة، بقوله: «هذا الاكتشاف هو أول ظهور لاسم شخصية رسمية عالية المرتبة بعد أكثر من

James K. Hoffmeier, *Israel in Egypt*, p.95. (1)

Ibid., pp.94 - 95 (2)

Zivie, Alain. 'Pharaoh's Man, 'Abdiel: The Vizier with a Semitic Name,' *Biblical Archaeology Review* (3) 44.4 (2018): 22-31, 64-66.

< <https://www.baslibrary.org/biblical-archaeology-review/44/4/2> >.

'Abdiel: Egyptian Vizier and "Servant of the God El"

"<https://www.biblicalarchaeology.org/daily/ancient-cultures/ancient-near-eastern-world/abdiel-egyptian-vizier-servant-god-el-alain-zivie/>".

قرن من التنقيب في سقارة. وإذا كان أمرُ شخصية رسمية عالية مثل الوزير أبر - إيل كان مجهولاً كلياً للعلماء المعاصرين حتى آخر ثمانينيات القرن العشرين رغم حقيقة أنه قد عاش في واحدة من أفضل العصور توثيقاً في التاريخ المصري، ودُفن في أكثر المناطق توثيقاً في مصر؛ فإنه من الخطأ - كما يفعل البعض - أن نطلب أن تكون هناك حجية أركيولوجية مباشرة ليوسف إذا كان شخصية تاريخية حقيقة. وهذا الاعتراض بالذات صحيح في شأن يوسف؛ إذ إن مكان وجوده في سفر التكوير هو منطقة الدلتا التي لا تزال إلى الآن ضعيفة التنقيب^(١).

صورة الوزير Aper - El



وعلمنا أن النبوة تأبى جنون العظمة وحب تخليد النفس عند الحكام وأهل السلطة، يجعلنا لا نستبعد أن يَتَهَى يوسف - عليه السلام - النحات في عصره عن رسمه ونحت صورته في القصور والمقابر.

Hoffmeier, *Israel in Egypt*, pp.94 - 95. (1)

ولا يبقى لنا إلا أن نبحث عن العناصر التاريخية لقصة يوسف - عليه السلام - كما جاءت في القرآن؛ بما يفيدها في دخولها مجال «الممكן التاريخي»؟ أي عدم تضمنها تفاصيل من الممتنع أن توافق طبيعة ذاك العصر. علماً أن جماهير النقاد على أن يوسف - عليه السلام - قد عاش في زمن حُكم الهكسوس مصر، في القرنين السابع عشر والسادس عشر قبل الميلاد (تقريباً 1650 - 1540 ق.م.).

وقد درس عدد من علماء المصريات قصة يوسف - عليه السلام -، وانتهوا - باستثناء ردفورد - إلى أن هذه القصة تحمل معالم مصرية قديمة من الألفية الثانية قبل الميلاد. وكان فرجوت من أهم من كتبوا في هذا الباب، خاصة في الرد على المعارضين. وقد سبقه الناقد الهولندي ج.م.أ. جونسون الذي بين مصرية قصة يوسف - عليه السلام -، أساساً من خلال الحديث عن العبودية، والأحلام، والموظفين الأجانب، والأسماء الشخصية، والمجاعة⁽¹⁾. ومع اعتراف جونسون أن المادة المصرية في قصة التوراة لا تجيز عن كل الأسئلة المطروحة، إلا أنها تقدم صورة صادقة عن مصر في فترة ما من الألفية الثانية قبل الميلاد.

المطلب الثالث: تنصيب أجنبيٍّ وزيراً في مصر

ليس تنصيب يوسف - عليه السلام - وزيراً في دولة الهكسوس من العجائب؛ فالهكسوس قوم من الساميين، وليسوا مصريين. وتقليد الهكسوس لواحد من جنس الساميين غير بعيد. علماً أن الملك الثاني للهكسوس اسمه يعقوب - هير⁽²⁾.

بل إن علماء المصريات يعلمون منذ زمن بعيد أنه إثر الفوضى التي وقعت بعد موت الفرعون سيتي الأول سنة 1194 ق.م، قام موظف رسمي اسمه باي بجهد عظيم لوضع سباتح على رأس الحكم، وحمل لقب «القائد الكبير للأرض كلها». كما

J.M.A. Jansen, *A Study of the Biblical Story of Joseph* (Leiden: Brill, 1970). (1)
H.R. Hall, *The Ancient History of the Near East* (Routledge, 2015), p.217. (2)

ارتقى رجل له اسمٌ ساميٌ إلى مرتبة وزير أثناء حكم الفرعون حتّشسوب (1479 - 1457 ق.م)⁽¹⁾.

ورغم حماسة الباحث اللاديني فراس السواح للقول بخرافية قصة يوسف - عليه السلام - برؤتها، إلا أنه اعترف أن «هناك ذكرٌ لأكثر من شخصية آسيوية توصلت إلى مناصب عالية في الدولة، بين هؤلاء رجلٌ اسمه عرشو استلم زمام السلطة في مصر لفترة قصيرة إبان فترة الفوضى التي جاءت في نهاية حكم الأسرة التاسعة عشر، حوالي 1200 ق.م»⁽²⁾.

وإذا كان هذا حال الأمر في حكم الفراعنة أبناء البلد؛ فكيف بالأمر في حكم الهاكسوس الساميين الغزاة؟!

نُمَّ إن ملك مصر قد رأى بعينيه معجزة الإخبار بالغيب، مع ما ظهر له من صدق يوسف - عليه السلام -؛ فاستعان به لهذين الأمرَيْنِ، دون الحاجة إلى النظر في أصله وعِرْقِه.

المطلب الرابع: خارقة يوسف

قد يقول قائل: كيف يَعْفُل المصريون عن تخليد ذِكر هذا الرجل الذي أُثْرِث عنه المعجزة العظيمة بالتشاؤ بالغيب؟

والجواب أنَّ ظاهرة تنبؤ الكهان بالغيب وقيامهم بالخوارق، شائعة جدًا في مصر القديمة، ومع ذلك؛ فإنَّ أهلها لا يُخلدون عادةً ذكرى هؤلاء باسمهم. ولستنا نطلب شاهدًا بعيدًا عن عصر يوسف - عليه السلام - لشيوع الإيمان بالخوارق؛ لإثبات ذلك؛ فإنَّ المحفوظات الأثرية تخبرنا عن بردية وستكار⁽³⁾ المكتشفة في مصر في القرن 19، والتي نُسخت زمن حكم الهاكسوس في مصر⁽⁴⁾، وهي تضم مجموعة

James K. Hoffmeier, *Israel in Egypt*, pp.93 - 94. (1)

(2) السواح، أرام دمشق، ص 55.

Westcar Papyrus. (3)

(4) يذهب بعضهم إلى أنَّ أصل هذه المخطوطة المكتوبة في عصر الهاكسوس يعود إلى عصر سالف.

قصص - تزعم البردية أنها واقعية - يرويها أبناء الملك خوفو لأبيهم لدفع السآمة عنه، ومنها قصة رئيس المرتلين «وباوونر» الذي حَوَّل التمساح الشمسي إلى تماسح حقيقي، ورئيس المرتلين «زازا معنخ» الذي تلا تعويذة سحرية جعلت أحد جانبي البحيرة على الجانب الآخر، قبل أن يرده إلى مكانه الأول، والساحر «ددي» الذي يملك أن يقطع رأس حيوان ويرده إليه ليعود حيًّا، والذي تبأ أمام خوفو بزوال مُلكه، وتَوَلَّ أبناء زوجة كاهن رع الحكم بعده...^(١).

البردية وستكار
المتحف المصري، برلين

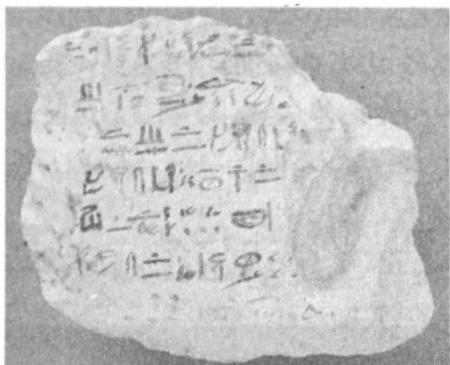


كما نقرأ قبل ذلك نص نبوءة نفرتي، وهو نصٌ يعود إلى عصر المملكة المصرية الوسطى، وإن رُعِمَ أنه يعود إلى ما قبل ذلك بأكثر من ستة قرون؛ ويدرك أنَّ الملك سنفرو (قرابة 2613 ق.م) قد طلب من السحرة في مجلسه الترفيه عنه؛ فقال له واحد منهم اسمه نفرتي إنَّ عدَّة كوارث ستضرب مصر؛ وإنَّه سيظهر بعد ذلك فرعون اسمه أمني (أي: أمنمحات الأول: 1991 – 1962 ق.م) سيعيد النظام إلى البلد^(٢).

(١) انظر في ترجمة البردية: سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، الجزء السابع عشر (القاهرة: مؤسسة هنداوى، 2017)، ص 96 – 107.

Elke Blumenthal, 'Die Prophezeiung des Neferti', in *Zeitschrift für Ägyptische Sprache und Altertumskunde*, Bd. 109 (Berlin 1982), S. 1-27.

قطعة حجرية عليها مقطع من نبوة نفرتي
Los Angeles County Museum of Art في



وفي «نصائح إببور» (حوالي القرنين العشرين / التاسع عشر ، وإن كانت تعود لزمن أبكر)، عند الحديث عن أمراض مصر ، لاحظ الحكيم أنَّ «ما سبق فكتأه به الأسلاف قد تحقق الآن »^(١) .

والتجاءُ ملك مصر للعرافين لتفسير منامه ، يوافق ما نعرفه عن مصر القديمة . فقد تحدثت التوراة في سفر التكوين 41 / 8 ، 24 عن العرافين [ערופים] [حرطميم] الذين توجه إليهم الفرعون ليسألهم تأويل رؤياه . وهو ما يوافق ما يُعرف عن عادةً مراجعة أي كبير القراء chief reader في مصر القديمة^(٢) . وهم أشخاص ذُرِبوا على تأويل النصوص ودراسة سحر التحيرة . وفي بعض النصوص يظهرون كسحرة ، تماماً مثل سِفر الخروج 7 ، 11 ، 22 ، 22 ، 3 / 8 ، 11 / 9^(٣) .

K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.387. (1)

(2) انظر في عموم هذا الموضوع :

J. Vergote, *Joseph en Égypte: Genèse chap. 37-50 à la lumière des études égyptologiques récentes*, Louvain, 1959.

Walter C. Kaiser, *History of Israel* (Tennessee: B&H Publishing Group, 1998), p.71. (3)

المطلب الخامس: الإنباء بسنين الجوع

تبأ يوسف -عليه السلام- أن مصر ستصاب بمجاعة شديدة لمدة سبعة أعوام، بعد سبع سنين رخاء، ثم يتلو ذلك عام رخاء: قال تعالى: ﴿قَالَ تَرَرَعْنَ سَبْعَ سَنِينَ ذَلِيلًا فَأَحَدَدْتُمْ فَذَرْوْهُ فِي شُبْلِيَّهِ إِلَّا قَيْلَامَمَا تَأْكُونُ﴾^(١) ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما أذنت لهم إلا قيلاماً تخصشون^(٢) ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يتصرون .﴾^(٣) (يوسف / 47 - 49).

لم يصلنا خبر عن مجاعة امتدت سبع سنوات في العصور التي يظنُّ النقاد أن يوسف -عليه السلام- قد عاش فيها. وليس ذلك بمستغرب؛ ثلاثة أسباب: الأول: البحث الأركيولوجي لم يُحط خبراً بعصر الهاكسوس؛ إذ إن شواهد التاريخية من المكتوبات ضعيفة؛ فإن سلطان الهاكسوس على مناطق ما وراء الدلتا والمناطق الشمالية كان ضعيفاً، مما حصر آثارهم في منطقة الدلتا^(٤). الثاني: عصر الهاكسوس في التاريخ المصري، عصر احتلال أجانب غزة للأرض مصر؛ فلم تكن تلك الفترة من التراث الذي يمجده المصريون؛ ولذلك فإن رد الفعل القومي كان بالتخليص من عامة آثار ذلك العصر.

الثالث: تكررت المجاعات في مصر القديمة. وهذا الخبر - بذلك - ليس من التوادر التي لا يمكن أن تغفلها المنقوشات المصرية القديمة؛ فإنه من الثابت أن مصر قد تعرضت إلى مراحل جفاف متواتلة بسبب نزول مستوى فيضان ماء النيل كل سنة^(٥).

(١) لوي فتوحى، النبي يوسف عليه السلام في القرآن الكريم والمعهد القديم والتاريخ (بيروت: دار الكتب العلمية، 2015م)، ص 256.

(٢) Walter C. Kaiser, *The Old Testament Documents: Are They Reliable Relevant?*, p.96. (٣)

الخلاصة:

- ليس في الخبر القرآني عن يوسف -عليه السلام- ما يخالف حقيقة تاريخية.
- وجود يوسف وأهله بعده في مصر، قادمين من كنعان، يوافق طبيعة هجرات الكنعانيين والساميين عامةً ذلك العصر.
- اختفاءُ ذكر يوسف -عليه السلام- ليس مفاجأةً للأركيولوجيين؛ بسبب ضعف آثار الهكسوس عند حكمهم لمصر، ولأنَّ طبيعة قصة يوسف ليست من التوارد في الثقافة الشعبية المصرية القديمة.

الفصل الثالث:

الوجود التاريخي لإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب – عليهم السلام –

المبحث الأول: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب – عليهم السلام – في القرآن والكتاب المقدس

يُطلقُ اسم الآباء أباء في اليهودية والنصرانية على إبراهيم وإسحاق ويعقوب – عليهم السلام – ؛ وأحياناً مع الأبناء الآخرين عشر ليعقوب – عليه السلام –^(١)؛ لأنهم سلف بني إسرائيل. وقد عُرِفَ عصرهم بعصر الآباء. وقد أُقصي من هذه التسمية إسماعيل – عليه السلام – ؛ لأن النصارى واليهود لا يؤمنون بنبوته ولا بنبوة تأتي من نسله. ولما كان إسماعيل – عليه السلام – قد عاش في «عصر الآباء»؛ فقد وجّب أن تُدرس قصته مع بقية أنبياء هذا العصر.

تبدأ قصة الآباء مع إبراهيم – عليه السلام –، وهو أحد أولي العزم من الرُّسل في القرآن، ومُجَدِّد مِلَّةِ التوحيد؛ الذي هَدَمَ أصنام قومه، واستعمل بالبراءة منها وفارق دين أبيه. تزوج سارة، ولمَّا لم تنجُ له ذرية؛ قَدَّمَتْ له أمَّها هاجر ليكون له منها الولد. رَزَقَ الله إبراهيم – عليه السلام – من هاجر إسماعيل، ثم رُزِّقَ من سارة بإسحاق.

أخبر الله – سبحانه – إبراهيم بأنَّ أراه في المنام أنه يذبح ابنه. ولما كانت رؤيا الأنبياء حقًّا، أخذ ابنه وأضجعه لينبذه؛ فبشره الله أنه قد نجح في الامتحان، وفدى ابنه بكبش. ثم أمر الله إبراهيم – عليه السلام – أن يأخذ هاجر وابنها إسماعيل – عليه السلام – إلى مكة؛ حيث لا زرع، ويتركهما هناك. فامتثل إبراهيم – عليه السلام –

K. L. Sparks, art. Patriarchs, *Eerdmans Dictionary of the Bible*, p.1015. (1)

للأمر. وبقي إسماعيل - عليه السلام - في مكة، ورفع هناك هو وأبوه - عليهما السلام - قواعد الكعبة.

أنجب إبراهيم - عليه السلام - لاحقاً من سارة إسحاق - عليه السلام - الذي أنجب يعقوب - عليه السلام -. ومن يعقوب - عليه السلام - جاء بنو إسرائيل الذين فُتّثُتْ فيهم النبوة.

جاء عامة الخبر التاريخي التوراتي للأباء في سفر التكوين 11 - 49. ويشار إلى خبر إبراهيم - عليه السلام - وبنيه في الكتاب المقدس خبرهم في القرآن في عدد من الأمور الكبرى، خاصة العلاقة التسببية بين الآباء، ودعوتهم إلى التوحيد، وبعض الأطر الجغرافية للأحداث، وإن كان في الكتاب المقدس وفراً من التفاصيل الكثيرة التي لا مقابل لها في الآيات القرآنية.

نقرأ في سفر التكوين عن تاريخ والد إبراهيم - عليه السلام - (11/27)، ووفاته ودفنه (25/7 - 10)، وترك إبراهيم - عليه السلام - والده ومسقط رأسه (1/12)، وإقامته في مصر وجرار (12/10 - 20 ؛ 1/20 - 18)، ومعركته مع الملوك (1/14 - 16)، ولقائه بملكى صادق (14/17 - 20)، وعهد الله معه (15/7 - 17؛ 21/4)، وعلاقته بهاجر وميلاد إسماعيل (16/1 - 15)، ووصية الختان لإبراهيم ونسله (17/9 - 14)، والبشرة بميلاد إسحاق (17/15 - 21)، وولادة إسحاق (1/1 - 7)، وتقدمة إسحاق (22/1 - 19) وموت سارة ودفنها (23/1 - 20)⁽¹⁾. وألقا خبر إسماعيل؛ فقد جاء مقتضياً.

حفظ التراث اليهودي الشفهي بعض الأخبار المتعلقة بالأباء خارج الكتاب المقدس الحالي، ومنها قصة كسر إبراهيم - عليه السلام - للأصنام، وقوله إن كسر الأصنام قد كسر الأصنام الأخرى، وإلقاء إبراهيم - عليه السلام - في النار، كما في الفصل 38 من تكوين ربا بـ^جرأشية دقة.

Abram, art. Gerald F Hawthorne, et al., eds, *Dictionary of Paul and his letters* (Inter - Varsity Press, (1) 2020).

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لابراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب - عليهم السلام -

- العناصر التاريخية في قصة إبراهيم - عليه السلام - وبنيه القرآنية، هي بالأساس:
- إسحاق ويعقوب - عليهمما السلام - من نسل إبراهيم - عليه السلام -: قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ (الأنبياء / 72).
 - عاش إبراهيم - عليه السلام - في عصر لوط - عليه السلام -: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُشْتَانَا إِبْرَاهِيمَ بِالشَّرِّ فَأَلَوْ سَكَنًا قَالَ سَكَنْ فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ حَزِينًا ﴿٦﴾ فَلَمَّا آتَيْنَاهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِمْ نَكِيرُهُمْ وَأَوْجَسْ مِنْهُمْ خِفَةً قَالُوا لَا تَخْفَفْ إِنَّا أُرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُّوطًا﴾ (هود / 69 - 70).
 - عاش إبراهيم - عليه السلام - في مكان قريب من القرية التي سكنها لوط - عليه السلام -: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُشْتَانَا إِبْرَاهِيمَ بِالشَّرِّ فَأَلَوْ إِنَّا مُهَلِّكُوْا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٦﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا فَأَلْوَخْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لِتُنْجِيَهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَانِهِ كَانَتْ مِنَ الْفَدِيرِيْتَ ﴿٧﴾ (العنكبوت / 31 - 32).
 - زياراة إبراهيم وبنته إسماعيل - عليهما السلام - مكة حيث رفعت قواعد البيت الحرام: قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْيَتَمَ مَاتَهُ لِلنَّاسِ وَأَمْنَا وَأَجْعَدْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصْلَّ وَعَهَدْنَا إِلَيْهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهَرَا بَيْتَنَا لِلظَّاهِيْنِ وَالْمُكَفِّيْنَ وَأَرْكَجْعَ أَشْجُوْدَ ﴿٨﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيْ أَجْعَلْ هَذَا بَلَدًا إِيمَانًا وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الشَّرَبَتِ مِنَ امْنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْيَّعَهُ لَيْلًا ثُمَّ أَضْطَرْهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَيُنَسَّ الْمُصْبِرُ ﴿٩﴾ وَإِذْ يَرْجِعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا لَقَبَلَ مِنْ أَنَّكَ أَنْتَ أَسْمَيْعُ الْمُلِيمُ ﴿١٠﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِيْنَ لَكَ وَمَنْ دُرْبَيْتَ أَنَّهُ مُسْلِمَةَ لَكَ وَأَرَنَا

مَنَسِكًا كَوَبْتُ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْوَابِ الْرَّجِيمُ (١٢٥). (البقرة / 125 - 128)

دعا إبراهيم الناس في زمانه أن يحجوا إلى الكعبة: قال تعالى: «وَإِذْ بَوَأْنَا
لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَا تُنْزِلَ فِي شَيْئًا وَطَهَرْتَ يَتِيقَ لِلْقَائِمِينَ
وَالْقَائِمِينَ وَأَرْسَكَعَشْجُورَ» (٦) وَأَوْنَدَ فِي الْأَسَافِيسِ يَأْتِيَعَ رِحَالًا وَعَنَّ
كُلِّ ضَارِبٍ يَأْتِيَنَّ مِنْ كُلِّ فَجَّعَ عَمِيقٍ» (٧) لِيَتَمَدَّدُوا مَنْفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا
آسَمَ اللَّهِ فِي أَيَّامِ مَقْنُوتِيَّ عَلَى مَا نَرَقُهُمْ بِنَبَهِيَّةِ الْأَنْفُسِ فَكَلَّا يَنْهَا
وَلَطَمُوا الْبَاسَ الْفَقِيرَ» (٨) ثُمَّ لَيَصْنُوا نَفَّهُمْ وَلَيُوْقُنُوا نُدُورَهُمْ
وَلَيَطَوَّفُوا بِالْسَّيْنِيَّ الْعَتِيقِ» (٩) [الحج / 26 - 29].

حاور إبراهيم - عليه السلام - ملك البلاد التي كان يعيش فيها، في توحيد الله: قال تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ مَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكُ
إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ الَّذِي يُغْنِي، وَيُبَيِّنُ قَالَ أَنَا أَنْهِي، وَأَمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَلَمَّا
أَنَّهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ قَاتَهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَهُوَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْأَفْلَلِيِّينَ» (١٠) (البقرة / 258).

والد إبراهيم - عليه السلام - كان عابداً للأصنام: قال تعالى: «وَإِذْ قَالَ
إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ مَا ذَرْتَ أَنْتَ خِذْ أَهْنَانِيَّ إِنِّي أَرِيكَ وَقُوَّمَكَ فِي ضَلَالِ مُبِينِ» (١١)
(الأنعام / ٧٤). وقال تعالى: «إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَوَوْهِمَ، مَا هَذِهِ الشَّاشِلُ الَّتِي أَنْشَأْتَ
عَنِّكُمُونَ» (١٢) قَالُوا وَبَدَنَا مَا بَعَثَنَا مَا عَنِّيْدِيْرَ» (١٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتَ أَنْتَ وَمَا بَأْرَكْتُمْ
فِي ضَلَالِ مُبِينِ» (١٤) (الأنبياء / 52 - 54).

كان قوم إبراهيم - عليه السلام - يعبدون الأفلاك، وفي ذلك ناظرهم إبراهيم
- عليه السلام -: قال تعالى: «وَكَذَلِكَ رُؤِيَ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوْقِنِينَ» (١٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الْيَلِلُ رَأَيَ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي
فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُمِّيَّ الْأَفْلَكَ» (١٦) فَلَمَّا رَأَ القَمَرَ بِإِنْجَعاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا
أَفَلَ قَالَ لَمَّا لَمَّا يَهْدِيَ رَبِّ لَأَكُونَ مِنَ الْقَوْمِ الْأَصَالِينَ» (١٧) فَلَمَّا رَأَ السَّمَسَ

•

•

•

•

بازعَةَ قَالَ هَذَا رَبِّيْ هَذَا أَكْتَبْرُ فَلَمَّا أَفْلَتْ قَالَ يَنْقُومِ إِلَى بَرِّيْهِ مَمَّا تُشَرِّكُونَ
 إِلَيْ وَجَهْتُ وَجَهْتُ لِلَّهِيْ قَطْرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَسِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ
 الْمُشَرِّكِينَ (٢٦) (الأنعام / 75 - 79).

أُلْقِيَ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي النَّارِ، عَقُوبَةً لِمَنْ قَوْمَهُ أَنَّهُ فَارَقَ عِبَادَتَهُمُ
 الْوَثَنِيَّةَ؛ فَنَجَاهَ اللَّهُ مِنْهَا: قَالَ تَعَالَى: «فَالْأُولَاءِ حَرَقُوهُ وَأَنْصَرُوا مَالِهِنَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 فَعَلِيلُكُمْ (٢٧) قَلَّمَا يَنْتَزَعُ كُفُرِيْ بَرِّيْهِ وَسَلَّمَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٢٨) وَأَرَادُوا بِهِ كُيدًا
 فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٢٩) (الأنبياء / 68 - 70).

هَجْرَةُ إِبْرَاهِيمَ وَلُوطَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - إِلَى الشَّامِ (كَنْعَانَ)، الْأَرْضِ
 الْمَبَارَكَةِ: قَالَ تَعَالَى: «وَغَيْتَكُمْ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَكَ فِيهَا الْعَالَمَيْنَ
 (٣٠) (الأنبياء / 71).

كَانَ إِبْرَاهِيمَ سِيَدِبْحُ ابْنَهُ اخْتِبَارًا مِنَ اللَّهِ: قَالَ تَعَالَى: «وَقَالَ إِلَيْ دَاهِبٍ إِنْ رَفِيْ
 سَيِّدِيْنِ (٣١) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّابِرِيْنَ (٣٢) فَبَشَّرَتَهُ بِعُلُوِّ حِلْيَيْ (٣٣) فَلَمَّا بَلَغْ مَعَهُ
 الْسَّعْيَ قَالَ يَبْتَئِلُ إِلَيْ أَرْيَ فِي الْأَسْنَامِ أَتَقْ أَذْبَحَكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَكْبَتْ
 أَفْعَلَ مَا تُؤْمِنُ سَتَمِدِيْنَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِيْنَ (٣٤) فَلَمَّا أَسْلَمَهُ وَقَلَّهُ
 وَنَدَيْتَهُ أَنْ يَتَابِرِيْهِ (٣٥) قَدْ صَدَقَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ بَعْزِيْ الْمُعْسِرِيْنَ (٣٦) إِنَّ
 هَذَا هُوَ الْبَلْوَى الشَّيْنِ (٣٧) وَفَدَيْتَهُ بِدَنْبُجَ عَظِيمٍ (٣٨) وَزَرَّكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرَيْنَ (٣٩)
 (الصافات / 99 - 108).

كَانَتْ لِإِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - صَحْفٌ مِنَ الْوَحْيِ: قَالَ تَعَالَى: «إِنْ تُؤْثِرُونَ
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٤٠) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْعَقَ (٤١) إِنَّ هَذَا لَهُ الْصَّحْفُ الْأَوَّلُ (٤٢)
 صَحْفُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (٤٣) (الأعلى / 16 - 19).

وَلَدُ لِإِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقُ، وَمِنْ إِسْحَاقَ جَاءَ يَعْقُوبُ. وَكُلُّهُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ: قَالَ
 تَعَالَى: «فَبَشَّرَنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَدَهُ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٤٤) (هُود / ٧١)، وَقَالَ
 سَبِّحَانَهُ: «وَهَبَنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلُّا جَعَلْنَا نِيَّسًا (٤٥) (مُرِيم / 49).

● آتى الله يعقوب -عليه السلام- ذريته، منها يوسف -عليه السلام-:
 قال تعالى: ﴿وَوَصَّنِّيْ بِهَا إِنْزَهُمْ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْيَقِيْ إِنَّ اللَّهَ أَضْطَلَنَّ لَكُمُ الَّذِينَ قَدْ
 شَوَّهُنَّ إِلَّا وَأَنْسَمُ مُسْلِمُوْنَ﴾ (١٣) أَمْ كُنْتُمْ شَهَادَةً إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ
 لِيَنِيهِ مَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا تَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِنَّ اللَّهَ مَا بِإِيمَانِكَ إِنَّزَهَهُ وَإِنْمَا يَعْبُدُ
 وَإِنْجَحَ إِلَهًا وَجَدَهَا وَمَنْعَنَ لَهُمْ مُسْلِمُوْنَ﴾ (١٣٢) (البقرة/ 132 - 133).

ليس في العناصر السابقة شيء مما أقام عليه المشككون إنكارهم لتاريخية إبراهيم -عليه السلام- وبنيه. والأعجب من ذلك أن حماسة أهل التشكيك موهمة أن وراء هذه الريبة دعائم من كشف تاريخية ثبت أن آبا الأنبياء وبنيه مجرد أسطورة. فماحقيقة الأمر؟ وهل هناك قرائن تاريخية على خرافية شخصيات الآباء؟ وهل في التاريخ قرائن على وجودهم؟

المطلب الأول: أسباب التشكيك في وجود الآباء

كان المزاج العام حتى ثلاثينيات القرن الماضي التشكيك في الوجود التاريخي للأنبياء، متعاطفًا مع التيار «العقلاني» للقرن التاسع عشر التزّاع لنسبة عامة أخبار الأديان إلى الخرافة والأساطير. وقد ذهب بعض كتاب تلك الفترة إلى الزعم أن هذه الأسماء هي في حقيقتها أسماء آلهة، ومنهم من خصص؛ فقال: إنها آلهة كنعتية. وقد كانت الحفريات في فلسطين وببلاد الرافدين، مصدرًا لقراءة جديدة؛ فقد وفرت ألواح ماري أسماء مشابهةً لأسماء الآباء في المكان والزمان اللذين عاش فيما إبراهيم -عليه السلام-، في حين وفرت ألواح نوزي معلومات عن عادات وقوانين مشابهة لما في قصص الآباء في التوراة. وقد أقام عددٌ من كبار الأركيولوجيين مثل ويليام فوكسويل أبرايت وسايروس غوردون وروولون دو فو دفاعهم عن تاريخية الآباء على هذه الآثار.

وفي بدايات سبعينيات القرن الماضي، ظهرت كتابات توماس تومسون وفان سيتز، في تحديٍ مباشرٍ لأطروحة أولبرايت ومن معه.. وعمدة هذه المعارضة أن المشابهات التي ساقها أولبرايت وغيره لها نظيرٌ في منتصف الألفية الأولى قبل الميلاد. لم تُثبت تلك المعارضات أن الآباء لم يوجدوا، وإنما أثبتت أن قصص الآباء قد دُوّنت في سِفر التكوين في الألفية الأولى قبل الميلاد؛ بما يظهر من آثار ذاك العصر في قصص الألفية الثانية قبل الميلاد.

لم تتعلق أطروحة تومسون ببيانات أن الشاهد الأركيولوجي قد أثبت أن إبراهيم -عليه السلام- وبنيه - عليهم السلام - خرافاتٌ على خلاف ظنَّ دعاة الإلحاد الشعبي. يقول هوفماير: «لا يعتقد أيُّ عالم آثارٍ جادًّا أنه سيُثْمَّ العثور على دليل أثريٍ مباشرٍ يمكنه التحقق من تاريخية إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أو أنَّ يعقوب وعشيرته قد انتقلوا إلى مصر». ^(١).

لم يملك الآباء في القرآنِ دولةٍ، ولا كان لهم سلطانٌ عظيمٌ على جماعةٍ واسعةٍ من الناس، ولم يُعرف لهم أثيرٌ عمرانيٌ إلا الكعبة التي أقام إبراهيم وبنته إسماعيل - عليهما السلام - قواعدها. وقد حفظ العرب نسبتهم إلى إبراهيم، وبنائه الكعبة^(٢)، كما حفظ بنو إسرائيل انتسابهم إليه. واتهامُ أمَّتَينِ ليس بينهما ائتلافٌ على مدى التاريخِ المعلوم لنا أنَّهما اختلفتا شخصيةً إبراهيم - عليه السلام - من العَدَمِ، ليس من هَيْنِ الدَّعَاوى، خاصةً وقد أثبتت تحاليلُ الحمض النوويِ الصبغتيِّ أنَّ العرب والإسرائيлиين (نسبة إلىبني إسرائيل لا إلى الأختلاط الذين يعيشون في فلسطين

James Hoffmeier, 'The Exodus and Wilderness Narratives,' in *Ancient Israel's History: An Introduction* (1) to Issues and Sources, eds., Bill Arnold and Richard Hess (Grand Rapids, MI: Baker, 2014), p.50.

(2) الجدل التاريخي في وجود مكة - كما يشير بعض الكتاب - لا اعتبار له هنا؛ لأنَّ القرآن لم يزعم أنَّ مكة كانت مأهولةٌ بعمرانٍ - عليه السلام -؟ يقول إبراهيم - عليه السلام -: «رَبَّنَا إِذْ أَسْكَنَنَا بِرَبِيعَ الْمُهَارَمَ رَبَّنَا يَعْلَمُ مَا تَبْغِي إِنَّا لَنَّا نَرَقُّهُمْ مِّنَ الْأَنْهَارِ بِشَكْرَنَةٍ» ^(٣) (إبراهيم /٤٧).

المحتلة) يعودون إلى أصلٍ واحدٍ منذ زمن ليس بعيداً، عاش في الشام⁽¹⁾. وإصرار تيار «الحد الأدنى» على ردّ قصص الآباء إلى القرن السادس قبل الميلاد أو ما قاربه، معارضٌ بأنّ قصص الآباء تختلفُ في جنسها الأساطير القديمة السائدة في الشرق الأدنى القديم، فليست فيها أخبارٌ الصراع مع الآلهة أو البطولات الخارقة الناقضة للطابع البشري للأبطال كلية. هي قصصٌ من جنس الأحداث العادية للتاريخ، فيها زواجٌ وسفرٌ، وغيرها، وأمل، وشدةٌ وفرجٌ. هي أحداث قد تقع في أي عصرٍ قديمٍ لكثيرٍ من الناس - باستثناء دعوى النبوة -. وهذا ملحوظٌ مهمٌ جدًا في قصصٍ تُعتبر مؤسسةً لأمةٍ بني إسرائيل؛ إذ إنّ قصص النشأة للأباطرة والقادة في الشرق الأدنى عادةً ما تكون مغمومةً بالأساطير والعجائب المهيمنة على طبقات الخبر الأوّل.

المطلب الثاني: عصر إبراهيم - عليه السلام -

ليس في القرآن نصٌّ متعلقٌ بزمن إبراهيم - عليه السلام - سوى أنه عاش قبل حفيده يوسف - عليه السلام - ببضعة أجيال. وهذا لا يربطه بأثرٍ تاريخيٍّ خارجيٍّ معلومٌ من الممكن إدراكه اليوم. وأما التوراة؛ فنقرب لنا زمن إبراهيم - عليه السلام - من خلال الإخبار أنّ بني إسرائيل (=من زمن يوسف - عليه السلام -) قد مكثوا في مصر قبل رحلة الخروج منها مع موسى - عليه السلام - 430 سنة؛ وهو ما يضع إبراهيم - عليه السلام - وبينه في النصف الأوّل من الألفية الثانية.

ونحن اليوم نملك مادةً تاريخيةً جيدةً تعود إلى زمنٍ قريبٍ من الزَّمنِ الافتراضي للآباء، تتضمّنُ آثاراً تتحدثُ عن ثقافة العصر وعاداته. وأشهر هذه النصوص، النصوص المكتشفة في ماري، في بلاد الرافدين، ونصوص مدينة نوزي الحورية

Ann Gibbons, 'Jews and Arabs share recent ancestry', *Science Mag*, Oct. 30, 2000 (1)
 <<https://www.sciencemag.org/news/2000/10/jews - and - arabs - share - recent - ancestry>>.

(أيضاً في بلاد ما بين النهرين) ومدينة أوغاريت الكنعانية الشمالية (القرنان الخامس عشر والثالث عشر قبل الميلاد). وقد أظهر البحث الأركيولوجي وجود أسماء مشابهة لأسماء الآباء في هذه المناطق، بالإضافة إلى أعراف وقوانين مشابهة لما جاء في قصص الآباء⁽¹⁾.

وقد اجتهد أنصار مدرسة «الحد الأدنى» في رد التشابهات التي ساقها أولبرait مع النصف الأول من الألفية الثانية؛ بردّها إلى عصر قريب من السيني؛ بمقارنتها بمعارف متتصف الألفية الأولى. ورغم أنّ عدداً مهماً من التشابهات التي ساقها أولبرait متکلفة أو شائعة في أكثر من عصر، إلا أنّ تسفّ كل التشابهات المتميزة بين النصف الأول من الألفية الثانية وسفر التكوانين، ليس علمياً.

ومن مظاهر التکلف الشديد لرد قصص الآباء إلى متتصف الألفية الأولى، زعم جون فان سيترز أنّ ظاهرة الخيام في قصص الآباء تعكس ظاهرة هجرة العرب في الألفية الأولى⁽²⁾. وهو زعمٌ قد رده عليه كثيرٌ من الباحثين بالأدلة التاريخية الصارخة، ومنهم جيمس هوفرماير الذي ساق شهاداتٍ تاريخية كثيرةً من مصر، من المئة الثامنة قبل الميلاد إلى القرن العشرين قبل الميلاد⁽³⁾. ومتى ساقه أنّ تحتمس الثالث لقا هزم الاتلاف الكنعاني في مجدو، أخذَ عمدةَ الخيام من أعدائه. وهو ما يُظهر أنّ الخيام كانت مستعملة في الشام⁽⁴⁾. كما كتب عالم الآشوريات وايزمان أنّ آثار بلاد الرافدين تُظهر أنّ الخيام كانت معروفة كثيرةً في مصادر الألفية الثانية قبل الميلاد⁽⁵⁾.
ورغم أنّ هذه التشابهات المشيرة التي ساقها أولبرait وتلاميذه قد ضعفت دلالتها

W. A. Elwell & B. J. Beitzel, *Baker encyclopedia of the Bible*, p.1620. (1)
John Van Seters, *Abraham in History and Tradition* (New Haven: Yale University Press, 1975), pp.14, (2)

38, 310.

James Hoffmeier, 'Tents in Egypt and the Ancient Near East,' JSSEA 7, no. 3 (1977): 13-28. (3)
Ibid., p.14. (4)

Donald Wiseman, 'They Lived in Tents,' in *Biblical and Near Eastern Studies: Essays in Honor of William Sanford Lasor*, ed. Gary Tuttle (Grand Rapids, Mich.: Eerdmans, 1978), pp.195-200. (5)

على إثبات أن النص التوراتي ينقل حصرًا تراثًا من عصر الآباء، إلا أنها مع ذلك لم تفقد دلالتها على أن التراث التوراتي اليهودي لم يعارض مكتشفاتنا عن العصر الافتراضي لعصر إبراهيم - عليه السلام - وبنيه.

ثم إن البحث التاريخي قد أثبت أن بعض التشابهات بين قصص الآباء في التوراة وعصرهم الافتراضي لا تعكس طبيعة الألفية الأولى قبل الميلاد، ومنها ما جاء في الفصل الرابع عشر من سفر التكوير من أنَّ إبراهيم - عليه السلام - وخمسة ملوكٍ كنعانيين قد خاضوا حرباً عند البحر الميت ضد تحالفٍ لأربعة ملوكٍ من عيلام وببلاد الرافدين وجنوب الأنضوص.

إذ إنه في أواخر الألفية الثالثة قبل الميلاد، سيطرت على بلاد الرافدين لفترة من الزمن قوّة واحدة، هي سلالة أور الثالثة. وقد أطاحت عيلام بهذه السلالة في حوالي عام 2000 قبل الميلاد. ولمدة 250 عامًا بعد ذلك لم تكن هناك قرّة واحدة تحكم في بلاد الرافدين الكبرى، من أور إلى كركميش. وإنما عرفت المنطقة ظهور مجموعة قوى كبرى وصغرى تتقاسم السلطة، وتتنازع فيما بينها، ويتحالف فريق منها ضد آخر.

وهو ما يظهر - مثلاً - في الرسالة التي كتبها إتور أسدو - حاكم ماري - حوالي سنة 1770 ق.م؛ إذ كتب: «لا يوجد ملِكُ قويٌ وحدهُ. عشرة ملوك إلى خمسة عشر ملوكًا يتبعون حمورابي رجل بابل. وكذلك رِم سين رجل لارسا. وأيضاً إبال بي إيل رجل إشنونة، وأيضاً أموت بي إيل رجل قطننا. وعشرون ملكًا يتبعون بريم ليه رجل يمحاض»⁽¹⁾. كما جاءت الإشارات المتكررة في وثائق أخرى كثيرة لتلك الفترة إلى تحالفات بين أربع أو خمس قوى⁽²⁾.

James B. Pritchard, *Ancient Near Eastern Texts*, p. 628. (1)

See Kitchen, *Ancient Orient and Old Testament*, pp. 45ff.; for more details, see D.O. Edzard, *Die (2) "Zweite Zwischenzeit" Babyloniens* (Wiesbaden: Harrassowitz, 1957), pp. 105-108, 121, 155-160.

ومنذ - حوالي - القرن الثامن عشر قبل الميلاد تغير الوضع جذرًا في بلاد ما بين النهرين؛ فقد أنهت انتصارات حمورابي ملك بابل وشامسي آداد الأول عهد تحالفات المتنافسة، واحتفت كلية العديد من القوى الصغيرة في بلاد ما بين النهرين، وسيطرت على الأرض قوتان فقط، آشور وبابل. وأما في الشمال - في الأناضول - فقد تم استيعاب الزعماء والحكام في المملكة الحثية التي هيمنت على المنطقة حتى حوالي 1200 قبل الميلاد.

لاحقاً، خلال الألفية الأولى قبل الميلاد، سيطرت على بلاد الشام دول الآرامية والحبشة الجديدة في الشمال، وإسرائيل (فيما بعد إسرائيل ويهودا) والفلسطينيون في الجنوب، والفينيقيون على طول الساحل، وفي فترة ما عمون وموآب وأدوم شرقى الأردن. ثم خضع الجميع لسلطان آشور المتزايد، وفي معظم الحالات اختفوا سياسياً بعد أن نجحـت بابل ثم الإمبراطورية الفارسية في بسط سلطانها على الأرض.

وما سبق دال أن خبر الفصل 14 من سفر التكوير لا يوافق غير بداية الألفية الثانية حيث المجال لأن توجد تحالفات ظرفية بين قوى صغرى في بلاد الرافدين، وأن تشارك عيلام بقوّة في شؤون الشام؛ إذ كانت ترسل رسالتها إلى أكثر من منطقة في الشام، وقد ذكر ملك عيلام أنه قد عقد تحالفًا عسكريًا في منطقة الشام في تكوين 14 / 5 - 6.^(١)

المطلب الثالث: أسماء الآباء

يُقر القائلون بخراطية شخصيات الآباء أن أسماءهم كانت شائعة في بداية الألفية الثانية قبل الميلاد. وقد احتاج المتصررون لتاريخيتهم بذلك، غير أن المخالفين قالوا إن هذا الجنس من الأسماء وجد لاحقاً. فكان الرد أن هذه الأسماء (إسماعيل

181-182.

Kitchen, "The Patriarchal Age: Myth or History?" *Biblical Archaeology Review* 21.2 (1995): 48, 50, (1) 52-57, 88, 90, 92, 94.

وإسحاق ويعقوب ويوفس) كلها تبدأ بحرف الياء في اللغة الأصل (يسماعيل *يَسْمَاعِيل*، ويصهارق *يَصْهَارِق*، ويعقوب *يَعْقُوب*، ويوفس *يَوْسِيف*)⁽¹⁾، ويُسمّيها علماء اللغات السامية الشمالية الغربية: أسماء «العمورية غير التامة»⁽²⁾. وهي ظاهرة معروفة في أرشيف ماري في القرون المبكرة للألفية الثانية قبل الميلاد وفي الألفية الثالثة في إيلات - مثلاً -. كما نعلم وجودها بكثافة في بداية الألفية الثانية؛ فمن بين 6000 اسم من بداية الألفية الثانية قبل الميلاد، 16 % منها (قراة 1369 اسم علم) يبدأ باء الأسماء غير التامة العمورية.

ثم نحن إذا اقتربنا من العصر البرونزي المتأخر (آخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد)؛ فسنلاحظ التقلص الهائل لهذا الجنس من الأسماء؛ ففي أوغاريت، من بين 1860 اسمًا مكتوبًا بالحروف الألفبائية، لم نجد سوى 40 اسمًا عموريًا غير تام، بما يُساوي فقط 2 %، ومن بين 4050 اسمًا مكتوبًا بالمقاطع، 120 منها فقط وُجد، أي 3 % فقط.

والأمر في العصر الحديدي لاحقاً، سين أيضًا، فمن بين كل الأسماء الفينيقية، لا تمثل ظاهرة الأسماء العمورية غير التامة سوى 6 % من مجموع الأسماء. والأمر قريب من ذلك في الآرامية. وفي المصادر الآشورية من الألفية الأولى قبل الميلاد، لا توجد الأسماء العمورية غير التامة في 5000 اسم سوى في عشرات منها. وخلاصة الأمر أن شيوخ ظاهرة الأسماء العمورية غير التامة في قائمة أسماء الآباء (باستثناء إبراهيم -عليه السلام-) يوافق بوضوح العصر المفترض للأباء أكثر من الصور الأخرى⁽³⁾.

كما أن عددًا من أسماء قصبة الآباء كان معروفاً في النصف الأول من الألفية الثانية،

(1) ما يقابل به المضارع العربية التي تستعمل للفعل الذي لم يتم وينقضى.

Amorite imperfective (2)

See Kitchen, "The Patriarchal Age: Myth or History?" *Biblical Archaeology Review* 21.2 (1995): 90 - 92. (3)

ومنها اسم يعقوب الوارد كأحد الحكماء الهاكسوس في مصر، وكاسم لإحدى المناطق التي استولى عليها تحتمس الثالث في كنعان، ولا يظهر الاسم في الألفية الأولى قبل الميلاد⁽¹⁾. كما أنّ القائمة الطبوغرافية التي تعود إلى شيشنق الأول فرعون مصر في 925 ق.م تذكر «منطقة أبرام». ورغم أنّ هذا النص من الممكن أن يقرأ «منطقة فحول الخيل»، إلا أنّ هذه المنطقة لم تشهر بالخيل؛ ولذا يرجح دون جزم – أنّ هذه المنطقة – التي حددتها العلماء أنها النجف – تشير إلى إبراهيم – عليه السلام –، خاصة أنه قد جاء في سفر التكوين 12/9، 13/1، 20/3، 1/13، 9/12 أنّها كانت إحدى المناطق التي أوى إبراهيم – عليه السلام – إليها⁽²⁾.

المطلب الرابع: رحلات إبراهيم – عليه السلام

ذكر المفسرون – بالنظر في الآيات القرآنية والأحاديث – أنّ إبراهيم – عليه السلام – قد انتقل من العراق إلى كنعان، ومن كنعان إلى أرض مصر، ومن أرض مصر إلى الحجاز حيث رفع قواعد الكعبة.

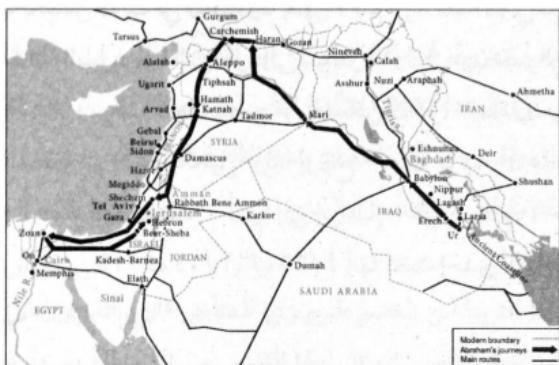
وأما في التوراة: فالصورة العامة أنه قد انتقل من أور الكلدانيين إلى حaran (تكوين 11/31 – 27)، وأقام في حاران حيث مات والده (تكوين 11/31 – 32)، ثم رحل إلى أرض كنعان (تكوين 12/1). وقد أقام في أول أمره في شكيم (تكوين 12/6)، ثم ذهب إلى بيت إيل (تكوين 12/8)، وبعده أرض الجنوب (تكوين 12/9)، وعندما وقعت مجاعة انتقل إلى مصر (تكوين 12/10)، ثم عاد إلى أرض الجنوب في فلسطين، واستمر في الانتقال من مكان إلى آخر في أرض كنعان...⁽³⁾.

Amihai Mazar and Israel Finkelstein, *The Quest for the Historical Israel*, p.58. (1)

K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.313. (2)

(3) انظر بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص 9 – 11.

خريطة سفر إبراهيم - عليه السلام - في الكتاب المقدس^(١)



وليس في رحلة إبراهيم - عليه السلام - من بلاد الرافدين إلى الشام فمصر ثم الحجاز، ما يخالف ثقافة العصر؛ فقد كانت الحركة بين هذه البلاد قائمة. ولم يُظهر أيٌ مخالفٍ حجّةً جادةً لنقضها. وأما سَفَرُ إبراهيم عليه السلام إلى الحجاز؛ فهو بأمرِ الله - سبحانه - له حتّى يرفع قواعد الكعبة. ولا يمنع افتراض عدم سَفَرِ الناس من مصر إلى الحجاز في بداية الألفية الثانية قبل الميلاد - جدلاً -، لأن يكون إبراهيم قد خالف تلك العادة، ائتماراً بأمر الله.

المطلب الخامس: سكن الآباء في الدلتا

نصت التوراة على أنَّ يعقوب - عليه السلام - لما دخل مصر، استوطن أفضل منطقة فيها، وهي جاسان [جوسين]؛ فقد قال حاكم مصر ليوسف - عليه السلام - عن أبيه وإخوته القادمين من كنعان: «أَرْضٌ مِصْرَ قُدَامَكُمْ». في أَفضل الأَرْضِ أَشْكِنْ أَبَاكَ وَإِخْرَوْكَ، لِيُشْكُنُوا فِي أَرْضِ جَاسَانَ. وَإِنْ عَلِمْتَ أَنَّهُ يُوجَدُ بَيْنَهُمْ ذُوو قُدرَةٍ،

N. Sarna, 'Abraham', in Fred Skolnik, et al., eds. *Encyclopaedia Judaica* (MI: Keter Publishing House, (1) 2007), 1/281.

فاجعلهم رؤساء مواشٍ علىَّ التي لي» (تكوين 47/6). وتقع جوشن شرقى دلتا النيل، وُتُعرَفُ اليوم بالشرقية الممتدة من جوار أبي زعبل إلى البحر، ومن برية جعفر إلى وادى توميلات⁽¹⁾.

وذاك يتوافق مع علمنا أنه منذ القرن 20 إلى القرن 17 ق.م كان للحكم الفرعونى حضورٌ ملكيٌّ في جasan شرقى دلتا النيل. وأما قبل ذلك، في المملكة القديمة؛ فقد كانت بنايات الفراعنة بعيدةً، تبلغ منطقة بوياستس (تل بسطة).

ولما أخذ الهكسوس مصر في القرنين 17 و 16، أخذوا العاصمة المصرية القديمة في شرق دلتا النيل وأعادوا بناها كعاصمة صيفية لهم، واسموها أفاريس. ولما استعاد المصريون الحكم من الهكسوس إبان حكم الأسرة 18، لم يتخدوا في منطقة الدلتا إقامة ملكية لهم باستثناء الفرعون حورمحب (1327 - 1295 ق.م) الذي كان آخر فراعنة الأسرة، فإنه أظهر اهتماماً بتجديد معبد الإله ست في أفاريس. وأما الأسرة التاسعة عشر (التي ظهر أثناءها موسى - عليه السلام -) فقد حولت العاصمة إلى بـ- رمسيس شرقى الدلتا. وفي القرن الثاني عشر، بعد زمن رمسيس السادس، تم هجر بر-رمسيس.

وما سبق يتوافق مع ما جاء في خبر التوراة اليهودية في شأن أهمية منطقة الدلتا في عصر الآباء وزمن رمسيس الثاني، وليس هو من ثقافة القرن السادس قبل الميلاد وما قاربه، على مذهب مدرسة «الحد الأدنى»⁽²⁾.

المطلب السادس: غياب اسم الله بعل

من الأمور اللافتة في نص سفر التكوين استعمال كلمة إيل ٦٨ - بمعنى إله - في كثير من النصوص المتعلقة بأسماء الأشخاص والأماكن والمواضع بتكرار مكثف غير مألفٍ في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد.

(1) بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ص 242.

Kitchen, "The Patriarchal Age: Myth or History?" «Biblical Archaeology Review» 21.2 (1995): 57 - 59. (2)

ويلفت الناقد التوراتي الليبرالي المعروف ناحوم سارنا⁽¹⁾ إلى الدلالة التاريخية لهذا الأمر؛ بقوله: «يبدو أن الغياب الكامل لاسم بعل من سفر التكوين كاسم إلهي أو شخصي - على خلاف اسم إيل المستخدم باستمرار - يشير مرة أخرى إلى أن تراث الآباء يُسيّق متصف الألفية الثانية عندما كان بعل شخصية مهمة في الديانة الكنعانية»⁽²⁾.

الخلاصة:

- علم الأركيولوجيا غير مؤهل - ابتداء - للبحث في الوجود التارخي لإبراهيم وبنيه - عليهم السلام -؛ لأن طبيعة الآثار التي من الممكن أن تدل على وجودهم لا تلتقي مع قلة عددهم، وطبيعة حياتهم البسيطة.
- ليس في الخبر القرآني عن الأنبياء الآباء ما يعارض حقيقة تاريخية قاطعية.
- التراث الإسرائيلي والعربي القديم السابقان للإسلام يشهدان لتاريخية إبراهيم وبنيه - عليهم السلام -.
- قول فراس السواح إن الكشف عن معالم تحرير سفر التكوين في الألفية الأولى قبل الميلاد «لا يؤذني بما إلا إلى إسقاط عصر الآباء تماماً من مرتبة التاريخ، وجعله في زمرة الملاحم الشعبية والقصص البطولي المعروفة في تراث كل الشعوب»⁽³⁾ فيه عدوانٌ على القرآن بجريبة التوراة، وخلطٌ بين زمن تحرير القصة في زمنٍ متاخر، وصحة الخبر الأول؛ فإن القصص القديم المتوارث على مدى قرون لأمةٍ من الأمم، قد يُكتب خبره لاحقاً؛ ولا يكون

(1) ناحوم سارنا Nahum Sarna (1923 - 2005): ناقد توراتي درس في عدد من الجامعات الأمريكية. اشتهر بتعليقه على سفر التكوين والخروج ضمن سلسلة: JPS Torah Commentary.

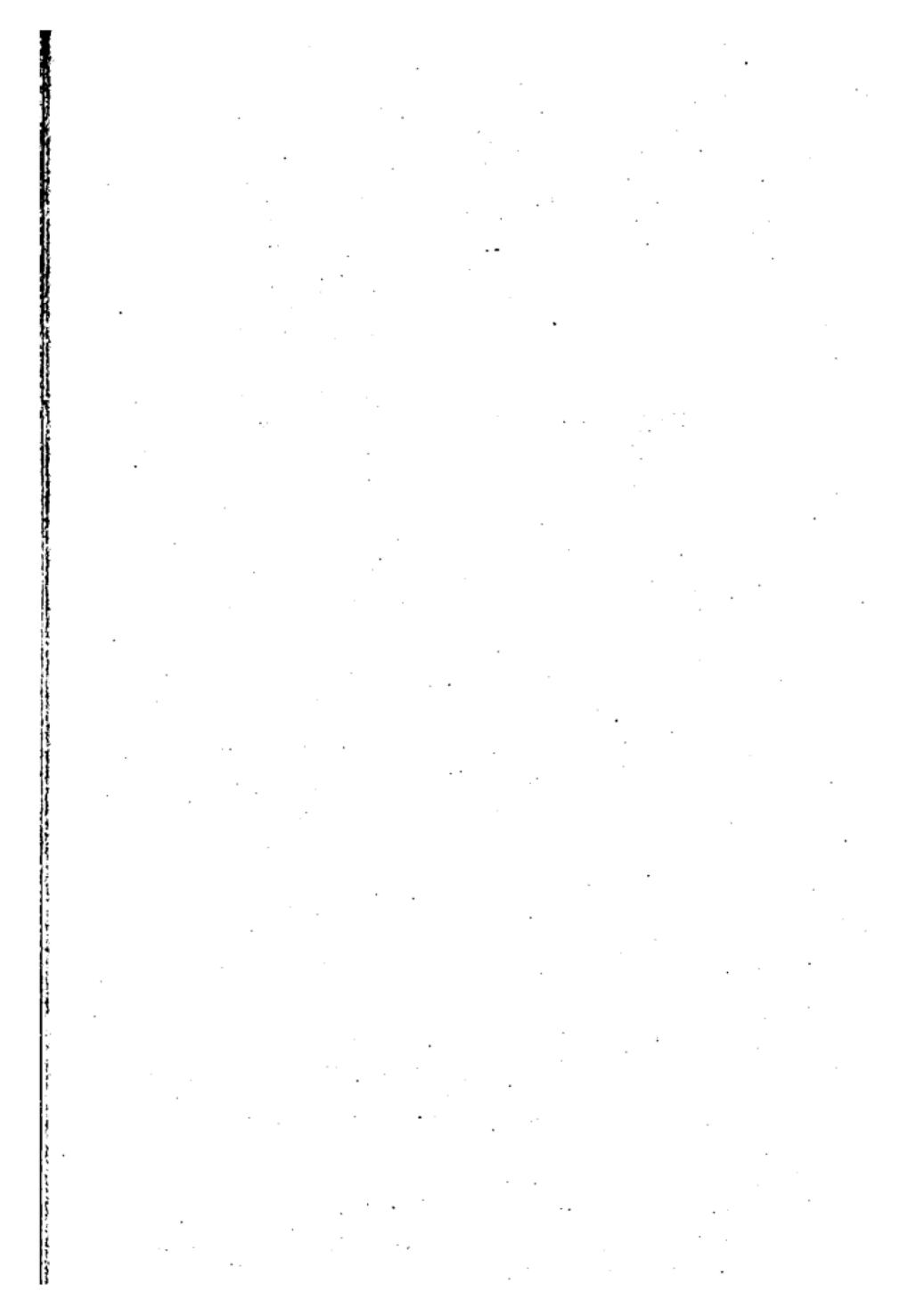
Nahum M. Sarna, "The Last Legacy of Roland de Vaux," *Biblical Archaeology Review*, vol. 6, no. 4 (2 July - August 1980): 18.

(3) فراس السواح، آرام دمشق، ص 52.

التوثيق الكتابي المتأخر حجة لنصفِ تاريخية القصة. كما أنَّ قصص الآباء بعيدةٌ عن نسقِ الملاحم القديمة - كما هو معلوم -، وإنما فيها طابع بشريةً مألوفةً ومعالم تاريخية خاصةً ببداية الألفية الثانية قبل الميلاد. ولذلك قال كنث كشن: «السمات الرئيسة للروايات الآبائية هي إما أن تكون منسجمة بوضوح مع عصر النصف الأول من الألفية الثانية، أو متقدمةً مع مثل هذا التاريخ»⁽¹⁾.

- أسماء إبراهيم وبنيه - عليهم السلام - مألوفة بصورة خاصة في النصف الأول من الألفية الثانية قبل الميلاد.
- أسفار إبراهيم وبنيه - عليهم السلام - لا تعارض حقيقة تاريخية، بل التاريخ يشهد للحركة الواسعة للساميين في منطقة الهلال الخصيب والشام والجزيرة العربية.

K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.372. (1)



الفصل الرابع

الوجود التاريخي للوط - عليه السلام

المبحث الأول: لوط - عليه السلام - في القرآن والكتاب المقدس

لوط - عليه السلام -، قریب إبراهيم - عليه السلام -. نبی ابُنُلَّی بِقُوْمٍ أَهْلِ فَجُورٍ وَفُسُوقٍ بِالْغَيْنِ؛ فَقَدْ كَانُوا يَزْهَدُونَ فِي الزِّوَاجِ، وَيَأْتُونَ الشَّذُوذَ الْجَنْسِيِّ، عَلَاتِيَّةً، دُونَ حِيَاءً.

أَبَى قَوْمٌ لَوْطًا - عليه السلام - تَرَكَ جَرْمَهُمْ، بَلْ أَوْغَلُوا فِيهِ، وَأَنْكَرُوا عَلَى لَوْطٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ طَهَارَتِهِمْ؛ حَتَّى طَلَبُوا إِخْرَاجَهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ. وَقَدْ جَاؤُوهُ يَوْمًا عَنْدَمَا رَأَوْا عَنْهُ ضَيْوَقًا، يَطْلَبُونَ فَعْلَةَ الْفَاحِشَةِ بِهِمْ. وَكَانَ هُؤُلَاءِ الضَّيْوَفُ مَلَائِكَةٌ فِي صُورَةِ بَشَرٍ.

أَمْرَتِ الْمَلَائِكَةُ لَوْطًا أَنْ يُغَادِرِ الْمَدِينَةَ لِيَلَا وَأَهْلَهُ، وَأَخْبَرَتْهُ أَنَّ الْعَذَابَ سِيَحْلُ بِقَوْمِهِ وَزُوْجِهِ صَبَاحًا. وَلَمَّا أَصَابَهُمُ الْعَذَابُ، قُطِعَ دَابِرُهُمْ؛ فَقَدْ أَمْطَرَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ حِجَارَةً شَدِيدَةً ضُلْبَةً، وَقُلِّبَتِ الْأَرْضُ بِرْزَازًا شَدِيدَ جَعْلٍ عَالِيَّهَا سَافَلَهَا.

وَقَدْ جَاءَ خَبْرُ لَوْطٍ - عليه السلام - مُخْتَصِّرًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَسَّى لِقَوْمِهِ أَنَّا أَتَوْكُنَّ الْفَدْحَشَةَ وَأَنْشَرْتُمْ بَصِيرَوْكُنَّ﴾^{٥٤} أَيْتَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهَوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بَجَهَلُونَ^{٥٥} * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهَا مَالَ لَوْطٍ مِنْ قَرِبَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَنْظَهِرُونَ^{٥٦} فَأَجْبَيْتَهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ، قَدَرْتَهَا مِنَ الْمَدِينَتِ^{٥٧} وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطْرَأً فَسَاءَ مَطْرُ الْمُنْذَرِينَ^{٥٨}﴾ (المل / 54 - 58).

تُشَابِهُ القَصَّةُ التَّوْرَاتِيَّةُ (الْوَارِدَةُ فِي سَفَرِ التَّكْوِينِ 12 - 19) لَلْوَطِ - عليه السلام - القَصَّةُ الْقُرْآنِيَّةُ فِي عَنَاصِرِهَا الْكَبْرِيَّةِ فِي شَأنِ مُعَاصِرَةِ لَوْطٍ - عليه السلام - لِإِبْرَاهِيمَ

-عليه السلام- (هو ابن أخي إبراهيم -عليه السلام-)، وإثبات قومه الفاحشة، ونزول العقوبة المهلكة بقومه.

وقد وردت في الخبر التوراتي تفاصيل لم ترد في النص القرآني؛ كَرْغِي إبراهيم ولوط - عليهما السلام - في أرض واحدة، ثم افترقاهما بعد ذلك بسبب اقتتال رعاتهما بسبب المرعى، وفِكَاكُ إبراهيم -عليه السلام- أَشَرَّ لوط -عليه السلام- بعد غزو كدرل عمر وحلفاؤه سدوم وعمورة، وزنا لوط -عليه السلام- بابنته، وإنجابه الموابين والعمونيين منهمما؛ أعداء بنى إسرائيل لاحقاً!

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لوط - عليه السلام

التفاصيل التاريخية التي تقبل النظر الأركيولوجي في قصة لوط - عليه السلام -، قليلة؛ من الممكن إجمالها في المسائل التالية:

- عاش لوط في عصر إبراهيم - عليهم السلام -.

خرج لوط - عليه السلام - من أرضه (العراق) إلى أرض الشام (كنعان) المباركة: قال تعالى: «وَبَرَّتْكُمْ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَّنَا فِيهَا لِلْعَلَمَيْنِ» (الأنبياء / 71).

شاع في قوم لوط - عليه السلام - فعلُ الذُّكور الفاحشة في بعضهم، مع منكراتٍ أخرى: قال تعالى: «وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَحْشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ الْعَالَمَيْنِ» (العنكبوت / 68). أينكم لتأتونَ الْرِّجَالَ وَتَنْظَمُونَ السُّكِيلَ وَتَأْتُونَ فِي كَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَنْتَ بِعَدَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» (العنكبوت / 28 - 29).

عُوقب قوم لوط - عليه السلام - بخسف الأرض بهم، وبحجارة غزيرة من السماء: قال تعالى: «فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَجَّلْنَا عَلَيْهِمَا سَاقِلَاهَا وَأَنْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجْلٍ مَّنْصُورٍ» (العنكبوت / 70). مُسَوَّمةً عَنْ دَرِيلَكَ وَمَا هِيَ مِنَ الْأَفْلَامِيْنَ بِعَيْنِيْرِ (الموعد / 82 - 83).

وقد علمنا في الفصل السابق أنَّ لوطاً - عليه السلام - في القرآن معاصر لإبراهيم - عليه السلام -. وأثنا أرض قومه فليس في القرآن تصريح بها، وإن كان يظهر أنَّ قريشاً زمن البعنة كانت تعرف أنها تقع في الشام. فقد قال تعالى لمشركي قريش: «وَلَيَكُوْنُ الْمُكَافِرُونَ مُلَقِّبُوْمُ تُمْسِيْعِيْنَ» (الصفات / 137). فإنَّ من أعظم رحلات قريش، رحلتهم إلى الشام كلَّ سنة.

والقول إنَّ عدم العثور على خبر لوط - عليه السلام - بالاسم؛ سبب لنفي وجوده، باطلٌ؛ لأنَّ خبر لوط - عليه السلام - ليس مما يمتنع في مجرى العادة أنْ يُطوى خبره؛ إذ لم يكن - عليه السلام - حاكماً لدولة عظمى، فهو - عليه السلام - داعيةٌ توحيد سار بين الناس مشافهاً لهم، داعياً إلى الطهارة في أهل الشذوذ الذين استضعفوه؛ حتى إنهم لم يجدوا حرجاً في الدعوة إلى طرده من قريتهم.

وليس من العقل أنْ يطبع خصوم القرآن والكتاب المقدس من الأركيولوجيين في العثور على وثيقة أو نقش يذكر لوطاً - عليه السلام -؛ إذ إنَّ القصة تخبر عن هلاك قرية لوط كلية، وانقلاب الأرض. ولا يبقى في خبر القرآن عن قوم لوط - عليه السلام - مما يقبل الفحص الأركيولوجي، سوى دمار أرضهم بالخسف والحجارة الممطرة عليهم. والعثور على آثار ذلك فرع عن العلم بأرض العذاب تحديداً.

و هنا يقول المخالفون إننا لم نعثر على اسمٍ مديتني سدوم وعمورة لاملاجا في الآثار، ولا عثروا على آثار الخسف والحجارة التي من السماء في المناطق الأردنية التي يُقال إنها سدوم وعمورة القديمان؛ فإنَّ سدوم وعمورة تقعان في الأردن: «وَكَانَتْ تُحُوكُ الْكُنْتَانِيَّ مِنْ صَيْدُونَ، حِينَمَا تَحِيِّءُ تَحْوَ جَرَازٍ إِلَى غَرَّةٍ، وَحِينَمَا تَجِيءُ تَحْوَ سَدُومَ وَعُمُورَةَ وَأَذْمَةَ وَصَبُوِيْسَ إِلَى لَاشَعَ» (تكوين 10/19).

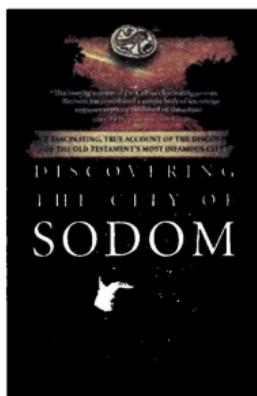
والجواب من ثلاثة أوجه:

أولاً: لم يذكر القرآن الاسمتين في آياته؛ وإنما جاء في سفر التكوين 19/24 - 25: «فَأَنْفَرَ الرَّبُّ عَلَى سَدُومَ وَعُمُورَةَ كَثِيرَتَا وَنَازَرَا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ. وَقَلَّبَ تِلْكَ الْمُدُنَ، وَكُلَّ الدَّائِرَةَ، وَجَمِيعَ سُكَّانِ الْمُدُنِ، وَبَنَاتِ الْأَرْضِ». ولذلك فلا حجية للمخالف هنا؛ إذ لا يُحاكم صدق الخبر القرآني إلى تقريرات لم ترد فيه.

ثانياً: الحديث عن تاريخية سدوم وعمورة لم تُقل في الكلمة الأخيرة. ولا جدال أنَّ منطقة البحر الميت وماجاورها لم يستوف البحث الأركيولوجي مسحها بعمق. وما

الكشف عن آثار تل الحمام، إلا برهان على خفاء بقايا التاريخ في الأرض المتاخمة للبحر الميت؛ فقد نشر (Steven Collins) من - Trinity Southwest University - كتابه «Discovering the City of Sodom» حيث لخص جهوده وفريق التنقيب معه في منطقة تل الحمام حيث كشف عن مبانٍ لمدينة قديمة من العصر البرونزي، وهي مدينة كما يقول - مطموسة مجهرولة لا تذكرها الخرائط القديمة. وقد توقفت فيها الحياةمنذ منتصف العصر البرونزي فجأة⁽¹⁾. ونحن وإن كنا لا نوافقه - حتى هذه اللحظة - مذهبه أنَّ هذه المنطقة هي سدوم؛ إذ لا يظهر بما فيه الكفاية أنها أرض محسوقة - وإن كان فيها حطام دمار تحول إلى مصقوفة رمادية داكنة، وأوان فخارية ذاتية، وأحجار أساسات محترفة -⁽²⁾؛ إلا أنَّ الكشف المفاجئ عنها دالٌ على أنَّ البحث الأركيولوجي لا يزال عاجزاً عن استيفاء العلم بتاريخ تلك المنطقة من الأردن الحديث.

غلاف كتاب كولنر الكشف عن مدينة سدوم



(1) الموقع الرسمي للحفريَّة وأخبارها:
<<https://tallelhammam.com/>>.

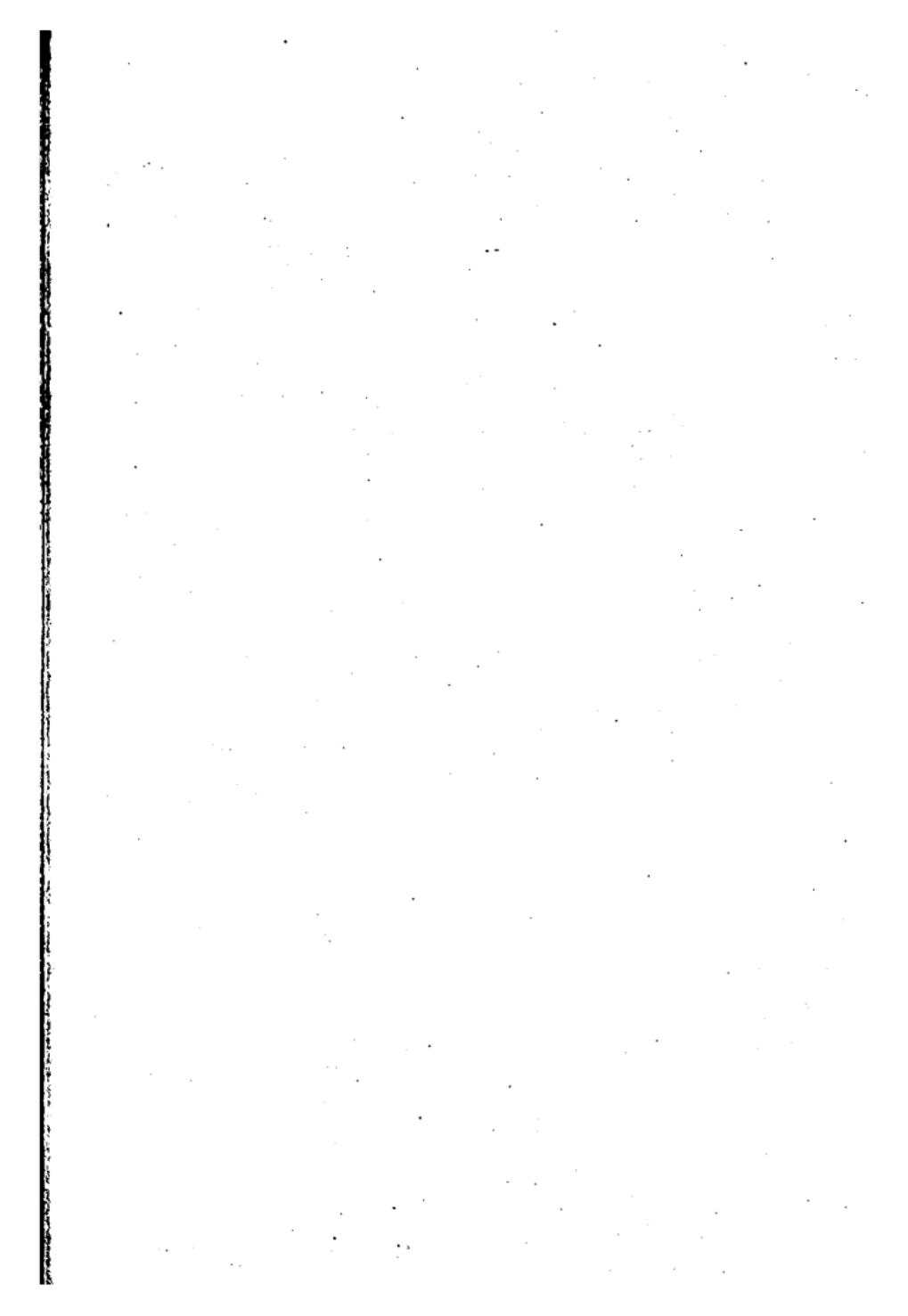
Steven Collins, 'Where Is Sodom?', *Biblical Archaeology Review* 39.2 (2013): 33-38, 40-41, 70. (2)

ثالثاً: مع التسليم أن منطقة هلاك قوم لوط -عليه السلام- هي سدوم وعمورا، وأن هاتين المدينتين في منطقة البحر الميت في الأردن، لنا أن نقول إن طبيعة العقوبة تستوجب أن هذه المنطقة مطحورة تحت التراب أو الماء. قال الإمام الطبرى في تفسير قوله تعالى: «وَلَقَدْ تَرَكَتَنَا مِنْهَا آيَةً يَتَكَبَّرُ بِقَوْمٍ يَعْقُلُونَ» (العنكبوت / 35): يقول تعالى ذكره: ولقد أبقينا من قُتلنا التي قُتلنا بهم آية، يقول: عبرة بينة وعظة واعظة، (لِقَوْمٍ يَتَكَبَّرُونَ) عن الله حججه، ويفكرون في مواعظه، وتلك الآية البينة هي عندي عُفُوًّا آثارهم، ودروس معلمهم⁽¹⁾. ويدعم هذا التفسير أن الله - سبحانه - قد جعل عالي الأرض سافلها، قال تعالى: «فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَاقِلَاهَا وَأَنْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِيَجِيلٍ مَنْصُوبَهُ» (هود / 82). علماً أن أهم النظريات الحديثة لمكان سدوم وعمورا واقعة تحت مياه الجهة الجنوبية للبحر الميت. وقد أشار أصحاب هذه النظرية إلى أن البحث الأركيولوجي يشير إلى أن هذه المنطقة كانت مأهولة في الألفية الثانية قبل الميلاد⁽²⁾.

(1) الطبرى، جامع البيان عن تأويل آى القرآن (دار هجر، 1422 هـ / 2001 م)، 18 / 396.
 W. E. Mills, art. Sodom, *Eerdmans dictionary of the Bible*, p.1235. (2)

الخلاصة:

- ليس لعلم الأركيولوجيا شأن يائيات وجود رجل دعا قومه إلى ترك الشذوذ الجنسي وبقية الرذائل.
- لم يحدد القرآن مكان وقوع العقاب على قوم لوط -عليه السلام-، وإن أشار إلى أنها منطقة كان يمرُّ عليها أهل مكة في رحلاتهم (إلى الشام).
- تصدق تفاصيل الخبر التوراتي عن قصة قوم لوط -عليه السلام-، يدلُّ على أنهم عاشوا عند البحر الميت، وهي منطقة لم ينته البحث الأركيولوجي إلى حسم القول فيها.
- العثور على بقايا عمران قوم لوط -عليه السلام- دون الحفر العميق، بعيدٌ طبق الخبر القرآني؛ لأنَّ المنطقة تعرضت إلى خسْفٍ شديد.



الفصل الخامس

الوجود التاريخي لنوح - عليه السلام -

المبحث الأول: نوح - عليه السلام - في القرآن والكتاب المقدس

النبي نوح - عليه السلام -، أول الرسل إلى الأرض - كما في الحديث النبوى -^(١). وقد دعا قومه إلى نبذ عبادة الأصنام، وإلى عبادة الله وحده، على مدى ٩٥٠ سنة. ولما رفض قومه دعوته لهم إلى التوبة سرّاً وجهراً، بنى سفينية ضخمة حمل فيها من كل زوجين من الحيوانات في أرضه اثنين. وعندما أزف وقت العذاب، أمطرت السماء بغزارة، وتفجرت ينابيع الأرض؛ حتى أغرق الطوفان كل ما يدب على الأرض، وهلك ابن نوح - عليه السلام - مع الهالكين لرفضه تصديق والده وركوب السفينة. وقد جاء في الآيات القرآنية خبر مضمون دعوة نوح - عليه السلام -، ومدتها، وما حاق بقومه من عذاب عندما كذبوا:

مضمون الدعوة: قال تعالى: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ يَقُولُ أَعْبُدُو اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ إِنَّمَا أَخَافُ عَيْنَكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» ^(٢) (الأعراف / ٥٩). مدة الدعوة: قال تعالى: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ، فَلَمَّا تَبَّعَهُمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا تَخَيَّرُكَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الظُّرُوفَاتُ وَقُمُّ طَلَمُوْنَ» ^(٣) فَاجْتَنَمْتَهُ وَأَصْبَحَ السَّيِّكَةَ وَجَعَلْتَهُمْ أَبَكِيَّ لِلْعَنَيْتِ» ^(٤) (العنكبوت / ١٤ - ١٥).

عذاب قوم نوح - عليه السلام -: قال تعالى: «وَأَرْسَحَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ مَاءَنَ فَلَأَتَتِنَسِيْنَ بِمَا كَثُرَا يَقْعُلُونَ» ^(٥) وَأَصْبَحَ الْفَلَكَ يَأْغِيْنَا وَرَخِيْنَا وَلَا

(١) قال الرسول صلى الله عليه وسلم - في حديث الشفاعة المعروف -: «... فَيُأْتَوْنَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفُعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، الْأَنْزَى إِلَى مَا تَنْخَنُ فِيهِ؟» (رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة بني إسرائيل، باب ذرية من حملنا مع نوح إن كان عبداً شكوراً، ح / 4435).

مُخْطَبِنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُشْرِقُونَ ٤٧ وَرَصَنَعَ الْفَلَكَ وَكُلَّمَا مَرَ عَلَيْهِ مَلَأً مِنْ قَوْمِهِ
 سَخَرُوا مِنِّي فَأَلَّا إِنْ تَسْخِرُوا مِنِّي فَإِنَا تَسْخِرُونَ ٤٨ فَسَوْفَ تَمَلَّمُونَ مَنْ
 يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُغَزِّي بِهِ وَيَحْلِلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيدٌ ٤٩ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ أَتَرْهَا وَفَارَ النَّثُرُ فَنَّا أَخْلَى فِيهَا
 مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَوَّى عَلَيْهِ التَّوْلُ وَمَنْ مَاءَنَّ مَعْهُ إِلَّا قَلِيلٌ
 ٥٠ وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا إِسْمَ اللَّهِ بَعْدِهَا وَمُرْسِهِنَّ إِنَّ رَبِّي لَمُقْرُورٌ رَّبِّي ٥١ وَهُوَ بَغْرِي بِهِمْ
 فِي مَوْجِ كَالْجِيَّكَالِ وَنَادَى نُوحُ أَبْنَاهُ وَكَانَ فِي مَعْرِيزٍ يَتَبَقَّى أَرْكَبَ مَعْنَا وَلَا تَكُونَ مَعَ
 الْكُفَّارِ ٥٢ قَالَ سَنَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصُمُنِي مِنَ الْمَاءِ فَأَلَّا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَنْرِ اللَّهِ إِلَّا
 مَنْ رَحِمَ وَعَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجَ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرِقِينَ ٥٣ وَقَيْلَ يَتَأَرَضُ أَلْبَى مَاءَكُو وَيَكْسَمَهُ
 أَقْلَى وَغَيْصَ الْمَاءَ وَقَيْنَ الْأَمْرَ وَاسْتَوَتْ عَلَى أَلْبُوْرِي وَقَبِيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّلَمِيَّينَ ٥٤ وَنَادَى
 نُوحُ رَبِّيَّهُ، فَقَالَ رَبِّيَ إِنَّ أَتَيْتِي مِنْ أَهْلِي فَوَلَّ وَعَدَكَ الْعَوْقَ وَأَنْتَ أَخْكُمُ الْمُكْبِينَ ٥٥ قَالَ يَتَنَوَّعُ
 إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلَ عَيْرَ صَلَاجَ فَلَا تَنْتَنِي مَا تَبَسَّ لَكَ بِهِ، عَلِمَ إِنَّهُ أَعْطَكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ
 الْجَنَاحِلِيَّينَ ٥٦ قَالَ رَبِّيَ إِنِّي أَعُذُّ بِكَ أَنْ أَسْتَأْكِ مَا تَبَسَّ لِي بِهِ، عِلْمٌ وَالْأَنْتَفِزُ لِي وَتَرْحِمُنِي
 أَكُنُّ مِنَ الْخَسِيرِينَ ٥٧ قَيْلَ يَتَنَوَّعُ أَقْبِطَ يَسَائِرُ مَنَا وَبِرْكَتِ عَلَيْكَ وَعَلَى أَمْرِي مَمَّنْ مَعَاهُ
 وَأَمْمَ سَمَّيْتُهُمْ هُمْ يَسْهُمُونَ مَنَا عَذَابُ أَلِيَّ ٥٨ يَلْكَ مِنْ أَبْلَاهُ الْفَيْنِيْ تُوْجِيْهَا إِلَيْكَ مَا كَنْتَ
 تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَأَصِيرُ إِنَّ الْمَنِيْقَةَ لِلْمُنْتَقِيْنَ ٥٩ (هود/ 36 - 49).

وجاء خبر نوح في الكتاب المقدس بما جاء به القرآن في أمر فساد قوم نوح
 - عليه السلام -، ومعاقبتهما بالطوفان، ونجاة نوح - عليه السلام - ومن معه من أهله
 والحيوانات، وفي القصة تفصيات لم ترد في الخبر القرآني، ومنها خبره بعد الطوفان
 أنه سكر وتعمر؛ فرأى حام أبو كنعان عورته، ولما استفاق نوح - عليه السلام - من
 سُكُرٍ لَعَنْ كنعان! (تكوين 9/ 21 - 25)، وأنه عاش بعد الطوفان 350 سنة. وأهمُ
 أوجه الخلاف بين القصتين زَعْمُ نَدَمَ الرَّبِّ بعد الطوفان (تكوين 8/ 21)، ورُسُوْلُ
 السفينة على جبل أراراط (تكوين 8/ 4) لا على الجودي كما في القرآن.

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لنوح - عليه السلام -

ليس من أخبار نوح - عليه السلام - مما يقبل المراجعة الأركيولوجية سوى أمر الطوفان الذي أصاب قومه. وأما وجود رجل اسمه نوح في ذاك العصر؛ فليس مما للأركيولوجيين أن يقولوا فيه بكلمة.

المطلب الأول: تاريخية طوفان النبي نوح - عليه السلام -

كان الاعتقاد السائد هو أنّ قصة الطوفان، توراتية، لا نظير لها في تراث الأمم السالفة، حتى اكتشفت الرواية البابلية للطوفان سنة 1853، ثم أعقبها الكشف عن الرواية السومرية في مدينة نيبور آخر القرن التاسع عشر. وتعدّت بعد ذلك الكشوف عن روایات الطوفان، ومنها روایات لطوفانات في غير بلاد الرافدين. وبما أنّ حديثنا عن طوفان يُنسب إلى نوح - عليه السلام - في بلاد الرافدين؛ فسنكتفي بخبر بلاد الرافدين.

وستكتفي في الحديث هنا عن ثلاثة من أهمّ أخبار روایات طوفان بلاد الرافدين، وما يُستنبط منها:

1. قائمة الملوك السومرية.
2. قصة الطوفان السومري.
3. ملحمة جلجاماش.

وهي كلّها روایات تعود إلى الألفية الثانية قبل الميلاد. وقد استمرّ نسخها إلى قرون بعد ذلك.

أ. قائمة الملوك السومرية

قائمة ملوك سومر، نصٌّ ورد في أكثر من وثيقة تاريخية قديمة، وهو يعود إلى نصّ أول واحد أقدم كُتب في عصرِ أوتو حيكال، ملك أوروك، محتر سومر من الكوتين

في القرن 22ق.م. وقد كُتب هذا النص ليثبت أنّ البلاد كانت دائِمًا مُوَحَّدة تحت سلطانٍ حاكم واحد في كلّ عصر - وإن كان ملوكُها قد حكموها من عواصم مختلفة -. وقد تضمّن هذا النص قوائم الملوك السومريين قبل الطوفان، وملوك سومر بعد الطوفان، مع تحديد مكان حكمهم، ومدده. وقد أضيف لاحقًا إلى هذا النص حديث حول أحداث ما قبل الطوفان.

وتكمّن أهميّة هذه القائمة في دلالتها على مركزية الطوفان في تاريخ بلاد الرافدين؛ حتى إنه يُعدّ فاصلًا بين عصورين عظيمين⁽¹⁾.

منشور ويلد - بلندل⁽²⁾
حوالي 1827 - 1817 ق.م
متحف أشموليان في أوكسفورد



James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*, p.265. (1)
Weld - Blundell Prism. (2)

ب. الطوفان السومري

حُفظت قصة الطوفان السومرية في لوح مسماري. وقد بقي منها الثالث الأخير. وتعود قصة الطوفان السومرية إلى ما يقرب من عصر الملك البابلي حمورابي (1728 - 1686 ق.م)، ولكن يذهب النقاد مع ذلك إلى أنها تعود إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد، في عصر الحكم السومري؛ إذ إن السومريين لم يعد لهم وجود في تلك الفترة بوصفهم عنصراً مستقلاً بعد ذوبانهم في الشعب السامي، كما أن اللغة السومرية قد انقرضت، ولم يبق لها أثر إلا في ما بقي يُنسخ من الأدب القديم^(١).

الجزء الأكبر من قصة الطوفان السومرية مفقود. ويبدو أنَّ القصة قد بدأت بخلق العالم. والقصة في خطوطها العريضة تتحدث عن عصرٍ ما قبل الطوفان وخلق الأحياء وظهور المدن، ثم تذكر أنَّ زيوسودرا الملك التقى، كان عند جدارٍ يسمع حدث الإله إنكي؛ فعلم منه أنَّ الآلهة فَرَّتْ إهلاك البشر ببطوفان.

طلب إنكي من زيوسودرا أن يبني سفينية ضخمة. ركب زيوسودرا السفينية التي ظلَّ الماء يتلاعب بها لسبعة أيام وسبع ليال. ثم خرج زيوسودرا بعد أن نجا من الطوفان. وفي آخر القصة رُفع زيوسودرا إلى مقام الآلهة.

و هنا ما يعنينا في أمر الطوفان من المحفوظ من القصة:

وأخذ الإله إنكي يتذير الأمر (على الرغم من أنَّ آلهة السماء قد أقسمت باسم آنور وإنليل). في ذلك الوقت كان الملك زيوسودرا صنعت... بخضوع و بكلمات مختارة... من التمجيل. فكان يقف كلَّ يوم عند... ولم يكن ذلك حلمًا... يظهر ويتكلم ومستحلفاً بالسماء والأرض... الآلهة جدارًا في... نسمع زيوسودرا وهو يقف بجانبه.

كان يقف إلى يساره الجدار... ياجدار! أريد ان أكلمك، فاستمع إلى كلماتي! وأصagne إلى وصاياتي: سوف تكتسح الأعاصير كُلَّ المستوطنات (?) في العاصم. إن

(١) محمد بيومي مهران، دراسة حول قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، العدد الخامس، 1395هـ - 1975م، ص 385.

ملك ذرية الإنسان... إن القرار الأخير، كلمة المجلس... الكلمة التي نطق بها أبو وإنليل ونخرساك أن إسقاط الملوكيّة... الآن...

(كسر في الرقيم)

وجاءت كلُّ الأعاصير والعواصف المدمرة، واكتسحت الأعاصير العاصم. وبعد أن اكتسحت الأعاصير البلاد في سبعة أيام وسبع ليالي... وجعلت الأعاصير المدمرة السفينة تأرجم في المياه العالية. (و عندما انتهى الطوفان) بزغت الشمس فأثارت الأرض والسماء، (وعندئذ) فتح زيوسودرا كوة في الفلك؛ فدخلت السفينة بأشعتها إلى الفلك؛ فركع زيوسودرا أمام إله الشمس. ونحر الملك (زيوسودرا) أعداداً كبيرة من الشiran والأغنام.

(كسر في الرقيم)

استحلفه بالسماء والأرض أن يجعل... فاستحلف آتو وإنليل بالسماء والأرض... فَخَلَقَ (؟) الحيوانات التي تنبث من الأرض، وركع الملك زيوسودرا أمام آتو وإنليل... اللذين وهما حياة أبدية مثل الآلهة، واللذين رفقا إلى الحياة الأزلية مثل الآلهة.

في ذلك الوقت أسكن (الآلهة) الملك زيوسودرا الذي أنقذ بذرة الإنسان وقت (؟) الدمار في بلده على البحر، في الشرق، في دلمون^(١).

ت. ملحمة جلجامش

ت تكون ملحمة جلجامش من 300 سطر، على 12 لوحة، وتعود إلى حوالي سنة 2000 ق.م. وقد اكتشفت في نينوى. وهي تحكي عن الملك المغامر الظالم جلجامش (وهو أحد ملوك الوركاء الذين تُسجّت حولهم أساطير وملامح لاحقاً عهد السومريين والبابليين) وإنكيدو الذي خلقته له الآلهة ليدفع عن الناس ظلمه؛

(١) فاضل عبد الواحد علي، الطوفان في المراجع المعمارية (بغداد: جامعة بغداد، 1395هـ/1975م)، ص 121 - 122.

فبعد صراع بينهما، صارا صديقين، وانطلقا في مغامرات كثيرة. مَرِضَ إنكيدو فجأةً ومات، فحزن جلجامش حزناً شديداً، وأصابه القلق الشديد عند تفكيره في الموت. بحث جلجامش إثر ذلك عن جَدِّه أو تابشتم (الذي كان هو وزوجته الناجين الوحدين من فيضانٍ كبير) ليأسله عن طريق الخلود؛ فقد رُفع أو تابشتم إلى مصاف الآلهة، وتمتع بالخلود. وبعد أن عثر جلجامش على جَدِّه، أخبره جَدِّه عن وعورة سؤال الموت، وأخبره كيف نجا من الطوفان. وتستمر الأحداث بعد سماع جلجامش لخبر الطوفان؛ إذ يستمر إلحاحه في طلب طريق الخلود؛ ليتهي الأمر بمorte دون إدراكه الخلود.

ليست ملحمة جلجامش قصة عن الطوفان، وإنما هي قصة عن سؤال الموت والخلود، وقد وردت فيها أحداث كثيرة، وما قصة الطوفان إلا حدث من أحداثها.

وهذا نص ملحمة جلجامش⁽¹⁾:

الرقيم العاشر:

العمود الخامس

- 23 - وقال جلجامش إلى أو تابشتم أيضًا:
- 24 - من أجل أن أصلَّ الآن لأرى أو تابشتم الذي يُسمونه «البعيد»
- 25 - فإنني طَوَّفتُ وهنتُ في كلَّ البلاد
 واجترثُ جبالاً وغرةً
- 26 - ... وعبرتُ كلَّ البحار
- 27 - فلم ير وجهي نوماً مريحاً
- 28 - لقد أنهكتُ نفسي بالسهرِ وملايين مفاصلِي بالألم
- 29 - ولم أكُنْ أصلُّ إلى بيتِ صاحبةِ الحانة حتى بَلَيْثَ ملابسي.

(1) فاضل عبد الواحد علي، الطوفان في المراجع المسماوية، ص 173 - 184.

31 - لقد قتلت الذبَّ والضَّمِّع والأَسْد والفَهْد والتَّمْر والأَيْلُ والوَغْلُ (وغيرها من) حيوانات الوَحْش والزَّوْاحِف في السهل وأكلت لحومها واكتسبت بِفَرِوهَا.

(ينخرم النَّصُّ في هذا الموضع وعندما ينتظم ثانية نجد أَوْتَنابِشْتَم يخاطب جلجماش قائلاً):

العمود السادس:

27 - متى بَيَّنَتَا بِيَّنَا دَام إِلَى الْأَبْدِ؟

ومتى خَتَّمَنَا عَقْدًا دَام إِلَى الْأَبْدِ؟

28 - ومتى تَقَاسَمَ الْإِخْرَوَةُ (مِيرَاثًا) دَام إِلَى الْأَبْدِ؟

وهل تَبْقَى الْبَغْضَاء فِي الْأَرْض إِلَى الْأَبْدِ؟

29 - وهل يَبْقَى النَّهَر يَرْتَفِع لِيَأْتِي بِالْغَمْر إِلَى الْأَبْدِ؟

30 - وَالْفَرَاشَة لا تَكَاد تَخْرُج مِنْ شَرْنَقَنَهَا لِتَرِي وَجْهَ الشَّمْس حَتَّى يَحْلَّ أَجْلُهَا.

31 - فَمِنْذْ قَدِيمِ الزَّمَان لَمْ تَكُنْ دِيمُومَةً (لَأَيِّ شَيْءٍ)

32 - فَمَا أَعْظَمَ الشَّبَّهَ بَيْنَ النَّاَئِمِ وَالْمَيِّتِ

33 - أَوْلَيْسَ فِيهَا صُورَةً لِلْمَوْتِ تَتَجَسَّدُ؟

34 - (وَمَا أَعْظَمَ الشَّبَّهَ) بَيْنَ الْقَوِيِّ وَالْمُضَعِّفِ

35 - عَنْدَمَا يَقْرَبَانْ مِنْ أَجْلَيْهِمَا؟

36 - إِنَّ الْآلَهَةِ الْعَظَامِ أَنُونَاكِي تَجْتَمِعُ مُسْبَقًا

37 - وَمَعْهُمْ مَامِيتِمْ، صَانِعَةُ الْأَقْدَارِ، لَتَقْرَرْ مَعْهُمُ الْمَصَاصِرِ

38 - إِنَّهُمْ يَقْدِرُونَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ

39 - غَيْرَ أَنَّ الْمَوْتَ لَمْ يَكْشِفُوا عَنْ أَجْلِهِ

الرَّقِيمُ الْحَادِي عَشَرُ:

1 - فَقَالَ جَلْجَامَش لِـ«أَوْتَنَابِشْتَم» الْبَعِيدُ:

- 2 - إني كلما أُمِّنَ النظر فيك يا أوتنابشم
- 3 - فإنَّ صورتك ليست غريبة عنِّي! أنت تشبهني
- 4 - إنك لست غريباً عنِّي أبداً! إنك تُشَبَّهُ بـ
- 5 - لقد تصوَّرْتَ قلبي (بطلاً) على أُفْهِي القتال
- 6 - فإذا بي أَجِدُكَ تضطجع متکاسلاً على ظهرك
- 7 - أخبرني كيف استطعت الدخول إلى مجلس الآلهة بحثاً عن الحياة؟
- 8 - فقال أوتنابشم إلى جلجامش:
- 9 - سأكشفُ لك يا جلجامش عن مسألة خفيةٍ
- 10 - وأسأُخبرك بسرٍّ من أسرار الآلهة:
- 11 - إنَّ شروبياك، المدينة التي تعرفها
- 12 - والتي تقع على ضفاف الفرات
- 13 - فهذه المدينة كانت قديمةً يقدِّمُ الآلهة التي فيها
- 14 - وعندما عقدت الآلهة العزم على أحداث الطوفان
- 15 - كان هناك أبوهم آنو
- 16 - والبطل إنليل مشيره
- 17 - وتنورتا حاجبهم
- 18 - وإينوكى رقيبهم
- 19 - وكان نن - إيكيكو - أيا حاضراً معهم
- 20 - الذي أعاد كلماتهم إلى كوخ القصب (قاتلنا):
- 21 - يا كوخ القصب! يا كوخ القصب! يا جدار! يا جدار!
- 22 - استمع يا كوخ القصب! وأضْعِ يا جدار!
- 23 - يا رجل شروبياك، يا ابن أبيار - توتوا
- 24 - اهْدِمِ الْبَيْتَ وابنِ سفينَةَ

- 25 - اتُرُكَ الْمَالُ وَانْشَدَ الْحَيَاةُ
- 26 - ابْنَدَ الْمَلْكَ وَأَنْقَذَ النَّفْسَ
- 27 - وَاحْمَلْتُ فِي السَّفِينَةِ بِذَرَّةٍ كُلَّ الْمَخْلُوقَاتِ الْحَيَّةِ
- 28 - أَمَا السَّفِينَةُ الَّتِي سَتَتَّبِعُ
- 29 - فَاضْبِطْ مَقَابِيسَهَا
- 30 - وَاجْعَلْ عَرْضَهَا مُسَاوِيًّا لِطُولِهَا
- 31 - وَاخْتَمَهَا مِثْلُ «أَبْسُو» (مِيَاهُ الْعُمَقِ)
- 32 - لَقَدْ فَهَمْتَ (قَصْدَهُ) قَوْلَتْ إِلَى سَيِّدِي أَيَا:
- 33 - أَجْلَ يَا سَيِّدِي! إِنَّ مَا أُمِرْتَ بِهِ الْآنَ
- 34 - سَأَتَشَرَّفُ بِإِنْجَازِهِ
- 35 - وَلَكُنْ مَاذَا عَلَيَّ أَنْ أُقُولَ إِلَى الْمَدِينَةِ بِأَهْلِهَا وَشَيْوَخِهَا؟
- 36 - فَفَتَحَ أَيَا فَاهُ وَقَالَ
- 37 - مَخَاطِبًا عَبْدَهُ:
- 38 - قُلْ لَهُمْ مَا يَأْتِي:
- 39 - لَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ إِنْلِيلَ يَغْضُنِي:
- 40 - وَلَذِلِكَ فَلَوْنَى لَا أُسْتَطِعُ أَنْ أُقِيمَ (بَعْدَ الْيَوْمِ) فِي مَدِينَتِكُمْ
- 41 - وَلَا أُسْتَطِعُ أَنْ أَصْبَحَ قَدِمًا فِي أَرْضِ إِنْلِيلِ
- 42 - وَلَذِلِكَ فَلَوْنَى سَأَنْزَلُ إِلَيْهِ «الْعُمَقَ» لِأَقِيمَ مَعَ سَيِّدِي أَيَا
- 43 - أَمَا أَنْتُمْ فَإِنَّهُ سَيَنْزَلُ عَلَيْكُمْ
- 44 - أَحْسَنُ الطُّيُورِ وَأَنْدَرُ الْأَسْمَاكِ
- 45 - وَسَوْفَ تَمْتَلِئُ الْبَلَادُ بِمَحَاصِيلِهَا الْغَنِيَّةِ
- 46 - وَفِي الْمَسَاءِ سَيَنْزَلُ عَلَيْكُمُ الْمَوْكِلُ بِالرَّزْوَاعِ مَطْرًا مِنْ قَمَحِ
- 47 - وَسَيَنْزَلُ عَلَيْكُمُ الْخَيْرَاتِ

- 48 - وعنده إطلالة الفجر
- 49 - اجتمع الناس من حولي
(الأسطر 50 - 53 مفقودة)
- 50 - فحمل الصغارُ القبر
- 51 - في حين جلب الكبار اللوازم الأخرى
- 52 - وفي اليوم الخامس أَفْنِتْ هَنِكُلَهَا
- 53 - وكانت مساحة قاعتها أيكو واحداً، وكان ارتفاع كلٌّ من جدرانها 120 ذراعاً
- 54 - وطول كلٌّ من جوانب سطحها 120 ذراعاً
- 55 - (هكذا) حدَّدَتْ أبعادها وهيكلها
- 56 - لقد جعلت فيها ستة فواثيل
- 57 - وبهذا قسمتها إلى سبعة طوابق
- 58 - ثم قسمت أرضيتها إلى تسعه أقسام
- 59 - وغرزت فيها مسامير (الخشب لمنع) الماء
- 60 - ثم زودتها بالمرادي وبالمؤن
- 61 - وسكبت ستة مسارات من القير في الكور
- 62 - وسكبت أيضاً ثلاثة مسارات، من الرفت
- 63 - وجاء حملة السلاسل بثلاث «سارات» من التمن
- 64 - إضافة إلى «سار» واحد من السمن استنفذ لقلافة (?) السفينة
- 65 - وإلى «سارين» اثنين من السمن اختزناها الملاح
- 66 - ثم نحرث الثيران للناس
- 67 - وذبحت لهم النعاج كل يوم
- 68 - وقدمت إلى العمال العصير والخمر الأحمر والسمن والخمر الأبيض

- 73 - ليشربوا منها (بغزارة) وكأنها مياه النهر
74 - وليرحتلوا كما لو كانوا في يوم رأس السنة
75 - ثم فتحت... دهان ومسحت يدي
76 - وفي اليوم السابع تم بناء السفينة
77 - غير أن إزالتها إلى الماء كان في غاية المشقة
78 - إذ كان عليهم أن يُذَلِّلُوا الألواح في الأعلى والأسفل
79 - إلى أن عَطَسَ ثُلثُها في الماء
80 - ثم حملت فيها كلّ ما أملك
81 - حملت فيها كلّ ما أملك من فضةٍ
82 - وحملت فيها كلّ ما أملك من ذهبٍ
83 - وحملت كلّ ما عندي من مخلوقاتٍ حيةٍ
84 - وأضعدت على ظهر السفينة عائلتي وأهل قرابتي
85 - وأصعدت على ظهرها حيوان العقل وحيوان البرّ المتوحش، وكل الصنائع
86 - وحدّد لي شمس وقتاً معيناً (بقوله):
87 - حينما ينزل الموكل بالعواصف في المساء مطر الهلاك
88 - فاذخُل السفينة وأغلق الباب
89 - ولما حان ذلك الوقت المعين
90 - وفي المساء أنزل الموكل بالعواصف مطر الهلاك
91 - تطلعت إلى حالة الجو
92 - فكان الجو مُخيّفاً للنظر
93 - فدخلت السفينة وأغلقت الباب
94 - (وأشسلمت) دقة (?) السفينة إلى الملاجِبوزور - أمروري
95 - أعطيته «الهيكل»، وما فيه من متاع

- ٩٦ - وعنده إطلالة الفجر
٩٧ - ظهرت في الأفق سحابة سوداء
٩٨ - كان الإله أدد يرعد في داخلها
٩٩ - (بينما) كان شوللات وخانيش يسيران في مقدمتها
١٠٠ - وهما يندران فوق الجبال والسهول
١٠١ - (وعندئذ) اقْتَلَ الإله إِبْرَاجَالْ دَعَائِمَ (السَّدَّ الشَّمْلِيَّ)
١٠٢ - وانطلق الإله نورتا ليجعل المياه تطغى فوق السدود
١٠٣ - ورفع أتوناكي المشاعل
١٠٤ - فأضاءت بأنوارها الأرض
١٠٥ - (ولما) وصل الرُّغْبُ من الإله أدد إلى عنان السماء
١٠٦ - وتحطمَت الأرض الواسعة مثلما (يتحطم) الإناء
١٠٧ - واستحال كُلُّ نور إلى ظلمة
١٠٨ - وظللت ريح الجنوب تهثُّ يوماً (كاماً)
١٠٩ - وتزايدت سُرُّعَهَا وهي تهثُّ حتى (غطت الجبال)
١١٠ - وفتكَت بالناس مثل حرب ضروس
١١١ - فلم يستطع الأخُ أن يرى أخيه
١١٢ - ولم يكنُ بالمستطاع تمييز الناس من السماء
١١٣ - حتى إن الآلهة ذُعوا الهول الطوفان
١١٤ - فأخذوا يتراجعون إلى خلفِ حتى وصلوا إلى سماء الإله آنو
١١٥ - واستكانت الآلهة وكأنها كلاب تربض بمحاذاة الجدار
١١٦ - (وأنذاك) صرخت الإلهة عشتار وكأنها امرأة في المخاض
١١٧ - صرخت عاليًا سيدة الآلهة ذات الصوت العذبِ (قاتلة)
١١٨ - وأسفاه ! لقد تحولت الأيام القديمة إلى طين

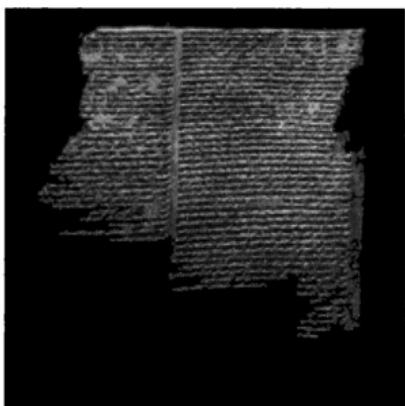
- 119 - لَتَنْفَقْتُ بِالشَّرِّ فِي مَجْلِسِ الْآلهَةِ
- 120 - كَيْفَ أَجْزَتُ لِنَفْسِي أَنْ أَنْطَقْ بِالشَّرِّ فِي مَجْلِسِ الْآلهَةِ
- 121 - فَأَمْرَتُ عَلَى شَعْبِي بِحَرْبٍ مَدْمُرَةٍ
- 122 - فِي حِينَ أَنَا الَّتِي وَلَدْتُ أَنَاسِي هُؤُلَاءِ
- 123 - حَتَّى أَصْبَحُوا يَمْلُؤُونَ الْبَحْرَ وَكَانُوهُمْ صِغَارُ السَّمَكِ
- 124 - فَأَخْذَذُ إِلَاهَهُ تَبْكِي مَعْهَا
- 125 - وَجَلَسْتُ إِلَاهَهُ ذَلِيلَةً تَبَاكِي وَقَدْ يَبْسَتْ (؟) شَفَاهُهَا
- 126 - وَلِيَسْتَهُ أَيَّامٌ وَسِتَّ لَيَالٍ
- 127 - اسْتَمَرَّتْ زَوَابِعُ الطُّوفَانِ فِي الْهَبُوبِ فِي حِينَ كَانَتْ رِيَاحُ الْجَنُوبِ تَكْتَسِّي
الْبَلَادَ
- 128 - وَعِنْدَمَا حَلَّ الْيَوْمُ السَّابِعُ
- 129 - خَفَّتْ وَطَأَةُ الزَّوَابِعِ الْجَنُوَيَّةِ لِلْطُّوفَانِ فِي الْهَجُومِ
- 130 - الَّذِي شَتَّتَهُ كَالْجَيْشُ فِي الْمَعرَكَةِ
- 131 - ثُمَّ هَدَأَ الْبَحْرُ وَسَكَنَتِ الْعَوَاصِفُ وَانْتَهَى الطُّوفَانُ
- 132 - وَلَمَّا تَطَلَّعَتِ إِلَى الْجَوَّ (وَجَدَتِ) السَّكُونَ يَخْيُّمُ (فِي كُلِّ مَكَانٍ)
- 133 - وَالْبَشَرُ جَمِيعًا قَدْ تَحَوَّلُوا إِلَى طَيْنٍ
- 134 - وَمَدِي الرَّؤْبَا مَسْتَوِيَا كَالسَّقْفِ
- 135 - فَفَتَحَتْ نَافِذَةً (فِي السَّفِينَةِ) فَسَقَطَ النُّورُ عَلَى وَجْهِي
- 136 - فَسَجَدْتُ وَجَلَسْتُ بِاكيَا
- 137 - وَالدُّمْوَعُ تَجْرِي عَلَى وَجْهِي
- 138 - ثُمَّ أَخْذَتُ أَتَطْلُعَ إِلَى سَوَالِحِ الْبَحْرِ الْوَاسِعِ
- 139 - فَبَاتَتِ الْأَرْضُ مِنْ مَسَافَةِ اثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا مَضَاعِفًا
- 140 - لَقَدْ مَسَكَ جَبْلٌ نِيسَيرَ السَّفِينَةِ وَلَمْ يَدْعُهَا تَحْرَكَ

- 141 - واستقرت السفينة على جبل نيسير. لقد مسّك جبل نيسير السفينة ولم يدعها تتحرك
- 142 - ومضى يوم أول وثان، وجلب نيسير ممسك بالسفينة ولم يدعها تتحرك
- 143 - ومضى يوم ثالث ويوم رابع وجلب نيسير ممسك بالسفينة ولم يدعها تتحرك
- 144 - ومضى يوم خامس وسادس وجلب نيسير ممسك بالسفينة ولم يدعها تتحرك
- 145 - وعندما حلّ اليوم السابع
- 146 - أخرجت حمامه وأطلقته
- 147 - فراحت الحمامه ولكنها لم تلبث أن رجعت
- 148 - لقد رجعت الحمامه لأنها لم تجد محطة لها
- 149 - (وعندئذ) أخرجت السنونو وأطلقته
- 150 - فراح السنونو لكنه لم يلبث أن رجع
- 151 - لقد رجع السنونو لأنه لم يجد محطة له
- 152 - (ومن ثم) أخرجت الغراب وأطلقته
- 153 - فراح الغراب ولكنه عندما رأى أن المياه قد انحسرت
- 154 - أكلَّ وحامَ ونعقَ ولم يرجع
- 155 - وعندئذ أخرجت كلَّ (ما في السفينة) إلى الرياح الأربع وقدمَت قُربانًا
- 156 - وسكبت الماء المقدس على قمة الجبل
- 157 - ونصبت سبعة وسبعة قدور
- 158 - وكرمت تحتها القصب والأرز والأس
- 159 - فشمت الآلهة الرائحة
- 160 - أجل لقد شمت الآلهة الرائحة الطيبة

- 161 - فتجمعت الآلهة حول مقدم القربان كالذباب
- 162 - وحالما وصلت الآلهة (عشتر)
- 163 - خلعت عنها عقدها من لازورد على هيئة (ذباب كبير) صاغه لها آنور (مرة)
- عندما كان يتوجه إليها (وقالت):
- 164 - أيتها الآلهة الحاضرة: مثلما أني سوف لن أنسى (عقد) الازورد هذا الذي
- حول عُنقِي
- 165 - فإنني سأبكي أندكراً هذه الأيام ولن أنساها أبداً
- 166 - (والآن) فلتدعوا الآلهة من القربان
- 167 - إلا إنليل فليس له أن يقترب
- 168 - لأنه لم يتردد فأخذت الطوفان
- 169 - وأسلّم شعبي إلى الدمار
- 170 - وعندما وصل إنليل
- 171 - ورأى السفينة. غضيَّ إنليل
- 172 - وامتلاً قلبه غيظاً على الآلهة إيكيكي، (وقال):
- 173 - كيف استطاعت بعض الأنفس الهرب ولم يكن ليشر أن ينجو من الدمار؟
- 174 - ففتح الإله نورتا فمه، وقال مخاطباً البطل إنليل:
- 175 - من غيرِ أيا قادر على ابتداع الوسائل؟
- 176 - إن أيا وحده الذي يعرف كلَّ خفيَّة
- 177 - وفتح أيا فاهٌ وقال مخاطباً البطل إنليل:
- 178 - أنت يا حكم الآلهة، أنت أليها البطل
- 179 - كيف لم تترُّق فأحدثت الطوفان؟
- 180 - حمل صاحب الخطية خطيبته وحمل المعتدي اعتداءه
- 181 - ولكن ترَقْ لثلا يهلك (من جراء العقاب) وتشدَّد لثلا (يعن في الغي)

- 182 - وبِدَلًا من الطوفان الذي أَخْدَثَهُ، لَيْتَ السَّبَاعَ انْقَضَتْ لِتُنْقِصَ عَدْدَ النَّاسِ
- 183 - وبِدَلًا من الطوفان الذي أَخْدَثَهُ، لَيْتَ الذِّئْابَ انْقَضَتْ لِتُنْقِصَ عَدْدَ النَّاسِ
- 184 - وبِدَلًا من الطُّوفَانِ الَّذِي أَخْدَثَهُ، لَيْتَ الْمَجَاعَةَ حَلَّتْ (لِتُهَلِّكَ؟) الْبَلَادَ
- 185 - وبِدَلًا من الطوفان الذي أَخْدَثَهُ، لَيْتَ الْوَبَاءَ انْقَضَ (لِيَفْتَكَ؟) بِالنَّاسِ
- 186 - إِنِّي لَمْ أُفْشِ سِرَّ الْآلِهَةِ الْعِظَامِ
- 187 - وَلَكِنِي جَعَلْتُ أَتْرَاحَاسِيسَ يَرَى حُلُمًا فَأَدْرَكَ سِرَّ الْآلِهَةِ
- 188 - وَالآنَ عَلَيْكَ أَنْ تَتَدَبَّرَ الْأَمْرَ بِشَأنِهِ
- 189 - عَنْدِي صَدَعٌ إِنْتَلِيلٌ إِلَى ظَهَرِ السَّفِينَةِ
- 190 - وَأَمْسِكَ بِيَدِي وَأَصْعَدَنِي مَعَهُ
- 191 - وَأَصْعَدَ مَعِي زَوْجِي وَجَعَلَهَا تَسْجُدُ بِجَانِبِي
- 192 - وَوَقَفَ يَيْتَنَّا ثُمَّ لَمَسَ جَيْتَنَّا لِتُبَارِكَنَا (قائِلًا):
- 193 - مَا كَانَ أَوْتَنَابَشْتُمْ قَبْلَ الْآنِ إِلَّا بَشَرًا
- 194 - وَلَكِنْ مِنَ الْآنِ سِيكُونَ أَوْتَنَابَشْتُمْ وَزَوْجُهُ مِثْلًا نَحْنُ الْآلِهَةِ
- 195 - وَسَيَقِيمُ أَوْتَنَابَشْتُمْ بَعِيدًا عَنْ «فَم» الْأَنْهَارِ
- 196 - وَهَكَذَا أَخْذُونِي وَجَعَلُونِي أَقِيمُ بَعِيدًا عَنْ «فَم» الْأَنْهَارِ
(بَقِيَةُ الرَّقِيمِ الْحَادِي عَشَرُ لَا تَتَعَلَّقُ بِالْطَّوفَانِ)

إحدى الألواح المسمارية التي تحتوي على ملحمة جلجامش^(١)



ث: دلالات تراث بلاد الرافدين على الطوفان

تشترك قصة الطوفان السومرية وقصة الطوفان البابلية في عدد من الأمور - وإن كانت قصة جلجامش أطولَ من القصة السومرية -؛ ومنها إهلاكَ الربِّ للبشر بالطوفان، وتحذيرِ الإله أَخَدَ البشر من البلاء القادم، وبلغ الطوفان ذروته في اليوم السابع، وتقديم هذا الناجي قُرباناً إلى الآلهة بعد انتهاء الطوفان، ورفعُ الآلهة له بعد ذلك ليكون في مصافَها. وذاك يظهر أنَّ القصة البابلية صورةٌ متأخرة عن أصل سومريٍّ قد يكون له أصلٌ أسطوريٌّ آخر عن أصلٍ أولٍ.

وأما الخلاف بين القصصَين ففي عدد الناجين، وحجم السفينة، ومعمرِي الأرض بعد الطوفان، وفي اسم البطل، فهو زيوسودرا في السومرية وأوتنيابشم في ملحمة جلجامش. وذاك لا يُؤثِّرُ في أصل التشابه ودلالة على الاقتباس؛ إذ لا يلزم من الاقتباس التطابق كليّة. والتشابهات الكثيرة والبارزة هي المحكمة هنا.

M.Silva and M. C. Tenney, *The Zondervan Encyclopedia of the Bible, Volume 2, D - G* (Grand Rapids, (1) MI: The Zondervan Corporation, 2009), p.766.

والتشابهات بين قصة بلاد الرافدين وقصة الطوفان التوراتية كثيرة، واضحة، أهمها أن الآلهة هي التي أمرت بالطوفان، وأن الطوفان سببه الأمطار الغزيرة، وأن الطوفان كان لإهلاك البشر بعد فسادهم، وأن الله نجى البطل لصلاحه، وأن النجاة كانت بسفينة عظيمة، وأن البطل يُرسِل طيوراً لمعرفة ما انتهى إليه الطوفان، وأن السفينة ترسو على جبل.

ليس في القرآن أئٌ تفصيل قابل للبحث التاريخي غير الطوفان الذي أغرق قوم نوح - عليه السلام -؛ فلم يذكر مكانه ولا زمانه، ولا الدولة التي عاش في كنفها، ولا ما خلف من عمران. ولذلك فالبحث في صدق خبر نوح - عليه السلام - لا يمكن أن يُبحث إلَّا في خبر الطوفان.

- الطوفان المحلي

المذهب الذي نراه في شأن الطوفان القرآني، أنه كان محدوداً جغرافياً؛ ولم يكن عالمياً؛ إذ إن الطوفان ما كان إلَّا عقوبة لقوم كافرين؛ جزاء رذ خبر الوحي وأمره. وقد كان نوح - عليه السلام - مرسلًا إلى قومه لا إلى كل البشر. ولم يرسل إلى البشر كافة نبي إلَّا محمد - صلى الله عليه وسلم - القائل: «كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُنَذَّرُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً»⁽¹⁾.

وممَّن شهد من المفسرين لمحلية الطوفان ابن عطية (توفي 542هـ) في تفسيره: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، حيث قال: «وقوله تعالى: «لَمْ أَغْرِقْنَا الْأَخْرَيْنَ» يقتضي أنه أغرق قوم نوح وأمته ومكذبته، وليس في ذلك نصٌّ على أن الغَرَقَ عَمَّ جَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ»⁽²⁾.

(1) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً (ح/ 427)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (ح/ 815).

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد (بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ)، 4/ 477.

كما قال الألوسي (توفي 1270هـ) في تفسيره «روح المعاني»: «والذي يميل القلب إليه أن الطوفان لم يكن عاماً - كما قال به البعض - وأنه - عليه السلام - لم يؤمِّز بحمل ما جرت العادة بتكونه من عُفونَة الأرض كالفار والحشرات، بل أمر بحمل ما يحتاج إليه إذا نجا ومن معه من العَرَقِ لئلا يغتموا لِفَقَدِه ويتكلَّفُوا مشقةَ جَلْيَه من الأصقاع النائية التي لم يَصِلُّها العَرَقُ؛ فكانَه قبل: قلنا احمل فيها من كل ما تحتاجونه إذا نجَّوْتُم زوجين اثنين»^(١).

- أساطير الطوفان، لا تبني تاريخية نوح -عليه السلام- والطوفان إن مدار كل الجدل الدائر اليوم حول وجود نوح -عليه السلام-، يعود إلى شيء واحد؛ وهو تاريخية قصة الطوفان القرآنية. ونحن هنا أمام ثلاث فرضيات:
 1. إذا ثبت أن قصة نوح -عليه السلام- مختلفة كلية؛ فإن وجود النبي نوح -عليه السلام- مستبعدٌ - على الراجح -؛ إذ هو عندها جزءٌ من قصة لا أصل لها، من نسخ العقل الأسطوري برمتها.
 2. إذا ثبت أن قصة الطوفان القرآنية صحيحة؛ فالواجب عندها التسليم أن نوح -عليه السلام- شخصية تاريخية.
 3. إذا لم يمكن إثبات خرافية قصة الطوفان القرآنية ولا إثبات صدقها؛ فيبقى عندنا وجود نوح -عليه السلام- بعيداً عن البرهان التاريخي، في يأتي الإثبات والنفي. ويسقط اعتراف المعارض على تاريخية نوح -عليه السلام-.

لا شك أنه لا بد من القول بخرافية القصة كلية إذا ابتدأنا النظر من وجهة نظر طبيعانية naturalistic صرفة تُنكر المعجزات، وترى أن عقاب رب للظالمين المشركين بطوفان خارق ينجو به فقط الصالحون وبعض الحيوانات، ضد قوانين

(١) شهاب الدين الألوسي، روح المعاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ)، 253 / 6

الطبيعة المطردة التي لا تتعطل. وأما من آمن بالله - سبحانه -، وكمال قدرته؛ فلا يجد أية حرج في الإيمان بأنّ الطوفان ممكّن من الممكّنات التي قد تقع أحداثها إذا أراد ربّ أن يحدّثها لحكمة.

والناظر في الجدل التاريخي طوال القرن العشرين وحتى الساعة، يلاحظ أنّ الملاحدة يعمدون إلى حسم القول في وجود نوح - عليه السلام -، بإنكاره، بعد الكشف عن وجود قصة أسطوريّة لطوفان عظيم أصاب بلاد الرافدين. وليس لتلك المسارعة إلى الحسم حجّة تدعّمها؛ إذ إنّ هذه المُشاَبَهَة لا تقطع بأنّ قصة نوح - عليه السلام - متأخرة عن نشأة أساطير بلاد الرافدين؛ فإنّ احتمالاً آخر يبقى قائماً، وهو أنّ أساطير بلاد الرافدين أصلها حدثٌ تاريخيٌّ صحيح، تمت أسطرته لاحقاً؛ فإنّ علماء الأنثروبولوجيا وغيرهم يسلّمون أنّ الأسطورة قد تكون صورة متأخرة لقصة تاريخية صحيحة، تمّ تغييرها وتفحيمها، وشحنها بالتفاصيل الباهرة والأحداث المثيرة؛ لتكون مصدراً للإعجاب والدهشة، وربما أيضاً العِيْطة. وهذا الأمر يظهر كثيراً في روايات الأصل (أصول الأسرة أو القبيلة أو الأمة)؛ لتشبيت معانٍ خاصة مرتبطة بهذا التجمّع العرقي.

ونحن هنا نقول إنّ إذا كان الطوفان قد وقع بالفعل؛ فمن البعيد جداً أن تتجاهل الأساطير القديمة هذا الحدث؛ وإنّما من المتوقّع منها أن تنسج من عناصره الكبريّ قصة ملحّمية للآلهة. وقد نصّ القرآن أنّ سفينّة نوح بقيّت زمناً يشهدها الناس؛ لتكون لهم عِيْطة: «وَحَكَمْتُهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْوَجْهِ وَدُسُرٍ (٢٧) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَرَاءَ لِئَنْ كَانَ كُفُرُ (٤٦) وَلَقَدْ زَرَكُنَا مَا يَهْدِي مَهْلِي مِنْ مُتَّكِرٍ (٤٧)» (القمر - 13 - 15).

وبعبارة أخرى، نقول: إنّ غياب قصة الطوفان عن تاريخ بلاد الرافدين لا حضورها فيه، هو ما يجب أن يكون سبباً لإثارة الشّبهة إنّ كان الحدث قد وقع منذ حوالي خمسة آلاف سنة؛ فإنّ طوفاناً عظيماً أهلكَ بلاداً واسعة، كانت أشهرَ معاقل المديّنة على الأرض في زمانها، لتدأ الحياة فيها بعد ذلك بقليلٍ من الناس؛ لمن العجائب التي لا تُغفل.

- شواهد أثرية لطوفان بلاد الراشدين

التسليم بالقول إنّ نوحًا - عليه السلام - قد عاش في بلاد الراشدين، بداية الآلفية الثالثة، أو قبل ذلك؛ يجعل أمل العثور على اسمه في نقش بعيداً جدًا؛ فآثار ذاك الزمان نادرة، وطبيعة حياة نوح - عليه السلام - المستضعف بين قومه لن ترك بصمة في جدران العمائر.

وقد يفاجأ كثيرون من عوام الملاحدة بالعلم أنّ كثيراً من النقاد يرون أنّ قصص طوفان أساطير بلاد الراشدين تعود إلى طوفان أول حقيقي أغرق مساحة من البلاد. وفي هذا قال عالم السومريات والآشوريات البارز - من جامعة كوبنهاغن - بنت أللستر: «كثيراً ما يفترض - ضمنياً إلى حد ما - أن القصص التي تُروى في الملحم السومرية تستند إلى أحداث تاريخية فعلية»^(١). وهو ما قرره - مثلًا - هاللو، وماي لوان، وراليز وكراemer، وغيرهم^(٢).

ومن القرائن التاريخية على حدوث طوفان عظيم في بلاد الراشدين أو بعضها، أفنى عامة أهلها؛ تقسيم قائمة الملوك السومرية تاريخ البلاد إلى ما قبل الطوفان، وما بعده؛ بما يظهر أنّ الطوفان الذي أصاب البلاد هو أعظم حدث بيئي - سياسي، وهو الأكبر في تاريخ بلاد الراشدين.

ولا يخلو البحث في طبقات الأرض من دعم لذلك. يقول د. محمد بيومي مهران: «لقد عَزَزَ «سير ليونارد وولي» في حفائره في «أور» عام 1929م على طبقة من الغرين السميكة الذي يُقدر بحوالي ثمانية أقدام والذي اعتبره دليلاً مادياً على الطوفان السومري نظرًا لكتافة تلك الطبقة الغريبة وتوافقها الزمني إلى حد كبير مع النصوص السومرية، هذا مع ملاحظة أن تلك الطبقة الغريبة تقع فوق وتحت

Bent Alster, 'Epic Tales from Ancient Sumer: Enmerkar, Lugalbanda, and Other Cunning Heroes,' (1) *Civilizations of the ancient Near East*. Vol. 4 Year: 1995, Volume: 4, p. 2322.
K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, p.426. (2)

آثار تنتهي إلى عصر حضارة العبيد، والتي تمثل عصر ما قبل الأسرات الأول في جنوب العراق، ثم اتجه «وولي» بعد ذلك إلى الحفر في موقع بعيد عن «أور» بحوالي ثلاثة ياردة من ناحية الشمال الغربي للبحث عن مدى امتداد تلك الطبقة الغرينية، وكانت نتيجة الحفر إيجابية، مما أدى إلى القول بوجهة نظره المشهورة في ارتباط تلك الطبقة الغرينية السميكة بالطوفان الذي ذكرته الكتب المقدسة.

ولكنَّ أستاذنا الدكتور رشيد الناصوري يرى أنه لا ينبغي العجز بصورة حاسمة في هذا الشأن، ذلك لأنَّ جنوب العراق القديم قد واجه الكثير من الفيضانات والطوفان، فهناك أدلة غريبة على فيضان أو طوفان كبير في شوربلاك يرجع إلى نهاية عصر «جمدة نصر»، وأخر في «كيش» يرجع إلى فترة لاحقة للفيضان السابق، وهكذا بات من الصعب علينا المقارنة بين تلك الفيضانات، وأيها هو الذي يتفق مع قائمة الملوك السومرية، ولعل فيضان «شوربلاك» أكثر قرباً منها على أساس أنَّ تلك القائمة قد أشارت إلى المدينة الأخيرة، كآخر مدينة قبل حدث الطوفان، ولكن في نفس الوقت علينا ألا نستبعد كلية طوفان «أور» ذي الطبقة السميكة للغاية، أضف إلى ذلك أنَّ عدم العثور على الطبقة الغريبة الموازية في كافة المدن السومرية يدفع إلى الاتجاه باحتمال كون الطبقة الغريبة التي عثر عليها «وولي» في أور، إنما هي مجرد ترسير محلّي، ليس له الصفة الشاملة...

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أنَّ الأدلة الأثرية التي عُثر عليها في طبقات مدحبي أريدو والوركاء تثبت حقيقة ما، تَصَّرَّتْ عليها وثيقة قائمة الملوك السومرية من حيث انتقال السيادة السياسية في جنوب العراق القديم بين تلك المدن.

ويَتَّسِعُ سير ليونارد وولي إلى اعتبار هذا الطوفان - موضوع الحديث - طوفاناً كبيراً لا مثيل له في أيّ عصرٍ لاحقٍ من تاريخ العراق القديم، صحيح أنَّ هناك في أور، وفي مواضع أخرى من ميزوبوتاميا، أدلة على فيضانات مؤقتة ومحليّة

حدثت في أوقات مختلفة من تاريخ العراق القديم، وفي بعض الأحيان لم يكن أكثر من نتيجة أمطار هطلت في منطقة محدودة، ولكن صحيح كذلك أن الطوفان الذي وضع نهاية لحضارة «العبيد» إنما يتفق في توقيته مع التاريخ السومري الذي وصل إلينا عن طريق التقليد، وأنه يعنده الطوفان الذي تحدث عنه قائمة الملوك السومرية، وهو الطوفان الذي رَوَّتْهُ التوراة في سفر التكوين، على أنه يجب ألا يُفهَمُ أنَّ القصة بحذافيرها صحيحة، صحيح أنَّ الخلفية حقيقةٌ تاريخية، ولكن التفاصيل قد زخرفَها المؤلف السومري والعربي ببيانٍ وأوصافٍ تتفقُّ وهدف كلِّ منها من كتابتها، فمثلاً تقولُ التوراة إنَّ الماء قد ارتفع ٢٦ قدمًا، وهذا ما يبدو صحيحاً إلى حدٍ كبيرٍ، كما أنَّ القصة السومرية تصف إنسان ما قبل الطوفان بأنه كان يعيش في أكواخٍ من بوصٍ، وهذا أمرٌ أثبتته الحفائر في العبيد وفي أور، وأنَّ نوحاً قد بنى فُلكَهُ من خَشَبٍ خفيفٍ لا ينفكُّ منه الماء ولا يؤثرُ فيه، وأنَّه قد طلاه من داخل ومن خارجٍ، وهو أمرٌ قد أثبتته الحفائر.

وهناك من الأدلة كذلك ما حدثنا عنه «سير ليونارد وولي» من أنه قد وجد في أُور أسفل طبقة المباني السومرية طبقةً طبقةً مليةً بقدورٍ من الفخار الملون، مختلط بها أدوات من الصوان والزجاج البركاني، وكان سُمُّكُ هذه الطبقة حوالي ١٦ قدمًا (٣ أمتار تقريباً) أسفل المباني الطينية التي يمكن تأريخها بحوالي عام ٢٧٠٠ ق. م، وأنَّ أور قد عاشت أسفلَ هذه الطبقة في عصر ما قبل الطوفان، ولم تَجُرْ حتى الآن أيَّ حفائر على نطاقٍ واسعٍ في هذه المنطقة، وكلَّ ما أمكن إثباته هو وجود مدينة قبل الطوفان... وأنَّ الفخار الملون قد اختفى، ويستنتاج «ولي» أنَّ سبب اختفاء هذا الفخار الملون الذي كان منتشرًا في جنوب بلاد الرافدين قبل الطوفان اختفاءً تاماً مرّةً واحدةً، هو أنَّ الطوفان قد قضى قضاء تاماً على سكان هذه البلاد، وحتى من بقي منهم حياً فقد فقدَ القدرة على الإنتاج، فجاء شعبٌ جديدٌ، هم السومريون، إلى تلك البلاد الخالية، وأَسْسُوا حضارة جديدة، وكان فخارهم مصنوعاً على دولاب

الفخار، بدلاً من الفخار المصنوع باليد الذي كان سائداً في عصور ما قبل الطوفان، كما استعملوا الأدوات المعدنية بدلاً من الصوان»⁽¹⁾.

المطلب الثاني: عمر نوح - عليه السلام - ودعومه المبالغة في طوله

من المسائل التي تحتاج أن تُطرق أيضاً، عمر نوح - عليه السلام -؛ فإن في القرآن خبرَ أنَّ نوحَاً - عليه السلام - قد دعا قومه 950 سنة، بما يشابه أخبار الحيوان الطويلة قبل الطوفان في قصة ملوك قبل الطوفان وفي التوراة أيضاً. وهو أمرٌ جادل به المعارضون؛ لإثبات خرافية القصة القرآنية.

والجواب من خمسة أوجه:

أولاً: لم يذكر القرآن من الأعماres الطويلة غير عمر نوح - عليه السلام -؛ فهو بذلك مخالف لقصة ملوك قبل الطوفان والتوراة. ولا يوجد في أخبار التاريخ وكشوف الحفريات ما يمنع أن يوجد بشر واحد قد عاش هذا العمر الطويل؛ فإنَّ الأحافير لا تخبر أنه من بين ملايين الناس الذي عاشوا قديماً لم يبلغ أيٌّ منهم سنته قريباً من ألف سنة. فيبقى بذلك خبر عمر نوح - عليه السلام - الخارق خارج البحث الأركيولوجي.

ثانياً: طول عمر الإنسان ليس من أفراد أخبار حضارة بلاد الرافدين القديمة؛ حتى يُجزم هنا بالاقتباس من تلك الحضارة في التوراة ثم القرآن؛ فإنَّ طول عمر الناس في مصر في عصر ما قبل الأسر (قبل حكم الفراعنة، من مينا، فصاعداً) كان يُزعم أنه أيضاً طويلاً جداً⁽²⁾. كما تبه المؤرخ يوسيفوس في القرن الأول إلى ظاهرة الأعمار الطويلة لقدماء الكلدانين والفينيقيين وغيرهم، قبل أن تبدأ مددُ أعمارهم في التزول تدريجياً⁽³⁾.

ثالثاً: هناك فوارق كبيرة في الأرقام بين سيني الأعماres لما قبل الطوفان من

(1) محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم - في العراق (بيروت: دار النهضة العربية، 1804 هـ - 1988 م)، ص 40 - 37.

K. A. Kitchen, *On the Reliability of the Old Testament*, pp.443 - 444. (2) Claus Westermann, *Genesis I - II: A Commentary* (SPCK, 1984), p.351. (3)

جهة والآباء وما قبل الطوفان في التوراة؛ فإن مدة حكم ملوك قبل الطوفان عظيمة جدًا، كما هو أمامكم^(١):

أولئيم	سنة 28800
الالجر	سنة 36000
إين مين لو أنا	سنة 43200
إين مين جال أنا	سنة 28800
دموزي الراعي	سنة 36000
إين سبازي أنا	سنة 28800
إين مين دور أنا	سنة 21000
أوبار توتوا	سنة 18600

وأما أعمار آباء ما قبل الطوفان في التوراة فهي دون ذلك؛ فقد عاش آدم -عليه السلام- 930 سنة، وعاش شيت 912 سنة، وعاش إنوش 905 سنوات، وعاش قيبان 920 سنة، وعاش مهليثيل 895 سنة... (تكوين ٥).

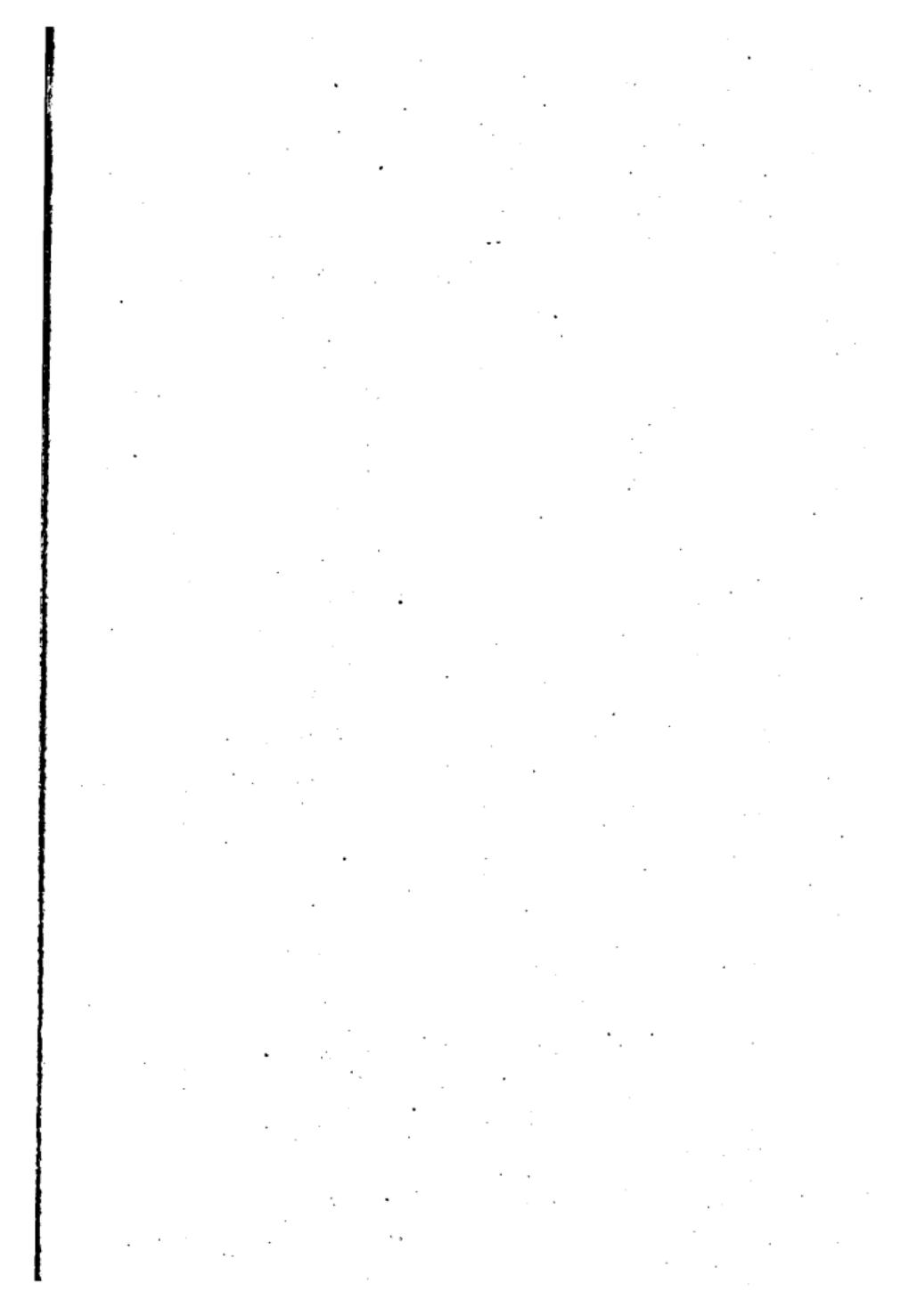
رابعًا: الأعمار الطويلة جداً مستمرةٌ في قوائم الملوك قبل الطوفان وبعده في حضارة بلاد الرافدين؛ فمدد الحكم الأولى: 1200 سنة، ثم 900 سنة، ثم 840 سنة، ثم 960 سنة، ثم 840 سنة، ثم 900 سنة، ثم 600 سنة، ثم 840...^(٢)، في حين لا نجد أثراً لذلك في القرآن أو حتى في التوراة.

James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*, p.265. (١)
 هذه الأرقام خاصة بواحدة من الروايات، وهي تبلغ في مجموعها (القائمة فيها ثمانية ملوك فقط) 241200 سنة.
 J. J. Finkelstein, "The Antediluvian Kings: A University" وفي رواية أخرى يبلغ عدد السنتين 456000 سنة!
 of California Tablet,» *Journal of Cuneiform Studies*, 1963, Vol. 17, No. 2: 46).
 James Bennett Pritchard, ed. *Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament*, p.265. (٢)

خامسًا: سبب طول أعمار الآباء في التوراة؛ ظنَّ كتبة هذه التوراة أنَّ طولَ عمر نوح -عليه السلام- قبل الطوفان يقتضي أنَّ الناس في زمانه قد كانوا يعيشون من العمر ما يقارب عمره؛ فعمر آدم -عليه السلام- 930 سنة، والذي بعده 912 سنة... وذلك مقارب لطول حياة نوح -عليه السلام- في التوراة، أي 950 سنة. وقد أيد روئتهم أنَّ حضارتين مجاورةً لليهود زمن كتابة التوراة كانت ترى أنَّ أعمار أسلافها الأوائل طويلة جدًا.

الخلاصة:

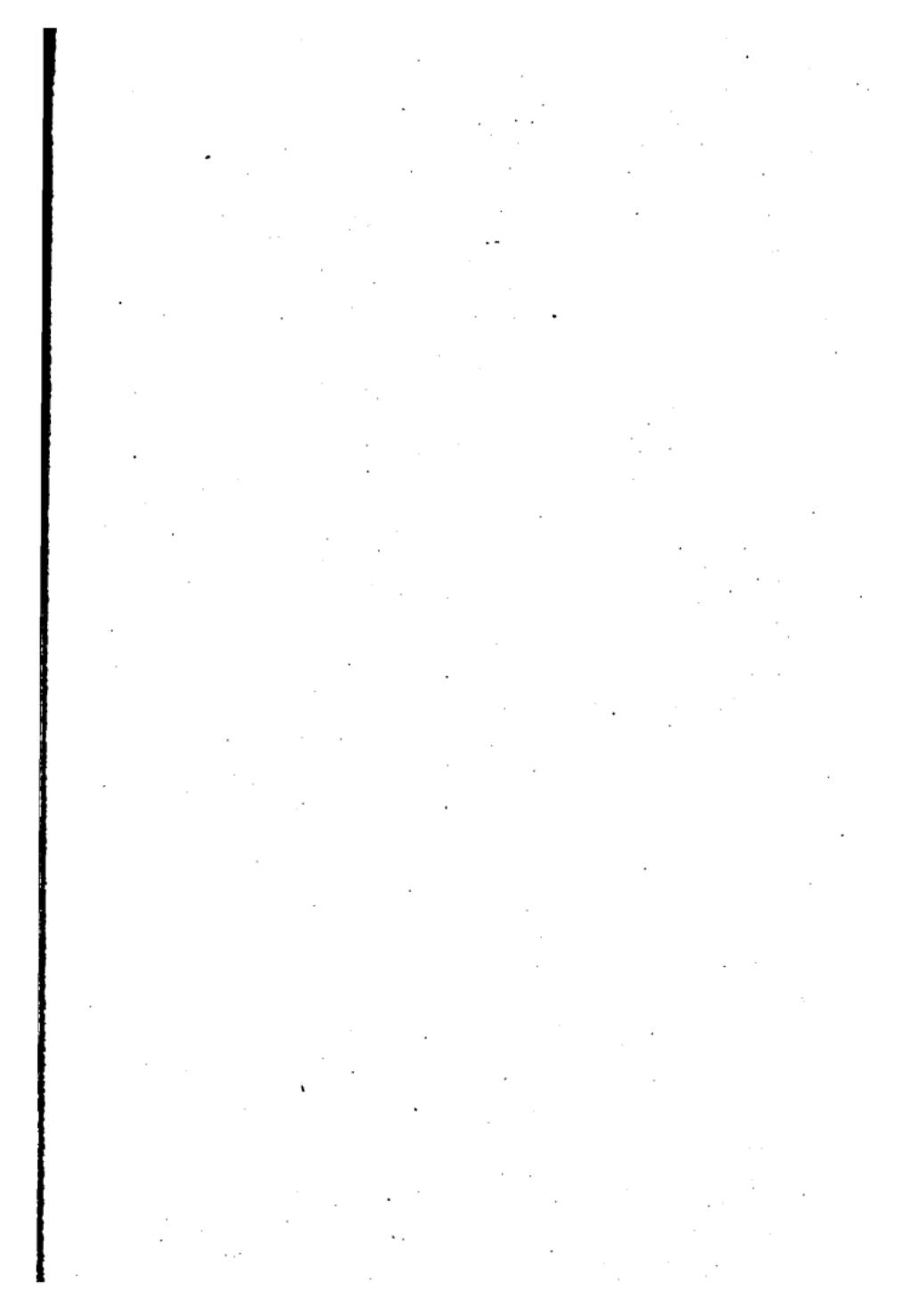
- تُظهر الأسطورتان السومرية والبابلية أثر وجود حدث طوفاني ضخم جدًا في بلاد الرافدين، أثَّر في التاريخ الديموغرافي والثقافي للمنطقة، على صورة لم يُحدِّثها أيٌّ طوفان من الطوفانات الكثيرة لمنطقة.
- لا يوجد شاهدٌ تاريخيٌ يُثبت وجود نوح -عليه السلام-، ولا يتَوَقَّعُ الأركيولوجيون وجود شاهدٍ يذكر اسمه؛ إذ إنَّ أسطورة الطوفان قد كتبت بعد زمن نوح -عليه السلام- بقرون، وتشيَّبت بالعصر الوثني وتمَّ توظيفها للأغراض العقدية الوثنية.
- يقول الأركيولوجيون الطاعنون في قصص الأنبياء إنَّ غياب كلِّ أثرٍ للخبر القديم دليلٌ خرافتيه، ولكنَّهم لما رأوا آثار الطوفان، قالوا بخرافيته أيضًا، منكرين حقيقةً أنَّ التراث الوثني لا بدَّ أنَّ يصيغ على الأحداث الكبرى القديمة ملامحً أسطورية.
- نحن لا نُنكر القول بتأثُّر التوراة بالأساطير البابلية؛ فإنَّ التوراة التي أعاد صياغتها عزرا -في القرن الخامس قبل الميلاد- متأثرةً بلا شكٍ بالحضارة البابلية. ووجودُ طوفانٍ عظيمٍ عند البابليين مُغْرِي للتأثر بتفاصيله المتطرفة لاحقًا في جو وثنى.



الفصل السادس الوجود التاريخي لإدريس - عليه السلام -

المبحث الأول: إدريس - عليه السلام - في القرآن والكتاب المقدس

إدريس - عليه السلام - نبي لم يذكر في القرآن إلا مرتين، في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا لَّهَا وَرَفِيقَهُ مَكَانًا عَلَيْهَا﴾ (مريم / 56 - 57)، وقوله تعالى: ﴿وَلَيَسْكِعِيلَ وَلَإِدْرِيسَ وَذَا الْكَفْلِ كُلُّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنبياء / 85). عامة المفسرين على أنَّ إدريس - عليه السلام - هو أخنوح عنده في التوراة. وقد جاء خَبِيرُهُ في سِفر التكوين 5 / 21 - 24: «وَعَاشَ أَخْنُوْخُ خَمْسَةَ وَسِتِّينَ سَنَةً، وَوَلَدَ مُتُوشَّلَحَّ. وَسَارَ أَخْنُوْخُ مَعَ اللَّهِ بَعْدَ مَا وَلَدَ مُتُوشَّلَحَ ثَلَاثَ مِائَةَ سَنَةٍ، وَوَلَدَ تِبْيَانَ وَبَنَاتِهِ. فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ أَخْنُوْخَ ثَلَاثَ مِائَةَ وَخَمْسَةَ وَسِتِّينَ سَنَةً. وَسَارَ أَخْنُوْخُ مَعَ اللَّهِ، وَلَمْ يُوجَدْ لِأَنَّ اللَّهَ أَحَدٌ». وجاء في العهد الجديد، في رسالة يهوذا 14 أنه من الجيل السابع من آدم - عليه السلام -.



المبحث الثاني: الوجود التاريخي لإدريس - عليه السلام - ومفالطات خزعيل الماجدي

خبر إدريس - عليه السلام - في القرآن مجملٌ بلا تفصيلٍ؛ فلستنا نعرف عصره ولا مصبه، ولا تفاصيل حياته. وليس لأحدٍ عندها أن يُحاكم قصة إدريس - عليه السلام - القرآنية لكشف تاريخي، كما أنَّ البحث التاريخي لا سلطان له للحديث عن نبيٍّ عاش قبل الألفية الثالثة؛ لأنَّ ذلك عصرٌ مُظلمٌ.

وأمّا ما ذكره بعض النقاد الغربيين من أنَّ قصة أخنونخ في التراث اليهودي مُستقاةً من التراث السومري؛ بدلالة أنَّ حُكَّام السومريين قبل الطوفان كانوا عشرة، كما أنَّ الآباء قبل الطوفان في التوراة كانوا عشرة، بالإضافة إلى أنَّ الملك السومري السابع قد صعد إلى السماء كحال أخنونخ؛ فليس بشيءٍ، وإن حاول خزعيل الماجدي الترويج لذلك في أحد كتبه المتأخرة، بعد أن اذعنَ - على الفضائيات وفي المؤتمرات، ماراً - أنَّ هذا القول من كشفه الخاص، رغم أنها أطروحة معروضةٌ في المكتبة الغربية منذ أكثر من قرنٍ⁽¹⁾، وأُشيعت بحثًا.

See G.W.G., 'Hebrew Tradition and Egyptian and Babylonian myths', *Homiletic Review*, 1919, Volume (1) 78: 278.

وبالإضافة إلى انتقال الأفكار التي ليست له، يعتمد الماجدي في كتبه المتأخرة بكثرة تعبية على ويكيبيديا، مع محاوలته إنفافه ذلك بتغيير بعض الكلمات، دون إحالة. وأحياناً يخطئ عن مخطوطات قمران على مقال ويكيبيديا «مخطوطات البحر الميت»؛ فمرة ينقل عنه بالحرف، وفي أخرى يلخص. ومما قاله: «كُتِبَتْ هذه المخطوطات على ورق البردي بالدرجة الأساسية وببعضها كتب على الجلد وصفائح النحاس»، والأصل في مقال ويكيبيديا: «كُتِبَتْ بعض المخطوطات على ورق البردي، وببعضها على جلد وببعضها على صفائح نحاس». وزعم الماجدي أنَّ عامة هذه المخطوطات من ورق البردي، خطأ، فإنَّ عامتها من الجلد لا ورق البردي، كما هو معلوم، وقد اغتر بأنَّ ويكيبيديا قدّمت البردي على الجلد؛ فظُنَّ أنَّ استعمال البردي كان أوسع.

George J. Brooke, Charlotte Hempel, *T&T Clark Companion to the Dead Sea Scrolls*, Bloomsbury Publishing, 2018, p.168

والعجب أنه يخوض في قضيائنا من دقائق البحث العلمي، ثم ينقل أبسط معلوماتها من ويكيبيديا، كتعريف كلمة الإنجيل - لغة وأصطلاحاً - في أكثر من صفحتين من موقع ويكيبيديا الذي يُمنع علىَّ القلق عنه طلبة المدارس لأنَّ مؤلفي مقالاته مجاهيل (خزعيل الماجدي، كشف الحلقة المفقودة، ص 331 - 333). ولعنة أراد الماجدي =

وجوابنا على دعوى الماجدي، ومن نَفَّلَ عنهم، من أوجهه:

أولاً: ابتداء، ليس المسلم في حاجة إلى دفع دعوى أن أهل الكتاب قد اقتبسوا أسماء من قائمة الملوك السومريين قبل الطوفان؛ فإنه ليس في القرآن من ذكر لرجالٍ قبل نوح - عليه السلام - غير آدم - عليه السلام -، على خلاف التوراة وأبائها العشر. وأمّا أن إدريس - عليه السلام - كان قبل نوح - عليه السلام -، فوارد، ولكنه محل نظر. قال ابن العربي - المفسر -: «نوح أول رُسُولٍ بعثه الله إلى أهل الأرض بعد آدم بِتَحْرِيمِ الْبَتَاتِ وَالْأَخْوَاتِ وَالْعَمَّاتِ وَالْحَالَاتِ وَسَائِرِ الْفَرَائِصِ؛ كَذَلِكَ فِي صَحِيحِ الْأَثْرِ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

وَمَنْ قَالَ مِنَ الْمُؤْرِخِينَ إِنَّ إِدْرِيسَ كَانَ قَبْلَهُ فَقَدْ وَهِمْ. وَالدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ وَهِمِهِ فِي اتِّبَاعِهِ صُحْفَ الْيَهُودِ، وَكُتُبَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ فِي الْإِشْرَاعِ، حِينَ لَقِيَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - آدَمَ وَإِدْرِيسَ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: مَرْجِبَا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْأَبْنِ الصَّالِحِ. وَقَالَ لَهُ إِدْرِيسُ: مَرْجِبَا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَبْنِ الصَّالِحِ. وَلَوْ كَانَ إِدْرِيسُ أَبَا النُّوحِ عَلَى صُلْبِ مُحَمَّدٍ لَقَالَ لَهُ: مَرْجِبَا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَبْنِ الصَّالِحِ. فَلَمَّا قَالَ لَهُ: مَرْجِبَا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَبْنِ الصَّالِحِ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ يَجْتَمِعُ مَعَهُ فِي أَيِّهِمْ نُوحٌ، وَلَا كَلَامٌ لِمُنْصِيفٍ بَعْدَ هَذَا»⁽¹⁾.

أن يعرف أسماء أسفار العهد القديم سرق مقاولاً لكاتب مجھول من صفحة إلكترونية اسمها «إسرائيل اليوم» (أنياء سومريون، ص 26 - 29). والأعجب من نقله معلومات شائعة من مصدر غير علمي (وذاك عجيب من «متخصص»!)؛ تسبّبته (أثناء النقل) سفر راغوت: سفر روت (ص 28)، وزعمه أنه يوجد في الكتاب المقدس سفر اسمه سفر إيخا (ص 28)، والحق أن هذا السفر اسمه بالعربية سفر مراوي إرميا. وللاسف فإن سبب خطأه السابق أنه قد نقل أسماء الأسفار المنسدة من الصفحة «الإسرائيلية» مجھولة المؤلف، تقدّماً مسطّرًا على مدى أربع صفحات (26 - 29). والمؤسف أيضًا أنه نقل عن هذه الصفحة الإلكترونية نقرة أسماء الأسفار بالعربية بأنحطتها (براشيت، والصواب بربشتت %D7A8%D7B9، وذكرها، والصواب زكرياء %D7A9%D7B9)!

<<https://www.israelinarabic.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%AF%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%86%D8%A7%D8%AE/>

(1) ابن العربي، أحكام القرآن (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424 هـ / 2003 م)، .315

ثانية: ما جاء في الصحيحين من أنَّ «النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لقى إدريس - عليه السلام - ليلة المراجَع في السماء الرابعة، قال: فرَّجَب وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ قال اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿وَرَفَقْتَنِي مَكَانًا عَلَيْنَا﴾⁽¹⁾). ثُمَّ عَرَجَ بَنَاهُ - أَيْ جَبَرِيلَ - إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ⁽²⁾. لَا يَدْلِي بِضَرُورَةٍ عَلَى أَنَّ إِدْرِيسَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَدْ رُفِعَ حَيًّا إِلَى السَّمَاءِ عَنْ نِهايَةِ حَيَاتِهِ عَلَى الْأَرْضِ؛ فَإِنَّ الرَّسُولَ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ رَأَى أَنْبِيَاءَ آخَرِينَ أَيْضًا مِنْ لَمْ يَرْعِمْ أَحَدُهُمْ قَدْ رَفَعُوا أَحْيَاءً إِلَى السَّمَاءِ بِأَبْدَانِهِمْ. وَلَعِلَّ مَقَامَ إِدْرِيسَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي السَّمَاءِ الْرَّابِعَةِ، لِغَلُوْ فَضْلِهِ.

كما أَنَّ الْأَرجُحَ أَنَّ الرَّسُولَ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ رَأَى أَرْوَاحَ هُؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ فِي رَحْلَةِ الْمَرَاجِعِ لَا أَبْدَانَهُمْ؛ فَإِنَّ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ فِي قُبُورِهَا عَلَى الْأَرْضِ. قَالَ ابْنُ تِيمِيَّةَ: «أَمَّا رُؤْيَا مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي الطَّوَافِ فَهَذَا كَانَ رُؤْيَا مَنَامٌ لَمْ يَكُنْ لَيْلَةً الْمَرَاجِعِ كَذَلِكَ جَاءَ مُفَسَّرًا كَمَا رَأَى الْمُسِيحُ أَيْضًا وَرَأَى الدَّجَالَ. وَأَمَّا رُؤْيَاهُ وَرُؤْيَاهُ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَيْلَةً الْمَرَاجِعِ فِي السَّمَاءِ لَمَّا رَأَى آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَرَأَى يَخْتَنِيَ وَعِيسَى فِي السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ وَيُوْسُفُ فِي الْثَالِثَةِ وَإِدْرِيسُ فِي الْرَّابِعَةِ وَهَارُونُ فِي الْخَامِسَةِ وَمُوسَى فِي السَّادِسَةِ وَإِبْرَاهِيمُ فِي السَّابِعَةِ أَوْ بِالْعَكْسِ فَهَذَا رَأَى آزْوَاحَهُمْ مُصَوَّرَةً فِي صُورِ أَبْدَانِهِمْ. وَقَدْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ: لَعَلَّهُ رَأَى نَفْسَ الْأَجْسَادِ الْمَدْفُونَةِ فِي الْقُبُورِ؛ وَهَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ»⁽³⁾.

وليس في الحديث النبوى خبرٌ ثابت عن رفع إدريس إلى السماء حيًّا. قال ابن حجر: «وَكُونُ إِدْرِيسَ رُفِعَ وَهُوَ حَيٌّ لَمْ يَبْتَدِي مِنْ طَرِيقٍ مَرْفُوعَةٍ قَوِيَّةٍ»⁽⁴⁾. وأمَّا التُّورَةُ؛ فليس فيها التصرِّيف بصعود أختُوخ إلى السماء؛ وإنما فهم ذلك من عبارة سِفَرِ التَّكْوينِ 5 / 24 «وَسَارَ أَخْتُوخُ مَعَ اللَّهِ، وَلَمْ يُوجَدْ لَأَنَّ اللَّهَ أَخْذَهُ». وعبارة

(1) رواه مسلم، كتاب الأيمان، باب الإشارة برسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى الشَّتاَّراتِ (ج/ 266).

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (المدينة المنورة): مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426 هـ / 2005 م، 328.

(3) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (بيروت: دار المعرفة، 1379هـ)، 6 / 375.

«لأن الله أَحَدٌ» «כִּי־לֹא־הָאֵתֶן אֱלֹהִים» ظاهرها موت أخنون لا رفعه بيده إلى السماء. والعجيب زعم خرزل الماجدي أن «غالبية المرويات ومنها سفر التكوين التناخي أنه عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ»⁽¹⁾، وكان النص صريحاً في ذلك!

ثالثاً: من بين خمس روايات مكتشفة لقائمة الملوك السومريين، واحدة فقط فيها عشرة ملوك، في حين أن عدد الملوك في الروايات الأخرى سبعة أو ثمانية أو تسعة⁽²⁾. رابعاً: قائمة الآباء في سفر التكوين تبدأ ببداية ظهور البشرية، في حين أن قائمة ملوك السومريين تبدأ «بنزول الملكية» من السماء إلى الأرض. ونزول الملكية إلى الأرض في تراث بلاد الرافدين لا يطابق بداية الخلق⁽³⁾.

خامساً: ليس هناك أي تطابق بين أسماء ملوك السومريين العشرة والآباء العشرة في سفر التكوين. وقد أدرك خرزل الماجدي ذلك؛ فذهب يحرف اللغة، ويتكلّف؛ حتى إنه جعل اسم آدم -عليه السلام- عند السومريين مقابلًا لاسم أكثر من شخصية في التراث السومري، دون أن يجد من بين هذه الشخصيات اسمًا واحدًا مطابقاً لاسم آدم. وقد دفعت المقارنة بين أسماء القائمهين ح. ج. فنكلشتاين إلى القول إن محاولة المطابقة بين أسماء القائمهين «غير مجدية بالمرة» «utterly futile»⁽⁴⁾.

سادساً: ما جاء في سفر التكوين 5 - 11 غائيته رسم سلسلة متصلة من الآباء والأبناء، من آدم -عليه السلام - حتى نوح -عليه السلام- (قبل الطوفان). وليس ذلك طابع قائمة ملوك السومريين؛ فإن القائمة كانت تهتمُّ بذكر تالي المالك، وأسماء الملوك قبل الطوفان وبعدُه، ومُدِّ حُكْمِهم؛ فهي قائمة ذات طابع سياسيٍّ صرفي؛ وُضِعَت لإثبات دعوى أن سومر وأكاد كانتا في فترة ما تحت سلطان ملك

(1) خرزل الماجدي، أنبياء سومريون، ص 312.

Russell Gmirkin, *Berossus and Genesis, Manetho and Exodus* (New York; London: T & T Clark, 2006), p.108.

Gerhard F. Hasel, 'The Genealogies of Gen 5 and 11 and Their Alleged Babylonian Background,' (3) Andrews University Seminary Studies 16 (1978):370 - 371.

J. J. Finkelstein, "The Antediluvian Kings: A University of California Tablet," *Journal of Cuneiform Studies*, 1963, Vol. 17, No. 2: 50.

واحد، رغم أنَّ الملك قد يأتي من أيٍّ من المدن الإحدى عشرة⁽¹⁾. سابعاً: مسألة صعود أخنونخ إلى السماء - إن سلمنا بها جدلاً - لا تشابه صعود إنمدورأنكي الملك السابع قبل الطوفان؛ فإنَّ صعود أخنونخ في التراث اليهودي (خارج سفر التكوانين) كان لِقبضِيهِ من الأرض دون موت، في حين أنَّ صعود إنمدورأنكي إلى السماء كان فقط لاستقدامِهِ إلى حضرة الآلهة لتسليمه أسرار فنِّ كهانة الفأل أو العِرافة⁽²⁾.

ثامناً: صعود الشخصيات العظمى إلى سماء الآلهة ليس من نوادر القصص الدينى القديم؛ ولذلك فهو ليس من العلامات البيتنة للاقتباس؛ فاليهود يؤمّنون بصعود إيليا وابنة فرعون التي تقول التوراة إنها انتشلت موسى -عليه السلام- من الماء، وإليazar عبد إبراهيم -عليه السلام-، والكاثوليك يرون صعود مريم أم المسيح - عليهما السلام - إلى السماء، وتعتقد الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية صعودها وصعود إيليا إلى السماء. وعند الهندوس والمجوس واليونان والروماني ومصر القديمة شخصيات كثيرة صعدت إلى السماء.. بل إننا نقرأ في الأساطير السومرية نفسها أنَّ أدباً - الذي يزعم خرُّ عالم الماجدِي ومن ينقل عنهم - آنه يقابل آدم -عليه السلام- في التراث التوراتي، قد صعد أيضاً إلى السماء بعد أن طلب منه الإله الأعلى آتو القدوم إليه ليحاكمه بسبب كسره للريح الجنوبية التي قلبَتْ مركتبه⁽³⁾.

تاسعاً: حاول خرُّ عالم الماجدِي أن يزيد في أوجه التشابه بين إدريس / أخنونخ وإنمدورأنكي؛ فزعم أنَّ إنمدورأنكي هو نفسه هرمس، وهرمس قد عاد إلى السماء، وأول من اختُرَّ الكتابة، وهي أمور تميّز بها أخنونخ في بعض التراث الكتابي.

William W. Hallo, 'Royal Hymns and Mesopotamian Unity', *Journal of Cuneiform Studies* Vol. 17, (1) No. 4 (1963), 112.

(2) خرُّ عالم الماجدِي، أنبياء سومريون، كف تحول عشرة ملوك سومريين إلى عشرة أنبياء توراتين (الدار البيضاء: المركز الثقافي للمكتاب، 2018)، ص 313.

Robert William Rogers, *Cuneiform Parallels to the Old Testament* (Eaton & Mains, 1912), pp. 70 - 72. (3)

وذلك دعوى فاسدة؛ إذ إن الماجدي نفسه قد اعترف أن قوله محفوف بالظن، وأنه مخالف للإجماع العلمي؛ فقد قال نصاً: «والحقيقة أن البحث عن حقيقة شخصية هرمس موضوع صعب ومعقد ومحفوظ بالظن، لكننا توصلنا (...) إلى أن هرمس هو أحد الملوك السومريين قبل الطوفان وهو (أميدار - آتا)، خلافاً لكل الآراء المطروحة»⁽¹⁾. والأعجب أنه قال أيضاً: «ربما تتعكس شخصية هرمس في شخصية آدم وأحفاده لغاية بدء الطوفان وصولاً لزيوسودرا»⁽²⁾. وأشنع مما سبق أن هذا الكاتب قد زعم أن «سفر التكوبين التوراتي [يذكر] أنه عرج إلى السماء»⁽³⁾، مع أن سفر التكوبين لا يذكر هرمس أصلاً! ويبدو أن الحس «الوطني» هو الذي دفع هذا الكاتب لينسب إلى الإغريق إلى حضارة السومريين، وكذلك فعل مع آلهة مصر، مع سفطية لغووية مُنكرة؛ حتى ربط بين بناة الأهرام وهرمس؛ بقوله عن كلمة «هرم» العربية: «لاحظ الكلمة هرم لها علاقة بهرمس»⁽⁴⁾، رغم أن كلمة «هرمس» مشتقة في اليونانية من الكلمة «Ἑρμα» [«هرما»] «كومة حجارة»⁽⁵⁾.

والماجدي مولع بالتألقي طول كتابه، بطريقة مستفرزة للقارئ، والأمثلة على ذلك كثيرة، من أظرفها أنه لما أراد أن يُطابق بين إله الزرادشتية «أهورا مزدا» و«هرمس»؛ قال إن اسم إله الزرادشتين «يقترب من لفظ هرم»⁽⁶⁾، رغم أنه حتى لو غيرنا «هرمس» إلى «هرمز»؛ فستبقى المسافة بين هرمز وأهورا مزدا بعيدة! وشرّ ما سبق محاولة الماجدي المطابقة بين أخنون و إندورأنكي الذي صعد إلى السماء، بقوله إن كلمة أخنون تعني في العبرية «المرتفع»⁽⁷⁾. وكلامه كَذِبٌ على

(1) المصدر السابق، ص 313.

(2) المصدر السابق، ص 313.

(3) المصدر السابق، ص 312.

(4) المصدر السابق، ص 313.

Dean Miller, *Beliefs, Rituals, and Symbols of Ancient Greece and Rome* (Cavendish Square Publishing, 2014), p.87.

(6) خزعلي الماجدي، أنبياء سومريون، كيف تحول عشرة ملوك سومريين إلى عشرة أنبياء توراتيين، ص 260.

(7) المصدر السابق، ص 446، 473.

العبرية، لم يُقْهِلْ بَشْرٌ قَبْلَهُ؛ فإنَّ جذر «חֶנְךָ» [حنك] العبري لا يمتُّ بصلةٍ لفعل الارتفاع أو الغلوٌ^(١).

وأشنع مما سبق، قول الماجدي إنَّ اسم إدريس الإسلامي تصحيف لاسم «أوزيريس» الذي تحول فيه حرف الزاي إلى حرف الدال^(٢)؛ فإنَّ اسم «إدريس» غير مذكور في التوراة التي يزعم المستشرقون أنها أصل قصص القرآن. فوجبَ عندها أن يكون القرآن قد اتصل مباشرةً بالثقافة المصرية القديمة؛ وهذا منكر لأسباب:

- هذا الاسم عند قدماء المصريين، اسمُ إلهٍ وليس اسمَ نبيٍّ؛ فهو عند قدماء المصريين إلهُ البعث والحساب.
- كانت مصرُ في القرن السابع نصرانيةً، ولم تكن تعبد أوزيريس، ولم تكن تحفل به.
- لم يُثبت الكاتبُ انتقالَ شخصية هرمونس إلى مصر النصرانية قبل الفتح باسم أوزيريس، علِمًا أنه سبق أن ادعى انتقالها إلى مصر القديمة باسم الإله «تحوت» والوزير «أمحوت» والفرعون «خوف»!
- القرآن قد عَرَبَ اسم حنوك إلى إدريس لأنَّ حنوك العبرية من درس^(٣). ويزاد التخليط اللغوي ظهورًا مع خزعل الماجدي عند ربطه أخنونج بادريس -عليه السلام-، في قوله: «الترجمات العربية أرادت أن تُفرقَ بين حنوك ابن (كذا) قايين وأخنونج (الأب السابع) وهو الشخصية المهمة ابن يارد الذي أَخْذَهُ الله حيناً إلى السماء فكتبتُ اسم الأول حنوك وهو ترجمة صحيحة للعبري والثاني أخنونج وأيضاً هو ترجمة صحيحة للعبري. هو إنيوش Enoch وأخنونج^(٤).

(١) Butzon u. Bercker; Neukirchen-Sie Richard S Hess, *Studies in the personal names of Genesis I* (1) 11:26) B&H Publishing- Vluyn: Neukirchener Verl., 1993(, pp.39 - 40, K. A. Mathews, *Genesis I* Group, 1996(, p.285.

(٢) خزعل الماجدي، أنبياء سومريون، ص 312.

(٣) انظر سامي عامري، العلم وحقائقه (الكتاب: مركز رواسخ، 2019)، ص 393 – 395.

(٤) خزعل الماجدي، أنبياء سومريون، ص 315.

وذاك كلام لا يفهم!

كلمتا «حنوك» و«أخنوخ» في الترجمات العربية أصلهما في الأصل العبري واحد، وهو «حنوك» **حַנּוֹק**. وكلمتا «حنوك» و«أخنوخ» ليستا ترجمة للكلمة العبرية؛ فالترجمة نقل لمعنى الكلمة من لغة إلى أخرى. كلمة «حنوك» هي **نَقْحَرَةٌ** Transliteration (نقل حروف الكلمة من لغة إلى أخرى بأقرب حرف إلى الأول في اللغة الثانية) للأصل العبري؛ فالكلمة العبرية تتكون من الحروف: ح - ن - ك. وأما أخنوخ؛ فلعلها نقل إلى العربية بلسان عربي لا يعرف الحاء (كعامة يهود فلسطين اليوم) كما أن الكاف في حنوك العبرية **تُنْطِقُ خَاءً** وفق قواعد النطق العبرية (قاعدة: بجدكفت). ولا يظهر لي الآن وجه آخر لسبب كتابتها أخنوخ. والأمر على كل حال ليس ترجمة من العربية إلى العربية؛ لأن أخنوخ كلمة ليست عربية الأصل. والمخنخة في لغة العرب إخراج الصوت من الأنف⁽¹⁾.

ومن العسير تتبع الشطحات التأثيلية لخزعيل الماجدي فهي كثيرة⁽²⁾، وليس من أغربها أنه يزعم أن اسم نوح هو «أوناباشتم» اليابيلي، وقد انتقل إلى «نوح»؛ بحذف كل الحروف للتخفيف إلا حرف النون، ثم إضافة حاء إليه⁽³⁾!

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة: خن.

(2) الأمر عجيب بحق؛ إذ «يتطلع» الماجدي مراتاً في كتبه بتعريفنا بالأصول اللغوية لكلمة ما، دون أن يكون عارفاً باللغة الأصل، بل وبخلاف معلومات يعرفها المبتدئ في الدراسات الدينية أو التوراتية. ومن ذلك قوله في كتابه: «تاريخ القدس القديم» (ص 231): إن كلمة **التوراة** مشتقة من الفعل العبري **تَرَش** (ترش) والذي يقترب معناه من الفعل العربي (رأى) الذي يفيد اليقين والاعتقاد. والذي لا يجعله أي طريلب علم في الدراسات اليهودية أن التوراة **خواجا** كلمة من جذر فعل **خواج** [غير] يعني عمل. ولا يمكن أن تكون الكلمة من **يريش** **شـ** لاختلاف الجذر. كما أنتي عاجز عن فهم التطابق بين **ورث** و**رأى** في اللغة العربية!

(3) وزاد الماجدي في الفقرة السابقة نفسها في إطار جهله بما يتحدث فيه، بقوله: «ويبلغ الحد الأدنى لكل أسفار التوراة (39) سفرًا وسمى **(المهد القديم)** الذي يحمل بالعبرية الاسم (كذا) العرفي **(توراة الأنبياء والكتبة)** أي (إرشاد الأنبياء والكتبة)... وهذا أيضًا قول عجيب؛ فالماجدي يجعل أصل مصطلح **تاتخ** **خـ** الذي يستعمل للدلالة على ما يسمى عند النصارى بالمهد القديم؛ إذ زعم أن تاء التناخ التي هي اختصار لكلمة **التوراة** تعني **إرشاد**؛ في حين أن تاء تعني **توراة** بمعنى الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى -عليه السلام-، وأما التوراة؛ فتعني السين **خـ** أي كتب الأنبياء، وتدل الحاء التي تكتب بحرف كاف العري على الكتابات **خـ**، أي بقية الأسفار. فالتناخ مصطلح لاختصار الأقسام الثلاثة **(المهد القديم)**.

(3) خزعيل الماجدي، أنبياء سومريون، ص 386.

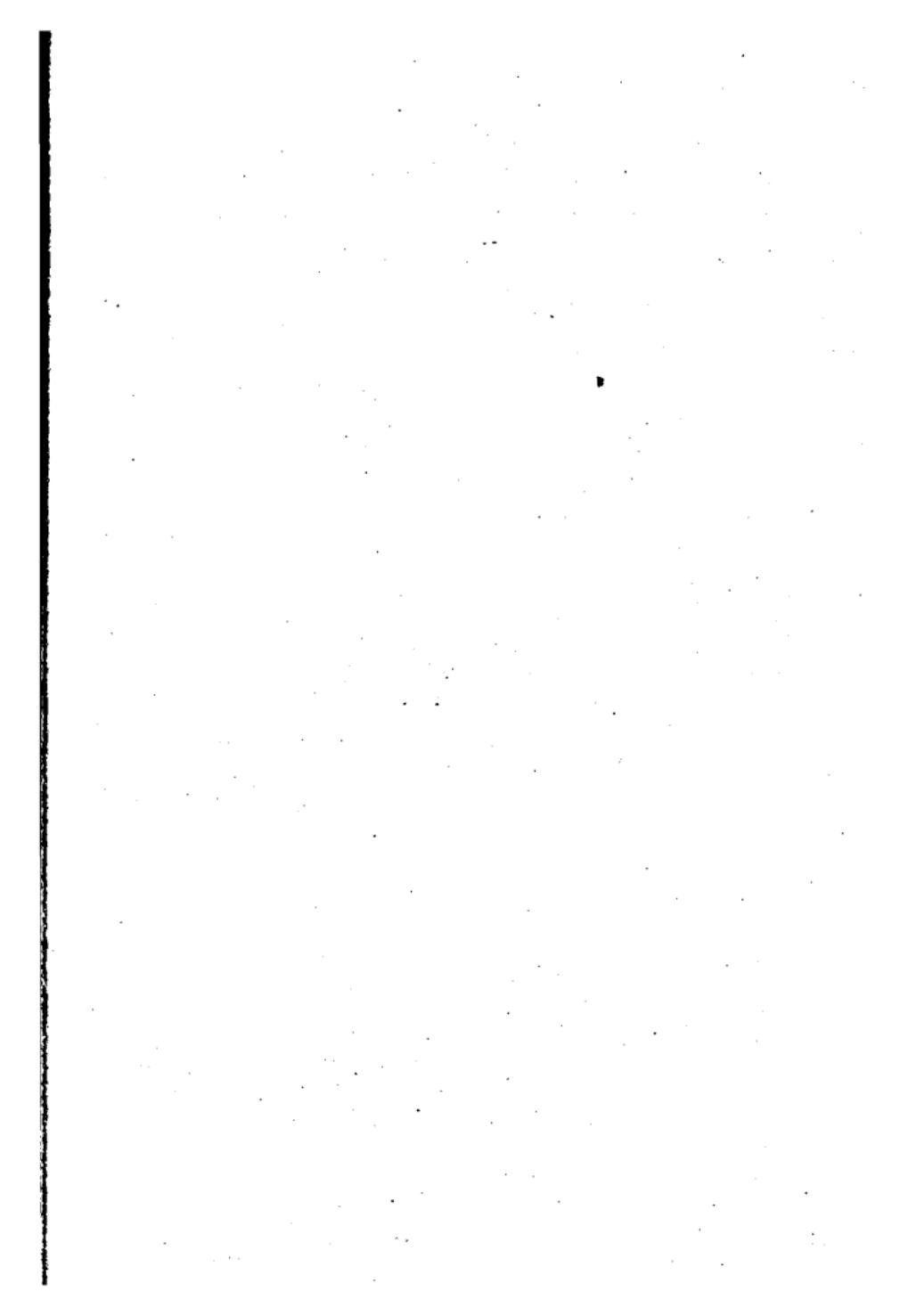
وأنت - كما ترى - أمام ظلمات بعضها فوق بعض، رصيدها الوحيد، السيطرة على دعاوى السابقين، والظنُّ السادر، والتلاعب بالبحث اللغوي⁽¹⁾.
والحقُّ، ما قاله الناقد أ. ديميل منذ قرن من الزمان عن الصلة بين آباء ما قبل الطوفان في التوراة وملوك ما قبل الطوفان عند السومريين: «من الأفضل الإقرار بنزاهة آله إلى اليوم لم يتم إثبات أيُّ صلة بين التراثين البابلي والتوراتي للأسلاف في عصر ما قبل الطوفان»⁽²⁾. وهو ما فَصَّلهُ جيرهارد هازل بقوله: «هناك فقدانٌ كاملٌ للاتفاق بين القائمتين أو العلاقة بينهما. يتجلّى ذلك من خلال مقارنة الأسماء وطول العمر ومدد الحكم، وخطَّ التسبُّب والخلافة الملكية، وعدد [شخصيات] ما قبل الطوفان، والمعلومات الزمنية، والأيديولوجيا، والنوع، والتركيز التاريخي، وببداية كلِّ منها ونهايته»⁽³⁾.

الخلاصة:

- ليس في أخبار إدريس - عليه السلام - في القرآن ما لا بد أن نجد أثره في الكشوف الأركيولوجية.
- ليس في خبر القرآن عن إدريس - عليه السلام - ما يخالف حقيقة تاريخية.
- لا مُحْجَّة عند من يزعم أنَّ خبر إدريس - عليه السلام - في القرآن أو التوراة أصله سومري.

(1) لخزعل الماجدي أيضًا جرأة منكرة على الجزم بالأصول اللغوية للأسماء؛ فقد يأتي للاسم الذي حار العلماء في أصله، وذهبوا به إلى أكثر من قول دون حسم؛ فيورد له أصلًا دون تبييه على أن قوله مجرد ظن (مثال: ميتارون، ص 321)، وأحياناً ينسب إلى الأصل العبري للتوراة وترجماته أشياء محضية.
والحق أنَّ جهل الماجدي باليهودية والنصرانية متزعزع؛ فهو ينقل من الشكبة العنكبوتية من الإنجليزية إلى العربية آليًا دون مراجعة أهل التخصص، ومن ذلك قوله: «ذكرت ليلى في كتاب الكتاب المقدس اليهودي في قسم الزوهار» (ص 178)! والحق أنَّ الزوهار كتاب ضخم من كتب الكتاب المقدس طبع في عدد كبير من المجلدات، وهو ليس جزءًا من كتاب آخر، علمنا أنَّ الكتاب المقدس / قيالاً قوجلاً تراث روحي لليهود، وليس كتابًا من كتبهم!

A. Deimel, «Die babylonische und biblische Überlieferung bezüglich der vorsintflutlichen Urväter,» *Or* 17 (1925) 43 (Cited in: Claus Westermann, *Genesis I - II: A Commentary*, p.351).
Gerhard F. Hasel, 'The Genealogies of Gen 5 and 11 and Their Alleged Babylonian Background,' (3) *Andrews University Seminary Studies* 16 (1978):373.



الفصل السابع

الوجود التاريخي لآدم - عليه السلام -

المبحث الأول: آدم - عليه السلام - في القرآن والكتاب المقدس

آدم - عليه السلام -، أبو البشر، وأول الأنبياء. منه جاءت البشرية جماء. خلقه الله في الجنة بيديه - سبحانه - من تراب الأرض، ثم أنزله وزوجه أرض المعاناة؛ لينشأ شفاعة في حياة المكافدة والاختبار والاختيار، بعد أن أكلَ من الشجرة التي نهاده الله - سبحانه - عن أكل ثمرتها. وقد أنجب ولدين، قُتلَ الطالعُ منها الصالح.

ومن أجمع الآيات تلخيصاً لخبر آدم - عليه السلام -، قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّهُ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقَتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ فَلَادَا سَوْتَهُنَّ وَفَقَحْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لِهِ سَاجِدِينَ ﴾^{٦٣} ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾^{٦٤} إِلَّا إِلَيْسَ أَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الظَّاهِرِينَ ﴾^{٦٥} ﴿فَأَلَّا يَأْتِيَلِي شَيْءٌ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ إِذَا خَلَقْتَ رَبِّي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الظَّاهِرِينَ ﴾^{٦٦} ﴿فَأَلَّا تَخِرِّبْنَاهُ خَلَقْنَاهُ مِنْ تَأْرِي وَخَلَقْنَاهُ مِنْ طِينٍ ﴾^{٦٧} ﴿فَأَلَّا تَأْخُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾^{٦٨} ﴿وَلَمْ يَأْتِكَ لَعْنَقَ إِلَى يَوْمِ الْيَمِينِ ﴾^{٦٩} ﴿فَأَلَّا تَنْظُرِنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ﴾^{٧٠} ﴿فَأَلَّا فَإِنَّكَ مِنَ الظَّانِظِيرِينَ ﴾^{٧١} إِنَّ يَوْمَ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿فَأَلَّا فَيُعَزِّلَكَ لِأَغْرِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^{٧٢} إِلَّا يَعِدَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾^{٧٣} ﴿فَأَلَّا تَأْخُلْ وَلَا تَحْقِّقْ ﴾^{٧٤} ﴿أَفَوْلَ ﴾^{٧٥} لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ يَمْكُرْ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^{٧٦} ﴿[ص: ٧١ - ٨٥].﴾

وقوله تعالى: ﴿وَلَذِّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةَ أَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِلَيْسَ قَالَ مَا أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾^{٧٧} ﴿فَأَلَّا رَبِّيَنَكَ هَذَا اللَّهُ كَرَّمَتَ عَلَيَّ لِمَنْ أَخْرَتَنَ إِنَّكَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ لَأَخْعَنِكَ دُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^{٧٨} ﴿فَأَلَّا أَذْهَبَ فَمَنْ يَعْلَمْ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَرَأَ وَكُلُّ جَرَأَهُ مَوْفُورًا ﴾^{٧٩} وَأَسْتَقْرِزَ مَنْ أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ صَوْبِكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِعَيْكَ وَرَجِلَكَ وَسَارِكَهُمْ

فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَنْهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٦﴾ إِنَّ عَسَادِي لَيْسَ لَكَ
عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفِيرَكَ وَصَكِيلًا ﴿٦٧﴾ [الإسراء: 61 - 65].

وتشارك التوراة القرآن أهم خبر آدم - عليه السلام -، وهو أنه - عليه السلام - أبو البشرية، وأنه نشأ في الجنة (الأرضية)، ثم طرد منها بعد الخطيئة، وأنه له من الأبناء قابين وهابيل ...

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لأدم - عليه السلام -

ليس في القرآن تفصيل في الأمور التاريخية لأدم - عليه السلام -، غير ما سبق ذكره. وقد اختلف علماء الإسلام في أمر الجنة التي خلق فيها آدم - عليه السلام -؛ فذهب فريق إلى أنها في السماء، وقال آخرون إنها جنة على أرضنا كما في التوراة. وقد نقل ابن كثير هذا الاختلاف: «... وَاخْتَلَفَ فِي الْجَنَّةِ الَّتِي أُسْكِنَاهَا يَعْنِي آدَمَ وَحَوَّاءَ عَلَى قَوْلَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهَا جَنَّةُ الْخَلْدِ، الثَّانِي جَنَّةٌ أَعْدَهَا اللَّهُ لَهُمَا وَجَعَلَهَا دَارَ اِتِّلَاءٍ، وَلَيَسْتَ جَنَّةً عَنِ الشَّجَرَةِ الَّتِي جَعَلَهَا دَارَ حَزَاءً. وَمَنْ قَالَ بِهَذَا اخْتَلَفُوا عَلَى قَوْلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّهَا فِي السَّمَاءِ لِأَنَّهَا أَهْبَطُهُمَا مِنْهَا، وَهَذَا قَوْلُ الْحَسَنِ، وَالثَّانِي أَنَّهَا فِي الْأَرْضِ لِأَنَّهُ امْتَحَنَهُمَا فِيهَا بِالنَّهَيِّ عَنِ الشَّجَرَةِ الَّتِي نُهِيَا عَنْهَا دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الشَّمَارِ. وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ يَحْيَى»⁽¹⁾.

ليس في القرآن، بعد الإخبار أن آدم - عليه السلام - أول البشر، الإخبار عن عصره منذ خلقت الأرض. وما جاء في التوراة غير واضح في تحديد موطن آدم - عليه السلام -؛ فقد قيل إن تلك الأرض تقع في بلاد الرافدين، وقيل في أرمينيا، وقيل غير ذلك⁽²⁾، كما أن زمن وجود آدم - عليه السلام - في التوراة مخالف لما فرَّزَهُ الحديث النبوي كما سيأتي بيانه لاحقًا. فآدم - عليه السلام - إذن لا يُعرف عصره ولا مصدره؛ ولذلك لا يقول أحد من الباحثين الجادين إن الآثار من الممكن أن تكون مصدراً للبحث عن آدم - عليه السلام -؛ إذ إن بيته مجهولة كلياً، كما لم يكن في عصره من البيانات ما يؤرخ له قصته.

التشكك في وجود آدم قائم على اعتراضين، امتناع وجود بشري أول، وخطأ التَّرَغِيمِ أن أبو البشرية قد عاش منذ بضعة آلاف من السنين.

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 1/75.

See Jean Delumeau, *History of Paradise: The Garden of Eden in Myth and Tradition* (Chicago: University of Illinois Press, 2000).

المطلب الأول: دعوه امتناع وجود إنسان أول

تقوم النظرية الداروينية على أنه لا يوجد بشرٌ أول؛ فإن سلسلة التطور التي بدأت بـكائن وحيد الخلية منذ قرابة 4 بلايين سنة، لا تعرف ظهور كائنات جديدة مرتّبة واحدة، وإنما الكائنات تترقّى ببطء شديد جدًا على ملايين السنين؛ ومن ذلك الانتقال من طور «القرد الجنوبي» إلى الإنسان العاقل.

ونحن لا نُسلم للنظرية التطورية الداروينية. وهو نقاش قد أُشيع بحثاً، وقد تناولنا بعض ذلك في كتاب آخر⁽¹⁾، ومختصر الحديث فيه أن هذه النظرية معيّنة من أكثر من وجه، وأعظمها أنها لا يمكن أن تصح دون أن توجد شجرة حياة واحدة، تبدأ من الخلية الأولى وتنتهي بالإنسان وغيره من الكائنات الحية اليوم. وقد أثبت البحث العلمي أن «شجرة الحياة» وهم ينسفه ترتيب الكائنات الحية مورفولوجيًا وجينيًا؛ حتى قال عالم البيولوجيا الفرنسي (إريك بابتست)⁽²⁾: «نحن لا نملك البتة أي برهان على أن شجرة الحياة شيءٌ حقيقيٌ»⁽³⁾.

علمًا أن البحوث الجينية تحدثت اليوم عن حواء الميتوكوندريية (Mitochondrial Eve)، كسلف واحد لجميع البشر؛ فقد دلّ البحث العلمي أن جميع الميتوكوندريات⁽⁴⁾ لها أصلًّا أولًّا مشتركًّا واحد، وسواءً أكانت هذه الأنثى هي حواء نفسها أو واحدةٍ من نسلِها؛ فذاك مُثبتٌ أن القول بعودة البشر اليوم كلّهم إلى زوجينٍ اثنين أمرٌ قامت القرائن العلمية لإثباته.

كما أشارت دراسة حديثة أن سلفَ كلَّ الذكور قد عاش بين 100.000 و 200.000 عام، في عصرٍ قريب من الزمن الذي عاشت فيه أمُّ كلَّ النساء (بين

(1) انظر سامي عامري، براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم (لندن: مركز تكوير، 2018)، ص 491 – 564.

(2) إريك بابتست Eric Baptiste: بيولوجي فرنسي حاصل على دكتوراه في البيولوجيا وأخري في فلسفة العلم من «الشوربون» حول عالمية شجرة الحياة.

(3) Graham Lawton, 'Why Darwin was wrong about the tree of life', *New Scientist* (January 21, 2009).

(4) الميتوكوندريا إحدى عضيات الخلية، وتنتمي إلى الأبناء عن طريق بروبضة الأم.

100.000 و 150.000 عام).⁽¹⁾ ورغم أنها لا نزعم أن هذه الدراسات نهائية، إلا أنها نقول إنها ناقضة للقول إن العلم يمنع وجود رجل واحد جاء منه كل البشر. وحسبنا نفي الامتناع في هذا المقام؛ لأن المقام هنا ليس الإثبات التاريخي لوجود آدم - عليه السلام -، وإنما هو من أسطورته.

والالتجاء إلى الأحافير للرّزْعُم أنَّ الإنسان مُتَرَقٌ عن سَلَفِ، مغالطةٌ غافلةٌ عن دقيق قول العلماء في أمر هذه الأحافير. وقد أقرَّت مراجعة علمية للتطور البشري قام بها إثنان من أكابر علماء الأنثروبولوجيا القديمة سنة 2015 بـ«ندرة الأدلة التي لا لبس فيها على السلالات المتحدرة من أسلاف»، ونصلت على أنَّ «التسلسل التطوري لغالبية سلالات أشباه البشر غير معروفة. معظم أصناف أشباه البشر، لا سيما أشباه البشر الأوائل، ليس لها أسلاف واضحة، وفي معظم الحالات لا يمكن بناء متواлиات سَلَفِ - التسليل (سلسل زمنية أحفورية) بثقة».⁽²⁾

المطلب الثاني: عصر آدم - عليه السلام -

متى عاش آدم - عليه السلام -؟

ليس في القرآن خبرٌ عن ذلك، ولا في السنة النبوية، وإن كان يُفهم من السنة أنَّ آدم - عليه السلام - قد عاش منذ زمن بعيد. قال الإمام ابن حزم في ردِّه على اليهود مذهبهم أنَّ آدم - عليه السلام - قد عاش منذ بضعة آلافٍ من السنين: «وأما اختلاف الناس في التاريخ، فإن اليهود يقولون للدنيا أربعة آلاف سنة ونيف. والنصارى يقولون

Rebecca L. Cann, 'Y Weigh In Again on Modern Humans,' *Science* 341 (August 2, 2013): 465-67; G. (1) David Poznik et al., 'Sequencing Y Chromosomes Resolves Discrepancy in Time to Common Ancestor of Males Versus Females,' *Science* 341 (August 2, 2013): 562-65; Paolo Francalacci et al., 'Low - Pass DNA Sequencing of 1200 Sardinians Reconstructs European Y - Chromosome Phylogeny,' *Science* 341 (August 2, 2013): 565-69.

Fazale Rana, Update: When Did the Genetic Adam and Eve Live? <<https://reasons.org/explore/publications/tntrb/read/tntrb/2013/08/16/update>> - when - did - the - genetic - adam - and - eve - live>.

Bernard Wood and Mark Grabowski, 'Macroevolution in and around the Hominin Clade,' in Serrelli Emanuele and Nathalie Gontier, eds. *Macroevolution: Explanation, Interpretation, and Evidence* (Heidelberg: Springer, 2015), 347-376 (365).

للدنيا خمسة آلاف سنة. وأما نحن فلا نقطع على عدده معروفي عندنا. وأماما من أدعى في ذلك سبعة آلاف سنة أو أكثر أو أقل، فقد كذب، وقال ما لم يأت قط عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيه لفظة تصحّ، بل صحيحة عنه - عليه السلام - خلافه، قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «ما أنت في الأمم قبلكم إلا كالشارة البيضاء في الثور الأسود أو كالشارة السوداء في الثور الأبيض»⁽¹⁾.
الإشكال إذن وارد على الخبر التوراتي في شأن تاريخ البشرية وسلسلة الأنساب؛ إذ تقدّم لنا التوراة سلسلة متصلة من الرجال منذ آدم - عليه السلام - حتى المسيح - عليه السلام -.

والتفصيل يظهر في المجدول التالي⁽²⁾:

الأب	الابن	المدة	حصيلة المدة	المرجع
آدم	شيت	130	130	تكوين 5
شيت	أنوش	105	235	تكوين 5
أنوش	قينان	90	325	تكوين 5
قينان	مهلائيل	70	395	تكوين 5
مهلائيل	يارد	65	460	تكوين 5
يارد	أخنوح	162	622	تكوين 5
أخنوح	متواصال	65	687	تكوين 5

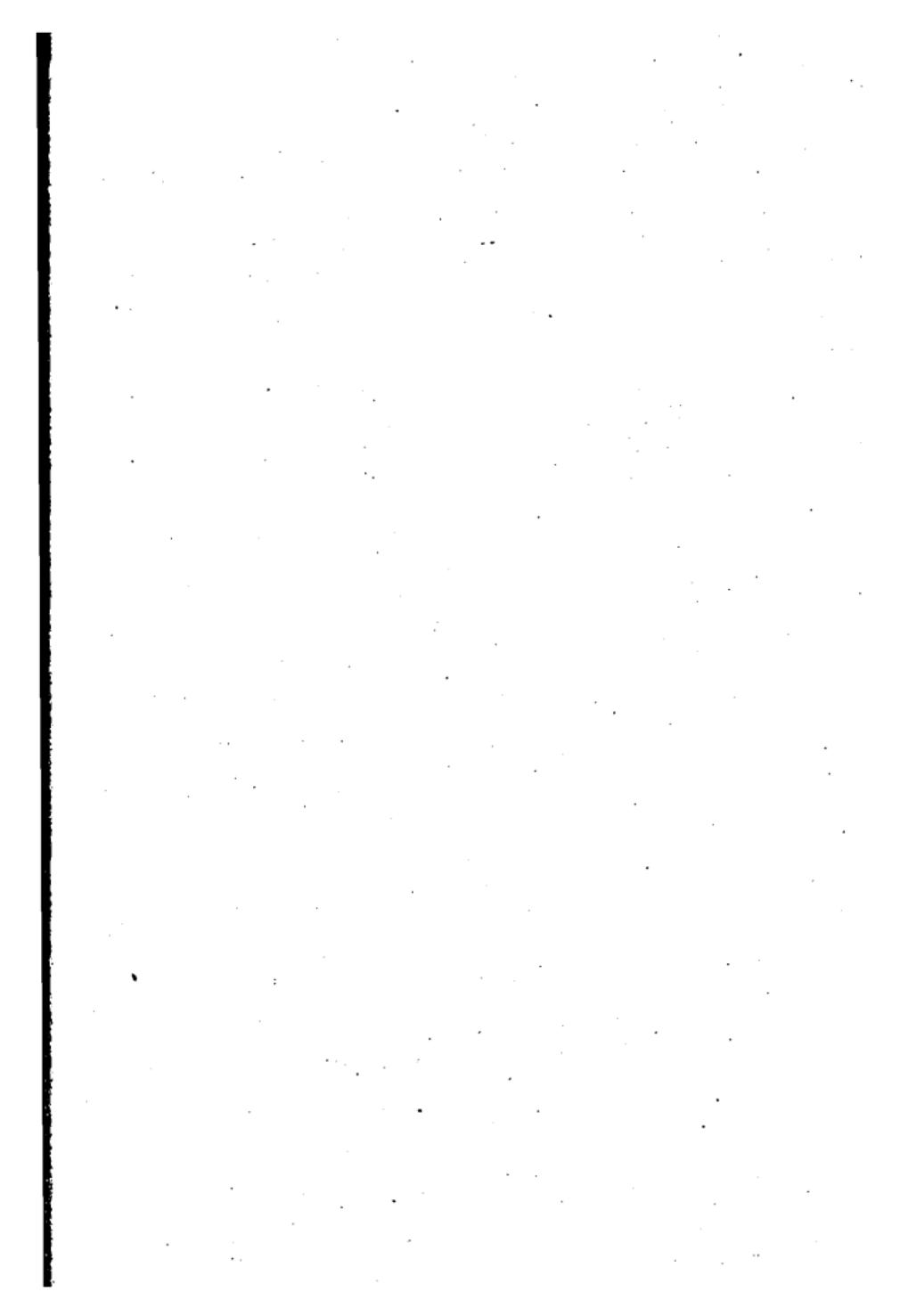
(1) متفق عليه. لم أجد اللفظ كما عند ابن حزم. وألفاظ الحديث عند البخاري ومسلم دالة أيضاً أن القصد عدد أفراد الأمة مقارنة بعدد البشر منذ آدم عليه السلام حتى آخر الحياة الدنيا؛ بما يدل على عمر البشرية الطويل. جاء في رواية عبد البخاري: «أوْلَى مَن يُدْعى بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ آدَمُ». فتراءٍ ذرته، فيقال: هذا أبوكم آدم. فيقول: ليك وسعديك! فيقول: أخرج بعث جهنم من ذريتك. فيقول: يارب، كم أخرج؟ فيقول: أخرج من كل مائة تسعة وتسعين. فقالوا: يا رسول الله، إذا أخذت منا من كل مائة تسعة وتسعون؛ فماذا يبقى سا؟ قال: إنّي في الأمم كالشارة البيضاء في الثور الأسود» (صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، ح/ 6164).

انظر ابن حزم، الفصل في الملل والأهواه والنحل، 2/ 84 . (2) Lita Cosner, How does the Bible teach 6,000 years? <<http://creation.com/6000-years>>.

تکوین 5	874	187	لامک	متواشح
تکوین 5	1056	182	نوح	لامک
تکوین 11 / 7	1656	600	الطفوان	نوح
تکوین 11	1658	2	أرفكشاد	الطفوان
تکوین 11	1693	35	شالح	أرفكشاد
تکوین 11	1723	30	عاير	شالح
تکوین 11	1757	34	فالج	عاير
تکوین 11	1787	30	رعو	فالج
تکوین 11	1819	32	سروج	رعو
تکوین 11	1849	30	ناحور	سروج
تکوین 11	1878	29	تارح	ناحور
تکوین 11	2008	130	إبراهيم	تارح
تکوین 5 / 21	2108	100	إسحاق	إبراهيم
تکوین 25 / 26	2168	60	يعقوب	إسحاق
تکوین 9 / 47	2298	130	مصر	يعقوب
الخروج 40 / 12	2728	430	الخروج	يعقوب في مصر
الملوك 1 / 6	3208	480	بداية الهيكل	الخروج

الخلاصة:

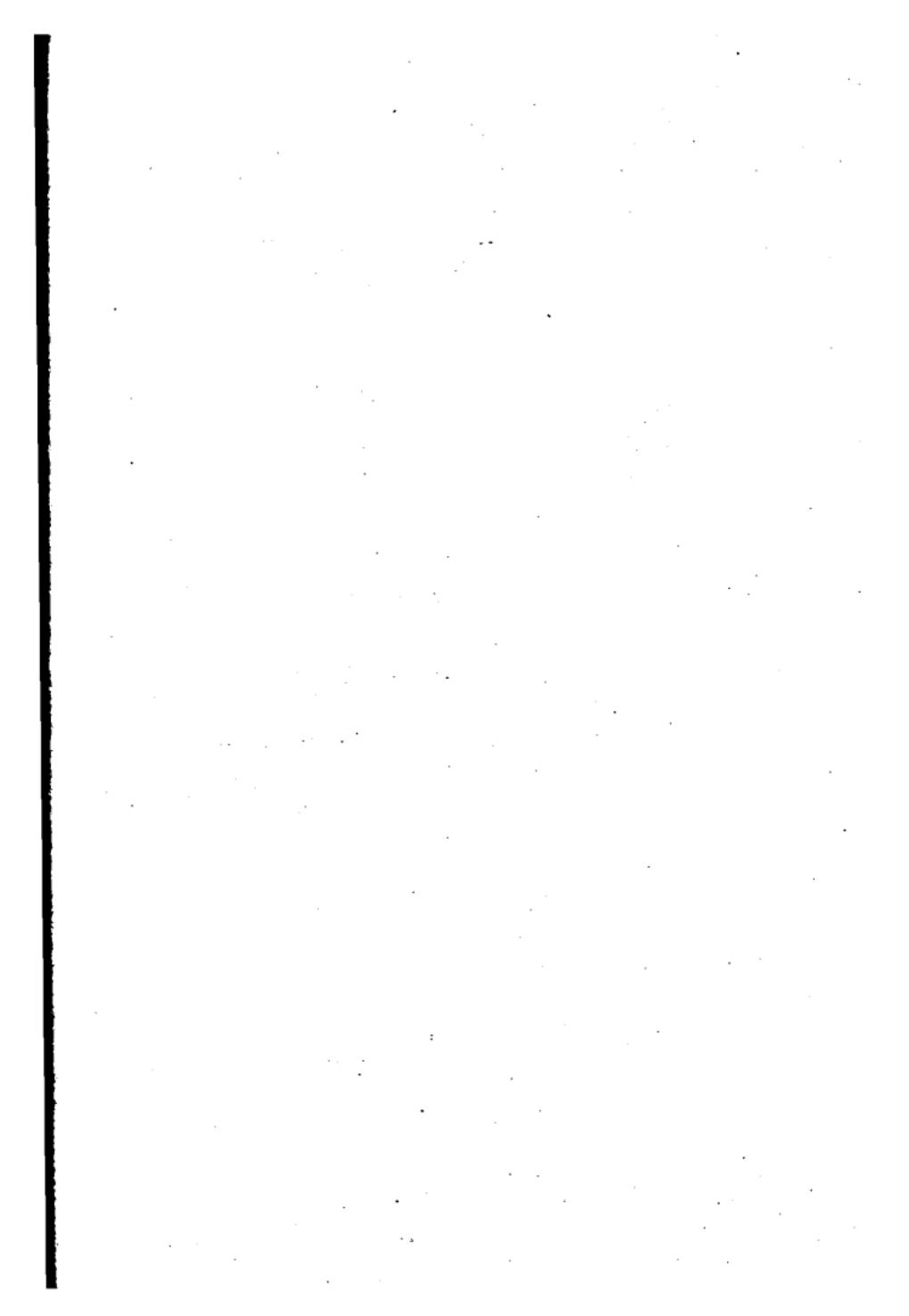
- ليس في أخبار آدم -عليه السلام- في القرآن ما لا بد أن نجد أثره في الكشف الأركيولوجي.
- لا توجد حجّة علمية قاطعة تمنع وجود آدم -عليه السلام-.
- ليس في خبر القرآن عن آدم -عليه السلام- ما يخالف حقيقة تاريخية.



الباب الخامس

الوجود التاريخي للأنبياء

الذين لا ذكر لهم في التوراة والإنجيل

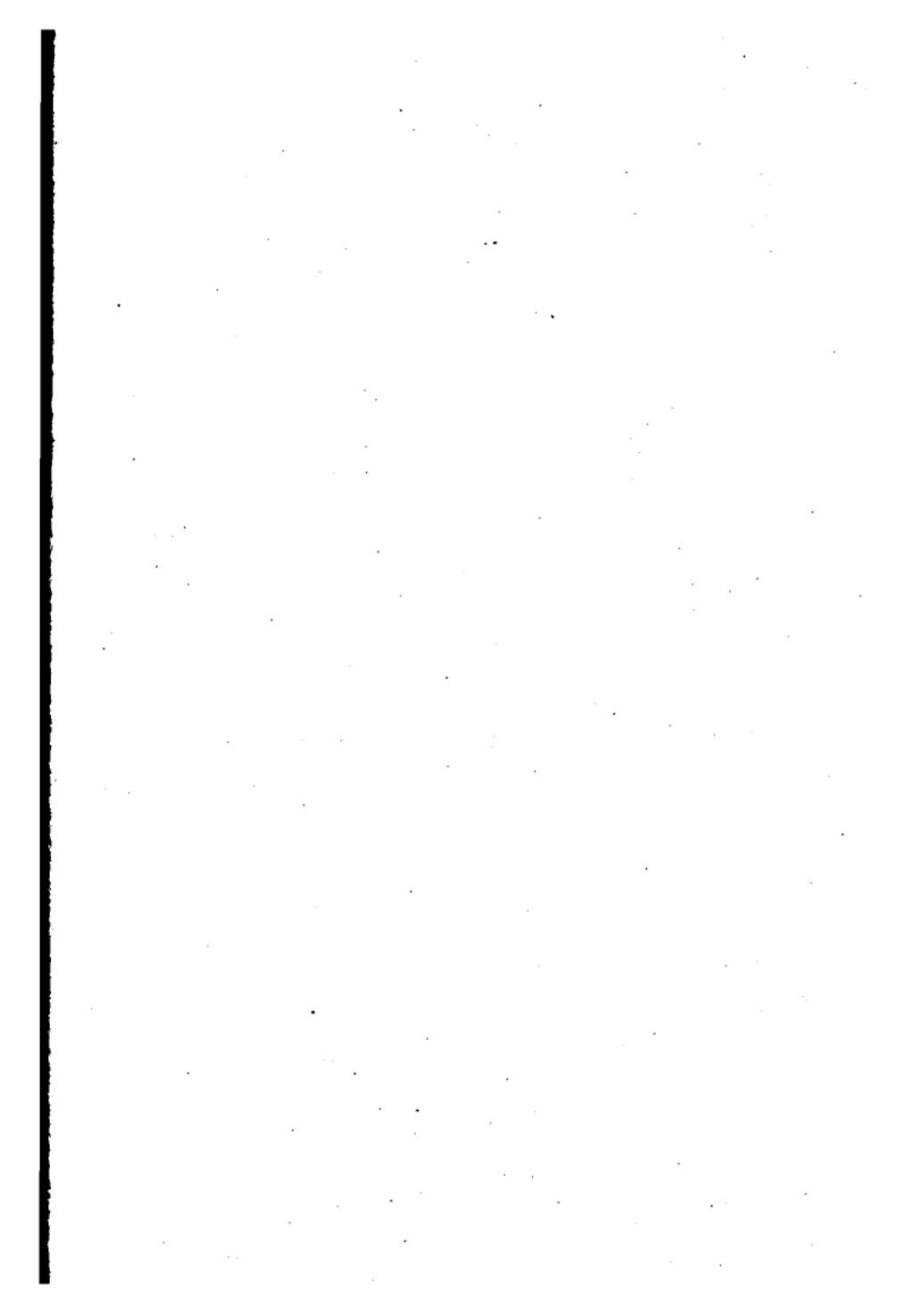


تناولنا في الفصول السابقة تاريخية الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن والكتاب المقدس. وتناول في هذا الفصل تاريخية الأنبياء الذين لا ذكر لهم في أسفار أهل الكتاب. وهم: هود وصالح وشعيب وذو الكفل - عليهم السلام -. والمشهور أن ثلاثة منهم عرب؛ فقد جاء في حديث أبي ذر: «هُودٌ، وَصَالِحٌ، وَشَعِيبٌ، وَنَبِيٌّ يَا أَبَا ذَرٍ». والحديث - على شهرته - ضعيف⁽¹⁾.

وقد اجتهد بعض الكتاب لإثبات أن هوداً وشعيباً وذا الكفل - عليهم السلام - شخصيات توراتية، وإن تغيّر اسمها في الخبر القرآني. وهي محاولات فيها تكليف لغویٌ واضح، وقد ان للقرآن الجادة التي من الممكن أن تطابق بين هؤلاء الأنبياء وقصص التوراة.

وستتناول في الصفحات التالية الخبر القرآني لهؤلاء الأنبياء الأربع، ومبلغ شرعية إنكار وجودهم التاريخي؛ استناداً إلى الكشف الأركيولوجي.

(1) قال ابن كثير: «فَدَرَوْيَ هَذَا الْحَدِيثَ بِطُولِهِ الْحَافِظُ أَبُو حَاتَمَ ابْنُ جَيْثَانَ الْبَشَيْثِيُّ فِي كِتَابِهِ: «الْأَنْوَاعُ وَالْقَاسِيمُ»، وَقَدْ وَسَمِعَ بِالصَّدْخَةِ، وَخَالَقَهُ أَبُو الْفَزْرِ بْنُ الْحُوزَيِّ، فَذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ فِي كِتَابِهِ «الْمُؤْسَوَعَاتُ»، وَأَتَهُمْ بِهِ إِنْزَاهِيْمَ بْنِ هِشَامَ هَذَا، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ قَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَيْمَةِ الْجُزْعِ وَالْتَّغْدِيلِ مِنْ أَجْلِ هَذَا الْحَدِيثِ» (تفسير القرآن العظيم، 2 / 470).



الفصل الأول

الوجود التاريخي لهود - عليه السلام -

المبحث الأول: هود - عليه السلام - في القرآن

جاء الخبر في القرآن أنَّ الله - سبحانه - قد أرسل النبيَّ هُوَدًا - عليه السلام - إلى قوم عاد الساكنين في الأحقاف. وقد دعاهم هذا النبيُّ الكريم إلى ترك عبادة الأصنام، والإقبال على التوحيد؛ لكنهم واجهوه بالنفور والغلاة والشدة، واتهموه في عقله؛ فعاقبهم الله بريح عاصفة باردة؛ اقتلعتهم من الأرض، وتركتهم كجذوع التُّخل التي قد قطِّعْتُ رُؤوسُها الخاوية.

وقد لخص الإمام ابن كثير خبر هود - عليه السلام - وقومه، بقوله: «والملخص أنَّ عاداً كانوا عرَّباً مجفأةً كافرين، عتَّاً متمرِّدين في عبادة الأصنام، فأرسل الله فيهم رجالاً منهم يدعوهم إلى الله، وإلى إفراده بالعبادة والإخلاص له، فكذبواه، وخالقوه، وتنتقصواه، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر»^(١).

جاء خبر هود - عليه السلام - وقومه، في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى عَادَ أَخَاهُمْ هُوَدًا قَاتَلَ يَنْقُوْمِيْرَ أَعْبُدُوْا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَنْقُوْنَ ﴾١٥﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لِلَّذِينَ كَفَرُوا فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظَرْنَا مِنَ الْكَذَّابِينَ ﴾١٦﴿ قَالَ يَنْقُوْمِيْرَ لَيْسَ يَسِّيْ سَفَاهَةٌ وَلَكِنْ يَكْفِيْ رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ ﴾١٧﴿ أَتَيْلَمُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّيْ وَإِنَّا لَكُوْنَ نَاجِحُ أَمِيْنَ ﴾١٨﴿ أَوْ يَعْجِسُنَّ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّيْكُمْ عَلَى رَبِّيْلِ مِنْكُمْ لِيُنَذِّرَكُمْ وَإِذْ كُرُوْنَا إِذْ جَعَلْنَكُمْ حُنْدَةَ مِنْ بَعْدِ قَوْمٍ وَرَأَدَكُمْ فِي الْخَلْقِ بِعَشَلَةٍ فَأَذْكَرُوْنَا إِلَاهَ اللَّهُ لَقَلَّكُمْ فَلَيَخُونُ ﴾١٩﴿ قَالُوا أَجِئْنَا لِتَعْبُدُ أَهَلَهُ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ مَا بَأْتُوْنَا فَأَنَا يَمَدُّنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْأَصَدِّيقِينَ ﴾٢٠﴿ قَالَ فَدَ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّيْكُمْ رِيحٌ وَعَصْبٌ أَتَجَدِلُونَنِي فِي

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، 1 / 123.

أَسْمَاءُ سَمِّيَّتُهَا أَسْمَاءً وَإِبْرَاقُكُمْ مَا نَرَى اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي مَعَكُمْ مِنْ
الْمُسْتَطِيرِ مِنْ ٦٧) فَاجْتَنَّهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةِ مِنْنَا وَقَطَعُنَا دَارِ الَّذِينَ كَذَّبُوا إِغْيَانِنَا
وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ٦٨) (الأعراف / 65 - 72).

وقال - جل وعلا - ﴿ وَذَكَرَ لَنَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ
بَيْنِ يَدِيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنِّي لَخَافُ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٦٩) قَالُوا أَجِنْتَنَا
يَأْتِيَكَمْ مِنْ الْمَيْتَاتِ فَأَنْذَنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٧٠) قَالَ إِنَّا عَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأَيْضًا
مَا أُرِيكُتْ يَهُ وَلَكِنَّ أَرَيْكُنَّ فَوْمَا يَمْهُلُونَ ٧١) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلًا أَوْدِيَهُمْ قَالُوا
هَذَا عَارِضٌ شَمِطُرُنَا بَلْ هُوَ مَا أَسْتَعْجَلْنَاهُ بِهِ رَبِيعُ فِيهَا عَذَابُ الْيَمِّ ٧٢) ثُدُورٌ كُلُّ
شَعْرٍ بِأُمُرٍ
رِهْبَانَا فَاصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسْكُونُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ٧٣) وَلَقَدْ مَكَثُوكُمْ فِي سَاءَ
إِنْ مَكَثْتُكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمِعًا وَبَصَرًا وَأَفْشَدْنَا فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ
وَلَا أَقْوَدُهُمْ مِنْ شَوَّءٍ إِذْ كَانُوا يَعْجَدُونَ ٧٤) يَا أَيُّهُ اللَّهُ وَحْدَهُ يَعْلَمُ مَا كَانُوا يَهُوَ يَسْتَهِمُونَ
وَنَحْنُ نَعْلَمُ ٧٥) (الأحقاف / 21 - 26).

وقال سبحانه: ﴿ قَاتَّا عَادٍ فَاسْتَكَبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِيقَ وَقَالُوا مَنْ أَنْذَدَ مِنْنَا فَوْهَةً أَوْ لَهُ
بِرْزَأً أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا يَنْعَيْتَنَا يَمْهُلُونَ ٧٦) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِبَاعًا
صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ حُجَّسَاتٍ لِنَذِيرِهِمْ عَذَابٌ لَحْزِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابٌ الْآخِرَةِ أَخْرَى وَهُمْ لَا
يُنَصِّرُونَ ٧٧) (فصلت / 15 - 16).

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا عَادَ فَأَهْلَكُوا بِرِبِيعِ صَرْصَرٍ عَائِيَةً ٧٨) سَحْرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ
وَنَهْيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا قَرَرَ الْقَوْمُ فِيهَا صَرَعٌ كَانُوهُمْ أَعْجَازٌ تَحْلِي خَاوِيَةً ٧٩) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ
بَاقِيَةٍ ٨٠) (الحاقة / 6 - 8).

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد
بالدببور»^(١). فالصبا هي الريح الشرقية، على خلاف الدبور التي هي الريح الغربية.

(١) رواه البخاري، كتاب الاستفقاء، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - نصرت بالصبا (ح/ 988)، ومسلم،
كتاب صلاة الاستفقاء، باب في ريح الصبا والدببور (ح/ 900).

المبحث الثاني: الوجود التاريخي لهود - عليه السلام -

- المسائل القابلة للرصد الأركيولوجي في قصة هود - عليه السلام - وقومه عاد:
- سُكّنَى هود وقومه في «الأحقاف»: أشار القرآن إلى أنّ قوم عاد ونبيهم قد سكّنوا الأَحْقَافَ: قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ لَهَا عَادَ إِذْ أَنْدَرَ قَوْمَهُ، بِالْأَحْقَافِ﴾ (الأحقاف/ 21). والأَحْقَافُ لغة الرِّمَال، أو كما قال الماوردي: «الأَحْقَاف جمع حَقْفٌ؛ وهي ما استطال واعوج من الرمل العظيم، ولا يبلغ أن يكون جبلاً»⁽¹⁾. وهو وَضْفٌ يَصْدُقُ على أماكن كثيرة في الجزيرة العربية. وليس في القرآن إِرْشادٌ إلى موضع مخصوص في البلاد العربية لعاد، وإن كان الموضع يُنْسَب عادة إلى الحدود الجنوبية للجزيرة العربية بين عُمان وحضرموت.
- بناء قوم عاد أَعْيُدَة ضخمة: قال تعالى: ﴿أَتَمْ تَرَكِيفَ فَعَلَّ رِبُّكَ بِعَادٍ ① إِرَمَ ذَاتَ الْعِمَادِ ② أَلَيْ تَمْ يَخْلُقُ مِثْلَهَا فِي الْأَيْلَانِدِ ③﴾ (الفجر/ 6 - 8). وقد اختلف المفسرون في معنى «إرم»، و«العماد»، وفي الضمير الذي يعود إليه قوله تعالى: ﴿لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْأَيْلَانِدِ﴾: اختلاف المفسرون في معنى إرم؛ فقال بعضهم: هي اسم بلدية، ثم اخْتَلَفَ في تعين البلدية، فقال بعضهم: الإسكندرية، وقال آخرون: هي دمشق. وقيل غير ذلك⁽²⁾. كما اختلفوا في معنى «ذات العماد»؛ فقال بعضهم: ذات الطُّولِ، وذهبوا في ذلك إلى قول العرب للرَّجُل الطَّوِيلِ: رجل مُعَمَّدٌ. وقيل: كانوا أهل عمَّادٍ، يتَّجهُونَ العُيُوبَ، وينتقلون إلى الكلا حيث كان، ثم يرجعون إلى منازلهم، وقيل: لهم بناء بَنَاءً بعضهم، فشيدَ عَمَادَه، ورَفَعَ بناءً، وقيل: شِدَّةُ أَبْدَانِهِمْ وقواهم⁽³⁾.

(1) الماوردي، النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم (بيروت: دار الكتب العلمية)، 5 / 5.

.282

(2) الطبراني، جامع البيان عن تأویل آی القرآن، 24 / 368.

(3) الطبراني، جامع البيان عن تأویل آی القرآن، 24 / 365 - 366.

وفي الصمير في «مثلها»، قال ابن كثير: «أعاد ابن زيد الصمير على العماد؛ لارتفاعها. وقال: بنوا عمدةً بالأحافير لم يخلق مثلها في البلاد. وأما قنادة وابن جرير فأعادا الصمير على القبيلة، أي: لم يُخلَق مثل تلك القبيلة في البلاد، يعني في زمانهم»⁽¹⁾.
وحاصل ما سبق أنَّ قوم عاد أو بعضهم كانوا أقوباء أو أهلَ رحلة أو شيدوا أغمدةً وأقصى ما يُقال فيما سبق من الناحية الأركيولوجية أنه كانت لعاد بنياتٍ ذاتُ أعمدةٍ عاليةٍ، وهي معلمٌ مبنيٌ من الممكِن رصده في الحفريات، لكن ذلك يبقى رهينَ الكشفِ عن منطقة سُكُونِهم في بلاد الجزيرة العربية الرملية التي لم تمسها يد البحث الأركيولوجي إلا قليلاً.

• هلاك قوم عاد بالرياح: هلكَ قومٌ عاد في قلب الصحراء، في أرض رملية كثيفة الرمال، بريح عظيمة: قال تعالى: «تَدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ يَا مَرِّ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ»^٢ (الأحافير/ 25)، بما يُؤدي عادةً إلى طمسِها أو هدمِ ما علا منها على الأرض. وذلك سببٌ عظيمٌ لأندراسِ آثارِ القوم؛ خاصةً لو أضفنا أنهم قد عاشوا قريباً من عصر نوح - عليه السلام - على قولِه؛ بما يُرجح أنَّ مساكن عاد لا تزال مطمورةً تحت سطح الرمال بعشرات الأمتار أو ما قارب ذلك.

اعتراض المنصرون وأشياعهم على الخبر القرآني عن هود - عليه السلام - وقوله عاد، من أوجه:

أولاً: لم يذكر الكتاب المقدس قصة عاد ونبيهم.
ثانياً: التاريخ لا يذكر قصة عاد ونبيهم، رغم أنَّ القرآن يُخبر أنَّ عاداً أمَّةً عظيمةً عدداً.

ثالثاً: عاد أمَّةٌ غير معروفةٌ. وإذا صدَّقنا أنَّ بطليموس قد ذكرها باسم Oaditae؟

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 8 / 395.

فهذا يثبت أن عاداً أمة من الناس عاشت في القرن الثاني؛ إذ إن بطليموس قد ولد سنة 90م، في حين يفهم من القرآن: ﴿وَأَنْتَمَا مِنْ بَطْلِهِ فَرْنَا مَأْكُورِينَ﴾ (٢٦) فأنساناً فيهم رُسُولاً ينتمون إلى الله مالكم ومن إله غيره، أفلآ ترَقُونَ (٣٤) (المؤمنون / 31-32) أن عاداً قد وجدت بعد 100 سنة (قرن واحد) من عصر نوح النبي. وهو ما يظهر أيضاً في قول القرآن: ﴿وَأَذَّكَرُوا إِذْ جَعَلْتُمْ خُلْفَةً مِنْ بَطْلِهِ قَوْمًا تُوجِّهُ وَأَذَّكُمْ فِي الْخَلْقِ بَعْثَتْهُ﴾ (الأعراف / 69). وهذا علّطاً من جهتين، (أ) أنه لا ذكر لعاد قبل القرن الثاني، (ب) امتناع ظهور أمة عظيمة العدد بعد مئة سنة من فناء البشرية إلا نحوها - عليه السلام - ومن معه في الفلك.

رابعاً: القرآن يقول إن عاداً قد عاشوا في الأحقاف: ﴿وَأَذَّكَرْ أَنَّهَا عَادٍ إِذْ أَنْدَرَ قَوْمَهُ، إِلَى الْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، أَلَا تَبْدِئُ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ أَنَّهُ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يُوَمِّ عَظِيمٌ﴾ (الاحقاف / 21). والأحقاف أرض في جنوب الجزيرة العربية. ومعلوم أن تلك الأرض قاحلة؛ فلا ماء فيها ولا زرع. ولا يمكن لذلك أن تقوم فيها حضارة مزدهرة لأمة عاد.

خامساً: لا يُعرف في التاريخ رجل باسم «هود». واسم «هود» في القرآن أصله «يهودا» (يعود) الذي تُنسب إليه اليهودية، وهو أحد أبناء يعقوب - عليه السلام - على خلاف دعوى القرآن أنه سابق لعصر إبراهيم - عليه السلام -، أو هو رجل يهودي عاش في القرن السادس، وكان يدعو إلى اليهودية في الجزيرة العربية.

وجواب الداعوى السابقة يأتي تفصيلاً في الحديث التالي:

أولاً: الكتاب المقدس ليس حجّة في باب نفي تاريخية قوم عاد ونبيهم؛ لسبعين:

1. الكتاب المقدس مدان بالخطأ التاريخي في سردَّ قصصِ كثیر من الأمم.
2. الكتاب المقدس خاصٌ أساساً بسيرة بنى إسرائيل ومن جاؤَهُمْ. وليس من جيرانهم أهل الأحقاف. ولا يجادل أحد أن الكتاب المقدس قد أغلَّ خبرَ كثیر من الأمم القديمة التي دلت الآثار قطعاً على أنهم استوطنوا الجزيرة العربية.

- ثانياً: القول إن التاريخ قد أغفل ذكر عاد، وإن ذلك حجّة أن عاداً لم توجد؛ لأن القرآن يذكر أنها أمة كثيرة العدد، واقع في مجموعة مغالطات، منها:
1. لم يُخبر القرآن أن عاداً قوم هود - عليه السلام - أمة عظيمة العدد، وإن أخبر أنها أمة ذات قوّة وبسطة في الجسم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ كُرِّرُوا إِذْ جَعَلْتُمُ الْحُكْمَ مِنْ بَعْدِ قَوْمٍ نُوحٍ وَزَادُوكُمْ فِي الْعَلْقَبِ بَصَطَّةً فَأَذْكَرُوا مَا لَهُ لَغَلَّكُمْ نَفْلُخُونَ﴾ (الأعراف / 69).
 2. إذا كانت قصة قوم عاد قد وقعت - على قول - بين عصرِي نوح وإبراهيم - عليهما السلام -؛ فلا حرج من افتراض انطمام أثرهم في الصحراء العربية في الألفية الثالثة أو ما قبلها، قبل الميلاد؛ إذ لا يزعم الأركيولوجيون أنهم قد أحاطوا بأمم جزيرة العرب في ذاك العصر، خاصة أن قوم هود - عليه السلام - قد أبىدوا - إلا من نجا منهم -؛ وانقطع أثرُهم منذ ذاك الزمن البعيد. وقد علمت اندراس أثر حضارة إبلا المزدهرة في الألفية الثالثة، والتي لم تُكتشف إلا حديثاً. والأمرُ يصبح أيضاً إذا كان قوم عاد قد عاشوا في الألفية الثانية أو الأولى قبل الميلاد.
 3. يشهد كثير من الباحثين أن قوم عاد لهم ذكر في التاريخ، دون أن يلزم من ذلك أنهم الفريق الذي عاش بينهم النبي هود - عليه السلام -؛ فعادّ أمة لها حضور في التاريخ القديم، وإن كانت الجماعة التي عاشت منهم في بيته هود - عليه السلام - قد هلك عائتماً. وقد ذكرها بطليموس في القرن الثاني.
- ثالثاً: تخطئة القرآن بالقول إن آياته تقرّر أن عاداً أمة قد ظهرت بعد 100 سنة من عصر نوح - عليه السلام -، على خلاف علمنا أنها ظهرت في القرن الثاني بعد ميلاد المسيح، وأنه لا يمكن أن توجد أمة كثيرة العدد بعد الطوفان العالمي بمئة سنة، خطأ من أوجه:

أ. ذِكْرُ بطليموس لعادٍ في القرن الثاني^(١)، ليس حجّةً أنهم لم يُوجّدوا قبل عصره، وإنما يثبت وجودهم في عصر بطليموس. ولا حرجٌ ألا يكون لهم ذكرٌ واضحٌ في ما وصلنا من كتب المؤرّخين؛ لأنّها أمّة قد هلكَ عاشرُها من ذِي زَمْنٍ بعيدٍ، ولم يبق منها إلا قلةٌ من الناس. ولم يكُنْ تسلُّهم إلّا بعد فُرُونٍ بعيدةٍ. وهذا ما أُوْفِيَ إلَيْهِ الخبرُ القرآني في قوله تعالى: ﴿وَانَّهُ أَهْلَكَ عَادًا أَلْوَى﴾ (النجم / ٥٠)؛ فبعد عادٍ الأولى الهاشمة، استمرَّ وجود العاديين، سواءً أفلنا إن العذاب أصاب بعضهم (قبيلة منهم)، أو أنه نجا منهم فريق استمرَّ تسلُّه بعد العذاب.

ب. ذكر المستشرق برانون ويلر في حديثه عن قوم عاد: «أشار نقش بلميران^(٢) الذي يعود إلى سني 267 - 272 م إلى مكان أو أناس يُسمون «Iyad». وأشار بطليموس إلى قوم اسمهم «Oadites» أو «Adites». وقد سُجِّل نص تكوين 19/10 مدينة أدمة كإحدى مدن السهل مع سدوم وعموراً. وأشار نقش آشورى لسرجون الثاني - ويعود إلى سنة 710 ق.م - إلى قبيلة Ad - Ibb في العربية وغزوة سرجون لحصن Adu - mu في البلاد العربية»^(٣).

ت. الكلمة «قرن» في قوله تعالى: ﴿فَرَأَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ قَرْنَآءَآخَرِينَ﴾ (٤١) فَأَرَسْتَنَافِيمْ رَسُولًا يُنْهِمُ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا نَنَقْوَنَ﴾ (٤٢) (المؤمنون / 31-32)، بمعنى أمّةٍ من الناس لا بمعنى 100 سنة. قال الطبرى في تفسيره للآية: «ثم أحدثنا من بعد مهْلِكِ قوم نوح قرناً آخرین، فأوجَدناهم»^(٤). وقال البقاعي: «من بعدهم قرناً أي أمّةٍ

(١) اعترض هنا على تملق كلام بطليموس بعاد القرآنية بالقول إنّ حديثه يضعها شمال الجزيرة العربية لا جنوبها، في الأحافير، والجواب أنه لا يبعد أن تشير عادٍ مکانها أو توسيع مساحتها على مدى هذا الزمن الطويل، كما أنّ قوم عاد الذين عاشوا زمن بطليموس ليسوا هم الجماعة التي أرسل إليها هود - عليه السلام، وإنما يشتهرون في التسب الأول للعاديين. أضف إلى ما سبق أنه لا يوجد اتفاق بين المفسّرين أن «الأحافير» منطقة تقع جنوب الجزيرة العربية، كما سيأتي.

(٢) نقش من مدينة تدمر.

Scott B. Noegel and Brannon M. Wheeler, *Historical Dictionary of Prophets in Islam and Judaism*, p.141. (٣)

(٤) الطبرى، جامع البيان عن تأويل آى القرآن، 17 / 39.

وَجِيلًا^(١). وقال ابن عاشور: «والقرنُ الْأَمْةُ»^(٢).

ث. قوله تعالى: «وَإِذْ كُرِّمْتُمْ إِذْ جَعَلْتُكُمْ خُلُقَّاً مِّنْ بَطْدَئِ قَوْمٍ نُوحٍ وَزَادَ كُمْ فِي الْعَلْقَبِ بَعْشَلَةٌ»^(٣) (الأعراف / ٦٩)، لا يدلّ - ضرورة - أن عاداً وجدوا مباشرةً بعد قوم نوح، فإنَّ كلمة «خُلُقَّاً» تدلُّ على أنهم قد خلُقُوا هم على الأرض. وهو على كل حال لا يدلّ زميئاً على أمر قاطع سوى أنَّ قوم عاد قد ظهروا بعد قوم نوح.

ج. سبق أن قلنا إنَّ طوفان قوم نوح - عليه السلام - على الأرجح - ليس عالمياً، فلم تبدأ البشرية بعده من جديد. وقُومُ عادٍ بذلك قد يكون لهم وجودٌ غير منقطعٍ من قبل الطوفان.

رابعاً: قال تعالى: «فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُّسْتَقْبِلَ أَوْ دِينِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّجْرِيٌّ بَلْ هُوَ مَا أَسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رَبِيعٌ فِيهَا عَدَابُ الْأَلْمِ»^(٤) (الأحقاف / ٢٤)؛ فدلَّ ذُكرُ الأودية آنهم لم يسكنوا الرمال. وأصرَّح من ذلك قوله تعالى: «وَأَتَعْلَمُ أَنَّهُمْ أَمَدَّكُمْ بِمَا نَلَمُونَ»^(٥) أَمَدَّكُمْ بِأَنْتَمْ وَبَيْنَكُمْ وَحَتَّىٰ وَعِبُونِ»^(٦) (الشعراء / ١٣٢ - ١٣٤).

وهذا وصفٌ لمستوطنةٍ عادٍ، بعيدٌ عن حقيقة الأحقاف «جمع حقف» وهو من الرمل ما استطاع، ولم يبلغ أن يكون جبلًا^(٧). فالاحقاف بذلك تصدق على واحد من احتمالين:

١. ما آلت إليه مساكن قوم عاد عصر البعثة الخاتمة في القرن السابع الميلادي؛ إذ صارت صحراء، وطمسَ أثرُ الجنانِ والعيون؛ فجاء تعريفها في القرآن بما يعرفه أهل العصر عن واقع الأرض التي كان قد سكنها قوم عود - عليه السلام -.

والبحث الكشفي يشهد اليوم أنَّ جزيرة العرب كانت أنهاهاً وحداثتها من خلال

(١) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات وال سور (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي)، ١/١٣٦.

(٢) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م)، ١٨/٤٩.

(٣) الطبرى، جامع البيان عن تأويل أبي القاسم، ٢١/١٥٠.

صور الأقمار الصناعية الكاشفة عن أنهار وبحيرات كثيرة قديمة جافة، بالإضافة إلى العثور على بقايا حيوانات لا تعيش إلا في الأراضي الخصبة لا الصحاري⁽¹⁾.
2. الأحقاف لا تفسر بالمعنى اللغوي، وإنما هي اسم لمنطقة ما. وقد روى الطبرى عن الصخاك - التابعى المقتدر - أنها اسم لجبل⁽²⁾. وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن الأحقاف المذكورة في الآية جبل بالشام⁽³⁾. ومما قد يستدل به لذلك، وجود أحد الوديان باسم «وادى إرم» في شمال الحجاز. كما دلت الحفريات الأثرية على وجود مكان يُسمى «إرم» في منطقة جنوب الأردن⁽⁴⁾. خامسًا: ليس في القرآن ما يدل على أن اسم هود من اليهود أو يهودا؛ خاصة أن خبر اليهود شائع في القرآن. وأمّا القول إن اسم «هود» لرجل يهودي عاش في القرن السادس؛ فلا حاجة تاريخية جادة له، بالإضافة إلى أن القرن السادس قريب من زمنبعثة، وعهد العرب به قريب - إن صح وجوده -، وذاك يعارض رد القرآن زمان هود - عليه السلام - إلى عصر بعيد جدًا عن زمن البعثة الخاتمة.

الخلاصة:

- ليس في أخبار هود - عليه السلام - في القرآن ما لا بد أن نجد أثره في الكشوف الأركيولوجية، خاصة مع جهلنا بعصره، وعلمنا بما لحق قومه من عذاب أبادهم.
- ليس في خبر القرآن عن هود - عليه السلام - ما يخالف حقيقة تاريخية.

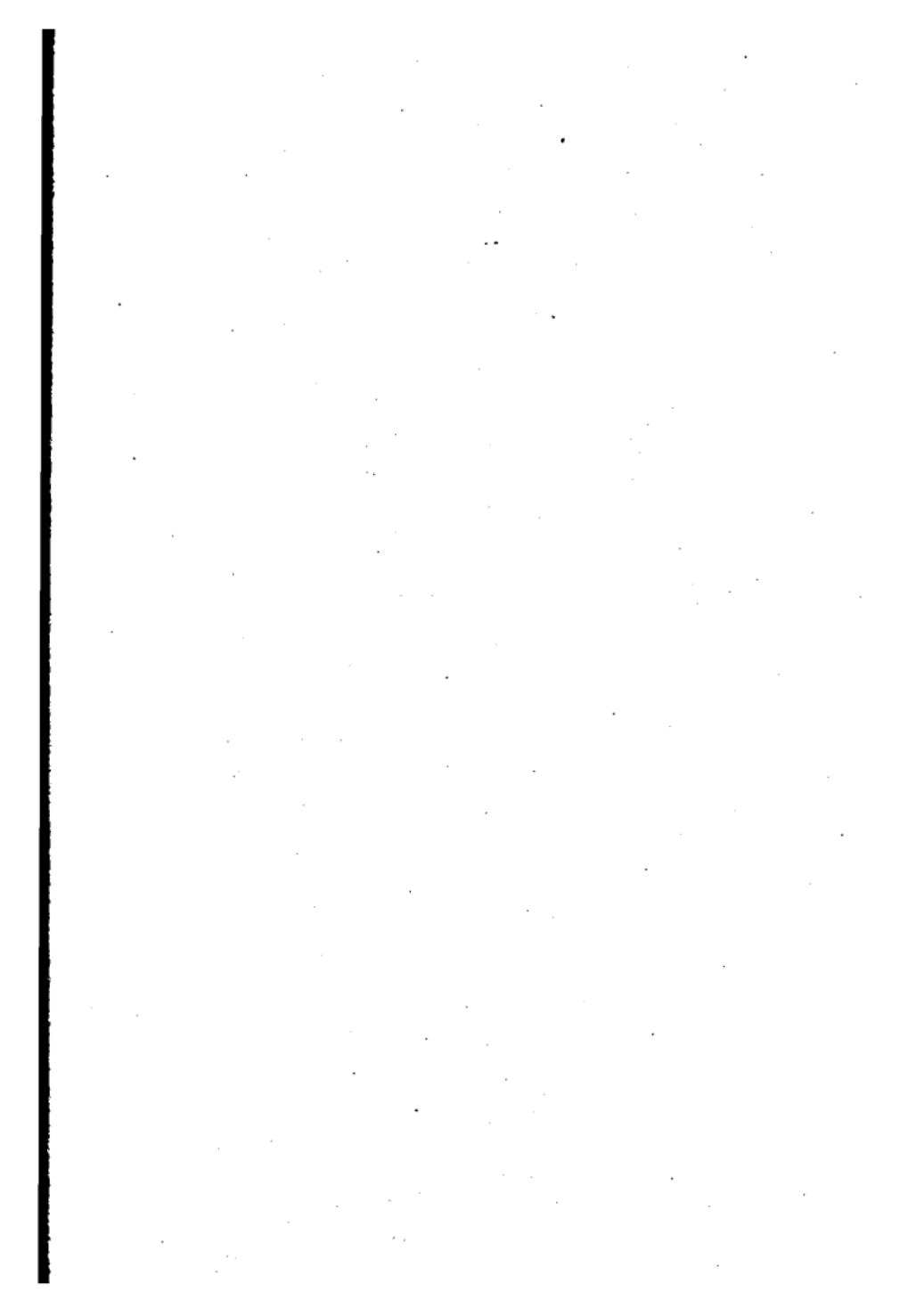
(1) انظر مثلاً:

Ash Parton; Andrew R. Farrant; Melanie J. Leng; Matt W. Telfer; Huw S. Groucutt; Michael D. Petraglia; Adrian G. Parker, 'Alluvial fan records from southeast Arabia reveal multiple windows for human dispersal', *Geology* (2015) 43 (4): 295-298. 'A damp dispersal out of Africa', *Nature* volume 519, page 9 (2015)

(2) الطبرى، جامع البيان عن تأويل آى القرآن، 21 / 150.

(3) المصدر السابق.

(4) عبد الرحمن الأنصاري، لمحات عن القبائل الباشدة في الجزيرة العربية، ص 88 (نقله محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، بلاد العرب، ص 247).

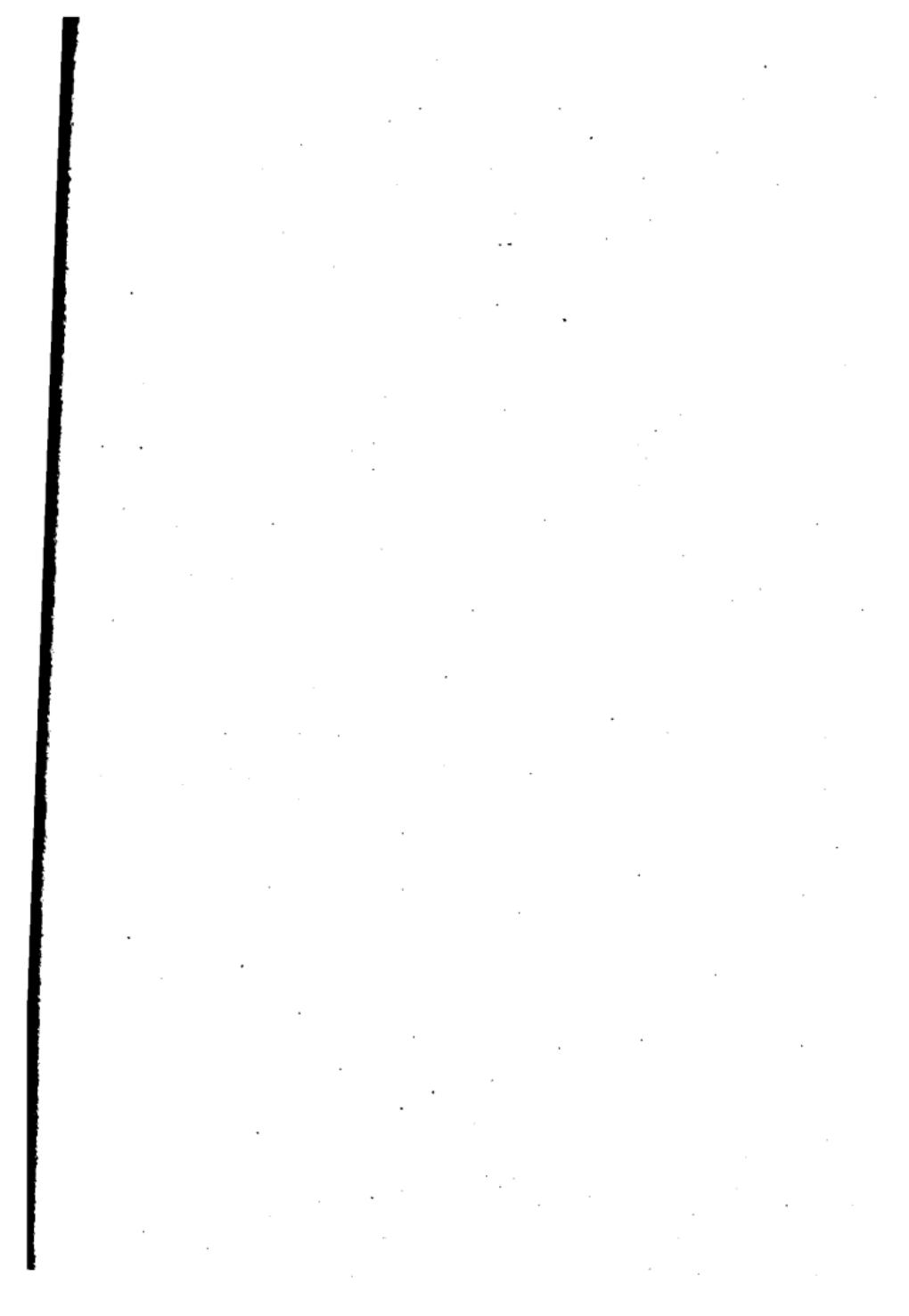


الفصل الثاني

الوجود التاريخي لصالح - عليه السلام -

المبحث الأول: صالح - عليه السلام - في القرآن

صالح - عليه السلام -، نبيٌّ لم يرد ذكره في الكتاب المقدس. وخبره في القرآن. وخلاصة قضيته أنه - عليه السلام - قد بعث إلى قومه ثمود يدعوهم إلى التوحيد، ولكتنهم أتوا الإصلاح إليه والتوبة، فجاءهم بأية عظيمة، وهي ناقةٌ ظهرت لهم بطريقة مُعجزة، وحذّرهم إن آذوها أن يحلّ بهم عذاب عظيم. فاستخفوا بها؛ وعقرّوا الناقّة؛ فأصابهم العذاب الشديد المهلك.



المبحث الثاني: الوجود التاريخي لصالح - عليه السلام -

المسائل التاريخية المذكورة في قصة صالح - عليه السلام - وثمود، وتقبل الرصد
الأركيولوجي:

- أرسل صالح - عليه السلام - إلى ثمود الوثنين: قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَمُودُ أَهَمَّ صَلِيلَهَا قَالَ يَقُولُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا كَلَّفَنِي إِلَيْهِ عِزْمَةٌ﴾ (هود/ 61).
- عاش قوم صالح - عليه السلام - في منطقة الحجر: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَهْنَئُهُ الْمَغْرِبُ الْمَرْسَلِينَ ﴾ (الحجر/ 80)﴾ (الحجر/ 80).
- عاشت ثمود في أرض خصيبة، وتميزت بفتح بيوتها في الجبال: قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْسَلْتُكُمْ عَنْهُ مِنْ أَنْجَى إِنْ أَجَى إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء/ 14)﴾ (الأنبياء/ 14)﴾ (الشعراء/ 145 - 149).
أنترونون من العجائب بيوتاً فريهين﴾ (الشعراء/ 145 - 149).
- ظهرت ثمود بعد عاد الأولى: قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْتُكُمْ خَلْفَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْتُكُمْ فِي الْأَرْضِ تَنْعَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَنَجْحُونَ الْعِجَالَ بِيُوتَهَا﴾ (الأعراف/ 74).
- عوقبت ثمود بعد عصيانها بزلزلة الأرض بها، كما في قوله تعالى: ﴿فَعَفَرُوا أَنَّاقَةً وَحَسَنُوا عَنْ أَنْرِيَتِهِمْ وَقَاتُلُوا يَصْكِلِحُ أَنْتِنَا بِمَا تَوَدُّنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمَرْسَلِينَ ﴾ (الأعراف/ 78)، وبالصيحة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَخْذَ اللَّهِتْ طَلْمَوا الصَّيْحَةَ فَأَضْبَحُوا فِي دَيْرِهِمْ حَشِيشَتْ ﴾ (هود/ 67)، وقوله سبحانه: ﴿فَمَتَّا عَنْ أَنْرِيَتِهِمْ فَأَخْذَتْهُمُ الْأَسْدَعَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ (الذاريات/ 44).

• نجت طائفة من قوم صالح -عليه السلام- من العقوبة: قال تعالى:

﴿فِيلَكُمْ يُونَثُمْ خَاوِيْكَهُ إِمَا ظَلَّمُوكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْنَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

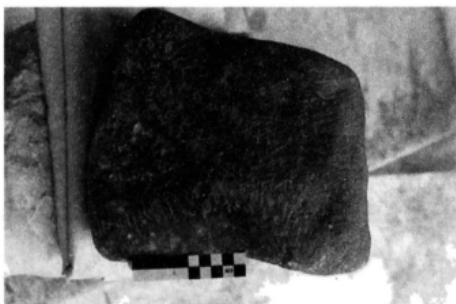
﴿وَأَبَيَّسَ أَلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْتَغِيْرُونَ ﴽ٥﴾﴾ (النمل / 52 - 53).

أقدم ذكر للشموديين ورد في حوليات سرجون الثاني مع شعوب أخرى، باعتبارهم من العرب ساكني الصحراء، وذلك بمناسبة معركة جرت بين الآشوريين وهذه الشعوب. وتدعى هذه الحوليات أن سرجون قد هزم خصمه، وسياهم إلى السامرة: «لقد قضيت بعون آشور ربى على تمودي ومرسيمانى وحيابا، أرض العرب البعيدة، سكان الصحراء، الذين لا يترفون برؤسأء أو قادة، والذين لم يدفعوا جزية لأي ملك». وقد سبّبت الأحياء منهم ونقلتهم إلى السامرة»⁽¹⁾.

كما ورد خبر الشموديين في نقوش صفاتية بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الرابع، ومنها نقش على حجر كتب عليه: «سنة حارب جوشم على ثمود».

نقش محاربة جوشم لثمود

WH 3792.1



كما ورد ذكر الشموديين في نقش مكتوب بال بتّطيّة واليونانية. وقد كتب على معبد في الشمال الغربي للجزيرة العربية، وقد بناه الشموديون سنة 160 م.

Annals, II. 120B - 123A (Cited in: Mark W. Chavalas and K. Lawson Younger, eds. *Mesopotamia and the Bible* (New York: A&C Black, 2003), p.310).

النقش النبطي - اليوناني
وفيه قوم ثمود ΘΑΜΟΥΔΗΝΩΝ ΕΘΝΟΣ باليونانية⁽¹⁾



ويبدو أن الشموديين قد سكنوا أكثر من منطقة منذ عُرف لهم ذِكْرٌ مُدوَّنٌ، محفوظ في التاريخ؛ إذ قد وَصَفَ مؤلَّفُ كتاب: «الطَّوَافُ حول الْبَحْرِ الْأَرِيَتِيِّ» مواضع الشموديين مستنداً إلى مورِّدٍ آخر أقدمَ أخذَ منه؛ فقال إنهم كانوا يقيمون على ساحلٍ صخريٍّ طوبيلٍ، لا يصلح لسير السُّفُن، وليس فيه خُلجان تستطيع أن تأوي إليه القوارب فتحتمي بها من الرياح، ولا ميناء تتمكن من الرُّسُوْفِ فيه، ولا جزراً عنده تقبل إليها القوارب الهازية من الأخطار. وهو بذلك يذكر أن مواطنَ ثمود كانت في الحجاز على ساحل البحر الأحمر.

وأما بلينيوس، فذكر أن الشموديين قد سكنوا بين Haegra Domata ومدينة دعاها Badanatha Baclanaza. في حين ذكر بطليموس أن قوم ثمود قد سكنوا بين الدُّولَيْنَ Apatae Sarakenoi ويظهر من كل ذلك أن ديارهم في شمال غربي «العربية السعيدة»⁽²⁾. كما تدل الشواهد الأثرية على استيطان ثمود جنوب الجزيرة العربية، في نجران

M.C.A. Macdonald, *Arabs and Empires Literacy and Identity in Pre - Islamic Arabia* (Burlington, VT: Ashgate Publ., 2009), p.26.

(2) انظر جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، 1413هـ / 1993م، 1 / 324 - 326.

وسياً؛ فقد عُثِرَ على نقشٍ في سبأ يرجع إلى نهاية القرن السادس أو بداية القرن الخامس ق. م، يحكي قصة اثنين من قبيلة ثمودة كانوا ياشران العمل في رى نخيلهما، كما عُثِرَ في نجران على نقشٍ سبئيٍّ ورد فيما اسم الإله صلم، الذي كان معبدًا ثموديًّا في منطقة تيماء في العقد الذي استوطن فيه الملك البابلي بتوسيع هذه المدينة - أي في الفترة (555 - 546 ق. م) -⁽¹⁾.

وما سبق دالٌ على أنَّ قومَ ثمودَ كان لهم وجودٌ في القرن الثامن قبل الميلاد، وأنهم عاشوا في مساحاتٍ واسعةٍ من شبه الجزيرة العربية. ولا يعني ذلك أنه لم يكن لهم وجودٌ قبل ذلك. إذ الظاهر أنهم وجدوا قبل ذلك؛ فإنَّ حضورهم في القرن الثامن قبل الميلاد مُحْكَمةٌ على أنهم جماعةٌ من أهلِ الحرب، لا أنهم أُسرةٌ حديثةٌ عَهِدَ بنشأتها.

(1) انظر محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم - في بلاد العرب (بيروت: دار النهضة العربية، 1408هـ - 1988م)، 270.

المبحث الثالث: اسم «صالح»

طرح بعض المنصرين دعوى خرافية شخصية صالح - عليه السلام - الذي لم يُذكر في الكتاب المقدس، وحجتهم أن «صالح» اسم عربي، لا يمكن أن يكون مستعملاً في عصر قريب من عصر لوط - عليه السلام -.

وجواب هذه الدعوى أن ثمود قومٌ من العرب - من غير الإسماعيليين؛ فهم أسبقُ وجوداً من إبراهيم - عليه السلام - على قول عامة الباحثين -. وهم ساميون، تكلموا لغة سامية. وكلمة « صالح » من فعل صلح ﴿لَه﴾ الثلاثي، وهو من المشترك السامي؛ فهو موجود في عربيتنا، والعربية الجنوبية، والسريانية مو لـه، والأرامية ﴿لَه﴾، والعبرية ﴿לְהֹלֵל﴾. وليس من سُنة القرآن في نقله للأسماء السامية نقلها دائمًا بحرفها نفسه، خاصة الصّوائت vowels. ولذلك فلا عَجَبٌ أن يكون اسم هذا النبي من فعل صلح السامي. وقد جاء ذِكره في القرآن على صيغة اسم الفاعل من صَلَحَ، لأنَّه على اسم الفاعل من صلح في لغة الثموديين؛ فليس هو من التقل المطابق صوياً، وإنما هو نقلٌ على سبيل التعرير؛ مع الاحتفاظ بصوات consonants الأصل السامي.



المبحث الرابع: مداين صالح ومساكن ثمود

يقول المنصرون ومن شاعرهم: لقد أخطأ القرآن بنسبة البيوت المنحوة في العلا في بلاد الحرمين (في الموضع المستقى اليوم بـمداين صالح)، إلى قوم صالح -عليه السلام-. ووجه الخطأ في الخبر القرآني يظهر في اجتماع العناصر التالية:

أولاً: جاء في القرآن أن الصحابة قد رأوا البيوت المبنية لقوم صالح -عليه السلام- في آية: «وَعَنَادًا وَكُعُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ أَنَّ مَسَكِينَهُمْ وَزَرَّتْ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْنَاثَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا سُبْتَصِيرِينَ» (العنكبوت / ٣٨).

ثانياً: في الحديث المتفق عليه، شهد ابن عمر الصحابي أن النبي الإسلام قد دمر على أرض قوم النبي صالح بعد خروجه من المدينة، متجهاً إلى تبوك.

ثالثاً: تسمية ما يُعرف اليوم بـ«مداين صالح» بهذا الاسم، ثابتة قبل الإسلام وفي عصربعثة. وهذه المنطقة كانت تُنسب عندبعثة إلى النبي صالح. وبذلك دخل الوهم إلى النبي الإسلام.

رابعاً: جاء في القرآن في وصف معمار قوم النبي صالح: «وَكَانُوا يَنْجُونَ مِنَ الْمِيَالِ بُيُوتًا مَارِبِينَ» (الحجر / ٨٢). ونحن لا نعرف منطقة فيها بيوت منحوة بين المدينة وتبوك سوى ما في منطقة «مداين صالح» الحالية.

خامساً: البيوت المنحوة في ما يُعرف اليوم بـمداين صالح، مقابر لدفن الموتى، وليست بيوتاً للسكن كما هي الدّعوى في القرآن.

سادساً: هذه القبور المنحوة، حديثة، نسخها الأنباط، وأقدمها يعود إلى القرن الأول قبل الميلاد؛ فهي بذلك بعيدة عن عصر النبي صالح.

قلت: دعوى المعترض قائمة على التسليم بأمور فاسدة لا تصح من أوجه:

الوجه الأول: ليس في القرآن تصريح أن الصحابة قد رأوا البيوت المبنية لثمود،

قوم صالح - عليه السلام -. واستدلال المخالف بقوله تعالى: ﴿وَعَكَادَا وَتَمُودَا وَقَدْ تَبَرَّتْ لَكُمْ تِنْ مَسَكِنَهُمْ وَزَرَتْ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْنَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ الْأَسْبَلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ (العنكبوت / 38) لا ينصر دعواه؛ لأسباب:

أ. المساكن، جمع مسكن، اسم مكان، ويقصد به الأرض المستوطنة للسكن، سواءً أكانت عليها مبانٌ أم لا؟ كقولنا: مساجد؛ إذ لا يلزم أن تكون بناء له سقف؛ فالمعنى هو الأرض التي يُسجد عليها. وقد جاء في «شمس العلوم» دواءً كلام العرب من الكلوم» لنوشان الحميري (متوفى 573هـ) عن «المسكن»: «موقع السكون والإقامة والحلول».

وأما الاستدلال على الدخول لبيوت قوم ثمود بلفظ الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن محمد بن أبي كتبة الأنباري، عن أبيه، قال: لما كان في غزوة تبوك، تَسَارَعَ النَّاسُ إِلَى أَهْلِ الْحِجْرِ يَذْهَلُونَ عَلَيْهِمْ، فَبَلَّغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَنَادَى فِي النَّاسِ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، قَالَ: فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ مُمْسِكٌ بِعِيرَةٍ، وَهُوَ يَقُولُ: مَا تَدْخُلُونَ عَلَى قَوْمٍ غَضَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟ فَنَادَاهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: نَعْجَبُ مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَفَلَا أُبَشِّكُمْ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ؟ رَجُلٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ يُبَشِّكُمْ بِمَا كَانَ قَبْلَكُمْ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ، فَاسْتَقِيمُوا وَسَدُّوا، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ بِعِدَائِكُمْ شَيْئاً، وَسَيَأْتِيَ قَوْمٌ لَا يَدْعُونَ عَنْ أَنفُسِهِمْ بِشَيْءٍ؛ فَلَا يَسْتَقِيمُ؛ لأنَّ

الحديث ضعيف^(۱).

وليس في رواية الصحيحين أنَّ الرَّسُولَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «لَا تَدْخُلُوا

(۱) قال محقق المسند: «إسناده ضعيف، محمد بن أبي كتبة سلفت ترجمته عند الحديث (18024)، وهو ليس الحديث إذا تفرد، ولم يتابع على هذا الحديث، وإسماعيل بن أوسيط - وهو البجلي - وثقة ابن معين في رواية، وقال في أخرى: صالح، وذكره ابن حبان في (اللتقات)، وقال ابن أبي حاتم: مُثُلَّ أبي عنه فقال: يرى عنده، فكرر عليه فلم يزد على قوله: يرى عنده، وضيق الساجي، وقال الأزدي: أمير الكوفة، كان من أواعان الحجاج، وهو الذي قدم سعيد بن جبير للقتل، لا ينبغي أن يرى عنده، ونقل قول الأزدي لهذا النهي في (الميزان) وأقره». والمسعودي: هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة الكوفي، وقد اخترط بأخره، ورواية يزيد بن هارون عنه بعد اختلاطه، ولا يضر ذلك، فقد رواه عن المسعودي غير واحد من روى عنه قبل اختلاطه» (مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وأخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1421هـ/2001م، 29/559).

مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيّبكم ما أصابهم، إلا أن تكونوا باكين». ثم قناع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي⁽¹⁾. حجّة للمخالف؛ فالرواية - على الأظهر - في المرور بالأرض التي كان يسكنها الشموديون، مع البكاء، لا في دخول بيوتهم. قال ابن تيمية: «فنهى عن عبور ديارهم إلا على وجه الخوف المانع من العذاب»⁽²⁾. قال تعالى: «وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَبَيْتَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلَنَا بِهِمْ وَصَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْشَالَ»⁽³⁾ (إبراهيم / 45). قال البغوي: «(وسكنتم) في مساكن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والعصيان قوم نوح، وعاد، وثمود، وغيرهم»⁽⁴⁾. ومعلوم أن ديار قوم نوح عليه السلام قد أهللها الطوفان، وقوم عاد طمرتهم الرمل... ولم يعرف أهل مكة بيوتاً لقوم ذكرهم القرآن وأخبر عن عذابهم، يسكنها يشرّ.

ت. لا يلزم من العلم بمساكن قوم صالح -عليه السلام- في الجزيرة العربية، أن أهلها قد تركوا آثار البناء؛ فقد قال تعالى في قوم لوط -عليه السلام-: «وَلَمْ يَكُنْ لَّهُرُونَ عَلَيْهِمْ مُّضِيَّعِينَ وَبِأَيْلَلٍ أَفَلَا تَقُولُونَ»⁽⁵⁾ (الصفات / 137 - 138). قال الطبرى: «يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: وإنكم لتمرون على قوم لوط الذين دمرناهم عند إصباحكم نهاراً وبالليل»⁽⁶⁾، رغم أنه لم يبق من قوم لوط -عليه السلام- وبنائهم شيء؛ إذ قد جاء الخبر في القرآن بدمارهم كلية: «فَلَمَّا جَاءَهُمْ عَلَيْهِمَا سَاقَهُمْ وَأَنْطَرَهُمْ عَلَيْهِمَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِيلٍ مَّضْبُورٍ»⁽⁷⁾ (هود / 82).

ث. قال تعالى: «وَعَكَادًا وَثِمُودًا وَقَدْ بَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَكِنِهِمْ وَرَبَّتْ لَهُمُ الشَّيْطَنُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ التَّبِيِّلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ»⁽⁸⁾.

(1) رواه البخاري، كتاب المعازي، باب نزول النبي - صلى الله عليه وسلم - الحجر (4157)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين (4157).

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 15 / 324.

(3) البغوي، معلم الترتيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسلیمان مسلم الحرشن (دار طيبة للنشر، 1417 هـ / 1997 م)، 360 / 4.

(4) الطبرى، جامع البيان عن تأويل آى القرآن، 19 / 623.

(العنكبوت / 38). فَرَنَتِ الآيةُ بَيْنَ مَسَاكِنِ عَادٍ وَمَسَاكِنِ ثَمُودَ بِعِبَارَةٍ «وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ»، وَلَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ قَدْ رَأَوْا بَيْنَ قَوْمِ عَادٍ؛ فَدَلِيلُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْمَسَاكِنِ فِي الْآيَةِ الْأَرْضُ لَا الْمَبْانِي، وَأَنَّ الْخَبَرَ مُتَعَلِّقٌ بِخَلْوَةِ دِيَارِ قَوْمِ عَادٍ وَثَمُودٍ مِنْ آثارِ قَوْتِهِمْ بَعْدَ أَنْ عَمَرَهَا قَوْمُهَا. قَالَ الطَّبَرِيُّ: «وَذَكَرُوا إِيَّاهُمْ عَادًا وَثَمُودًا، «وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ»، خَرَابَهَا وَخَلَاؤُهَا مِنْهُمْ بِوَقَائِعِنَّا بِهِمْ»⁽¹⁾.

ثُمَّ إِنَّ «مَدَائِنَ صَالِحٍ» الْحَالِيَّةُ لِيُسْتَأْنِدُ أَرْضَ خَرَابٍ؛ فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ مَأْهُولَةِ، إِلَّا أَنْ مَنْحُوتَهَا سَلِيمَةٌ، لَمْ تُصْبِحْ جَانِحةً.

ج. لَمْ يَرِدْ عَنِ الصَّحَابَةِ ذِكْرُ مَنْحُوتَاتٍ مَا يُعْرِفُ الْيَوْمُ بِمَدَائِنِ صَالِحٍ عَنْدَ خَبْرِ الْمَرْوَرِ عَنْ أَرْضِ قَوْمِ صَالِحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، رَغْمَ أَنَّهَا مَبْانٌ عَجِيبَةٌ وَمُثِيرَةٌ. الوجهُ الثَّانِي: جَاءَ عَنْ أَبْنِ عَمْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا مَرَّ بِالْحِجَرِ، قَالَ: «لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوكُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بِاِكِينٍ حَذَرًا أَنْ يُصْبِيكُمْ مِثْلَ مَا أَصَابَهُمْ» ثُمَّ زَجَرَ فَأَشْرَعَ حَتَّى خَلْفَهَا»⁽²⁾.

وَعَنْ أَبْنِ عَمْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ «النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى الْحِجَرِ أَرْضًا ثَمُودِيَّةً؛ فَاسْتَقَوْا مِنْ آبَارِهَا، وَعَجَنُوا بِهِ الْعَجِيْنَ؛ فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يُهْرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا وَيَعْلَفُوا الْإِبَلَ الْعَجِيْنَ. وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبَثْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ»⁽³⁾.

وَالْمَفْهُومُ مِنَ الْحَدِيْثَيْنِ السَّابِقَيْنِ أَنَّ قَوْمَ صَالِحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَدْ سَكَنُوا أَرْضًا بَيْنَ الْمَدِيْنَةِ وَتَبُوكَ، دُونَ تَحْدِيدٍ لِهَا فِي مَكَانٍ مُخْصُوصٍ. وَلَيْسُ فِي الرَّوَايَةِ أَنَّ الصَّحَابَةَ

(1) الطَّبَرِيُّ، جَامِعُ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِيِّ الْقَرْآنِ، 18 / 398.

(2) روایه البخاری، کتاب الصلاة، أبواب استقبال القبلة، باب الصلاة في مواضع الحarf والعذاب (ح/ 423)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين (ح/ 2980). والملقط لمسلم.

(3) روایه البخاری، کتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا}، (ح/ 3225)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين (ح/ 2981).

قد استدلوا على مكانها بالبيوت المنحوتة. ويبقى بذلك الاحتمال قائماً أنّ الرسول - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هو من أخبر الصحابة أنَّ هذه الديار، هي ديار ثمود، قوم صالح - عليه السلام -، لا أنَّ الصحابة يعرفون مكانها.

الوجه الثالث: دعوى أنَّ تسمية ما يُعرف اليوم بمدائن صالح، بهذا الاسم، ثابتة قبل الإسلام أو زمن البعثة، غير مُسلمة؛ لأنَّ سبباً منها:

ألا يوجد أيُّ خبر موثوق في التراث الإسلامي أو خارجه أنَّ تلك المنطقة كانت تُسمى «مداين صالح» قبل البعثة أو أثناءها. وعبء الإثبات يقع على المخالف لإثبات دعواه.

بـ. تسمية الحِجْر بمدائن صالح متأخرة. يقول عالم الآثار عبد الله آدم نصيف في كتابه «العلا والِحِجْر»: «أقدمُ مَنْ ذَكَرَ الحِجْرَ بهذا الاسم (مداين صالح) حسبما أعرف إبراهيم الخيري المدني المتوفى سنة 1083 هـ»⁽¹⁾. وذهب صاحب كتاب «المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية» إلى أنَّ «أول من سماها بـ«مداين صالح» من المؤرخين، البلوي الأندلسي الذي زارها سنة 737 هـ في طريقه إلى مكة»⁽²⁾.

تـ. ذهب الباحثة المؤرخ حمد الجاسر إلى أنَّ ما يُعرف اليوم بمنطقة مدائن صالح (شمال العلا)، لم يكن هذا اسمه في القرون الإسلامية الأولى. وأنه «في جنوب مدينة العلا بنحو 55 كيلـاً، آثار عمران قديم، من أساس بناء ومجاري مياه وأثار زراعة، يطلق على موضعها الآن اسم غريب هو «المابيات» جمع مابيه - بال溟 المفتوحة بعدها ألف فباء موحدة مكسورة فهاء - وهذا الاسم حادث، فقد كان الموضع في القرن السابع الهجري وما قرب منه يُعرف باسم مدينة صالح، ثم مدائن صالح. وله قبل

(1) عبد الله آدم نصيف، العلا والِحِجْر، ص. 148 (تركي بن إبراهيم القهيدان، الحجر: عاصمة الآثار في جزيرة العرب، مجلة الفضيل، العدد 343، المحرم 1426 هـ - فبراير / مارس 2005م، ص. 11).

(2) أحمد حسين شرف الدين، المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية (الرياض، 1404 هـ / 1984 م)، ص. 21.

ذلك اسم آخر، أرجح أنه «الرحبة» الوارد في كثير من كتب الرحلات ومعجمات الأماكنة، فensi اسم الرحبة، واسم مدينة صالح - أو مدائن صالح -، وعرف باسم وادي العطاس على ما جاء في رحلة ابن بطوطة، الذي مرّ بهذا الموضع في عشرة القرن الثامن^(١).

ث. نقل ابن ناصر الدين الدمشقي (توفي 842 هـ) عن الحافظ البرزالي (توفي 739 هـ) قوله: «مدائن صالح التي بالقرب من العلا في طريق الحاج من الشام، بلد إسلامي. وصالح المنسوبة إليه من بنى العباس بن عبد المطلب»^(٢). فالسبة - على هذا القول - ليست إلى النبي الله صالح - عليه السلام -.

ج. القول إن مدائن صالح هي عيناً وادي الحجر، عُدِّدَتْ مطابقة المتأخرین بينهما. والحق أن المقدمين قد اختلفوا في تحديد وادي الحجر؛ فقد قالت - مثلاً - طائفة منهم ومن تابعهم: إن أرض قوم صالح - عليه السلام - هي وادي القرى. قال الحموي [توفي 626 هـ] في «معجم البلدان»: «والحجر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام»^(٣). وقال غيرهم إن الحجر ليس في وادي القرى. ومن هؤلاء الإمام ابن كثير القائل: «هذا إخبارٌ من الله - عز وجل - عن عبده ورسوله صالح - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه يَعْتَهُ إِلَى قَوْمِهِ ثَمُودًا وَكَانُوا عَرَبًا يَسْكُنُونَ مِدِينَةَ الْحِجَرِ الَّتِي بَيْنَ وَادِيِ الْقَرَى وَبِلَادِ الشَّامِ»^(٤). وقال ابن خلدون: «وأما ثمود.. فكانت ديارهم بالحجر ووادي القرى فيما بين الحجاز والشام»^(٥). فليس هناك نقل متواتر عن القرون الأولى في موقع منطقة الحجر التي مرّ بها الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

(١) حمد الجaser، ليس الحجر من مدائن صالح، مجلة العرب، سن 13، ع 1 - 2 (رجب / شعبان 1398، تموز / آب 1978)، ص 3.

(٢) ابن ناصر الدين الدمشقي، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواية وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق: محمد نعيم العرقاوي (بيروت: موسسة الرسالة، 1993)، 97/8.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق: فريد الجندي (بيروت: دار الكتب العلمية)، 2/ 255.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة (دار طيبة للنشر، 1420هـ/ 1999م)، 6/ 155.

(٥) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والببر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة (بيروت: دار الفكر، 1408هـ/ 1988م)، 2/ 24.

الوجه الرابع: القول إننا لا نعرف منطقه فيها بيوت منحوته بين المدينة وتبوك سوى ما في منطقة «مدنائن صالح» الحالية؛ حجة للجزم أنها أرض العذاب الذي أصاب قوم ثمود، غير سديد؛ لأسباب:

أ. الصخور المنحوطة في ما يُعرف بمدائن صالح سليمة، ليس عليها أثر خراب.
وقد عاش صالح -عليه السلام- على الأظهر في الألفية الثانية قبل الميلاد؛ فقد قال شعيب -عليه السلام-^(١): **﴿وَيَقُولُ لَا يَجِدُ مِنْكُمْ شَفَاقًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مِنْ إِنْ مَا أَصَابَ قَوْمًا ثُبُّرًا أَوْ قَوْمًا هُوَدًا أَوْ قَوْمًا صَنَلِحًا وَمَا قَوْمٌ لُوطٌ مِنْكُمْ يَبْعَدُهُمْ (٦١)﴾**. ولوط -عليه السلام- قد عاش في النصف الأول من الألفية الثانية قبل الميلاد. ومساكن قوم صالح -عليه السلام- قد أصابها الخراب منذ ذاك الزمان. ولأجل كل ما سبق؛ فالأمل في العثور على آثار غير مهدومة وغير مطمورة لقوم صالح -عليه السلام- بعيد.

ومما يُستدلّ به لخراب البيوت المنحوطة لقوم صالح، قوله تعالى: **﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى أَلَّا تَأْكِنُوا إِلَيْنَا وَسُقِّيَّهَا (١٢) فَكَذَّبُوهُ فَمَقْرُوْهَا فَدَمْدَمَهُ عَنْهُمْ رَبُّهُمْ يَدْنِيْهِمْ فَسَوَّنَهَا (١٣)﴾** (الشمس / 13-14). فدمدمه الشيء؛ إلزاقه بالأرض وطقطحته^(٢).
ومساكن ثمود قد سُويت بها الأرض حتى غطّت أهلها، على وجهه في تفسير الآية^(٣).
كما قال تعالى: **﴿فَيَتَلَكَّ يُؤْثِمُهُمْ خَاوِيْهَهُ يَمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَّةً لَفَوَّرِيْ يَعْلَمُونَ (٤)﴾** (النمل / 52). قال ابن منظور: «خَوَّتِ الدَّارُ: تَهَدَّمَتْ وَسَقَطَتْ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿فَيَتَلَكَّ يُؤْثِمُهُمْ خَاوِيْهَهُ (٥)﴾**». فعلى هذا التفسير؛ فالديار متهدمة^(٦).

(١) الاستدلال بالأيات القرآنية في هذا الرد لا يقصد به الاحتجاج على المخالف باعتبارها وحيًا، وإنما الاستدلال بها غايته بيان أن مجموع الصورة التاريخية كما تظهر في القرآن لا يعارض حقيقة تاريخية.

ـ

ـ

(٢) أبو نصر الجوهري، صحاح الجوهري، مادة: دمد.

(٣) قال القرطبي: فدمدم عليهم أي أهلكم، فجعلهم تحت التراب. فسوها أي سوى عليهم الأرض» (القرطبي،

الجامع لأحكام القرآن، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ / 1964م، 20/79).

ـ

ـ

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة: خوا.

(٥) وقيل: خاوية بمعنى فارغة من أهلها.

وقال تعالى: «إِنَّا أَنْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْمَةً وَجَدَةً فَكَانُوا كَثِيرٌ مُّخْتَرِرٌ» (٢٦) (القمر / ٣١). قال الإمام ابن كثير: «أي: فَبَادُوا عَنْ آخِرِهِمْ لَمْ تَتَّبِعْ مِنْهُمْ بَاقِيَّةُ، وَحَمَدُوا وَهَمَدُوا كَمَا يَهْمُدُ بَيْسِ الرَّزْعِ وَالنَّبَاتِ. قَالَهُ اللَّهُ عَيْنُ وَاحِدٌ مِّنَ الْمُفْسِرِينَ. وَالْمُخْتَرِرُ - قَالَ السُّدُّيُّ - هُوَ الْمَرْغُعُ بِالصَّحْرَاءِ حِينَ يَبْسُ وَتَحْرَقُ وَسَقَطَتُ الرَّيْبُ»^(١). فهي صيحة ينفَتَّ معها كلُّ شيء؛ فكيف تنفَتَّ الأجسادُ وتبقى البيوتُ كما هي بلا خدش؟!

ب. من الثابت أنَّ قومَ ثمود قد سكَنُوا في مساحاتٍ واسعة؛ فقد وُجِدت نقوشُهم وكتاباتهم في بلاد الحَرَبَيْنِ، والأردن، واليمن، وسوريا، وسيناء. وتشير أغلب المصادر إلى أنَّ موطنَهم الأصليُّ أعلى الحجاز^(٢). كما أشار عالم الآثار د. محمد بيومي مهران - المتخصص في التاريخ العربي القديم (والمصرات) - إلى أنَّ الآثريين قد عثروا على نقوش ثمودية في مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية، من الجوف شمالاً إلى الطائف جنوباً، ومن الأحساء شرقاً إلى يثرب فأرض مدین غرباً^(٣). ولذلك فإنَّ بيوتهم المهدمة قد تكون في أي مكان شمال الجزيرة العربية، وربما امتد الهمد إلى غيرها من المناطق الشمودية المجاورة.

ت. منطقة الحِجَر التي جاء الخبر القرآني بأنَّها أرض عذاب ثمود في قوله تعالى: «وَلَقَدْ كَذَّبَ أَحَدُكُبَّ الْحِجَرِ الْمَرْسَلِينَ (٨٠) وَأَيَّنَتْهُمْ مَا يَنْتَنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُغَرِّبِينَ (٨١) وَكَانُوا يَنْجُونَ مِنَ الْمُجَالِبِ مُؤْنَّا مَاءِنِينَ (٨٢)» (الحجر / 80 - 82)، واسعة. وقد ذكر الطبرى أنَّها بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله^(٤).

ث. من المواقع المرشحة لتكون أرض قوم صالح - عليه السلام -، بين المدينة وتبوك، بلدة الخربة، شمال شرقى العلا. وفي ذلك يقول صاحب كتاب «تاريخ شبه

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 7 / 480.

(٢) عبد الرحمن كباوي، دراسات في آثار المملكة العربية السعودية (الرياض، المهرجان الوطني للتراث والثقافة، 1412هـ / 1991م)، ص 73.

(٣) محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم - في بلاد العرب، ص 282.

(٤) الطبرى، جامع البيان، 10 / 282.

الجزيرة العربية في عصورها القديمة»، إن «كثرة من الباحثين المحدثين حددوها بلدة الخربة التي تبعد عن مدائن صالح بنحو عشرة أميال. وقد أصاب آثارها هي الأخرى خرابٌ كبير، وبنوا رأيهم على غَلَبةِ النصوص الشمودية التي عُثِرَ عليها فيها»⁽¹⁾. علمًا أن هذه البلدة صخرية، وفيها أيضًا مقابر منحوتة، وهي أقدم بقرون من «مدائن صالح»؛ فقد حَكَمَها الدَّادَائِيون في القرن السابع قبل الميلاد. وسُكِنَتْها أَمْمٌ كثيرة؛ بما يَظْهُرُ فيها من نقوش دادانية ومَعْنَتِية ولحيانية وشمودية وبَطَّالية وكُوفَّة. وفيها ما يُعرف في تراثنا بمحلب الناقة (ناقة صالح -عليه السلام-)⁽²⁾. علمًا أن المستشرق دوتي Doughty قد ذهب إلى أن «الحِجْر» التي سكن بها قوم شمود، هي موضع «الخربة» في الزمن الحاضر، لا «مدائن صالح» التي هي في نَظَرِه «حِجْر» النَّبَط⁽³⁾. وما سبق يُطْلِلُ الظنَّ أن الصخور المنحوتة في ما يُعرف بـ مدائن صالح هي المنطقة الوحيدة التي ينطبق عليها الوصف القرآني الظاهري المتعلّق بالنحت في الصخر.

تلّة منحوتة في بلدة الخربة



(1) عبد العزيز صالح في كتابه «تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة» / 140 .

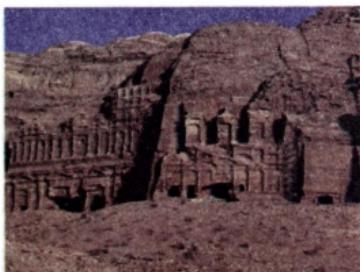
(2) لا يوجد دليل تاريخي على أنها محلب الناقة حقيقةً، والأظهر أن ذلك من التراث الشعبي المتأخر.

(3) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، 1 / 326 .

ج. جاء في القرآن: «وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْتُكُمْ خُلْقَةً مِنْ مَاءٍ عَسَادٍ وَبَوَّأْتُمُ فِي الْأَرْضِ تَنَاهِيَدُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَنَحْنُ نَوَّبُكُمْ أَلْجِبَالَ يَوْمًا» (الأعراف/ 74). والظن أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد رأى منطقة ما يُعرف اليوم بمدائن صالح؛ فنسبها - وهما منه، على زعم المخالف! - إلى قوم ثمود، لا يلتقي مع وصف ديارهم في القرآن أن سهلها مأهولة بالقصور؛ إذ لا أثر لتلك القصور في تلك المنطقة في القرن السابع.

ح. من السهل أن نفهم ظنَّ كثير من الكتاب المتأخرین أن مساكن قوم ثمود هي تلك «البيوت» التي استعملت كمقابر؛ إذ إنها: منحوتة في الجبال، وتقع بين المدينة وتبوك، وقد مرَّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالحجر أثناء عبوره مع الجيش عن طريق الحجر، وهي أشهر التلال المنحوتة، علمًا أنه توجد أيضًا مقابر منحوتة في مدائن شعيب، جنوب تبوك. وعادةً تفسير القصص القرآني وغيره بالمعالم المادية المعروفة لأهل كلَّ عصر، شائعة؛ كنسبة كثير من القبور مجهرة الأصل إلى الأنبياء، وتحويلها إلى مزاراتٍ دينية مقدسة، والرغم أن قبة الصخرة هي التي عرج منها الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى السماء، وأنَّ المئذنة الشرقية البيضاء للمسجد الأموي هي المنارة البيضاء التي سينزل عندها عيسى - عليه السلام - كما في الحديث...

نحت في الجبل في مدائن شعيب

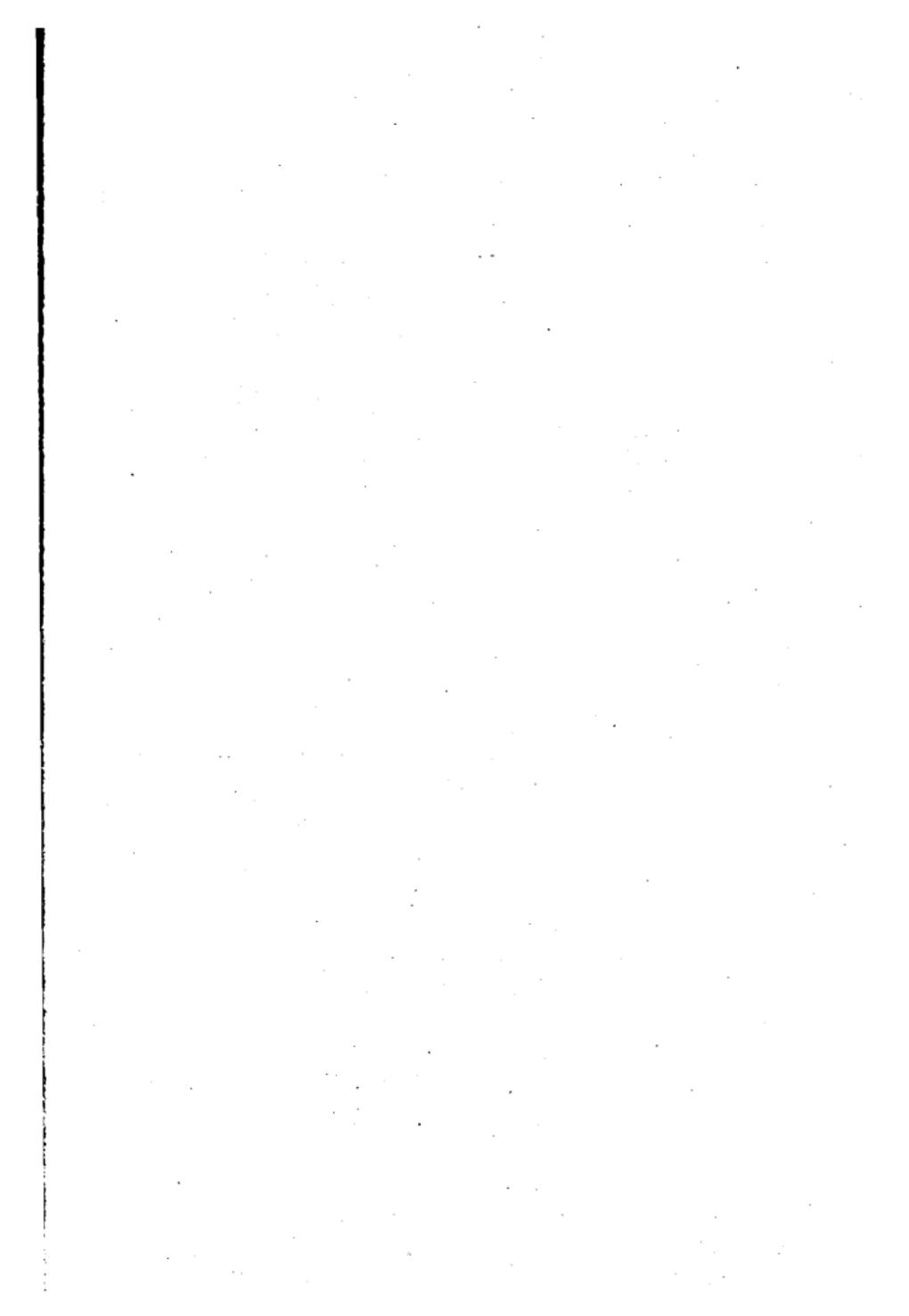


الوجه الخامس: تسلينا - جدلاً - أن منحوتات ما يُعرف بمداين صالح في الصخر، هي فعلاً المعالم الموصوفة أنها مساكن قوم صالح - عليه السلام - في القرآن، وأن العذاب الذي حلّ بهم لم يهدم عمرانهم؛ لا يلزم منه المسارعة بتخطئة القرآن؛ فإنه لم يقم إلى الآن دليل حاسم ناف أن تكون هذه المنحوتات الصخرية التي استعملت على يد الأنبياء - في زمن قريب من زمن المسيح - عليه السلام - - موروثة من أسلاف بعيدين. وقد يُستأنس للقول بسبيقها لعصر الأنبياء، وأن الأنبياء وجدها قائمة؛ فجعلوها مقابر؛ لأن كثيراً من التجاويف التي فيها صغيرة جداً، دون حجم جُنُث الموتى من البشر، بالإضافة إلى ظاهرة إضافة نصوص على واجهات المقابر بعد زمان نَحْتها، ووجود بعض المقابر ليس لنقوشاً لوحات مخصصة للكتابة، كما أن هناك مقابر قد تركت دون تكميل بلا سبب ظاهر^(١).

الخلاصة:

- ليس في أخبار صالح - عليه السلام - في القرآن ما لا بد أن نجد أثره في الكشوف الأركيولوجية، خاصة بعد أن دُمر عمران ثمود.
- ليس في خبر القرآن عن صالح - عليه السلام - ما يخالف حقيقة تاريخية.
- اسم «صالح»، المقابل العربي المتعلق بالصلاح لاسم هذا النبي في قومه الساميين.
- التفسيرالأظہر الجامع بين الآيات والأحاديث هو أن آثار قوم صالح - عليه السلام - قد طُمسَت، وأن مقابر «مداين صالح» ليست من ميراث قوم صالح - عليه السلام -. ولستنا نعلم في أي موضع من الحجر بين المدينة وتبوك كان هلاكهم.
- وعلى التسليم أن تلك الآثار لم تُهدم وأنها لا تزال قائمة في «مداين صالح»؛ فإن الحجة النافية - بصورة قاطعة - لكون الأنبياء قد ورثوها عن الشموديين؛ فغيروا بعض معالمها بالحفر والنقش، وتحوبلها إلى مقابر، لم تقم بعد.

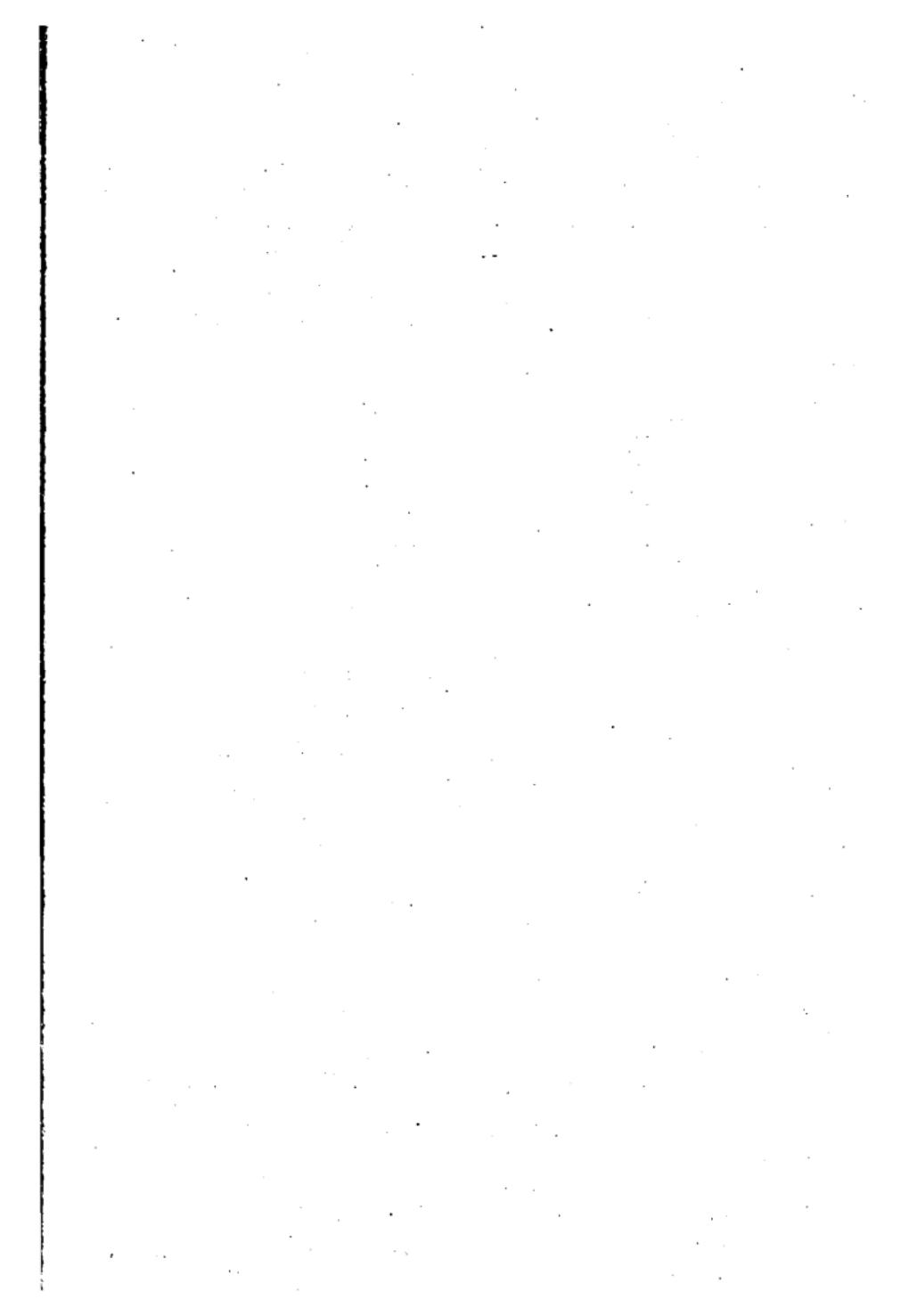
(١) انظر تركي بن إبراهيم القهيدان، الحجر: عاصمة الآثار في جزيرة العرب، ص 29.



الفصل الثالث الوجود التاريخي لشعيّب - عليه السلام -

المبحث الأول: شعيّب - عليه السلام - في القرآن

جاء ذكر اسم شعيّب - عليه السلام - 11 مرّة في القرآن، في أربع سور. وخلاصةُ خبره، في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مَنِينَ أَخَاهُرُ شَعَيْبًا قَالَ يَنْقُومُ أَغْبَدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ وَلَا نَقْصُوا الْمَكَافِيلَ وَالْمِيزَانَ إِنَّ أَرْبَكُمْ بِغَيْرِ وَإِنَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴾ (هود/ 84). فقد لاتبس قوم شعيّب - عليه السلام - جريمة الشرك، مع رذائل أخلاقية أخرى كالغش في البيع والمقايضة. وكان وجده إشراكهم بالله، عبادة شجرة عظيمة مُلتفةً بالأغصان (أيكة)، قال تعالى: ﴿ كَذَّابٌ أَحَدَبُ لَنِيَّكَهُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (إِذْ قَالَ لَهُمْ شَعَيْبٌ أَلَا يَنْقُونُ ﴾ (الشعراء/ 176 - 177).



المبحث الثاني: الوجود التاريخي لشعيّب - عليه السلام -

المسائل التاريخية المذكورة في قصّة شعيّب - عليه السلام -، وتقبل الرصد
الأركيولوجي:

- عاش شعيّب - عليه السلام - بعد زمِنٍ غير بعيد من عصر لوط - عليه السلام -؛ فقد قال شعيّب - عليه السلام - لقومه: «وَتَقُولُ لَا يَجِدُ مِنْكُمْ شَفَاقَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحَ أَوْ قَوْمَ هُودَ أَوْ قَوْمَ صَلْحَ وَمَا قَوْمُ لُوطَ مِنْكُمْ بِيَعْبُدُ» (١٤) (هود/ 89).
- كان مع شعيّب - عليه السلام - فريقٌ من قومه آمنوا به؛ فقد قال قوم شعيّب - عليه السلام - لنبيهم: «يَسْعَيْنَ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا وَمَا تَقُولُ وَإِنَّا لَرَبِّكَ فِينَا ضَعِيفُونَ وَلَوْلَا رَفِظْتَكَ لَرَجَنَتْكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِمُزِيزٍ» (١٥) (هود/ 91).
- عاقِبُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - قوم شعيّب - عليه السلام - بالصِّيحة بعد أن نجى المؤمنين: قال تعالى: «وَلَمَّا جَاءَهُ أَنْرَى بِهِنَا شَعِيبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةِ مَنْ أَنْزَلَ وَأَنْذَرَتِ اللَّهُ الظُّلْمُوا الصَّيْحَةَ فَأَضَبَحُوا فِي دِيْرِهِمْ جَنِيشِينَ» (١٦) (هود/ 94).
- عاقِبُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - قوم شعيّب - عليه السلام - بالرَّجْفَةِ بعد رفضهم الاستجابة لداعي الحق: قال تعالى: «فَأَخْذَهُمُ الرَّبِّيْنَةَ فَأَضَبَحُوا فِي دِارِهِمْ جَنِيشِينَ» (١٧) (الأعراف/ 91).
- عاقِبُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - قوم شعيّب - عليه السلام - أيضًا بسحاب أَظْلَاهُمْ: قال تعالى: «فَكَبَّوْهُ فَأَخْذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الْظُّلْمَةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» (١٨) (الشعراء/ 189).

معرفة عصر شعيب - عليه السلام -، فرغ عن الحكم على قوله العلماء في علاقة شعيب - عليه السلام - بموسى - عليه السلام - ؛ فقد ذهب فريق من المفسرين إلى أن شعيباً قد عاش قبل موسى - عليه السلام - بقرون، في زمن قريب من عصر الآباء، في حين ذهب فريق آخر إلى أن شعيباً - عليه السلام - هو الرجل الذي لقيه موسى - عليه السلام - في مدينَةٍ، وتزوج إحدى ابنته؛ فقد جاء في أمر موسى - عليه السلام -: ﴿وَمَا وَرَدَ مَاهَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُنَّةً فَتَسْقُرُكَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ أَمْرَاتَيْنِ تَذَوَّبَيْنِ قَالَ مَا حَطَبْكُمَا فَالَّتَّانِ لَا نَنْفِقُ حَنَّ يُصْدِرُ الرِّعَاةَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (القصص / 23). وجاء في أمر شعيب - عليه السلام -: ﴿وَالَّ مَدِينَ أَخَاهُرُ شَعِيبَيَا قَالَ يَنْقُومُ أَغْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ﴾ (هود / 84). فقد دخل موسى وشعيب - عليهم السلام - أرض مدينَةٍ.

ليس في الخبر القرآني تصريح أو دلالة قوية أن شعيباً - عليه السلام - الذي مِنْ مدينَةٍ، قد عاش في الزمن الذي كان فيه موسى - عليه السلام - في مدينَةٍ. ولا يوجد في الخبر النبوِي ما يؤيد اتحاد زمان هذَيْنِ التَّبَيِّنَينِ. ولذلك قال ابن تيمية: «ولم يذكر عن هذا الشيخ أنه كان شعيباً، ولا أنه كان نبياً، ولا عند أهل الكتابين أنه كان نبياً، ولا نقل عن أحدٍ من الصحابة أن هذا الشيخ الذي صاحَرَ موسى كان شعيباً النبي؛ لا عن ابن عباس ولا غيره، بل المنقول عن الصحابة أنه لم يكن هو شعيب»⁽¹⁾. وهذا هو الأولى؛ إذ الحجَّةُ على المثبت للمطابقة، ولا حجَّةٌ له.

ونحن حتى لو سلمنا بالقول المرجوح أن شعيباً - عليه السلام - قد عاش عصر موسى - عليه السلام -؛ فلن نجد أنفسنا قد افترينا كثيراً من آثار قوم شعيب - عليه السلام -؛ لأننا لا نعرف أرض القوم تحديداً؛ فإنَ القرآن لم يحدد مكانها، كما أنَ الكتاب المقدس لا يشير إلا إلى أنَ مدينَةَ تقع جنوب شرق فلسطين؛ ولذلك قالت

(1) ابن تيمية، رسالة في قصة شعيب عليه السلام في: جامع الرسائل، تحقيق: رشاد سالم (الرياض: دار العطاء، 1422هـ/2001م)، 61/1.

«موسوعة باكر للكتاب المقدس» عن مَدْيَن / مدیان: «مَوْضِعُهَا غَيْرُ مُؤْكَدٌ. تقع مدیان في أقصى جنوب أذوم على الجانب الشرقي مما يسمى اليوم بخليج العقبة»⁽¹⁾. كما أنَّ بَعْدَ عَصْرِ قَوْمِ شَعِيبٍ -عليه السلام-؛ سببُ لِطْفَسِ آثارِهِمْ. في ظلِّ ما اجتمع لنا من علم في القرآن بتاريخ شعيب -عليه السلام-، وجغرافية الأرض التي استوطنهَا؛ لنا أن نشهد أنَّ العثور على حجَّةٍ في البحث الأركيولوجي تشهد لشعيب -عليه السلام- بعيدٌ؛ لأسبابٍ:

1. الجهل بعصر شعيب -عليه السلام-. ومن المعلوم أنَّ معرفة عصر الشخصية التاريخية محلَّ البحث الأركيولوجي، مقدمةً يمتنع المُضيُّ في النَّظرِ دونها.
2. مَدْيَنْ بلاًد مجهولةُ الحدود، كما أنها لم تعرَض إلَّا لمسحٍ سريعٍ منذ ستينيات القرن الماضي⁽²⁾. وهو ما لا يفي بمطلب معرفة أهم معالم تاريخ المنطقة تارِيخيًّا؛ فضلاً عن استيفاء النَّظر في التفاصيل القديمة.
3. لم تَذَكُّرِ الآيَاتُ أنَّ قَوْمَ شَعِيبٍ كانوا أَصْحَابَ عمرَانٍ عظِيمٍ. وقد ذهب الأركيولوجي ويليام ديفر إلى أنَّ مَدْيَنَ لم تعرِف جماعاتٍ مستقرةً كثيرةً حتى القرنين الثامن - السابع قبل الميلاد⁽³⁾. وهذا - إن صدق - يرجح أنَّ عصراً شعيب لا يُذَلِّلُ الطريق للبحث الأركيولوجي للكشف عن عصرٍ ما قبل موسى -عليه السلام- حيث عاش شعيب -عليه السلام-؛ لأنَّ أَمَّةَ شعيب لم تكن كبيرةً، عظيمةً الآثارِ. وليس في القرآن ذِكْرٌ لِسَعْيِ ملِكٍ قَوْمَ شَعِيبٍ -عليه السلام-.
4. العقوبة التي أصابت قَوْمَ شَعِيبٍ -عليه السلام-، كانت شديدةً ماحقةً، تمنع - على الأرجح - أن يقْنَى لهم ولِقَصَّتِهِمْ مع شعيب -عليه السلام-،

W. A. Elwell and B. J. Beitzel, *Baker encyclopedia of the Bible*, p.1456. (1)

W. G. Dever, *Who Were the Early Israelites and Where Did They Come From?* (Michigan: William (2)

B. Eerdmans Publishing, 2006), p. 34.

Ibid. (3)

ذكره. قال ابن كثير: «وَقَدْ جَمِعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَنْوَاعًا مِنَ الْعَقُوبَاتِ وَصُنُوفًا مِنَ الْمَئَلَاتِ، وَأَشْكَالًا مِنَ الْبَلَاتِ، وَذَلِكَ لِمَا اتَّصَفُوا بِهِ مِنْ قَبِحِ الصُّفَاتِ، سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رَجْفَةً شَدِيدَةً أَشْكَنَتِ الْحَرَكَاتِ، وَصَبَيْحَةً عَظِيمَةً أَخْمَدَتِ الْأَضْوَاءَ، وَظَلَّةً أَزْسَلَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا شَرَرَ النَّارِ مِنْ سَائِرِ أَرْجَانِهَا وَالْجِهَاتِ»^(١)

الخلاصة:

- ليس في أخبار شعيب -عليه السلام- في القرآن ما لا بد أن نجد أثره في الكشف الأركيولوجية، خاصة مع جهلنا بأرض شعيب -عليه السلام- وزمانه، وعلمنا بالدمار الذي أصاب عمران قومه.
- ليس في خبر القرآن عن شعيب عليه السلام ما يخالف حقيقة تاريخية.

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، 1 / 437.

الفصل الرابع

الوجود التاريخي لذوي الكفل - عليه السلام -

المبحث الأول: ذو الكفل - عليه السلام - في القرآن

جاء ذكر ذي الكفل - عليه السلام - في القرآن في آيتين؛ في قوله تعالى: «وَلِسَمْكِيلٍ وَلِدِيرِسٍ وَذَا الْكَفْلِ كُلُّ مِنَ الصَّدِيرِينَ (٦٥)» (الأنبياء / 85)، وقوله تعالى: «وَأَذَّنْ أَسْعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكَفْلِ وَكُلُّ مِنَ الْأَخْيَارِ (٦٦)» (ص / 48).

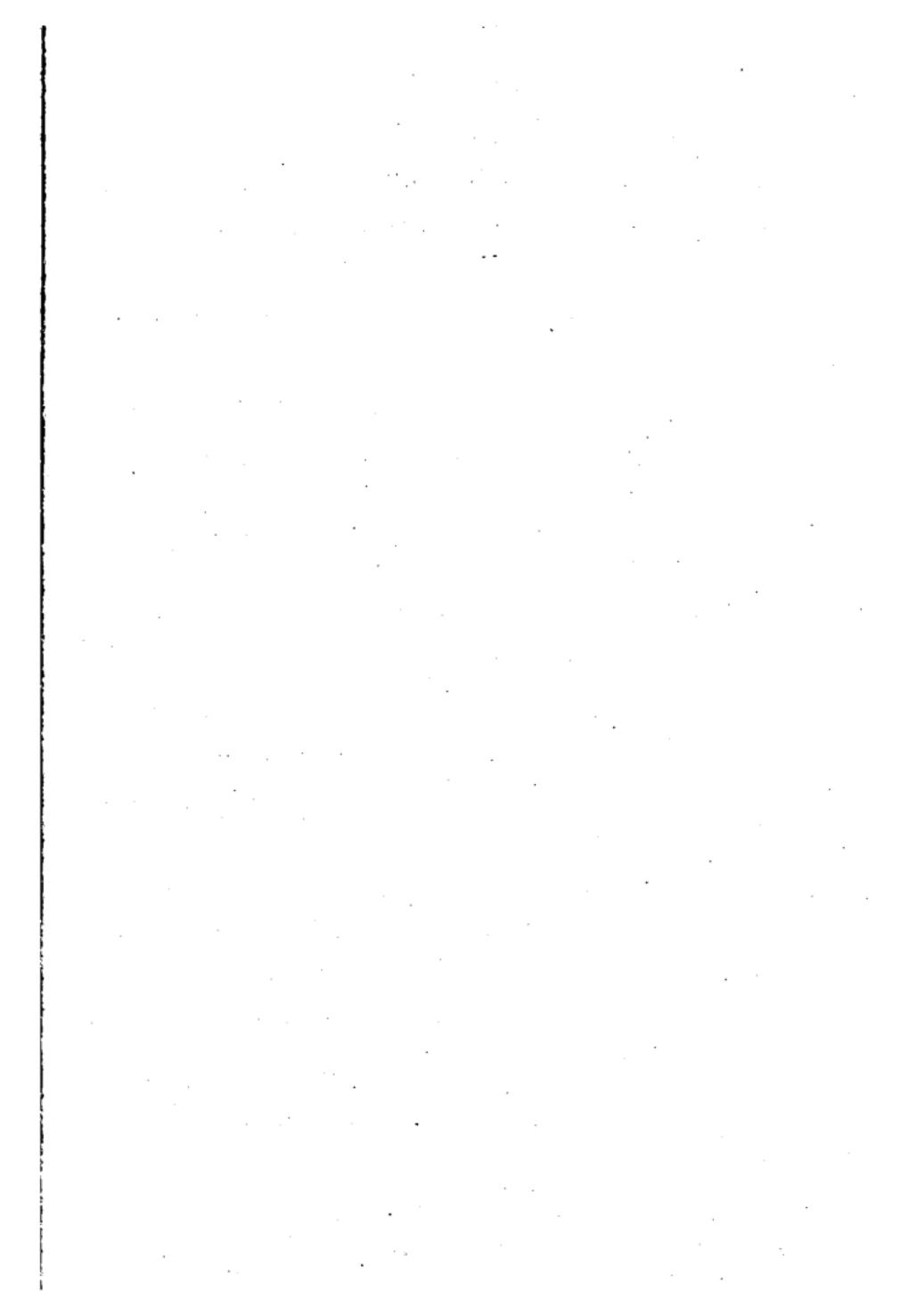
وقد اختلف في نبوة ذي الكفل. قال ابن كثير - رحمة الله -: «فَالظَّاهِرُ مِنْ ذِكْرِهِ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ مَقْرُونًا مَعَ هُؤُلَاءِ السَّادَةِ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّهُ نَبِيٌّ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَهَذَا هُوَ الْمُشْهُورُ، وَقَدْ زَعَمَ آخَرُونَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا، وَإِنَّمَا كَانَ رَجُلًا صَالِحًا وَحَكِيمًا مُقْسِطًا عَادِلًا. وَتَوَقَّفَ إِبْنُ حَرِيرٍ فِي ذَلِكَ فَاللَّهُ أَعْلَمُ»^(١).

روي عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قوله: «كَانَ الْكَفْلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبِ عَمَلِهِ، فَاتَّهَى امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَارًا عَلَى أَنْ يَطَاهِمَهَا، فَلَمَّا قَدِمَ مِنْهَا مَفْعَدُ الرَّجُلِ مِنْ امْرَأَتِهِ، أَرَعَدَتْ وَبَكَتْ، قَالَ: مَا يُنِكِّيكِ أَكْرَهُنَّكِ؟ قَالَتْ: لَا وَلِكُنَّهُ عَمَلٌ مَا عَمِلْتُهُ قُطُّ، وَمَا حَمَلْنِي عَلَيْهِ إِلَّا الْحَاجَةُ، قَالَ: تَعْلَمِينَ أَنْتِ هَذَا وَمَا فَعَلْتِهِ؟ ادْعُهُ بِهِيَّ لَكِ، وَقَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا أَغْصِي اللَّهَ بِعَدْهَا أَبْدًا، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لِلْكَفْلِ»^(٢). وهي رواية ضعيفة. قال ابن كثير: « الحديثُ غَرِيبٌ جِدًا، وَفِي إِسْنَادِهِ نَظَرٌ. وَإِنْ كَانَ مَخْفُوظًا فَلَيَسْ هُوَ ذَا الْكَفْلِ. وَإِنَّمَا لَفْظُ الْحَدِيثِ «الْكَفْلُ» مِنْ غَيْرِ إِضَافَةٍ؛ فَهُوَ رَجُلٌ آخَرُ غَيْرُ المَذْكُورِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ»^(٣).

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، 1 / 516.

(٢) رواه الترمذى، (ح / 2496)، وأحمد (ح / 4747).

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، 1 / 519.



المبحث الثاني: الوجود التاريخي لذِي الكفْل - عليه السلام -

البحث الأركيولوجي في قصة ذِي الكفْل ممتنع، لأسباب:

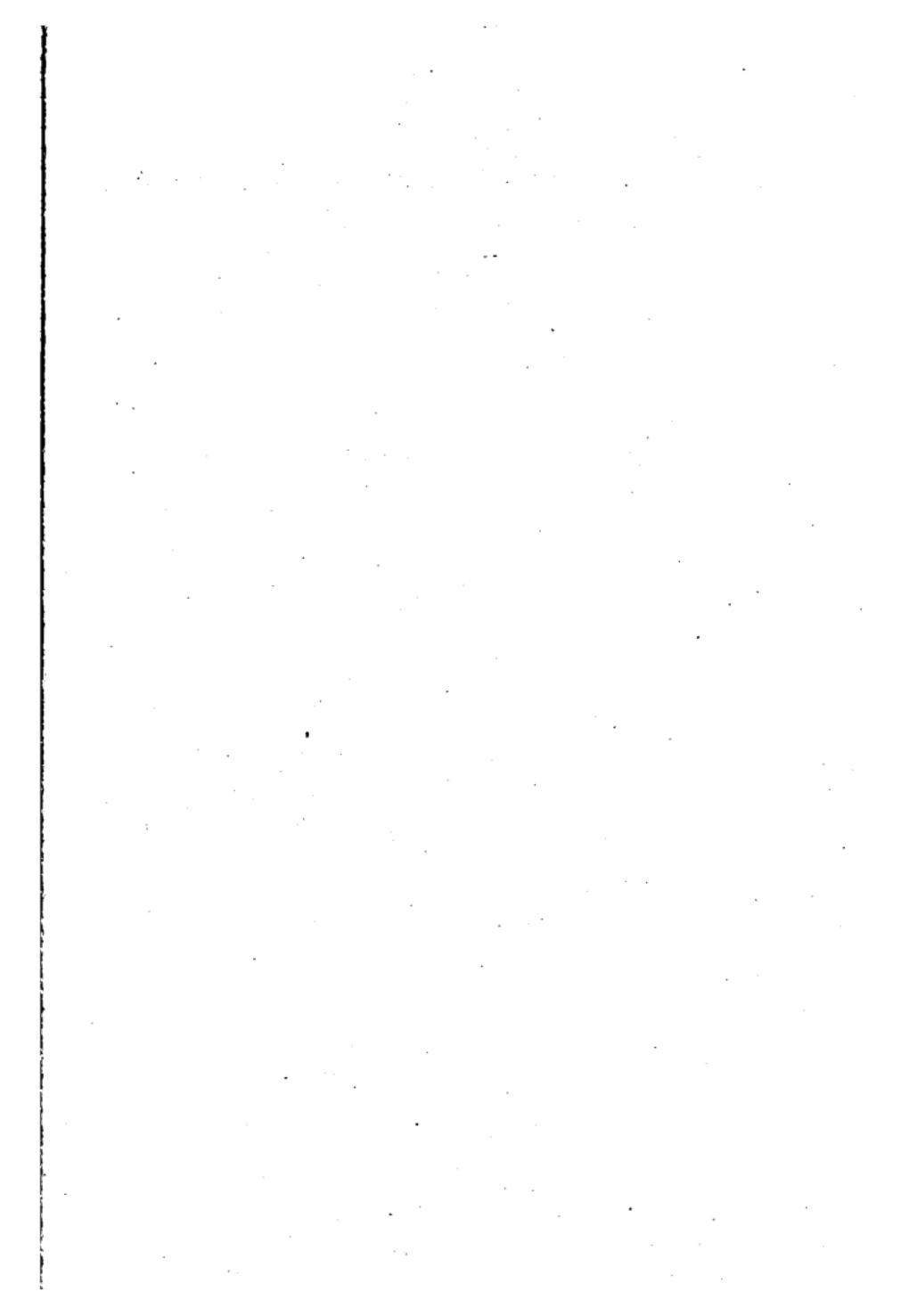
أولاً: ليس في التوراة خبرٌ عن ذِي الكفْل، واسمُ هذا النبي - كما هو ظاهرٌ - عربيٌ. ولا سبيل للجزم إن كانت عريبيّة أصلية أو أنَّ القرآن ذَكَرَ المقابل العربي للاسم في لُغَةِ قومِ هذا النبي. وقد اجتهد بعض الباحثين لردة الاسم العربي إلى التوراة؛ فقيل: إنه ابنُ أَيُوب، وقيل: إيليا، وقيل: زكريا، وقيل: أليشع، وقيل: خليفة أليشع^(١). وليس لنا أن نزدَّ هذه الشخصية إلى التوراة إلا بدليلٍ متيّنٍ، ولا دليل.

ثانياً: ليس في القرآن أيٌّ تفصيلٌ في قصة ذِي الكفْل يُمكّنا من معرفة عَصْرِه ومكانه؛ للبحث في آثار دعوته أو آثار قومه، فَخَبْرُه بذلك خارج الرصد الأركيولوجي.

الخلاصة:

- ليس في خبر ذِي الكفْل - عليه السلام - في القرآن ما لا بدَّ أن نجد أثره في الكشف الأركيولوجي.
- ليس في خبر القرآن عن ذِي الكفْل - عليه السلام - ما يخالف حقيقة تاريخية.

Scott B. Noegel, Brannon M. Wheeler, *Historical Dictionary of Prophets in Islam and Judaism*, p.84. (1)



النتائج

البحث في حقيقة علم الأركيولوجيا، وصلّته بقصص الأنبياء، خاصةً ما جاء في الخبر القرآني، قد قادنا إلى مجموعة من النتائج، نجملها في ما يلي:
أولاً: إشكالات منهجة في طرح المنكرين لتاريخية الأنبياء:

- البحث الأركيولوجي ليس بريئاً من الأغراض الشخصية والتحيزات العقدية؛ ولذلك تحتاج كُلُّ دَعْوَى إلى الفحص والمراجعة.
- من الآفات الكُبُرِي في البحث الأركيولوجي المتعلق بأتياه التوراة وقصصهم، الإفراطُ في استخراج دلالات بعيدة لآثارٍ، وتحوّل السناريوهات التاريخية الممكّنة إلى مقدمات قطعية لاجتهدات تاليةٍ فرعيةٍ تتحوّل بدورها إلى مقدمات قطعية لاجتهدات تاليةٍ. والحق إنَّ البحث الأركيولوجي يحتاج إلى قدرٍ عظيم من التواضع المعرفي عند قلة الآثار أو ضعف براهينها. والإقرارُ بالجهلِ، والتوقفُ، موقفٌ أعظمُ أمانةً من القولِ المؤدِّي الذي لم تتمهد له الأدلة.
- لم يقُم أحدٌ من الأركيولوجيين المخاصِّسين للإسلام باختبار القصص القرآني للأنبياء، وإنما عمِّدَ الجميع إسقاطُ الخبرِ القرآني بسقوطِ الروايات التوراتية.
- إيمان المسلمين بتحريف التوراة اليهودية، لا يمنعهم من الاستدلال بها؛ باعتبارها وثيقة تاريخية تحفظ التاريخ القديم لبني إسرائيل؛ فهي أقرب وثيقة قديمة تفصيلية لعصر النبوة القديمة. وقد أثبت البحث الأركيولوجي صدق مسائل تاريخية كثيرة فيها.
- رَيَّطَ الوجود التاريخي للأنبياء بالعثور على أسمائهم في الكشوف

الأركيولوجية، سذاجةً غافلةً عن أن كلَّ الأنبياء المذكورة أسماؤهم في القرآن لم يكونوا من الحُكَّام سوى محمد وداود وسليمان -عليهم السلام-، والبحث الأركيولوجي لم يكُنْ يعثُر إلا على أسماء الحُكَّام وأصحاب القراءة المادِيَّة؛ لأنَّ التُّقوش القديمة لم توضع في عامة الأحوال إلا لتمجيد الحُكَّام. وقد كَشَفَ البحث الأركيولوجي عن اسم داود -عليه السلام-. وتصديقُ وجوده حاكِماً، يلزم منه الإيمان بوجود الملك التالي له، ابنه سليمان -عليه السلام-؛ إذ لا يوجد داعٍ لاختراع ابن داود -عليه السلام- يَحْكُمُ بعده، في قرونِ كان التداول الأسرِيُّ للسلطة فيها هو الأصل.

- العثور على الأمم التي شهد القرآن أنها قد تعرضت للإبادة، وبيوتها للهدم، بعيدٌ في عامة الأحوال، إذا حوكِمَ القرآن إلى تفاصيل خبره.

ثانيةً: تاريخية الأنبياء الذين ظهروا منذ القرن الأول بعد الميلاد:

- الإجماعُ مُنعقدٌ على تاريخية وجود محمد - صلى الله عليه وسلم - وعيسي - عليه السلام - ويحيى - عليه السلام -. والإيمان بوجود ذكريا - عليه السلام - فرع عن الإيمان بتاريخية عيسى - عليه السلام - ويحيى - عليه السلام -
- الشبهات المثارة حول تاريخية هؤلاء الأنبياء لا صدى لها في العالم الأكاديمي، ورواجها مقصور على الدوائر الشعبوية المولعة بالغريب، والصادم، والمُرضي لتشنج الملاحدة.

ثالثاً: تاريخية الأنبياء الذين ظهروا في الألفية الأولى قبل الميلاد:

- سبب التشكيك في قصص التوراة والأسفار التاريخية اليهودية، أنها قد كُتِبَت في الألفية الأولى قبل الميلاد، في حدود القرن الثامن أو ما قاربه. ونحن لا نُنكرُ أنَّ النَّصَّ في صورته الحالية لا يتجاوز في صورته المحرَّرة ما وراء القرن الثامن قبل الميلاد ؛ بدليل المفارقاتِ التاريخية في النصّ والتي تعكس بعض عاداتِ الألفية الأولى قبل الميلاد أو معارفها، كما أنه

من الممتنع أن تكون هذه الأسفار قد كتبت في زمن النَّبِيَّين داود وسليمان - عليهما السلام - أو قبله؛ لما فيها من مُنْكراًت عَقْدِيَّة وتأريخِيَّة تمنع أن يُسمَح بشرعيَّتها نِيَّاتِ مَلِكَان لهما سُلْطَة تجريم تداولِ أسفارٍ دِيَّنة باطلة تُثْبِتُ إلى الربّ - سبحانه -. ●

«نظيرية المؤامرة» القائلة بتلفيق اليهوديين تاريخًا كاملاً لبني إسرائيل، مِنْ لا شيء، دَعْوَى لم يمهَد لها أنصار تيار «الحد الأدنى» الحُجَّاج، وإنما هي في الحقيقة موقفٌ مبدئيٌّ انطلقوا منه. خلافُنا إذن ليس حول زمن التحرير، وإنما هو حول موثوقية التراثين الشفهيِّ والمكتوب اللذين قام عليهما التحرير الأخير. ●

افتراض القطعية الكلية بين موثوقية أخبار القرن التاسع قبل الميلاد وزيف أخبار العاشر قبل الميلاد، موقفٌ غير علميٌّ، وانتقائيٌّ غير أمينٌ؛ فشهادة الآثار لصحة جوهر أخبار التوراة عن القرن التاسع قبل الميلاد، حجة لاستبعاد خرافية خبر القرن العاشر قبل الميلاد كلية. ●

استبعاد محافظة اليهود على جزء كبير من التراث الذي تلقؤه عن موسى - عليه السلام - بسبب تطاول الزمن (بضعة قرون)، فيه عَفَلَةٌ عن وجود شواهد تاريخية كثيرة لتداول تراث قديم على مدى ألف سنة وأكثر في الأمم الأخرى. ●

تيار «الحد الأدنى» القائم على وجوب التخلص من التوراة في قراءة التاريخ والآثار، هو أعظم التيارات تأثيراً بالتوراة؛ إذ إنه يجعلنا بين خيارَيْن اثنين لا ثالث لهما، وهما قبول الرواية التوراتية أنَّ بني إسرائيل أُمَّةٌ خرجت من مصر إلى كنعان بعدِ مليونيٍّ - كما في التوراة -، أو رفض ذلك، والقول إنَّ بني إسرائيل قومٌ من الكنعانيَّين؛ لَفَقُوا لأنفسهم لاحقاً أصلًا أجنبِيَاً عن كنعان. والحق إنَّ هناك رؤية أخرى لا تُهُدِّرُ التراث التوراتي ولا تزعُم عِصْمَتَه من

الرَّلِيلِ، وهي أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ جَاءُوا مِنْ خَارِجِ كَنْعَانَ، وَلَكِنْ بِأَعْدَادٍ أَفْتَيَةٍ – كَمَا هُوَ الْخَبْرُ الْقُرْآنِيُّ عَنْهُمْ –. فَانطَّلِاقَ مَدْرَسَةِ «الْحَدُّ الْأَدْنِي» مِنْ ثُنَاتِيَّةِ «مَعيَارَيَّةِ التُّورَةِ» كُلِيَّةً أَوْ إِهْدَارُ هَذِهِ الْمَعْيَارَيَّةِ كُلِيَّةً، أَعْظَمُ اِنْحرافٍ مِنْهُجِي فِي الْبَابِ.

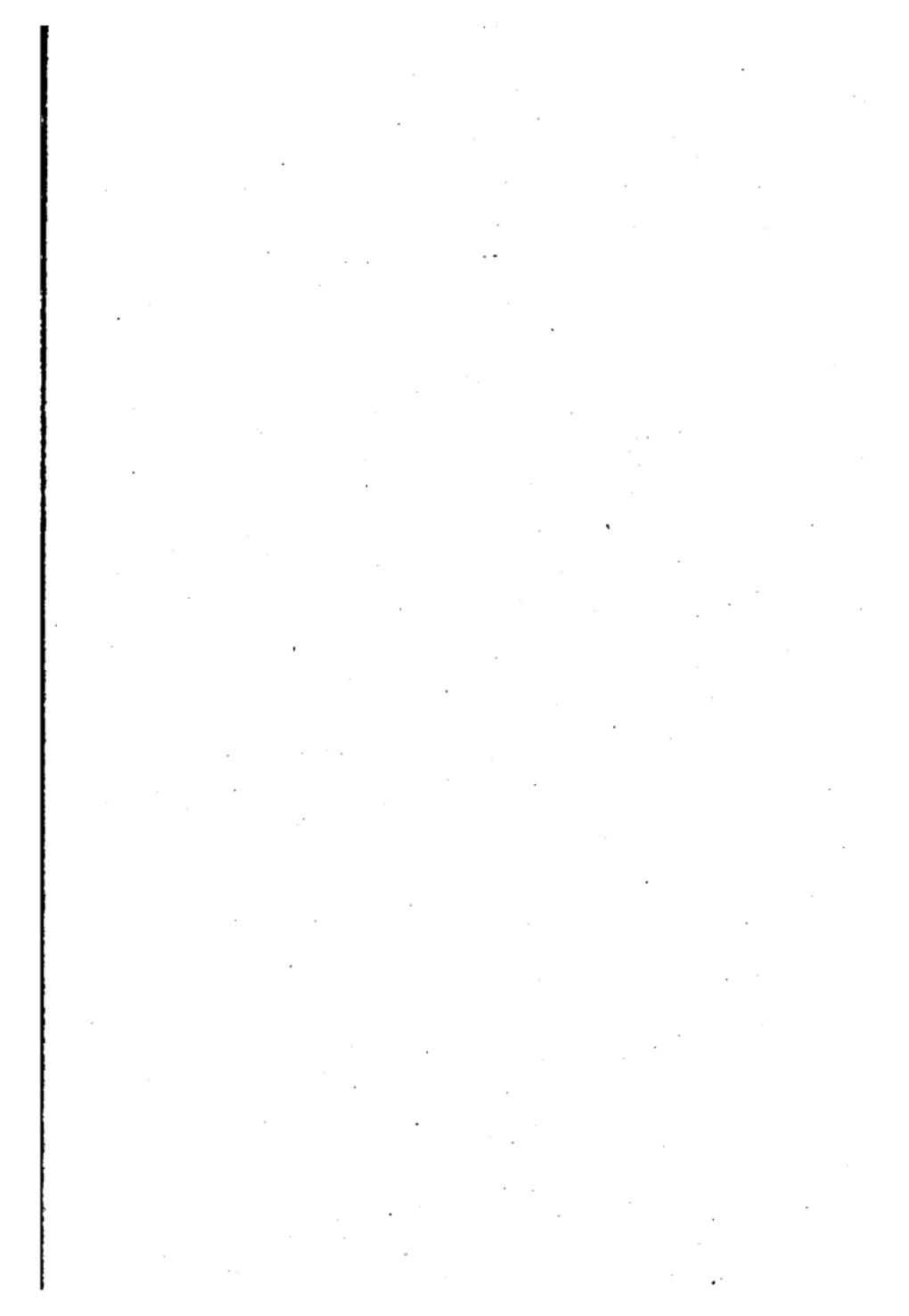
- خلافاً مَعَ فَنَكْلِشَتَائِينَ فِي النَّظَرَةِ إِلَى القيمة التَّارِيخِيَّةِ لِلتُّورَةِ، مَرَدُهُ – فِي الْأَغْلِبِ – التَّفْصِيلُ لِلْأَصْبَاحِ؛ بِمَعْنَى أَنَّنَا نَرَى أَنَّ هَذِهِ الْأَسْفَارِ تَجْمَعُ الْحَقَّ التَّارِيخِيَّ وَالْأَسَاطِيرِ وَالْفَضَّصِ الْمَؤَذَّلَةَ. وَنَرَى أَنَّ تِيَارَ فَنَكْلِشَتَائِينَ، مَعِيَّبُ الْقِرَاءَةِ غَيْرِ الْبَرَهَانِيَّةِ لِمَلِءِ الْفَرَاغَاتِ الْوَاسِعَةِ الَّتِي لَا يَنْطَقُ بِلِسَانِهَا الشَّاهِدُ الْأَرْكِيُّولُوْجِيِّيِّ.

- رابعاً: تَارِيخِيَّةُ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ ظَهَرُوا قَبْلَ الْأَلْفِيَّةِ الْأُولِيَّةِ قَبْلِ الْمِيلَادِ: طَبِيعَةُ حَيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ جاءَ ذَكْرُهُمْ فِي الْقُرْآنِ مِنْ عَاشُوا فِي الْأَلْفِيَّةِ الثَّانِيَّةِ قَبْلِ الْمِيلَادِ، وَالْمَسَافَةُ الزَّمِنِيَّةُ الْكَبِيرَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، تَجْعَلُ اللَّجوِئَ إِلَى الشَّاهِدِ الْأَرْكِيُّولُوْجِيِّ لِلْحُكْمِ عَلَى تَارِيخِهِمْ، مِنَ التَّكَلُّفِ غَيْرِ الْعَلْمِيِّ.
- ذَهَبَ الْأَرْكِيُّولُوْجِيُّونَ الْمُنْكَرُونَ لِتَارِيخِيَّةِ الْآبَاءِ إِلَى أَنَّ الطَّرِيقَ لِنَفِيِّ تَارِيخِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ الْآبَاءِ، لَيْسَ فِي إِثْبَاتِ غَيَابِ النُّقوشِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي تَشِيرُ إِلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا فِي الْمَفَارِقَاتِ التَّارِيخِيَّةِ^(۱) فِي سِيرِهِمُ التُّورَاتِيَّةِ، وَالَّتِي تَدَلُّ عَلَى أَنَّهَا سِيرٌ مِنَ الْأَلْفِيَّةِ الْأُولِيَّةِ قَبْلِ الْمِيلَادِ. وَيُعِيدَاً عَنِ الْمَنَاقِشِ التَّفْصِيلِيَّةِ فِي هَذَا الشَّأنِ، لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ شَيْءٌ مِمَّا اسْتُنْكِرَ بِجَدَّ عَلَى التُّورَةِ فِي هَذَا الْبَابِ.
- خامساً: الْلَّادِينِيُّونَ وَالْمَلَاحِدَةُ الْعَرَبُ، وَمُسَاَهِمَاتُهُمْ فِي الْجَدْلِ الْعَلْمِيِّ فِي تَارِيخِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ:
- لَمْ يَقُدِّمْ الْمُشَكِّكُونَ فِي وَجْهِ الْأَنْبِيَاءِ الْقُرْآنِيَّينَ مِنَ الْمَلَاحِدَةِ وَالْلَّادِينِيَّنَ.

(۱) المفارقة Anachronism: وضع الشخص أو الحدث أو الشيء أو المعرف في غير زمانه.

العرب، دراساتٍ علميةً تتصرّ دعواعهم، وأخِرُّ أمرِهم تقديمُ التائج دون أدلةٍ لها، أو الاكتفاءُ بتلخيصِ دعاوى التيارات الغربية المتطرفة، دون تعرُّضٍ جادٍ لردود المخالفين.

- لم يساهم الانفجار المعرفي الذي حصل في العقود الأخيرة في البحث الأركيولوجي، في تطوير أطروحتَ اللادينيين والملاحدة العرب؛ لاكتفائِهم بما اشتهر من الأديبَات التقليدية لتيار «الحد الأدنى».
- اتَّخذ الكتاب المعروضون من اللادينيين والملاحدة العرب الكتاب المقدس النصراوي قطرة للطعن في الخبر التاريخي في القرآن؛ من خلال إسقاط تاريخية عامة أخبار التوراة، خاصةً ما وافق منها ما جاء في القرآن أيضًا.
- أخيراً.. رسالة إلى طلبة العلم المسلمين
- أقام النصارى البحث الأركيولوجي الديني لخدمة الكتاب المقدس، ثم اختطف هذا العلم من التيارين الإلحادي واللاديني. والواجب على المسلمين ردّ الأمر إلى نصابه؛ بتحرير هذا العلم من تحريف النصارى وعدمية الملاحدة واللادينيين، وفك أركيولوجيا القرآن عن أركيولوجيا الكتاب المقدس في المسائل المختلفة فيها بينهما.
- أركيولوجيا القرآن، علمٌ يجب أن يجد مكانه الذي يليق به ضمن علوم القرآن؛ بأن تُرصَّد له الطاقات العلمية والأموال، وأن يوجَّه طلبة الدراسات العليا لكتابه رسائلهم وأطروحتهم فيه.
- والحمد لله رب العالمين.



المراجع والمصادر

الكتب العربية:

1. إبراهيم، ابتهال، اليهود في المصادر المسمارية 1000 - 395 ق.م، دمشق: دار علاء الدين، 2014.
2. أبوسعدة، رؤوف، العلم الأعجمي في القرآن مفسراً بالقرآن، القاهرة: دار الهلال.
3. إسماعيل، فاروق، اللغة الآرامية القديمة، حلب: منشورات جامعة حلب، 1418 هـ / 1997 م.
4. الألوسي، شهاب الدين، روح المعاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415 هـ.
5. البدراوي، رشدي، موسى وهارون من هو فرعون موسى، القاهرة: 1998.
6. البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسلiman مسلم الحرش، دار طيبة للنشر، 1417 هـ / 1997 م.
7. البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.
8. بوكاي، موريس، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، بيروت: دار الكندي، 1978.
9. ابن تغري بردي، جمال الدين، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة: دار الكتب العلمية، 1413 هـ / 1992 م.

10. ابن تيمية، رسالة في قصة شعيب -عليه السلام-، في: جامع الرسائل، تحقيق: رشاد سالم، الرياض: دار العطاء، 1422هـ / 2001م.
11. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426هـ / 2005م.
12. ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة، 1379هـ.
13. ابن حجر، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق: عبد الله الرحيلي، المدينة المنورة، 1429هـ / 2008م.
14. ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والتحل، القاهرة: مكتبة الخانجي.
15. حسن، سليم، موسوعة مصر القديمة، القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2017م.
16. حسن، سليم، الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1940م.
17. حسن، سيد بن كسرى، هدى القاصد إلى أصحاب الحديث الواحد، بيروت: دار الكتب العلمية، 2002م.
18. الحموي، ياقوت، معجم البلدان، تحقيق: فريد الجندي، بيروت: دار الكتب العلمية.
19. خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، بيروت: دار الفكر، 1408هـ / 1988م.
20. سباхи، عزيز، أصول الصابحة (المندائين)، ومعتقداتهم الدينية، سوريا: دار المدى، 2002م.
21. السهلي، إمداد الحق، هداية الساري إلى دراسة البخاري، داكا: دار الفكر الإسلامي، 1423هـ.
22. السواح، فراس، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، دمشق: دار علاء الدين، 1997م.

23. السواح، فراس، آرام دمشق، دمشق: دار علاء الدين، 1995.
24. السواح، فراس، تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، دمشق: دار علاء الدين، 2003.
25. شرف الدين، أحمد حسين، المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية، الرياض، 1404 هـ / 1984 م.
26. صالح، عبد العزيز حميد، تاريخ الخط العربي عبر العصور المتعاقبة، بيروت: دار الكتب العلمية، 2017.
27. الطبرى، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر، 1422 هـ / 2001 م.
28. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984 م.
29. عامري، سامي، العلم وحقائقه، الكويت: مركز رواسخ، 2019.
30. عامري، سامي، براهين النبوة، لندن: مركز تكوين، 1438 هـ / 2017 م.
31. عامري، سامي، براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، لندن: مركز تكوين، 2018.
32. عامري، سامي، هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنصارى؟، الكويت: رواسخ، 1439 هـ / 2018.
33. عبابة، يحيى، اللغة المؤابية في نقش ميشع، الكرك: جامعة مؤتة، 1420 هـ / 2000 م.
34. عبد الملك، بطرس، وأخرون، قاموس الكتاب المقدس، القاهرة: دار الثقافة، 1995 م.
35. ابن العربي، أحكام القرآن، بيروت: دار الكتب العلمية، 1424 هـ / 2003 م.
36. ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، 1422 هـ.

37. علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب، 1413هـ / 1993م.
38. علي، فاضل عبد الواحد، الطوفان في المراجع المسمارية، بغداد: جامعة بغداد، 1395هـ / 1975م..
39. فتوحي، لوي، النبي يوسف - عليه السلام - في القرآن الكريم والعهد القديم والتاريخ، بيروت: دار الكتب العلمية، 1436هـ / 2015م.
40. فنكشتاين، إسرائيل، وسيلberman نيل، التوراة اليهودية مكتشوفة على حقيقتها، تعریب: سعد رستم، دمشق: صفحات للدراسات والنشر، 1427هـ / 2007م.
41. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ / 1964م.
42. كباوي، عبد الرحمن، دراسات في آثار المملكة العربية السعودية، الرياض، المهرجان الوطني للتراث والثقافة، 1412هـ / 1991م.
43. ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت: دار الفكر، 1407هـ / 1986م.
44. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، 1420هـ / 1999م.
45. الماجدي، خرعل، أنبياء سومريون، كيف تحول عشرة ملوك سومريين إلى عشرة أنبياء توراتيين، الدار البيضاء: المركز الثقافي للكتاب، 2018.
46. الماوردي، النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت: دار الكتب العلمية.
47. مهران، محمد بيومي، دراسات تاريخية من القرآن الكريم، في مصر، القاهرة: دار النهضة العربية، 1408هـ / 1988م.
48. ابن ناصر الدين الدمشقي، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكنائهم، تحقيق: محمد نعيم العرقوسى، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993م.

المقالات العربية:

1. الجاسر، حمد، ليس الحجر من مداين صالح، مجلة العرب، س 13، ع 1 - 2، رجب / شعبان 1398، تموز / آب 1978.
2. رضا، محمد رشيد، تحرير المسلمات على غير المسلمين، مجلة المنار، 1342هـ/1924م، م 25.
3. القهيدان، تركي بن إبراهيم، الحجر: عاصمة الآثار في جزيرة العرب، مجلة الفيصل، العدد 343، المحرم 1426هـ - فبراير / مارس 2005م.
4. محمد بيومي مهران، دراسة حول قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، العدد الخامس، 1395هـ - 1975م.

الكتب الإنجليزية:

1. Alfonso Archi, **Ebla and Its Archives: Texts, History, and Society**, Boston: Walter de Gruyter, 2015.
2. Amihai Mazar and Israel Finkelstein, **The Quest for the Historical Israel: Debating Archaeology and the History of Early Israel**, Leiden: Brill, 2007.
3. André Lemaire; Baruch Halpern, eds. **The Books of Kings: Sources, Composition, Historiography and Reception**, Atlanta, Georgia: SBL Press, 2017.
4. Armin Lange, Eric M. Meyers, Bennie Reynolds, eds., **Light Against Darkness**, Vandenhoeck & Ruprecht, 2011.
5. August H. Konkel, Tremper Longman III, **Job, Ecclesiastes, Song of Songs**, Illinois: Tyndale House, 2016.
6. Bart D. Ehrman, **Did Jesus Exist?: The Historical Argument for Jesus of Nazareth**, New York: HarperOne, 2013.
7. Benjamin D. Sommer, **The Bodies of God and the World of Ancient Israel**, Cambridge: Cambridge University Press, 2009.
8. Betsy Bryan, **The Reign of Thutmose IV**, Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1991.
9. Bill Arnold and Richard Hess, eds. **Ancient Israel's History: An Introduction to Issues and Sources**, Grand Rapids, MI: Baker, 2014.
10. Bill T. Arnold, Bryan E. Beyer, eds. **Readings from the Ancient Near East: Primary Sources for Old Testament Study**, MI: Baker Academic, 2002.
11. Bob Becking, Lester Grabbe, eds. **Between Evidence and Ideology: essays on the history of Ancient Israel**, Leiden: Brill, 2011.
12. Bruce David Chilton, Craig Alan Evans, eds., **Studying the Historical Jesus: Evaluations of the State of Current Research**, Leiden; Boston; Köln: Brill, 1998.
13. Catherine M. Murphy, **John the Baptist: Prophet of Purity for a New Age**, Collegeville, Minn.: Liturgical Press, 2003.
14. Claus Westermann, **Genesis 1-11: A Commentary**, SPCK, 1984.

15. D. N. Freedman, ed., **The Anchor Yale Bible Dictionary**, New York: Doubleday, 1996.
16. D. R. W. Wood and I. H. Marshall, **New Bible Dictionary**, Leicester, England; Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1996.
17. D.R. Keller and D.W. Rupp, eds. **Archaeological Survey in Mediterranean Area**, Oxford: B.A.R., 1983.
18. David E. Graves, **Digging up in the Bible**, Independently published, 2019.
19. Dean Miller, **Beliefs, Rituals, and Symbols of Ancient Greece and Rome**, Cavendish Square Publishing, 2014
20. Edward Lipiński, **Studies in Aramaic Inscriptions and Onomastics**, Volume 1, Leuven: Peeters Publishers, 1975
21. Edwin M. Yamauchi, **The Scriptures and Archaeology: Abraham to Daniel**, Wipf and Stock Publishers, 2013.
22. Edwin M. Yamauchi, **The Stones and The Scriptures**, Philadelphia: J. B. Lippincott, 1972.
23. François Déroche, **Qur'ans of the Umayyads: A First Overview**, Leiden; Boston: Brill, 2014.
24. Frauke Weiershäuser; Jamie R Novotny, **The Royal Inscriptions of Amēl-Marduk (561-560 BC), Neriglissar (559-556 BC), and Nabonidus (555-539 BC), kings of Babylon**, University Park, Pennsylvania: Eisenbrauns, 2020.
25. Fred Skolnik, et al., eds. **Encyclopaedia Judaica**, MI: Keter Publishing House, 2007.
26. Gary Tuttle, ed. **Biblical and Near Eastern Studies: Essays in Honor of William Sanford Lasor**, Grand Rapids, Mich.: Eerdmans, 1978.
27. George Albert Wells, **Can We Trust the New Testament?**, Illinois: Open Court Publishing, 2004.
28. Gerald F Hawthorne, *et. al.*, eds, **Dictionary of Paul and his letters**, Inter-Varsity Press, 2020.
29. Gleason Archer, **A Survey of Old Testament Introduction**, Chicago: IL Moody Press, 1994.
30. H.R. Hall, **The Ancient History of the Near East**, Routledge, 2015.

31. Hallvard Hagelia, **The Dan Debate: The Tel Dan Inscription in Recent Research**, Sheffield Phoenix Press, 2009.
32. Herodotus, **Histories**, Book 2.
33. Israel Finkelstein, Neil Asher Silberman, **David and Solomon**, New York: Simon and Schuster, 2007.
34. Isidore Singer, Cyrus Adler, eds. **The Jewish Encyclopedia**, New York: Funk & Wagnalls Company, 1906.
35. J. H. Walton, **Zondervan Illustrated Bible Backgrounds Commentary, Old Testament**, Grand Rapids, MI: Zondervan, 2009
36. J.M.A. Jansen, **A Study of the Biblical Story of Joseph**, Leiden: Brill, 1970.
37. James Bennett Pritchard, ed. **Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament**, Princeton: Princeton University Press, 1969.
38. James K. Hoffmeier and Dennis R. Magary, eds., **Do Historical Matters Matter to Faith?**, Illinois: Crossway, 2012.
39. James K. Hoffmeier, *et. al*, eds. "Did I Not Bring Israel Out of Egypt?": **Biblical, Archaeological, and Egyptological Perspectives on the Exodus Narratives**, Winona Lake: Eisenbrauns, 2016.
40. James K. Hoffmeier, **Ancient Israel in Sinai: The Evidence for the Authenticity of the Wilderness Tradition**, New York; Oxford: Oxford University Press, 2005.
41. James K. Hoffmeier, **Israel in Egypt: The Evidence for the Authenticity of the Exodus Tradition**, New York; Oxford: Oxford University Press, 1996.
42. Jean Delumeau, **History of Paradise: The Garden of Eden in Myth and Tradition**, Chicago: University of Illinois Press, 2000.
43. Joachim J. Krause, Omer Sergi, and Kristin Weingart, eds. **Saul, Benjamin, and the Emergence of Monarchy in Israel: Biblical and Archaeological Perspectives**, Atlanta: SBL Press, 2020.
44. Joannes of Nikiou, **The Chronicle of John (c. 690 A.D.) Coptic Bishop of Nikiou: Being a History of Egypt Before and During the Arab Conquest**, Philo Press, 1981.
45. John Currid, **Ancient Egypt and the Old Testament**, Grand Rapids, Mich.: Baker Books, 1999.

46. John D. Currid and David P Barrett, **Crossway ESV Bible Atlas**, wheaton: Crossway Books, 2010.
47. John Drane, **Introducing the New Testament**, Oxford: Lion Books, 2010.
48. John Day, ed. **Search of Pre-exilic Israel**, Edinburgh: T & T Clark, 2005.
49. John E. Hartley, **The Book of Job**, Wm. B. Eerdmans Publishing, 1988.
50. John H. Hayes, Paul K. Hooker, **A New Chronology for the Kings of Israel and Judah**, Oregon: Wipf and Stock Publishers, 2007.
51. John H. Walton, ed. **Zondervan Illustrated Bible Backgrounds Commentary: Esther**, Harper Collins, 2009.
52. John Van Seters, **Abraham in History and Tradition**, Yale University Press, 1975.
53. Josephus, **Jewish Antiquities**. 18.
54. Josh McDowell and Sean McDowell, **Evidence That Demands a Verdict: Life-Changing Truth for a Skeptical World**, Nashville, Tennessee: Thomas Nelson, 2017.
55. K. A. Kitchen, **On the Reliability of the Old Testament**, Grand Rapids, Mich.: W.B. Eerdmans, 2006.
56. K. A. Mathews, **Genesis 1-11:26**, B&H Publishing Group, 1996.
57. K. A. Kitchen, **Documentation for ancient Arabia**. Part 1, Chronological framework & historical sources, Liverpool: University of Liverpool Press, 1994.
58. Lawrence J. Mykytiuk, **Identifying Biblical Persons in Northwest Semitic Inscriptions Of 1200 – 539 B.C.E**, Brill, 2004.
59. Leonard Woolley, *et. al.* **Ur excavations**. Volume VII The Old Babylonian period, Trustees of the two Museums by British Museum Publications, 1976.
60. Lowell K. Handy, ed. **The Age of Solomon: Scholarship at the Turn of the Millennium**, Leiden: BRILL, 1997.
61. M.C.A. Macdonald, **Arabs and Empires Literacy and Identity in Pre-Islamic Arabia**, Burlington, VT: Ashgate Publ., 2009.
62. M.Silva and M. C. Tenney, **The Zondervan Encyclopedia of the Bible**, Volume 2, D-G, Grand Rapids, MI: The Zondervan Corporation, 2009.

63. Mark W. Chavalas and K. Lawson Younger, eds. **Mesopotamia and the Bible**, New York: A&C Black, Jan 1, 2003.
64. Martin Zammit, **A Comparative Lexical Study of Quranic Arabic**, Leiden: Brill, 2002.
65. Maurice Bucaille, **Moses and Pharaoh in the Bible, Qur'an and History**, Kuala Lumpur: Islamic Book Trust, 2008
66. Maurice J. O'Sullivan, **The Books of Job**, UK: Cambridge Scholars Publishing, 2009.
67. Michael Cook, **Muhammad**, Oxford: Oxford University Press, 1996.
68. Nadav Na'aman, **Ancient Israel's History and Historiography: The First Temple Period**, Winona Lake, Ind.: Eisenbrauns, 2006.
69. Nicholas Clapp, **Sheba: Through the Desert in Search of the Legendary Queen**, Houghton Mifflin Harcourt, 2001.
70. P. J. Achtemeier, et al., eds. **Harper's Bible Dictionary**, San Francisco: Harper & Row.
71. Patricia Crone, **Meccan Trade and the Rise of Islam**, Oxford: Basil Blackwell, 1987.
72. Paul N. Anderson, Felix Just, Tom Thatcher, eds. **John, Jesus, and History, Volume 1: Critical Appraisals of Critical Views**, Atlanta: Society of Biblical Literature, 2014.
73. Peter Schäfer, **Jesus in the Talmud**, Princeton, N.J.: Princeton University Press, 2009.
74. Phil Howell, **John the Great: John the Baptist, His Relationship with Jesus and You**, Holy Fire Publishing, 2005.
75. Philip Davies, **In Search of 'Ancient Israel'**, New York: Continuum, 1999.
76. R. F. Youngblood, et al., eds. **Nelson's New Illustrated Bible Dictionary**, Nashville, TN: Thomas Nelson, 1995.
77. R. Laird Harris, Gleason L. Archer, Jr., Bruce K. Waltke, eds., **Theological Wordbook of the Old Testament**, Chicago: Moody Publishers, 2003.
78. Ralph P. Martin, Carl N. Toney, **New Testament Foundations: An Introduction for Students**, OR: Wipf and Stock Publishers, 2018.

79. Raphael Lataster, **Questioning the Historicity of Jesus**, Leiden; Boston: Brill, 2019.
80. Richard Freund, **Digging through the Bible: modern archaeology and the ancient Bible**, Lanham, Maryland: Rowman & Littlefield, 2010.
81. Richard S. Hess, **Studies in the personal names of Genesis 1-11**, Butzon u. Bercker; Neukirchen-Vluyn: Neukirchener Verl., 1993.
82. Robert E. Van Voorst, **Jesus Outside the New Testament: An Introduction to the Ancient Evidence**, Grand Rapids: W.B. Eerdmans, 2000.
83. Robert Funk, *et al.*, **The Acts of Jesus: What Did Jesus Really Do?**, Oregon: Polebridge Press; Salem, 1998.
84. Robert Funk, *et al.*, **The Five Gospels: What Did Jesus Really Say? The Search for the Authentic Words of Jesus**, New York: Harper Collins, 1996.
85. Robert G. Hoyland, **Seeing Islam As Others Saw It: A Survey and Evaluation of Christian, Jewish and Zoroastrian Writings on Early Islam**, Princeton, N.J.: Darwin Press, 1997.
86. Robert L. Webb, **John the Baptizer and Prophet: A Sociohistorical Study**, Oregon: Wipf and Stock Publishers, 2006.
87. Robert Spencer, **Did Muhammad Exist?: An Inquiry into Islam's Obscure Origins**, Wilmington, Delaware: I熙 Books, 2012.
88. Robert William Rogers, **Cuneiform Parallels to the Old Testament**, Eaton & Mains, 1912.
89. Russell Gmirkin, **Berossus and Genesis, Manetho and Exodus**, New York; London: T & T Clark, 2006.
90. Samuel Birch, **Records of the past: being English translations of the Assyrian and Egyptian Monuments**, London: Samuel Bagster, 1874.
91. Scott B. Noegel and Brannon M. Wheeler, **Historical Dictionary of Prophets in Islam and Judaism**, London: Scarecrow Press, 2002.
92. T.E. Levy, T. Schneider and W.H.C. Propp, eds. **Israel's Exodus in Transdisciplinary Perspective: Text, Archeology, Culture and Geoscience**, Cham, Switzerland; New York: Springer, 2015.
93. Tim Wilkes, **Islamic Coins and Their Values Volume 1: The Mediaeval Period**, Spink & Son, 2015.

94. V. H. Matthews, M. W. Chavalas & J. H. Walton, **The IVP Bible background commentary: Old Testament**, Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2000.
95. Van der Toorn, B. Becking and P. W. van der Horst, eds. **Dictionary of Deities and Demons in the Bible**, Leiden; Boston; Köln; Grand Rapids, MI; Cambridge: Brill; Eerdmans, 1999.
96. W. A. Elwell & B. J. Beitzel, **Baker encyclopedia of the Bible**, Grand Rapids, Mich.: Baker Book House, 1988.
97. W. Barnes Tatum, **John the Baptist and Jesus: A Report of the Jesus Seminar**, Sonoma, CA: Polebridge Press, 1994.
98. Walter C. Kaiser, **History of Israel**, Tennessee: B&H Publishing Group, 1998.
99. Walter C. Kaiser, **The Old Testament Documents: Are They Reliable Relevant?**, Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 2001.
100. William G. Dever, **Has Archaeology Buried the Bible?**, Grand Rapids, Michigan: William B. Eerdmans Publishing Company, 2020.
101. William G. Dever, **What Did the Biblical Writers Know and When Did They Know It?**, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 2001.
102. William G. Dever, **Who Were the Early Israelites and Where Did They Come From?**, Michigan: William B. Eerdmans Publishing, 2006.
103. William Hallo and K. Lawson Younger, eds., **The Context of Scripture: Canonical Compositions, Monumental Inscriptions and Archival Documents from the Biblical World**, vol. 1, Leiden: Brill, 1997.
104. Yosef Garfinkel, *et. al.*, **In the Footsteps of King David: revelations from an ancient biblical city**, London; New York: Thames & Hudson, 2018.

المقالات الإنجليزية:

1. Aaron A. Burke "Minimizing David, Maximizing Labayu," **Biblical Archaeology Review** 40.4 (2014).
2. Aaron James, Two in five think Jesus is a mythical figure. **Premier Christian**. 21 Sep 2015.
3. Abdullah David and M. S. M. Saifullah, Concise List of Arabic Manuscripts of the Qur'ān Attributable to The First Century Hijra.
4. Alain Zivie, 'Pharaoh's Man 'Abdiel': The Vizier with a Semitic Name,' **Biblical Archaeology Review** 44, no. 4 (July/August 2018).
5. Alan R Millard, 'Texts and Archaeology: Weighing the Evidence. The Case for King Solomon', in **Palestine Exploration Quarterly** (January-June 1991).
6. Amanda Borschel-Dan, 'Huge Kingdom of Judah government complex found near US Embassy in Jerusalem', **Times of Israel**, 22 July 2020.
7. André Lemaire, 'Royal Signature: Name of Israel's Last King Surfaces in a Private Collection,' **Biblical Archaeology Review** 21.6 (1995).
8. André Lemaire, 'Royal Signature: Name of Israel's Last King Surfaces in a Private Collection,' **Biblical Archaeology Review** 21.6 (1995).
9. Ann Gibbons, 'Jews and Arabs share recent ancestry, **Science Mag**, Oct. 30, 2000.
10. Anson F. Rainey "The 'House of David' and the House of the Deconstructionists," **Biblical Archaeology Review** 20.6 (1994).
11. Avraham Faust and Yair Sapir, 'The "Governor's Residency" at Tel 'Eton, The United Monarchy, and the Impact of the Old-House Effect on Large-Scale Archaeological Reconstructions', **Radiocarbon**, Volume 60, Issue 3 , June 2018.
12. Baruch Halpern, 'Erasing History,' **Bible Review** 11.6 (1995).
13. Brad Kelle, 'What's in a Name? Neo-Assyrian Designations for the Northern Kingdom and Their Implications for Israelite History and Biblical Interpretation', **Journal of Biblical Literature**, 2002. 121 (4).
14. Carol L. Meyers, 'The Elusive Temple,' **BA** 45, no. 1 (1982).
15. David Noel Freedman and Jeffrey C. Geoghegan. "'House of David' Is There!" **Biblical Archaeology Review** 21.2 (1995).

16. E.W. Nicholson, Review of J. Van Seters, 'Abraham in History and Tradition', *JTS* 30, 1979.
17. Eilat Mazar, 'Is This the Prophet Isaiah's Signature?' *Biblical Archaeology Review* 44.2 (2018).
18. Estelle Whelan, 'Evidence for the early codification of the Qur'an', *JAOS* 118 (1998).
19. Gabriel Barkay, 'A Bulla of Ishmael, the King's Son', *Bulletin of the American Schools of Oriental Research*, No. 290/291 (May - Aug., 1993).
20. Gary A. Rendsburg, 'On the Writing Bytdwd in the Aramaic Inscription from Tel Dan,' *Israel Exploration Journal* 45 (1995).
21. Gerhard F. Hasel, 'The Genealogies of Gen 5 and 11 and Their Alleged Babylonian Background,' *Andrews University Seminary Studies* 16 (1978).
22. Graham Lawton, 'Why Darwin was wrong about the tree of life', *New Scientist* (January 21, 2009).
23. Hershel Shanks, 'First Person: Have You Seen This Seal?' *Biblical Archaeology Review* 26.1 (2000).
24. Hershel Shanks, 'Jeremiah's Scribe and Confidant Speaks from a Hoard of Clay Bullae,' *Biblical Archaeology Review* 13.5 (1987).
25. Islamic Awareness, The Arab-Byzantine "Three Standing Imperial Figures" Dīnār From the Time of Umayyad Caliph Abd al-Malik, 72-74 AH / 692-694 CE.
26. J. J. Finkelstein, "The Antediluvian Kings: A University of California Tablet," *Journal of Cuneiform Studies*, 1963, Vol. 17, No. 2.
27. James K. Hoffmeier, 'Out of Egypt,' *Biblical Archaeology Review* 33.1 (2007).
28. James K. Hoffmeier, "Out of Egypt," *Biblical Archaeology Review* 33.1 (2007).
29. Jeanna Bryner, Jerusalem's Ancient 'City of Quarries' Reveals City-Building Rocks, *Live Science*. May 09, 2013.
30. David Rodman, Review 'The forgotten kingdom: the archaeology and history of northern Israel,' *Israel Affairs*, 2005, 21:1
31. Jeremiah, 'Prophet of the Bible, brought back to life,' *Biblical Archaeology*. August 24, 2015.

32. John S. Justeson, 'Limitations of Archaeological Inference: An Information-Theoretic Approach with Applications in Methodology', **American Antiquity**, Vol. 38, No. 2 (April, 1973).
33. John P. Meier, 'John the Baptist in Josephus: Philology and Exegesis,' **Journal of Biblical Literature**, vol. 111, no. 2.,
34. Kampmeier, A. (1913) "Did John the Baptist Exist?," **The Open Court**: Vol. 1913 : Iss. 7 .
35. Kenneth A Kitchen, 'Shishak's military campaign in Israel confirmed,' **Biblical Archaeology Review** 15.3 (1989).
36. Kenneth A. Kitchen "The Patriarchal Age: Myth or History?" **Biblical Archaeology Review** 21.2 (1995).
37. Larry G. Herr, 'What Ever Happened to the Ammonites?' **Biblical Archaeology Review** 19.6 (1993).
38. Michael D. Coogan, 'Assessing David & Solomon,' **Biblical Archaeology Review** 32.4 (2006).
39. Millard, Alan R. 'The New Jerusalem Inscription—So What?', **Biblical Archaeology Review** 40.3 (2014).
40. N. Avigad, 'The Jotham Seal from Elath', **Bulletin of the American Schools of Oriental Research**, Oct., 1961, No. 163 (Oct., 1961).
41. Nadav Na'aman, 'Beth-David in the Aramaic Stela from Tel Dan,' **Biblische Notizen** 79 (1995).
42. Nadav Na'aman, 'Ekron under the Assyrian and Egyptian Empires', **BASOR** 332 (2003).
43. Nadav Na'aman, 'Cow Town or Royal Capital?', **Biblical Archaeology Review** 23.4 (1997).
44. Nahum M. Sarna, "The Last Legacy of Roland de Vaux," **Biblical Archaeology Review**, vol. 6, no. 4 (July-August 1980).
45. Nava Panitz-Cohen, 'To What God?' **Biblical Archaeology Review** 34.4 (2008).
46. Noah Wiener, Tel Rehov House Associated with the Biblical Prophet Elisha, Bible and archaeology news, **Biblical Archaeology Society**. July 23, 2013.
47. Patricia Crone, 'What Do We Actually Know About Mohammed', June 2008.

48. Robin Ngo, 'King Hezekiah in the Bible: Royal Seal of Hezekiah Comes to Light,' **Biblical Archeology**, June 09, 2020.
49. Rossella Tercatin, Key site from biblical kings' time unveiled near US Embassy in Jerusalem, **Jerusalem Post**, July 22, 2020.
50. Steven Collins, 'Where Is Sodom?', **Biblical Archaeology Review** 39.2 (2013).
51. Tsvi Schneider, 'Six Biblical Signatures,' **Biblical Archaeology Review** 17.4 (1991).
52. William G. Dever, Excavating the Hebrew Bible, or Burying It Again?, Review: The Bible Unearthed, **Bulletin of the American Schools of Oriental Research**, Volume 322.
53. William G. Dever, and Aaron A. Burke. "Divided Kingdom, United Critics," **Biblical Archaeology Review** 40.4 (2014).
54. Yigal Levin, 'Did Pharaoh Sheshonq Attack Jerusalem?', **Biblical Archaeology Review** 38.4 (2012).
55. Yosef Garfinkel, 'The Birth & Death of Biblical Minimalism,' **Biblical Archaeology Review** 37.3 (2011).
56. Zivie, Alain. 'Pharaoh's Man, 'Abdiel: The Vizier with a Semitic Name.' **Biblical Archaeology Review** 44.4 (2018).

الكتب الفرنسية:

1. Bucaille, Maurice, **Les Momies des Pharaons et la Médecine**, Paris: Séguier, 1987.
2. Deroche, François, **Le Coran (Que sais-je?)**, Presses Universitaires de France, 2014
3. Pierre Maraval et Simon Claude Mimouni, **Le Christianisme Ancien des Origines à Constantin**, P.u.f./Nouvelle Clio, 2007.

الكتب العبرية:

בostonai עוזד, האוניברסיטה הפתוחה, תולדות עם ישראל בימי בית ראשון,
אוניברסיטת הפתוחה, 2008



المعدون • الماء • برايم

وصية المرحوم
السيد سليمان السيد علي الرفاعي
غفر الله له ووالديه ولذريته